

(٩٦٢)

مَطَرَ السوء

عقاب الله لقرية سدوم

﴿أتأتون الْفَاحِشَةَ﴾

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"(لا يرجون نشورا)

لا يخافون بعثاً.

و (القرية التي أمطرت مطر السوء)

سدوم قرية لوط.

(مد الظل)

[أي: الليل]، لأنه ظل الأرض الممدود على قريب من نصف وجهها الممتد في الجو إلى مدار القمر الأبعد.

وقيل: إنه من طلوع الفجر إلى شروق الشمس.

(ولو شاء لجعله ساكناً)

أي: بإبطال كلتي الحركتين في السماء، الغربية التي بها النهار والليل، والشرقية التي بها فصول الأزمنة، لأن الشرقية متى لم [تبطل]، مع بطلان." (١)

"الثَّعْلَبِيُّ وَغَيْرُهُ. (وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا) أَيْ أُمَمًا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ بَيْنَ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ. وَثَمُودَ وَأَصْحَابِ الرَّسِّ. وَعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ اشْتَكَى فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَتَدَاوَى فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَرَ بِهِ؟ قَالَ: لَقَدْ هَمَمْتُ بِذَلِكَ ثُمَّ فَكَّرْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَإِذَا عَادٌ وَثَمُودُ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا كَانُوا أَكْثَرَ وَأَشَدَّ حِرْصًا عَلَى جَمْعِ الْمَالِ، فَكَانَ فِيهِمْ أَطِبَّاءُ، فَلَا النَّاعِتُ مِنْهُمْ بَقِيَ وَلَا الْمَنْعُوتُ، فَأَبَى أَنْ يَتَدَاوَى فَمَا مَكَثَ إِلَّا خَمْسَةَ أَيَّامٍ حَتَّى مَاتَ، رَحِمَهُ الله.

[سورة الفرقان (٢٥): آية ٣٩]

وَكُلاًّ ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنا تَتْبِيراً (٣٩)

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَكُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ) قَالَ الزَّجَّاجُ. أَيْ وَأَنْذَرْنَا كُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَبَيَّنَّا لَهُمُ الْحُجَّةَ، وَلَمْ نَضْرِبْ لَهُمُ الْأَمْثَالَ الْبَاطِلَةَ كَمَا يَفْعَلُهُ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةُ. وَقِيلَ: انْتَصَبَ عَلَى تَقْدِيرِ ذَكَرْنَا كُلًّا وَنَحْوَهُ، لِأَنَّ ضَرْبَ الْأَمْثَالِ تَذْكِيرٌ وَوَعْظٌ، ذَكَرَهُ الْمَهْدَوِيُّ. وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ. (وَكُلًّا تَبَّرْنا تَتْبِيراً) أَيْ أَهْلَكْنَا بِالْعَذَابِ. وَتَبَّرْتُ الشَّيْءَ كَسَرْتُهُ. وَقَالَ الْمُؤَرِّجُ وَالْأَخْفَشُ: دَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا. تبدل التاء والباء من الدال والميم.

---

(١) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ٢/١٠٢٤

[سورة الفرقان (٢٥): آية ٤٠]
وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها بَلْ كانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُوراً (٤٠)
قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ) يَعْنِي مُشْرِكِي مَكَّةَ. وَالْقَرْيَةُ قَرْيَةُ قَوْمِ لُوطٍ. وَ (**مَطَرَ السَّوْءِ**) الْحِجَارَةُ الَّتِي أُمْطِرُوا بِهَا. (أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها) أَيْ فِي أَسْفَارِهِمْ لِيَعْتَبِرُوا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَتْ قُرَيْشٌ فِي تِجَارَتِهَا «١» إِلَى الشَّامِ تَمُرُّ بِمَدَائِنِ قَوْمِ لُوطٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:" وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ
"«
وَقَالَ:" وَإِنَّهُما لَبِإِمامٍ مُبِينٍ" وَقَدْ تَقَدَّمَ «٣». (بَلْ كانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُوراً) أَيْ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْبَعْثِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى" يَرْجُونَ" يَخَافُونَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى بَابِهِ وَيَكُونُ مَعْنَاهُ: بل كانوا لا يرجون ثواب الآخرة.

______

(١). في ك: تجاراتهم.
(٢). راجع ج ١٥ ص ١٢٠.
(٣). راجع ج ١٠ ص ٤٥.." [1]

"قوله تعالى: ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ ... (٣٣)﴾
أي بالحقيقة، والمعنى، وقوله تعالى: (وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)، راجع للفظ، وكيفية دلالته على المعنى.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا ... (٣٤)﴾
قال: كان بعضهم يفسره: بأن طريقتهم التي يمشون عليها على وجوههم إلى جهنم صعبة المسلك.
وقوله تعالى: (وَأَضَلُّ سَبِيلًا)، إشارة إلى بعدها، فهي بعيدة واعرة صعبة المسلك.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٥)﴾ .. ، ظاهره أن هارون عليه السلامِ غير رسول، بل هو تابع لموسى عليه السلام، وظاهر قوله تعالى: [(فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ)، (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) *] أنه رسول لكن الرسالة مقولة بالتشكيك، قال: قصة موسى تكررت في القرآن لتكرر اليهود عليه ومنهم [...] فلذلك كررت بألفاظ مختلفة.
قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ... (٣٩)﴾

______

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٤/١٣

قال ابن عرفة: هذه عندي دليل لمن يقول إن العقل لم يخلو من سمع، وأجيب: بأنها إنما دلت على ضرب المثل لمن ذكر [من القرون*] الذين بينهم، ويعني من قبل نوح، ومن قبل المذكورين، [وابن عرفة*] إنما يحتج كذلك، بقوله تعالى: (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ). وقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ... (٤٠) .. ، قال: ومنهم من قال إن مطر مصدر على حذف الزوائد، ومنهم من جعله اسم مصدر بخلاف قولك: أمطرت إمطارا فإنه مصدر بلا خلاف، وكذلك عذبته عذابا بخلاف قولك: تعذيبا.

قوله تعالى: (أَفَلَم يَكُونُوا يَرَوْنَهَا).

أي أغفلوا فكأنهم لم يرونها.." [1]

"(ولقد أتوا على القرية) مستأنفة مبينة لمشاهدتهم لآثار هلاك بعض الأمم، وضمن أتى معنى مر لأنه يستعمل متعدياً بنفسه أو بإلى، والمعنى ولقد أتى مشركو مكة في أسفارهم إلى الشام، على قرية قوم لوط، وهي سدوم، وهي أعظم قرى قومه وكانت خمساً. أهلك الله أربعاً مع أهلها، وبقيت واحدة، وهي أصغرها، وكان أهلها لا يعمل الخبائث.

(التي أمطرت **مطر السوء**) وهو الحجارة، قاله ابن عباس، والأمطار معناه الرمي، أي: هلكت بالحجارة، التي أمطروا بها، ورميت رمي الحجارة، والمعنى أعطيتها وأوليتها، **مطر السوء**، أي أمطاراً مثل **مطر السوء** وقد تقدم، تفسير السوء في براءة (أفلم يكونوا يرونها) الاستفهام للتقريع والتوبيخ أي يرون القرية." [2]

"وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (٤٠) وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)." [3]

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ٢ ، ص : ٦١٣

وَ كَفى بِرَبِّكَ هادِياً : يجوز حالا وتمييزا «١».

٣٢ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ : أي : باتصال الوحي ، أو لنثبته في فؤادك بالإنزال متفرقا.

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٢٣٣/٣

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣١١/٩

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣١١/٩

وَرَتَّلْناهُ : فصّلناه ، والرّتل في الثّغر أن يكون مفلّجا لا لصص فيه «٢».

والقرية التي أمطرت **مطر السوء** «٣» : سدوم قرية لوط «٤» عليه السلام.

٤٥ مَدَّ الظِّلَّ : أي : اللّيل لأنّه ظل الأرض الممدود على قريب من نصف وجهها.

وقيل «٥» : هو ما بين طلوع الفجر إلى شروق الشمس.

---

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج : ٤/ ٦٦ ، وتفسير القرطبي : ١٣/ ٢٨ ، والبحر المحيط : ٦/ ٤٩٦.

(٢) جاء في لسان العرب : «و ثغر رتل ورتل : حسن التنضيد مستوى النبات ، وقيل : المفلّج ، وقيل : بين أسنانه فروج لا يركب بعضها بعضا».

والفلج في الأسنان : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات خلقة.

واللّصص : تقارب ما بين الأضراس حتى لا ترى بينها خللا».

ينظر اللسان : ٢/ ٣٤٦ (فلج) ، ٧/ ٨٧ (لصص) ، ١١/ ٢٦٥ (رتل).

(٣) في قوله تعالى : وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** ... [آية : ٤٠].

(٤) أخرج الطبري هذا القول في تفسيره : ١٩/ ١٦ عن ابن جريج.

وأورده السيوطي في الدر المنثور : ٦/ ٢٥٩ ، وزاد نسبته إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم عن قتادة.

وانظر هذا القول في معاني القرآن للزجاج : ٤/ ٦٩ ، وتفسير الماوردي : ٣/ ١٥٨ ، وتفسير ابن كثير : ٦/ ١٢١ ، ومفحمات الأقران : ١٤٩.

(٥) ذكره الفراء في معاني القرآن : ٢/ ٢٦٨ ، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن : ٣١٣.

وأخرجه الطبري في تفسيره : ١٩/ ١٨ عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير.

وانظر هذا القول في معاني الزجاج : ٤/ ٧٠ ، وتفسير البغوي : ٣/ ٣٧٠ ، وزاد المسير : ٦/ ٩٣.." [1]

"غيره مقدم على مراعاة خفة لفظه.

فقد اتفق أئمة الأدب على أن وقوع اللفظ المتنافر في أثناء الكلام الفصيح لا يزيل عنه وصف الفصاحة،

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٦١٣/٢

فإن العرب لم يعيبوا معلقة امرئ القيس ولا معلقة طرفة. قال أبو العباس المبرد: وقد يضطر الشاعر المفلق والخطيب المصقع والكاتب البليغ فيقع في كلام أحدهم المعنى المستغلق واللفظ المستكره فإذا انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره وسترتا من شينه.

وأما ما يعرض للهجات العرب فذلك شيء تفاوتت في مضماره جياد ألسنتهم وكان المجلي فيها لسان قريش ومن حولها من القبائل المذكورة في المقدمة السادسة وهو مما فسر به حديث: أنزل القرآن على سبعة أحرف، ولذلك جاء القرآن بأحسن اللهجات وأخفها وتجنب المكروه من اللهجات، وهذا من أسباب تيسير تلقي الأسماع له ورسوخه فيها. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧] ومما أعده في هذه الناحية صراحة كلماته باستعمال أقرب الكلمات في لغة العرب دلالة على المعاني المقصودة، وأشملها لمعان عديدة مقصودة بحيث لا يوجد في كلمات القرآن كلمة تقصر دلالتها عن جميع المقصود منها في حالة تركيبها، ولا تجدها مستعملة إلا في حقائقها مثل إيثار كلمة حرد في قوله تعالى: ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ [القلم:٢٥] إذ كان جميع معاني الحرد صالحا للإرادة في ذلك الغرض، أو مجازات أو استعارات أو نحوها مما تنصب عليه القرائن في الكلام، فإن اقتضى الحال تصرفا في معنى اللفظ كان التصرف بطريق التضمين وهو كثير في القرآن مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ [الفرقان: ٤٠] فجاء فعل ﴿أَتَوْا﴾ مضمنا معنى مروا فعدي بحرف على؛ لأن الإتيان تعدى إلى اسم القرية والمقصود منه الاعتبار بمآل أهلها، فإنه يقال أتى أرض بني فلان ومر على حي كذا. وهذه الوجوه كلها لا تخالف أساليب الكلام البليغ بل هي معدودة من دقائقه ونفائسه التي تقل نظائرها في كلام بلغائهم لعجز فطنة الأذهان البشرية عن الوفاء بجميعها.

وأما الجهة الثانية وهي ما أبدعه القرآن من أفانين التصرف في أساليب الكلام البليغ وهذه جهة مغفولة من علم البلاغة، فاعلم أن أدب العرب نوعان شعر ونثر، والنثر خطابة وأسجاع كهان، وأصحاب هذه الأنواع وإن تنافسوا في ابتكار المعاني وتفاوتوا في تراكيب أدائها في الشعر فهم بالنسبة إلى الأسلوب قد التزموا في أسلوبي الشعر والخطابة." (١)

"وأعذر إلينا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي محمد صلى الله عليه وسلم أو قبل القرآن ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه:١٣٤] فاقتصر من هذا المعنى على معنى أن علة الإرسال هي عدم إهلاك القرى على غفلة، فدل على المعنى

---

(١) التحرير والتنوير، ١١١/١

المحذوف.

والإهلاك: إعدام ذات الموجود وإماتة الحي. قال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢] فإهلاك القرى إبادة أهلها وتخريبها، وإحياؤها إعادة عمرانها بالسكان والبناء، قال تعالى: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ "أي القرية" اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] وإهلاك القرى هنا شامل لإبادة سكانها. لأن الإهلاك تعلق بذات القرى، فلا حاجة إلى التمجز في إطلاق القرى على أهل القرى كما ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] لصحة الحقيقة هنا، ولأنه يمنع منه قوله: ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١]، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ [الإسراء:١٦] فجعل إهلاكها تدميرها، وإلى قوله: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ [الفرقان: ٤٠].

والباء في: ﴿بِظُلْمٍ﴾ للسببية، والظلم: الشرك، أي مهلكهم بسبب شرك يقع فيا فيهلكها ويهلك أهلها الذين أوقعوه، ولذلك لم يقل: بظلم أهلها، لأنه أريد أن وجود الظلم فيها سبب هلاكها، وهلاك أهلها بالأحرى لأنهم المقصود بالهلاك.

وجملة: ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ حال من ﴿الْقَرْيَةَ﴾ وصرح هنا بـ ﴿أَهْلُهَا﴾ تنبيها على أن هلاك القرى من جراء أفعال سكانها ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢].

[١٣٢] ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

احتراس على قوله: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٣١] للتنبيه على أن الصالحين من أهل القرى الغالب على أهلها الشرك والظلم لا يحرمون جزاء صلاحهم.

والتنوين في: ﴿وَلِكُلٍّ﴾ عوض عن المضاف إليه: أي ولكلهم، أي كل أهل القرى المهلكة درجات، يعني أن أهلها تتفاوت أحوالهم في الآخرة. فالمؤمنون منهم لا يضاع إيمانهم. والكافرون يحشرون إلى العذاب في الآخرة، بعد أن عذبوا في الدنيا. فالله قد." (١)

"حال أنفسهم عليها. قال تعالى ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥].

[٤٠] ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً﴾ .

لما كان سوق خبر قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وما بينهما من القرون مقصودا لاعتبار قريش

---

(١) التحرير والتنوير، ٦٢/٧

بمصائرهم نقل نظم الكلام هنا إلى إضاعتهم الاعتبار بذلك وبما هو أظهر منه لأنظارهم، وهو آثار العذاب الذي نزل بقرية قوم لوط.

واقتران الخبر بلام القسم لإفادة معنى التعجيب من عدم اعتبارهم كما تقدم في قوله ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [الفرقان: ٢١]. وكانت قريش يمرون بديار قوم لوط في أسفارهم للتجارة إلى الشام فكانت ديارهم يمر بها طريقهم قال تعالى ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧ - ١٣٨]. وكان طريق تجارتهم من مكة على المدينة ويدخلون أرض فلسطين فيمرون حذو بحيرة لوط التي على شافتها بقايا مدينة "سدوم" ومعظمها غمرها الماء. وتقدم ذكر ذلك عند قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ في سورة [الحجر: ٧٩].

والإتيان: المجيء. وتعديته بـ ﴿عَلَى﴾ لتضمينه معنى: مروا، لأن المقصود من التذكير بمجيء القرية التذكير بمصير أهلها فكأن مجيئهم إياها مرور بأهلها، فضمن المجيء بمعنى المرور لأنه يشبه المرور فإن المرور يتعلق بالسكان والمجيء يتعلق بالمكان فيقال: جئنا خراسان، ولا يقال: مررنا بخراسان. وقال تعالى ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧ - ١٣٨].

ووصف القرية بـ ﴿الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ**﴾ لأنها اشتهرت بمضمون الصلة بين العرب أهل الكتاب. وهذه القرية هي المسماة "سدوم" بفتح السين وتخفيف الدال وكانت لقوم لوط قرى خمس أعظمها "سدوم". وتقدم ذكرها عند قوله تعالى ﴿ولوطا إذ قال لقومه﴾ في سورة [الأعراف: ٨٠].

و ﴿**مَطَرَ السَّوْءِ**﴾ هو عذاب نزل عليهم من السماء وهو حجارة من كبريت ورماد، وتسميته مطرا على طريقة التشبيه لأن حقيقة المطر ماء السماء.." [(١)]

"قوله ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر:٥٧].

وكان في الابتداء بذكر قوم لوط في هذه الآية على خلاف الترتيب الذي جرى عليه اصطلاح القرآن في ترتيب قصص الأمم المكذبة بابتدائها بقوم نوح ثم عاد ثم ثمود ثم قوم لوط أن المناسبة للانتقال من وعيد المشركين إلى العبرة بالأمم الماضية أن المشركين وصفوا آنفا بأنهم في غمرة ساهون فكانوا في تلك الغمرة أشبه بقوم لوط إذ قال الله فيهم ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢]، ولأن العذاب الذي عذب به قوم لوط كـ٤ان حجارة أنزلت عليهم من السماء مشبهة بالمطر. وقد سميت مطرا في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ**﴾ [الفرقان:٤٠] وقوله ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾

---

(١) التحرير والتنوير، ٥٤/١٩

[هود:٨٢] ولأن في قصة حضور الملائكة عند إبراهيم وزوجه عبرة بإمكان البعث فقد تضمنت بشارتها بمولود يولد لها بعد اليأس من الولادة. وذلك مثل البعث بالحياة بعد الممات.

ولما وجه الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ عرف أن المقصود الأصلي تسليته على ما لقيه من تكذيب قومه. ويتبع ذلك تعريض بالسامعين حين يقرأ عليهم القرآن أو يبلغهم بأنهم صائرون إلى مثل ذلك العذاب لاتحاد الأسباب.

وتقدم القول في نظير ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ﴾ عند قوله تعالى ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ في سورة ص:[٢١] وأنه يفتتح به الأخبار الفخمة المهمة.

والضيف: اسم يقال للواحد وللجمع لأن أصله مصدر ضاف، إذا مال فأطلق على الذي يميل إلى بيت أحد لينزل عنده. ثم صار اسما فإذا لوحظ أصله أطلق على الواحد وغيره ولم يؤنثوه ولا يجمعونه وإذا لوحظ الاسم جمعوه للجماعة وأنثوه للأنثى فقالوا أضياف وضيوف وامرأة ضيفة وهو هنا اسم جمع ولذلك وصف ب ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ ، وتقدم في سورة الحجر[٦٨] ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي﴾ .

والمعني به الملائكة الذي أظهرهم الله لإبراهيم عليه السلام فأخبروه بأنهم مرسلون من الله لتنفيذ العذاب لقوم لوط وسماهم الله ضيفا نظرا لصورة مجيئهم في هيئة الضيف كما سمي الملكين الذين جاءا داود خصما في قوله تعالى ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ [صّ:٢١]، وذلك من الاستعارة الصورية.

وفي سفر التكوين من التوراة: أنهم كانوا ثلاثة. وعن ابن عباس: أنهم جبريل." (١)

"هذه الجملة ليست من حكاية كلام الملائكة بل هي تذييل لقصة محاورة الملائكة مع إبراهيم، والفاء في ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ فصيحة لأنها تفصح عن كلام مقدر هو ما ذكر في سورة هود من مجيء الملائكة إلى لوط وما حدث بينه وبين قومه، فالتقدير: فحلوا بقرية لوط فأمرناهم بإخراج من كان فيها من المؤمنين فأخرجوهم. وضمير أخرجنا ضمير عظمة الجلالة.

وإسناد الإخراج إلى الله لأنه أمر به الملائكة أن يبلغوه لوطا، ولأن الله يسر إخراج المؤمنين ونجاتهم إذ أخر نزول الحجارة إلى أن خرج المؤمنون وهم لوط وأهله إلا امرأته.

وعبر عنهم ب ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ للإشارة إلى أن إيمانهم هو سبب نجاتهم، أي إيمانهم بلوط. والتعبير عنه ب ﴿الْمُسْلِمِينَ﴾ لأنهم آل نبي وإيمان الأنبياء إسلام قال تعالى ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢].

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٣/٢٧

وضمير ﴿فيها﴾ عائد إلى القرية ولم يتقدم لها ذكر لكونها معلومة من آيات أخرى كقوله ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ [الفرقان: ٤٠].

وتفريع ﴿فَمَا وَجَدْنَا﴾ تفريع خبر على خبر، وفعل ﴿وَجَدْنَا﴾ معنى علمنا لأن"وجد" من أخوات "ظن" فمفعوله الأول قوله ﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ و"من" مزيدة لتأكيد النفي وقوله ﴿فيها﴾ في محل المفعول الثاني.

وإنما قال ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ دون أن يقول: فأخرجنا لوطا وأهل بيته قصدا للتنويه بشأن الإيمان والإسلام، أي أن الله نجاهم من العذاب لأجل إيمانهم بما جاء به رسولهم لا لأجل أنهم أهل لوط، وأن كونهم أهل بيت لوط لأنهم انحصر فيهم وصف ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ في تلك القرية، فكان كالكلي الذي انحصر في فرد معين.

والمؤمن: هو المصدق بما يجب التصديق به.والمسلم المنقاد إلى مقتضى الإيمان ولا نجاة إلا بمجموع الأمرين، فحصل في الكلام مع التفنن في الألفاظ الإشارة إلى التنويه بكليهما وإلى أن النجاة باجتماعهما.

والآية تشير إلى أن امرأة لوط كانت تظهر الانقياد إلى زوجها وتضمر الكفر وممالأة." (١)

"وانتصب ﴿الْمُؤْتَفِكَةَ﴾ مفعول ﴿أَهْوَى﴾ أي أسقط أي جعلها هاوية.

والإهواء: الإسقاط، يقال: أهواه فهوى، ومعنى ذلك: أنه رفعها في الجو ثم سقطت أو أسقطها في باطن الأرض وذلك من أثر زلازل وانفجارات أرضية بركانية.

ولكون ﴿المؤتفكة﴾ علما انتفى أن يكون بين ﴿الْمُؤْتَفِكَةَ﴾ و ﴿أَهْوَى﴾ تكرير. وتقديم المفعول للاهتمام بعبرة انقلابها.

وغشاها: غطاها وأصابها من أعلى.

و ﴿مَا غَشَّى﴾ فاعل ﴿غَشَّاهَا﴾ ، و"ما" موصولة، وجيء بصلاتها من مادة وصيغة الفعل الذي أسند إليها، وذلك لا يفيد خبرا جديدا زائدا على مفاد الفعل.

والمقصود منه التهويل كأن المتكلم أراد أن يبين بالموصول والصلة وصف فاعل الفعل فلم يجد لبيانه أكثر من إعادة الفعل إذ لا يستطاع وصفه. والذي غشاها هو مطر من الحجارة المحماة، وهي حجارة بركانية قذفت من فوهات كالآبار كانت في بلادهم ولم تكن ملتهبة من قبل قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ [الفرقان:٤٠] وقال: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [هود: ٨٢]. وفاضت عليها مياه غمرت بلادهم فأصبحت بحرا ميتا.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٩/٢٧

وأفاد العطف بفاء التعقيب في قوله: ﴿فَغَشَّاهَا﴾ إن ذلك كان بعقب أهوائها.

[٥٥] ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ .

تفريع فذلكة لما ذكر من أول السورة: مما يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك كقوله ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ إلى قوله ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [لنجم:٢- ١٨] ومما يشمله ويشمل غيره من قوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ إلى قوله: ﴿هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ [لنجم:٤٣- ٤٩] فإن ذلك خليط من نعم وضدها على نوع الإنسان وفي مجموعها نعمة تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته بمنافع الاعتبار بصنع الله. ثم من قوله: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى﴾ [لنجم:٥٠] إلى هنا. فتلك نقم من الضالين والظالمين لنصر رسل الله، وذلك نعمة على جميع الرسل ونعمة خاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم وهي بشارته بأن الله سينصره، فجميع ما عدد من النعم على أقوام والنقم عن آخرين هو نعم محضة للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين.

و"أي" اسم استفهام يطلب به تمييز متشارك في أمر يعم بما يميز البعض عم البقية." (١)

"والمراد بفرعون فرعون الذي أرسل إليه موسى عليه السلام وهو "منفطاح الثاني". وإنما أسند الخطء إليه لأن موسى أرسل إليه ليطلق بني إسرائيل من العبودية قال تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه:٢٤] فهو المؤاخذ بهذا العصيان وتبعه القبط امتثالا لأمره وكذبوا موسى وأعرضوا عن دعوته.

وشمل قوله: ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ أمما كثيرة منها قوم نوح وقوم إبراهيم.

وقرأ الجمهور ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ بفتح القاف وسكون الباء. وقرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب بكسر القاف وفتح الباء، أي ومن كان من جهته، أي قومه وأتباعه.

والمؤتفكات: قرى قوم لوط الثلاث، وأريد بالمؤتفكات سكانها وهم قوم لوط خصوا بالذكر لشهرة جريمتهم ولكونهم كانوا مشهورين عند العرب إذ كانت قراهم في طريقهم إلى الشام، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ، وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات:١٣٧-١٣٨] وقال: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ [الفرقان:٤٠].

ووصفت قرى قوم لوط بـ ﴿الْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ جمع مؤتفكة اسم فاعل أئتفك مطاوع أفكه، إذا قلبه، فهي المنقلبات، أي قلبها قالب أي خسف بها قال تعالى: ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [هود:٨٢].

والخاطئة: أما مصدر بوزن فاعلة وهاؤه هاء المرة الواحدة فلما استعمل مصدرا قطع النظر عن المرة، كما

(١) التحرير والتنوير، ١٥٣/٢٧

تقدم في قوله: ﴿الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة:١] وهو مصدر خطئ، إذا أذنب. والذنب: الخطء بكسر الخاء، وأما اسم فاعل خطئ وتأنيثه بتأويل: الفعلة ذات الخطء فهاؤه هاء التأنيث.

والتعريف في تعريف الجنس على كلا الوجهين، فالمعنى: جاء كل منهم بالذنب المستحق للعقاب. وفرع عنهم تفصيل ذنبهم المعبر عنه بالخاطئة فقال: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ [الحاقة:١٠]. وهذا التفريع للتفصيل نظير التفريع في قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر:٩] في أنه تفريع بيان على المبين.

وضمير ﴿عَصَوْا﴾ يجوز أن يرجع إلى ﴿فِرْعَوْنُ﴾ باعتباره رأس قومه، فالضمير عائد إليه وإلى قومه، والقرينة ظاهرة على قراءة الجمهور، وأما على قراءة أبي عمرو والكسائي فالأمر أظهر وعلى هذا الاعتبار في محل ضمير ﴿عَصَوْا﴾ يكون المراد ب ﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾." (١)

"وطين وإنما كان من الآجر المطبوخ وقيل من سجله إذا أرسله وقيل هو لفظ أعجمي منضود أي مضموم بعضه فوق بعض مسومة عند ربك معناه معلمة بعلامة روى أنه كان فيها بياض وحمرة وقيل كان في كل حجر اسم صاحبه وما هي من الظالمين ببعيد الضمير للحجارة والمراد بالظالمين كفار قريش فهذا تهديد لهم أي ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم لأجل كفرهم وقيل الضمير للمدائن فالمعنى ليست ببعيدة منهم أفلا يعتبرون بها كقوله ولقد أتوا على القرية التي أمطرت **مطر السوء** وقيل إن الظالمين على العموم إني أراكم بخير يعني رخص الأسعار وكثرة الأرزاق عذاب ... ٣٠٦." (٢)

" ٧٩ والإبهام والإشارة بذلك إلى المذكور قبل من الأمم ضربنا له الأمثال أي بينا له تبرنا أي أهلكنا ولقد أتوا على القرية الضمير في أتوا لقريش وغيرهم من الكفار والقرية قرية قوم لوط **ومطر السوء** الحجارة ثم وقفهم على رؤيتهم لها لأنها في طريقهم إلى الشام ثم أخبر أن سبب عدم اعتبارهم بها كفرهم بالنشور ويرجون كقوله يرجون لقاءنا وقد ذكر أهذا الذي حكاية قولهم على وجه الاستهزاء فالجملة في موضع مفعول لقول محذوف يدل عليه هذا وقوله إن كاد ليضلنا استئناف جملة أخرى وتم كلامهم واستأنف كلام الله تعالى في قوله وسوف يعلمون الآية على وجه التهديد لهم اتخذ إلهه هواه أي أطاع هواه حتى صار كأنه له إله بل هم أضل لأن الأنعام ليس لها عقول وهؤلاء لهم عقول ضيعوها ولأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء يتركون أنفع الأشياء وهو الثواب ولا يخافون أضر الأشياء وهو

---

(١) التحرير والتنوير، ١١٢/٢٩

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٦/٢

العق ا ب ألم تر إلى ربك أي إلى صنع ربك وقدرته مد الظل قيل مدة من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأن الظل حينئذ على الأرض كلها واعترضه ابن عطية لأن ذلك الوقت من الليل ولا يقال ظل بالليل واختار أن مد الظل من الإسفار إلى طلوع الشمس وبعد مغيبها بيسير وقيل معنى مد الظل أي جعله يمتد وينبسط ولو شاء لجعله ساكنا أي ثابتا غير زائل لكنه جعله يزول بالشمس وقيل معنى ساكن غير منبسط على الأرض بل يلتصق بأصل الحائط والشجرة ونحوها ثم جعلنا الشمس عليه دليلا قيل معناه أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في سيرها على الظل متى يتسع ومتى ينقبض ومتى يزول عن مكان إلى آخر فيبنون على ذلك انتفاعهم به وجلوسهم فيه وقيل معناه لولا الشمس لم يعرف أن الظل شيء لأن الأشياء لم تعرف إلا بأضدادها ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا قبضه نسخه وإزالته بالشمس ومعنى يسيرا شيئا بعد شيء لا دفعة واحدة فإن قيل ما معنى ثم في هذه المواضع الثلاثة فالجواب." (١)

"أحدهما : (أنه) من عطف المغاير ، وهو الظاهر.

والثاني : أنه من عطف بعض الصفات على بعض.

والمراد بـ " أصحاب الرس " ثمود ، لأن الرس البئر التي لم تطو عن أبي عبيدة ، وثمود أصحاب آبار.

وقيل : " الرس " نهر بالمشرق (وكانت قرى أصحاب الرس على شاطئ فبعث الله إليهم نبيا من أولاد يهودا بن يعقوب فكذبوه ، فلبثت فيهم زمانا يشتكي إلى الله منهم ، فحفروا بئرا ورسوه فيها ، وقالوا : نرجو أن يرضى عنا إلهنا ، وكانوا عامة يومهم يسمعون أنين نبيهم وهو يقول : إلهي ترى ضيق مكاني ، وشدة كربي ، وضعف قلبي ، وقلة صلتي فجعل قبض روحي حتى مات ، فأرسل الله ريحا عاصفة شديدة الحر ، وصارت الأرض من تحتهم كبريتا متوقدا ، وأظلتهم سحابة سوداء ، فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص) ويقال : إنهم أناس عبدة أصنام قتلوا نبيهم ورسوه في بئر أي ؛ دسوه فيها وقال قتادة والكلبي : الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم وهو حنظلة بن صفوان وقيل : هم بقية ثمود قوم صالح ، وهم أصحاب البئر التي ذكر الله تعالى في قوله : ﴿وبئر معطلة وقصر مشيد﴾ [الحج : ٤٥].

وقال كعب ومقاتل والسدي : الرس بأنطاكية قتلوا فيها حبيب النجار ، ورسوه في بئر ، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة يس.

وقيل : هم أصحاب الأخدود ، والرس هو الأخدود الذي حفروه.

وقال عكرمة : هم قوم رسوا نبيهم في بئر.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٢٨٢/٢

وقيل : الرس المعدن ، وجمعه

٥٣٣

رساس وروي عن علي – رضي الله عنه – : أنهم قوم كانوا يعبدون شجرة الصنوبر وسموا أصحاب الرس ؛ لأنهم رسوا نبيهم في الأرض.

وروى ابن جرير عن النبي – صلى الله عليه وسلم – " أن الله بعث نبيا إلى أهل قرية ، فلم يؤمن به من أهل القرية أحد إلا عبد أسود ، ثم إنهم حفروا للرسول بئرا وألقوه فيها ، ثم طبقوا عليها حجرا ضخما ، وكان ذلك الرجل الأسود يحتطب ويشتري له طعاما وشرابا ، ويرفع الصخرة ويدليه إليه , فكان ذلك ما شاء الله فاحتطب يوما ، فلما أراد أن يحملها وجد نوما ، فاضطجع ، وضرب الله على أذنه تسع سنين ، ثم هب واحتمل حزمته واشترى طعاما وشرابا ، وذهب إلى الحفرة فلم يجد أحدا ، وكان قومه قد استخرجوه فآمنوا به ، وصدقوه ، وكان ذلك النبي يسألهم عن الأسود ، ويقول لهم إنه أول من يدخل الجنة ".

قوله : (" وقرونا ") أي : وأهلكنا قرونا كثيرة بين عاد وأصحاب الرس والقرون : جمع قرن ، قال علي – رضي الله عنه – : القرن أربعون سنة ، وهو قول النخعي.

وقيل : مائة وعشرون سنة.

وقيل غير ذلك.

وتقدم الكلام عليه في سورة سبحان عند قوله : ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾ [الإسراء : ١٧].

قوله : " بين ذلك " " ذلك " إشارة إلى من تقدم ذكره ، وهم جماعات ، فلذلك حسن دخول " بين " عليه.

وقد يذكر الذاكر بحوثا ثم يشير إليها بذلك ، ويحسب الحاسب أعدادا متكاثرة ، ثم يقول : فذلك كيت وكيت , أي ذلك المحسوب أو المعدود.

قوله : " وكلا " يجوز نصبه بفعل يفسره ما بعده ، أي : وحذرنا أو ذكرنا ، لأنها في معنى ضربنا له الأمثال.

ويجوز أن يكون معطوفا على ما تقدم ، و " ضربنا " بيان لسبب إهلاكهم.

وأما "كلا " الثانية فمفعول مقدم.

٥٣٤

قوله : ﴿ضربنا له الأمثال﴾ أي : الأشباه في إقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار.

وقيل : بينا لهم وأزحنا عللهم فلما كذبوا " تبرناهم تتبيرا " أي : أهلكناهم إهلاكا.

وقال الأخفش : كسرنا تكسيرا.

قال الزجاج : كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته.

جزء : ١٤ رقم الصفحة : ٥٣١

قوله تعالى : ﴿ولقد أتوا على القرية التي أمطرت (**مطر السوء**)﴾ الآية.

أراد بالقرية قريات لوط ، وكانت خمس قرى ، فأهلك الله منها أربعا ونجت واحدة ، وهي (صقر) كان أهلها لا يعملون العمل الخبيث.

يعني أن قريشا مروا مرورا كثيرا إلى الشام على تلك القرى ، ﴿التي أمطرت **مطر السوء**﴾ أي : أهلكت بالحجارة من السماء ، ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ في مرورهم وينظروا إلى آثار عذاب الله ونكاله فيعتبروا ويتذكروا.

قوله : " **مطر السوء** " فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنه مصدر على حذف الزوائد أي : أمطار السوء.

الثاني : أنه مفعول ثان ؛ إذ المعنى : أعطيتها وأوليتها **مطر السوء**.

الثالث : أنه نعت مصدر محذوف ، أي : أمطارا مثل **مطر السوء** وقرأ زيد بن علي " مطرت " ثلاثيا مبنيا (للمفعول) ، ومطر متعد قال :

٣٨٧٥ – كمن بواديه بعد المحل ممطور

٥٣٥

". (١)

"وقرأ أبو السمال " **مطر السوء** " بضم السين ، وتقدم الكلام على السوء والسوء في براءة.

وقوله : ﴿أتوا على القرية﴾ إنما عدي (أتى) بـ (على) ، لأنه ضمن معنى مر.

قوله : ﴿بل كانوا لا يرجون نشورا﴾ في هذا الرجاء ثلاثة أوجه : أقواها ما قاله القاضي : وهو أنه محمول على حقيقة الرجاء ؛ لأن الإنسان لا يحتمل متاعب التكليف إلا رجاء ثواب الآخرة ، فإذا لم يؤمن بالآخرة لم يرج ثوابها فلا يتحمل تلك المشاق.

وثانيها : معناه لا يتوقعون نشورا ، فوضع الرجاء موضع التوقع ؛ لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن.

وثالثها : معناه : (لا يخافون) على اللغة التهامية.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٣٨٩٠

وهو ضعيف.

قوله : " وإذا رأوك " الآية.

لما بين مبالغة المشركين في إنكار نبوته بإيراد الشبهات بين بعد ذلك أنهم إذا رأوا الرسول اتخذوه هزوا ، ولم يقتصروا على ترك الإيمان به بل زادوا عليه بالاستهزاء والاستحقار ، ويقول بعضهم لبعض : ﴿أهاذا الذي بعث الله رسولا﴾.

قوله : " إن يتخذونك " " إن " الأولى نافية ، والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما ، و " هزوا مفعول ثان ، ويحتمل أن يكون التقدير : موضع هزء وأن يكون مهزوءا بك.

وهذه الجملة المنفية تحتمل وجهين : أحدهما : أنها جواب (إذا) الشرطية ، واختصت (إذا) بأن جوابها متى كان منفيا بـ (ما) أو (إن) أو (لا) لا تحتاج إلى الفاء بخلاف غيرها من أدوات الشرط فعلى هذا يكون قوله : " أهذا الذي " في محل نصب بالقول المضمر ، وذلك القول المضمر في محل نصب على الحال ، أي : إن يتخذونك قائلين ذلك.

٥٣٦

والثاني : أنها جملة معترضة بين (إذا) وجوابها.

وجوابها هو ذلك القول المضمر المحكي به " أهذا الذي " والتقدير : وإذا رأوك قالوا أهذا الذي بعث ، فاعترض بجملة النفي ، ومفعول " بعث " محذوف هو عائد الموصول ، أي : بعثه.

و " رسولا " على بابه من كونه صفة فينتصب على الحال ، وقيل : هو مصدر بمعنى رسالة ، فيكون على حذف مضاف ، أي ذا رسول بمعنى رسالة ، أو يجعل نفس المصدر مبالغة ، أو بمعنى : مرسل.

وهو تكلف.

قوله : ﴿إن كاد ليضلنا﴾ تقدم نظيره في سبحان.

قوله : ﴿لولا أن صبرنا﴾ جوابها محذوف ، أي : لضللنا عن آلهتنا.

قال الزمخشري : و " لولا " في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقيد للحكم (المطلق).

فصل قال المفسرون : إن أبا جهل كان إذا مر بأصحابه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال مستهزءا : " أهذا الذي بعث الله رسولا " " إن كاد " قد كاد " ليضلنا " أي : قد قارب أن يضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها أي : (أي لو لم نصبر عليها) انصرافا عنها ، ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب من

أضل سبيلا﴾ من أخطأ طريقا.

(واعلم أن الله تعالى أخبر عن المشركين أنهم متى رأوا الرسول – عليه الصلاة والسلام – أتوا بنوعين من ال أفعال.

أحدهما : الاستهزاء ، فيقولون : ﴿أهاذا الذي بعث الله رسولا﴾ وذلك جهل عظيم ، لأن الاستهزاء إما أن يكون بصورته أو بصفته والأول باطل ، لأنه – عليه

٥٣٧

الصلاة والسلام – كان أحسن منها صورة وخلقة) ، وبتقدير أنه لم يكن كذلك ، لكنه – عليه الصلاة والسلام – ما كان يدعي التميز عنهم بالصورة بل بالحجة.

والثاني باطل ، لأنه – عليه الصلاة والسلام – ادعى التميز عليهم بظهور المعجز عليه دونهم ، وأنهم ما قدروا على القدح في حجته ، ففي الحقيقة هم الذين يستحقون أن يهزأ بهم ، ثم إنهم لوقاحتهم قلبوا القضية ، واستهزءوا بالرسول ، وذلك يدل على (أنه ليس للمبطل في كل الأوقات) إلا السفاهة والوقاحة.

والنوع الثاني : قولهم : ﴿إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها﴾ فسموا ذلك ضلالا ، وذلك يدل على أنهم كانوا مبالغين في تعظيم آلهتهم ، ويدل على جده واجتهاده في صرفهم عن عبادة الأوث ان فلهذا قالوا : ﴿إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها﴾ ، وذلك يدل على أنهم كانوا مقهورين بالحجة ، ولم يكن في أيديهم إلا مجرد (الوقاحة).

قوله : " من أضل " جملة استفهامية معلقة بـ " يعلمون " فهي سادة مسد مفعوليها إن كان على بابها ، ومسد واحد إن كانت بمعنى (عرف).

ويجوز في " من " أن تكون موصولة ، و " أضل " خبر مبتدأ مضمر هو العائد على " من " تقديره : من هو أضل ، وإنما حذف للاستطالة بالتمييز ، كقولهم : ما أنا بالذي قائل لك سوءا.

وهذا ظاهر إن كانت متعدية لواحد ، وإن كانت متعدية لاثنين فيحتاج إلى تقدير ثان ولا حاجة إليه.

٥٣٨

" (١).

"﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا * وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا *

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٨٩١

وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا * وَكُلا ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا * وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾

قوله تعالى: " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى "

١٥٩٤٥- حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا ابْنُ نُفَيْلٍ، ثنا عَتَّابٌ، عَنْ خُصَيْفٍ، عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، قوله" " آتَيْنَا " ، قَالَ: أَعْطَيْنَا".

١٥٩٤٦- حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، ثنا جَرِيرٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:"أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي الطِّوَالِ وَأُتِيَ مُوسَى سِتًّا مِنَ الْمَثَانِي".

١٥٩٤٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، أنبأ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ، ثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قوله" " الْكِتَابَ " ، قَالَ: التَّوْرَاةُ، وَفِي قَوْلِهِ: " وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا " أَيْ: عَوْنًا وَعَضُدًا".

قوله تعالى: " فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا " ." (١)

"قوله تعالى: " وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** "

١٥٩٧٨- أَخْبَرَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ مَزْيَدٍ الْبَيْرُوتِيُّ قِرَاءَة، أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ شَابُورَ، أَخْبَرَنِي عُثْمَانُ بْنُ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِيهِ،"وَأَمَّا الْقَرْيَةُ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** فَقَرْيَةُ لُوطٍ".

١٥٩٧٩- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثنا الْمُقَدَّمِيُّ أَبُو مَعْشَرٍ الْبَرَاءُ، ثنا أَبُو رَجَاءٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، قَرَأَ:" وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** " ، قَالَ: هِيَ وَاللَّهِ بَيْنَ الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ".

قوله تعالى: " أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا الآيَةَ "

١٥٩٨٠- حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا هِشَامُ بْنُ خَالِدٍ، ثنا شُعَيْبُ بْنُ إِسْحَاقَ، ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قوله:" " لا يَرْجُونَ " أَيْ: لا يَخَافُونَ".

١٥٩٨١- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، أنبأ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ، ثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ،" " لا يَرْجُونَ نُشُورًا " أَيْ: بَعْثًا وَلا حِسَابًا".

قال تعالى:." (٢)

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٣٠٢/١٠

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٣١١/١٠

"وأخرج ابن المنذر عن حماد بن إبراهيم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرن أربعون سنة.

وأخرج ابن جرير عن ابن سيرين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرن أربعون سنة.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال القرن ستون سنة.

وأخرج الحاكم في الكنى عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انتهى إلى معد بن عدنان أمسك ، ثم يقول : كذب النسابون قال الله تعالى ﴿وقرونا بين ذلك كثيرا﴾.

- قوله تعالى : وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا * ولقد أتوا على القرية التي أمطرت **مطر السوء** أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا * وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا * إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا.

أخرج عبد الرزاق ، وعَبد بن حُمَيد ، وَابن جَرِير ، وَابن أبي حاتم عن قتادة ﴿وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا﴾ قال : كل قد أعذر الله اليه وبين له ثم انتقم منه ﴿ولقد أتوا على القرية التي أمطرت **مطر السوء**﴾ قال : قرية لوط ﴿بل كانوا لا يرجون نشورا﴾ قال : بعثا ولا حسابا.

وأخرج عبد الرزاق ، وَابن جَرِير ، وَابن أبي حاتم عن الحسن في قوله !." (١)

"﴿وكلا تبرنا تتبيرا﴾ قال : تبر الله كلا بالعذاب.

وأخرج ابن جرير ، وَابن المنذر ، وَابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال ﴿تبرنا﴾ بالنبطية.

وأخرج ابن المنذر ، وَابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿ولقد أتوا على القرية﴾ قال : هي سدوم قرية قوم لوط ﴿التي أمطرت **مطر السوء**﴾ قال : الحجارة.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء ﴿ولقد أتوا على القرية﴾ قال : قرية لوط.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن ﴿ولقد أتوا على القرية﴾ قال : هي بين الشام والمدينة.

وأخرج ابن جرير ، وَابن المنذر عن ابن جريج في قوله ﴿لا يرجون نشورا﴾ قال : بعثا وفي قوله ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ قال : ثبتنا.

- قوله تعالى : أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا.

أخرج ابن أبي حاتم ، وَابن مردويه عن ابن عباس في قوله ﴿أرأيت من." (٢)

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١١/١٨٠

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١١/١٨١

" صفحة رقم ٣١٩

بما يقول فيه العلي الكبير : إنه كثير ؛ أسند البغوي في تفسير)) أمة وسطاً ( ) [البقرة : ١٤٣] في البقرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوماً بعد العصر ، فما ترك شيئاً غلى يوم القيامة إلا ذكره في مقامه ذلك حتى إذا كانت الشمس على رؤوس النخل وأطراف الحيطان قال : (أما إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا ، ألا وإن هذه الأمة توفي سبعين أمة هي آخرها وأكرمها على الله عز وجل .

(أخرجه الترميذي في الفتن وأحمد والطبراني وابن ماجه في الفتن أيضاً لكن ببعضه وليس عند واحد منهم اللفظ المقصود من السبعين أمة ، وفي بعض ألفاظهم وجعلنا نلتفت إلى الشمس هل بقي منها شيء) وهذا يدل على أن الذي كان قد بقي من النهار نحو العشر من العشر ، وهذا يقتضي إذا اعتبرنا ما مضى لهذه الأمة من الزمان أن يكون الماضِي من الدنيا من خلق آدم عليه السلام في يوم الجمعة الذي يلي الستة الأيام التي خلقت فيها السماوات والأرض أكثر من مائة ألف سنة – والله أعلم .

ولما قدم سبحانه أنه يأتي في هذا الكتاب بما هو الحق في جواب أمثالهم ، بين أنه فعل بالجميع نحو من هذا ، فقال تسلية لنبيه (صلى الله عليه وسلم) وتأسية وبياناً لتشريفه بالعفو عن أمتهك) وكلاًّ (اي من هذه الأمم) ضربنا (بما لنا من العظمة) له الأمثال (حتى وضح له السبيل ، وقام – من غير شبهة – الدليل) وكلاًّ تبرنا تتبيراً) أي جعلناهم فتاتاً قطعاً بليغة التقطيع ، لا يمكن غيرنا أن يصلها ويعيدها إلى ما كانت عليه قبل التفتيت .

الفرقان : (٤٠ – ٤٤) ولقد أتوا على. . . .

) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلاَ أَن صَبْرَنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ( )

ولوما ذكر الإهلاك بالماء وبغيره ، وكان الإهلاك بالماء تارة بالبحر ، وتارة بالأمطار ، وختم بالخسف ، ذكر الخسف الناشيء عن الأمطار ، بحجارة النار ، مع الغمر بالماء ، دلالة على تمام القدرة ، وباهر

العظمة ، وتذكيراً بما يرونه كل قليل في سفرهم إلى الأرض المقدسة لمتجرهم ، وافتتح القصة باللام المؤذنة بعظيم الاهتمام ، مقرونة." [1]

" صفحة رقم ٣٢٠

بحرف التحقيق ، إشارة إلى أنهم لعدم الانتفاع باليات كالمنكرين للمحسوسات ، وغير الأسلوب تنبيهاً على عظيم الشأن وهزاً للسامع فقال : (ولقد أتوا) أي هؤلاءالمكذبون من قومك ، وقال : (على القرية (– وإن كانت مدائن سبعاً أو خمساً كما قيل – تحقيراً لشأنها في جنب قدرته سبحانه ، وإهانة لمن يريد عذابه ، ودلالة على جمع الفاحشة لهم حتى كانوا كأنهم شيء واحد كما دل عليه التعبير بمادة (قرا) الدالة على الجمع) التي أمطرت) أي وقع إمطارها ممن لا يقدر على الإمطار سواه بالحجارة ، ولذا قال : (**مطر السوء** (وهي قرى قوم لوط ، ثم خسف بها وغمرت بما ليس في الأرض مثله في أنواع الخبث ؛ قال البغوي : كانت خمس قرى فأهلك الله أربعاً منها ونجت واحدة وهي أصغرها ، وكان أهلها لا يعلمون العمل الخبيث .

ولما كانوا يمرون عليها في أسفارهمن وكان من حقهم أن يتعظوا بحالهم ، فيرجعوا عن ضلالهم ، تسبب عن ذلك استحقاقهم للإنكار الشديد في قوله : (أفلم يكونوا) أي بما في جبلاتهم من الأخلاق العالية) يرونها (أ] في أسفارهم إلى الشام ليعتبروا بما حل بأهلها من عذاب الله فيتوبوا .

ولما كان التقدير : بل رأوها ، أضرب عنه بقوله : (بل) أي لم يكن تكذيبهم بسبب عدم رؤيتها وعدم علمهم بما حل بأهلها ، بل بسبب أنهم) كانوا (يكذبون بالقيامة كأنه لهم طبع .

ولماى كان عود الإنسان إلى ما كان من صحته محبوباً له ، كان ينبغي لهم لو عقلوا أن يعلقوا رجاءهم بالبعث لأنه لا رجوع إلى الحياة ، فهو كرجوع المريض لا سيما المدنف إلى الصحة ، فلذلك قال معبراً بالرجاء تنبيهاً على هذا : (لا يرجون نشوراً (بعد الموت ليخافوا الله عز وجل فيخلصوا له فيجازيهم على ذلك ، لأنه استقر في أنفسهم اعتقادهم التكذيب بالآخرة ، واستمروا عليه قرناً بعد قرن حتى تمكن تمكناً لا ينفع معه الاعتبار إلا لمن شاء الله .

ولما أثبت تكذيبهم بالآخرة ، عطف عليه تحقيقاً قوله ، مبيناً أنهم لم يقتصروا على التكذيب بالممكن المحبوب حتى ضموا إليه الاستهزاء بمن لا يمكن أصلاً في العادة أن يكون موضعاً للهزء : (وإذا رأوك) أي مع ما يعلمون من صدق حديثك وكرم أفعالك لو لم تأتهم بمعجزة ، فكيف وقد أتيتهم بما بهر العقول

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣١٩/٥

) إن) أي ما) يتخذونك إلا هزواً (عبر بالمصدر إشارة إلى مبالغتهم في الاستهزاء مع شدة بعده (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك ، يقولون محتقرين : (أهذا (وتهكموا مع الإنكار في قولهم) الذي بعث الله (اي المستجمع لنعوت العظمة) رسولاً (فإخراجهم الكلام في معرض التسليم والإقرار -." (١)

"﴿ ٣٥ - ٤٠ ﴾ ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا * فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا * وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما * وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا * وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا * ولقد أتوا على القرية التي أمطرت **مطر السوء** أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا ﴾ .

أشار تعالى إلى هذه القصص وقد بسطها في آيات أخر ليحذر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين قريبا منهم ويعرفون قصصهم بما استفاض واشتهر عنهم.

ومنهم من يرون آثارهم عيانا كقوم صالح في الحجر وكالقرية التي أمطرت **مطر السوء** بحجارة من سجيل يمرون عليهم مصبحين وبالليل في أسفارهم، فإن أولئك الأمم ليسوا شرا منهم ورسلهم ليسوا خيرا من رسول هؤلاء ﴿ أكفارکم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ﴾ ولكن الذي منع هؤلاء من الإيمان -مع ما شاهدوا من الآيات- أنهم كانوا لا يرجون بعثا ولا نشورا، فلا يرجون لقاء ربهم ولا يخشون نكاله فلذلك استمروا على عنادهم، وإلا فقد جاءهم من الآيات ما لا يبقي معه شك ولا شبهة ولا إشكال ولا ارتياب.." (٢)

"قال ابن عباس وابن جريج والجماعة الإشارة إلى مدينة قوم لوط وهي سدوم بالشام و " **مطر السوء** " حجارة السجيل وقرأ أبو السمال السوء بضم السين المشددة ثم وقفهم على إعراضهم وتعرضهم لسخط الله بعد رؤيتهم العبرة من تلك القرية ثم حكم عليهم أنهم إذا رأوا محمدا صلى الله عليه وسلم استهزؤوا به واستحقروه وأبعدوا أن يبعثه الله رسولا فقالوا على جهة الاستهزاء " أهذا الذي بعث الله رسولا " وفي " بعث " ضمير يعود على الذي حذف اختصارا وحسن ذلك في الصلة ثم أنس النبي صلى الله عليه وسلم عن كفرهم بقوله " أرأيت من اتخذ إلهه هواه " الآية والمعنى لا تتأسف عليهم ودعهم لرأيهم ولا تحسب أنهم على ما يجب من التحصيل والعقل بل هم كالأنعام في الجهل بالمنافع وقلة التحسس للعواقب ثم حكم بأنهم " أضل سبيلا " من حيث لهم الفهم وتركوه و " الأنعام " لا سبيل لهم

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٣٢٠

(٢) تفسير السعدي، ص/٥٨٣

إلى فهم المصالح ومن حيث جهالة هؤلاء وضلالتهم في أمر أخطر من الأمر الذي فيه جهالة الأنعام وقوله " اتخذ إلهه هواه " معناه جعل هواه مطاعا فصار كالإله والهوى قائد إلى كل فساد لأن النفس أمارة بالسوء وإنما الصلاح إذا ائتمرت للعقل وقال ابن عباس الهوى الإله يعبد من دون الله ذكره الثعلبي وقيل الإشارة بقوله " إلهه هواه " إلى ما كانوا عليه من أنهم كانوا يعبدون حجرا فإذا وجدوا أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الثاني الذي وقع هواهم عليه قال أبو حاتم وروي عن رجل من أهل المدينة قال ابن جني هو الأعرج " إلهه هواه " والمعنى اتخذ شمسا يستضيء بها هواه إذ الشمس يقال لها إلهة وتصرف ولا تصرف والوكيل القائم على الأمر الناهض به .

قوله عز وجل

سورة الفرقان ٤٥٤٧

" ألم تر " معناه انتبه والرؤية ها هنا رؤية القلب وأدغم عيسى بن عمر " ربك كيف " قال أبو حاتم والبيان أحسن و " مد الظل " بإطلاق هو بين أول الإسفار إلى بزوغ الشمس ومن بعد مغيبها مدة يسيرة فإن في هذين الوقتين على الأرض كلها ظل ممدود على أنها نهار وفي سائر أوقات النهار ظلال متقطعة والمد والقبض مطرد فيها وهو عندي المراد في الآية والله أعلم وفي الظل الممدود ما ذكر الله في هواء الجنة لأنها لما كانت لا شمس فيها كان ظلها ممدودا أبدا .

". (١)

" صفحة رقم ١٤٥

(الفرقان : (٣٥ - ٤٠) ولقد آتينا موسى . . . . .

" ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا " (قوله تعالى :) وَأَصْحَابَ الرَّسِّ (فيه أربعة أقاويل : أحدها : أن الرس المعدن ، قاله أبو عبيدة . الثاني : أنه قرية من قرى اليمامة يقال له الفج من ثمود ، قاله قتادة .

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٢٥٧/٤

الثالث : أنه ما بين نجران واليمن إلى حضرموت ، قاله بعض المفسرين .

الرابع : أنه البئر .

وفيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه بئر بأذربيجان ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنها البئر التي قتل فيها صاحب ياسين بأنطاكية الشام حكاه النقاش .

الثالث : أن كل بئر إذا حفرت ولم تطو فهي رس قال زهير :

بكرن بكوراً واستحرن بسحرة

فهن ووادي الرس كاليد في الفم

وفي أصحاب الرس أربعة أقاويل :

أحدها : أنهم قوم شعيب ، حكاه بعض المفسرين .

الثاني : أنهم قوم رسوا نبيهم في بئر ، قاله عكرمة .

الثالث : أنهم قوم كانوا نزولاً على بئر يعبدون الأوثان ، وكانوا لا يظفرون بأحد يخالف دينهم إلا قتلوه ورسوه فيها ، وكان الرس بالشام ، قاله الضحاك .." (١)

" صفحة رقم ١٤٦

الرابع : أنهم قوم أرسل الله إليهم نبياً فأكلوه وهم أول من عمل نساؤهم السحر ، قاله الكلبي .

قوله تعالى :) وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى الْقَرْيَةِ (وهي سدوم قرية لوط .

) الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** (الحجارة التي أُمطِرُوا بها ، والذين أتوا عليها قريش .

) أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا (أي يعتبرون بها

.) بَلْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ نَشُوراً (أي لا يخافون بعثاً .

(الفرقان : (٤١ - ٤٤) وإذا رأوك إن . . . . .

" وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا " (قوله تعالى :) أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ (فيه ثلاثة أقاويل

---

(١) النكت والعيون ، ٤/١٤٥

: أحدها : أنهم قوم كان الرجل منهم يعبد حجراً يستحسنه ، فإذا رأى أحسن منه عبده وترك الأول ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه الحارث بن قيس كان إذا هوى شيئاً عبده ، حكاه النقاش .

الثالث : أنه الذي يتبع هواه في كل ما دعا إليه ، قاله الحسن ، وقتادة .

) أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (فيه أربعة أوجه

: أحدها : يعني ناصراً ، قاله قتادة .

الثاني : حفيظاً ، قاله يحيى بن سلام .

الثالث : كفيلاً قاله الكلبي .

الرابع : مسيطراً ، قاله السّدي .

(الفرقان : (٤٥ – ٤٧) ألم تر إلى . . . . .

" ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه." (١)

"﴿وَقُرُونَا بَيْنَ ذَالِكَ﴾ هذا إبهام لا يعلم حقيقة ذلك إلاّ الله ﴿ذَالِكَ﴾ إشارة إلى أولئك المتقدمي الذكر فلذلك حسن دخول ﴿بَيْنَ﴾ عليه من غير أن يعطف عليه شيء كأنه قيل بين المذكورين وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة. ثم يشير إليها. وانتصب ﴿كَلا﴾ الأول على الاشتغال أي وأنذرنا كلاً أو حذرنا كلاً والثاني على أنه مفعول بتبرنا لأنه لم يأخذ مفعولا وهذا من واضح الإعراب. ومعنى ضرب الأمثال أي بين لهم القصص العجيبة من قصص الأولين ووصفنا لهم ما أدى إليه تكذيبهم بأنبيائهم من عذاب الله وتدميره إياهم ليهتدوا بضرب الأمثال فلم يهتدوا وأبعد من جعل الضمير في ﴿لَهُ﴾ لرسولصلى الله عليه وسلّم قال : والمعنى وكل الأمثال ضربنا للرسول وعلى هذا و﴿كَلا﴾ منصوب بضربنا و﴿الامْثَالَ﴾ بدل من ﴿كَلا﴾ والضمير في ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا ﴾ لقريش كانوا يمرون على سدوم من قرى قوم لوط في متاجرهم إلى الشام وكانت قرى خمسة أهلك الله منها أربعاً وبقيت واحدة وهي زغر لم يكن أهلها يعملون ذلك العمل قاله ابن عباس و﴿**مَطَرَ السَّوْءِ**﴾ الحجارة التي أمطرت عليهم من السماء فهلكوا. وكان إبراهيم عليه السلام ينادي نصيحة لكم : يا سدوم يوم لكم من الله عز وجل أنهاكم أن تتعرضوا للعقوبة من الله ، ومعنى ﴿أَتَوْا ﴾ مروا فلذلك عداه بعلى. وأفراد لفظ القرية وإن كانت قرى لأن سدوم هي أم تلك

٤٩٩

---

(١) النكت والعيون . ، ٤/١٤٦

القرى وأعظمها.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٩٧

وقال مكي : الضمير في ﴿أَتَوْا ﴾ عائد على الذين اتخذوا القرآن مهجوارً انتهى. وهم قريش وانتصب ﴿مَطَرَ﴾ على أنه مفعول ثان لأمطرت على معنى أوليت ، أو على أنه مصدر محذوف الزوائد أي إمطار السوء. ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ﴾ أن ينظرون إلى ما فيها من العبر والآثار الدالة على ما حل بها من النقم كما قال ﴿وَإِنَّكُمْ لَّتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ * وَبِالَّيْلِ﴾ وقال ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ وهو استفهام معناه التعجب ومع ذلك فلم يعتبروا برؤيتها أن يحل بهم في الدنيا ما حل بأولئك ، بل كانوا كفرة لا يؤمنون بالبعث فلم يتوقعوا عذاب الآخرة وضع الرجاء موضع التوقع لأنه إنما بتوقع العاقبة من يؤمن ، فمن ثم لم ينظروا ولم يتفكروا ومروا بها كما مرت ركابهم ، أو لا يأملون ﴿نُشُورًا﴾ كما يأمله المؤمنون لطمعهم إلى ثواب أعمالهم أو لا يخافون على اللغة التهامية. وقرأ زيد بن عليّ مطرت ثلاثي مبنياً للمفعول ومطر متعد. قال الشاعر :

كمن بواديه بعد المحل ممطور

وقرأ أبو السماك ﴿مَطَرَ السَّوْءِ﴾ بضم السين.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا﴾ لم يقتصر المشركون على إنكار نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام وترك الإيمان به ، بل زادوا على ذلك بالاستهزاء والاحتقار. حتى يقول بعبضهم لبعض ﴿أَهَاذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولا﴾ و﴿ءَانٍ﴾ نافية جواب ﴿إِذَآ﴾ وانفردت ﴿إِذَآ﴾ بأنه إذا كان جوابها منفياً بما أو بلا لا تدخله الفاء بخلاف أدوات الشرط غيرها فلا بد من الفاء مع ما ومع لا إذا ارتفع المضارع ، فلو وقعت إن النافية في جواب غير إذا فلا بد من الفاء كما النافية ومعنى موضع هزء أو مهزواً به ﴿هُزُوًا أَهَاذَا﴾ قبله قول محذوف أي يقولون وقال : جواب ﴿إِذَآ﴾ ما أضمر من القول أي ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ قالوا ﴿أَهَاذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولا﴾ و﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا﴾ وجوابها.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٩٧

قيل : ونزلت في أبي جهل كان إذا رأى الرسول عليه الصلاة والسلام قال : ﴿أَهَاذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولا﴾ ؟ وأخبر بلفظ الجمع تعظيماً لقبح صنعه أو لكون جماعة معه قالوا ذلك : والظاهر أن قائل ذلك جماعة كثيرة وهذا الاستفهام استصغار واحتقار منهم أخرجوه بقولهم بعث الله رسولا في معرض التسليم والإقرار وهم على غاية الجحود والإنكار سخرية واستهزاء ، ولو لم يستهزئوا لقالوا هذا زعم أو ادعى أنه مبعوث من

عند الله رسولاً.

". (١)

"٥٣٩

" والعصر إن الإنسان لفي خسر " [العصر : ١] وإنما أراد به الناس ألا ترى أنه إستثنى منه جماعة ويقال إن نوحا كان يدعو قومه إلى الإيمان به وبالأنبياء الذين بعده فلما كذبوه فقد كذبوا جميع الرسل فلهذا قال " لما كذبوا الرسل " " أغرقناهم وجعلناهم للناس آية " يعني عبرة لمن بعدهم " وأعتدنا للظالمين عذابا أليما " أي وجيعا

ثم قال عز وجل " وعادا وثمود وأصحاب الرس " يعني واذكر عادا وثموا وأصحاب الرس وهم قوم قد نزلوا عند بئر كان يسمى الرس فكذبوا رسلهم فأهلكهم الله تعالى ويقال إنما سموا أصحاب الرس لأنهم قتلوا نبيهم ورسولهم في بئر لهم وقال مقاتل يعني البئر التي كان فيها أصحاب ياسين بأنطاكية التي بالشام " وقرونا بين ذلك كثيرا " يعني أهلكنا أمما بين قوم نوح وعاد وبين عاد وثمود إلى أصحاب الرس كثيرا " وكلا ضربنا له الأمثال " يعني بينا لهم العذاب أنه نازل بهم في الدنيا " وكلا تبرنا تتبيرا " أي دمرناهم بالعذاب تدميرا يقال تبره إذا أهلكه

سورة الفرقان ٤٠ - ٤٢

ثم قال عز وجل " ولقد أتوا على القرية " يعني أهل مكة مروا على القرية " التي أمطرت مطر السوء " يعني قريات لوط أمطرنا عليهم الحجارة " أفلم يكونوا يرونها " يعني أفلم يبصروها فيعتبروا بها " بل كانوا لا يرجون نشورا " يعني بل كانوا لا يخافون البعث ويقال لا يرجون ثواب الآخرة وإنما جاز أن يعبر عنهما لأن في الرجاء طرفا من الخوف لأن كل من يرجو شيئا فإنه يخاف وربما يدرك وربما لا يدرك

قوله عز وجل " وإذا رأوك " يعني أهل مكة " إن يتخذونك إلا هزوا " يعني ما يقولون لك إلا سخرية فيما بينهم ويقولون " أهذا الذي بعث الله رسولا " يعني إلينا وهو قول أبي جهل حين قال لأبي سفيان بن حرب أهذا نبي بني عبد مناف " إن كاد ليضلنا " يعني أراد أن يصرفنا " عن آلهتنا " يعني عن عبادة آلهتنا " لولا أن صبرنا عليها " يعني ثبتنا على عبادتها لأدخلنا في دينه حكى قولهم ثم بين مصيرهم فقال " وسوف يعلمون حين يرون العذاب " يعني يوم القيامة " من أضل سبيلا " يعني أخطأ طريقا يعني يبين لهم أن الذي

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٦/٣٦٤

قلت لهم كان حقا

سورة الفرقان ٤٣ – ٤٦." (١)

"" صفحة رقم ٢٨٦ "

دسوه فيها) بَيْنَ ذالِكَ (أي بين ذلك المذكور ، وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها ذلك ، ويحسب الحاسب أعداداً متكاثرة ثم يقول : فذلك كيت وكيت على معنى : فذلك المحسوب أو المعدود) ضَرَبْنَا لَهُ الاْمْثَالَ (بينا له القصص العجيبة من قصص الأوّلين ، ووصفنا لهم ما أجروا إليه من تكذيب الأنبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره . والتتبير : التفتيت والتكسير . ومنه : التبر ، وهو كسار الذهب والفضة والزجاج . و) وَكُلاًّ (الأوّل منصوب بما دلّ عليه) ضَرَبْنَا لَهُ الاْمْثَالَ (وهو : أنذرنا . أو : حذرنا . والثاني : بتبرنا ، لأنه فارغ له .

) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِى أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً (

الفرقان : (٤٠) ولقد أتوا على . . . . . .

أراد بالقرية (سدوم) من قرى قوم لوط ، وكانت خمساً : أهلك الله تعالى أربعاً بأهلها وبقيت واحدة . **ومطر السوء** : الحجارة ، يعني أن قريشاً مرّوا مراراً كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء) أَفَلَمْ يَكُونُواْ (في مرار مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون) بَلْ كَانُواْ (قوماً كفرة بالبعث لا يتوقعون) نُشُوراً (وعاقبة ، فوضع الرجاء موضع التوقع ، لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ، ومرّوا بها كما مرّت ركابهم . أو لا يأملون نشوراً كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم ، أو لا يخافون ، على اللغة التهامية .

) وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَاذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءالِهَتِنَا لَوْلاَ أَن صَبْرَنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً (

الفرقان : (٤١ – ٤٢) وإذا رأوك إن . . . . . .

) إن (الأولى نافية ، والثانية مخففة من الثقيلة . واللام هي الفارقة بينهما . واتخذه هزواً : في معنى استهزأ به ، والأصل : اتخذه موضع هزؤ ، أو مهزوءاً به) أَهَاذَا (محكى بعد القول المضمر . وهذا استصغار ، و) بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً (وإخراجه في معرض التسليم والإقرار ، وهم على غاية الجحود والإنكار سخرية واستهزاء ، ولو لم يستهزؤا لقالوا : أهذا الذي زعم أو ادّعى أنه مبعوث من عند الله رسولاً ، . وقولهم :)

---

(١) بحر العلوم ،. ٢/٥٣٩

إن كَادَ لَيُضِلُّنَا (دليل على فرط مجاهدة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في دعوتهم ، وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم ، مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام ، لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ، و) لَوْلاَ (في مثل هذاالكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق) وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدّة الإمهال ، ولا بدّ." (١)

"وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ [الفرقان: ٤٠] يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ. أَوَلَمْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ يَرَوْنَ تِلْكَ الْقَرْيَةَ وَمَا نَزَلَ بِهَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِتَكْذِيبِ أَهْلِهَا رُسُلَهُمْ فَيَعْتَبِرُوا وَيَتَذَكَّرُوا، فَيُرَاجِعُوا -[٤٥٨]- التَّوْبَةَ مِنْ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ." (٢)

"الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ، أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا، بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٠] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَقَدْ أَتَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَهَا اللَّهُ مَطَرَ السَّوْءِ وَهِيَ سَدُومُ قَرْيَةُ قَوْمِ لُوطٍ. وَمَطَرُ السَّوْءِ هُوَ الْحِجَارَةُ الَّتِي أَمْطَرَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَأَهْلَكَهُمْ بِهَا." (٣)

"كَمَا: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثني حَجَّاجٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ [الفرقان: ٤٠] قَالَ: «حِجَارَةٌ، وَهِيَ قَرْيَةُ قَوْمِ لُوطٍ، وَاسْمُهَا سَدُومُ»." (٤)

"أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثنا ابن خرجة قال: حدّثنا الحضرمي قال: حدّثنا عثمان قال:

حدّثنا بشر بن المفضل عن علي بن يزيد عن أوس بن أوس عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث: ثلث على الدوابّ، وثلث على وجوههم، وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا»

«١» [٨٢] .

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٣٥ الى ٥٢]

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٣/٢٨٦

(٢) تفسير الطبري ١٧/٤٥٧

(٣) تفسير الطبري ١٧/٤٥٧

(٤) تفسير الطبري ١٧/٤٥٧

وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَجَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَدَمَّرْناهُمْ تَدْمِيراً (٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ وَجَعَلْناهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ عَذاباً أَلِيماً (٣٧) وَعاداً وَثَمُودَ وَأَصْحابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً (٣٨) وَكُلاًّ ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنا تَتْبِيراً (٣٩)

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً (٤٠) وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً (٤١) إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْلا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٤)

أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (٤٥) ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً (٤٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً وَالنَّوْمَ سُباتاً وَجَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً (٤٧) وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنا أَنْعاماً وَأَناسِيَّ كَثِيراً (٤٩)

وَلَقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً (٥٠) وَلَوْ شِئْنا لَبَعَثْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً (٥١) فَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَجاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً كَبِيراً (٥٢)

وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَجَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً أي معينا وظهيرا فَقُلْنَا اذْهَبا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا يعني القبط، وفي الآية متروك استغنى عنه بدلالة الكلام عليه تقديرها: فكذّبوهما.

فَدَمَّرْناهُمْ تَدْمِيراً فأهلكناهم إهلاكا وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ وَجَعَلْناهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً عبرة وَأَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ في الآخرة عَذاباً أَلِيماً سوى ما حلّ بهم من عاجل العذاب.

وَعاداً وَثَمُودَ وَأَصْحابَ الرَّسِّ اختلفوا فيهم، فقال ابن عباس: كانوا أصحاب آبار، وقال وهب بن منبه: كانوا أهل بئر قعودا عليها وأصحاب مواشي، وكانوا يعبدون الأصنام فوجّه الله إليهم شعيبا يدعوهم الى الإسلام فأتاهم ودعاهم، فتمادوا في طغيانهم وفي أذى شعيب

---

(١) مسند ابن راهويه: ١/ ١٨٠.." (١)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٣٣/٧

"والرسّ في كلام العرب: كل محفور مثل البئر والمعدن والقبر ونحوها وجمعه رساس، قال الشاعر:

سبقت إلى فرط بأهل تنابلة ... يحفرون الرساسا «١»

وقال أبو عبيد: الرسّ: كلّ ركية لم تطو بالحجارة والآجر والخشب.

وَقُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً وَكُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ في إقامة الحجّة فلم نهلكهم إلّا بعد الإعذار والإنذار وَكُلًّا تَبَّرْنا تَتْبِيراً أهلكنا إهلاكا، وقال المؤرخ: قال الأخفش: كسّرنا تكسيرا.

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** يعني الحجارة وهي قرية قوم لوط وكانت خمس قرى فأهلك الله سبحانه أربعا وبقيت الخامسة، واسمها صغر وكان أهلها لا يعملون ذلك العمل الخبيث.

أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها إذا مرّوا بها في أسفارهم فيعتبرون ويتذكروا. قال الله سبحانه بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ يخافون نُشُوراً بعثا وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً نزلت في أبي جهل كان إذا مرّ بأصحابه على رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال مستهزئا أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا قد كاد يصدّنا عن عبادتها لَوْلا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها لصرفنا عنها وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا وهذا وعيد لهم أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وذلك أنّ الرجل من المشركين كان يعبد الحجر أو الصنم، فإن رأى أحسن منه رمى به وأخذ الآخر فعبده، قال ابن عباس: الهوى إله يعبد من دون الله.

أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا حفيظا من الخروج إلى هذا الفساد، نسختها آية الجهاد أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ ما يقول: سماع طالب للإفهام أَوْ يَعْقِلُونَ ما يعاينون من الحجج والأعلام إِنْ هُمْ ما هم إِلَّا كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا لأنّ البهائم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لأربابها التي تعلفها وتعهدها، وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربّهم الذي خلقهم ورزقهم.

أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ معناه ألم تر إلى مدّ ربك الظل، وهو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وإنّما جعله ممدودا لأنه لا شمس معه، كما قال في ظل الجنة (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) إذ لم يكن معه شمس، وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً دائما ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس.

قال أبو عبيد: الظلّ ما نسخته الشمس وهو بالغداة والفيء ما نسخ الشمس وهو بعد الزوال، سمّي فيئا لأنه من جانب المشرق الى جانب المغرب ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ أي على

---

(١) جامع البيان للطبري: ١٩/ ٢٠.." [1]

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٣٩/٧

"وقال: قتادة أصحاب الأيكة وأصحاب الرس أمتان أرسل إليهما جميعاً شعيب، فكفرتا فعذبتا بعذابين.

قال قتادة: القرن سبعون سنة.

وقيل: القرن أربعون سنة.

قوله تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى القرية التي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السوء**﴾.

أي ولقد أتى هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجوراً على القرية التي أمطرت." (١)

"**مطر السوء** وهي سدوم قرية قوم لوط و ﴿**مَطَرَ السوء**﴾، الحجارة التي أهلكهم الله بها.

وقال ابن عباس خمس قريات أهلك الله أربعا، وبقيت الخامسة واسمها سفن كان أهلها لا يعملون ذلك العمل، وكانت سدوم أعظمها وهي التي نزل لوط، ومنها بعث، وكان إبراهيم صلى الله عليه [وسلم]، ينادي نصيحة لهم يا سدوم يوم لكم من الله أنهاكم أن تعرضوا للعقوبة من الله، وكان لوط ابن أخي إبراهيم.

ثم قال ﴿أَفَلَمْ يَكُونُواْ / يَرَوْنَهَا﴾، أي: أفلم يكن هؤلاء المشركون يرون تلك القرية وما نزل بها، فيحذروا أن ينزل بهم مثل ذلك.." (٢)

"٣٩ - وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ قال الزجاج: ﴿وَكُلًّا﴾ منصوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره؛ المعنى: وأنذرنا كلًا ضربنا له الأمثال (١). قال قتادة: وكلًّا قد أعذر الله إليه ثم انتقم منه (٢). وقال مقاتل: وكلًا بيّنا لهم أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا (٣).

﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ أهلكنا بالعذاب إهلاكًا (٤). قال الزجاج: وكل شيء كسَّرتَه وفتَّتَّه فقد تبَّرْته، ومنه تبر الذهب (٥). وذكرنا معنى: التتبير، في سورة: سبحان (٦).

٤٠ - وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ يعني: كفار مكة (٧) ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ يعني: قرية قوم لوط (٨) ﴿الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ**﴾ قال مقاتل، وغيره:

---

(١) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٦٨. بنصه.

(٢) أخرجه بسنده عبد الرزاق ٢/ ٧٠. وعنه ابن جرير ١٩/ ١٥. وابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٩٧. قال ابن كثير

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٨/٥٢٢٥

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٨/٥٢٢٦

٦/ 211: أي بينا لهم الحجج، ووضحنا لهم الأدلة.

(٣) لم أجده في "تفسير مقاتل". وفي "تنوير المقباس" ص ٣٠٣: بينا لكل قرن عذاب القرون الذين قبلهم فلم يؤمنوا. وذكر أبو حيان ٦/ ٤٥٨، وجهاً غريبا في ذلك، واستبعده، وهو حري بذلك، وهو أن الضمير في ﴿لَهُ﴾ لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

(٤) "تفسير الثعلبي" ٨/ ٩٩أ.

(٥) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٦٩.

(٦) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧]: يقال تَبِرَ الشيءُ يَتْبَرُ تَباراً إذا هلك، وتَبَّرَه أهلكه، قال أبو إسحاق: وكل شيء كَسَرْتَه وفَتَّتَّهُ فقد تَبَّرْتَهُ، ومن هذا تِبْرُ الزجاج وتِبْرُ الذهب لِمُكَسَّره.

(٧) "تنوير المقباس" ص ٣٠٣. و"معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٦٩. و"تفسير السمرقندي" ٢/ ٤٦١. وتصدير قصة قوم لوط -صلى الله عليه وسلم- باللام، وقد، دليل على عظم إعراضهم عن الانتفاع بالمواعظ والزواجر. والله أعلم.

(٨) "تنوير المقباس" ص ٣٠٣. والزجاج ٤/ ٦٩. والسمرقندي ٢/ ٤٦١. وذكر الثعلبي ٨/ ٩٩ أ، والزمخشري ٣/ ٢٧٣، والرازي ٢٤/ ٨٤، وأبو حيان ٦/ ٤٥٨ ونسبه =." (١)

"جملة واحدة كما أنزلت التوراة والإنجيل والزبور.

والمعنى: هلا نزل عليه القرآن في وقت واحد، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ [الفرقان: ٣٢] أي: أنزلناه متفرقا، ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢] لنقوي به قلبك فيزداد بصيرة، وذلك أنه إذا كان يأتيه الوحي متجددا في كل أمر وحادثة كان ذلك أزيد في بصيرته وأقوى لقلبه، ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا﴾ [الفرقان: ٣٢] قال ابن عباس: بيناه تبيينا.

وقال السدي: فصلناه تفصيلا.

وقال مجاهد: بعضه في إثر بعض.

قال ابن الأعرابي: ما أعلم الترتيل إلا التحقيق والتبيين.

قوله: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ﴾ [الفرقان: ٣٣] يعني المشركين، ﴿بِمَثَلٍ﴾ [الفرقان: ٣٣] يضربونه لك في إبطال أمرك ومخاصمتك، ﴿إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٣٣] بالذي هو الحق لترد به خصومتهم وتبطل به كيدهم،

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٦/٥٠٨

﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] مما أتوا به من المثل، أي بيانا وكشفا، والتفسير: تفصيل من الفسر، وهو كشف ما غطي.

قوله: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٣٤] قال مقاتل: هم كفار مكة، وذلك أنهم قالوا لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه: هم شر خلق الله.

فقال الله: ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ [الفرقان: ٣٤] منزلا ومصيرا، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾ [الفرقان: ٣٤] دينا وطريقا من المؤمنين.

٦٦٨ - أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ النَّصْرَابَاذِيُّ، نا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَحَامِلِيُّ، أنا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبُوشَنْجِيُّ، أنا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، نا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، نا شَيْبَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدٍ

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٥-٤٠] قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥] قال مقاتل، والكلبي: معينا على الرسالة.

﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الفرقان: ٣٦] يعني: فرعون وقومه، وذلك أنهم كانوا مكذبين أنبياء الله وكتبه، ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٦] أهلكناهم بالعذاب إهلاكا.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ [الفرقان: ٣٧] قال الزجاج: من كذب نبيا فقد كذب جميع الأنبياء.

﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ [الفرقان: ٣٧] بالطوفان، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ﴾ [الفرقان: ٣٧] من بعدهم، ﴿آيَةً﴾ [الفرقان: ٣٧] عبرة ودلالة على قدرتنا، قال ابن عباس: وهذا تعزية للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتخويف للمشركين.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: ٣٧] سوى ما حل بهم في الدنيا.

وقوله: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ﴾ [الفرقان: ٣٨] تقدم تفسيره، ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ [الفرقان: ٣٨] قال السدي: هو بئر بأنطاكية، قتلوا فيها حبيبا النجار، فنسبوا إليها.

وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة، قال: سألته عن أصحاب الرس.

فقال: هم الذين قتلوا صاحب ياسين الذي قال: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠] ورسوه." (١)

"في بئر لهم يقال له الرس، أي دسوه فيها.

وقال قتادة: حدثنا أن أصحاب الرس كانوا أهل فلج باليمامة، وآبار كانوا عليها.

وقال وهب: كانوا أهل بئر نزولا عليها، وأصحاب مواشي، فكذبوا شعيبا، فانهارت البئر بهم وبمنازلهم، فهلكوا جميعا.

وقوله: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨] أي: وأهلكنا قرونا بين عاد إلى أصحاب الرس.

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ﴾ [الفرقان: ٣٩] قال مقاتل: وكلا بينا لهم أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا.

﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٩] أهلكنا بالعذاب إهلاكا، قال الزجاج: وكل شيء كسرته وفتته فقد تبرته.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ [الفرقان: ٤٠] يعني: كفار مكة، ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ [الفرقان: ٤٠] يعني: قرية لوط، ﴿الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ [الفرقان: ٤٠] يعني: الحجارة، ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ [الفرقان: ٤٠] في أسفارهم إذا مروا بها فيخافوا ويعتبروا، ثم أخبر أن الذي جرأهم على التكذيب أنهم لا يصدقون بالبعث، فقال: ﴿بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٠] لا يخافون بعثا ولا يصدقون به.

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤١-٤٤] ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا﴾ [الفرقان: ٤١] وما يتخذونك إلا مهزوءا به، ثم ذكر ما يقولون من الاستهزاء، فقال: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولا﴾ [الفرقان: ٤١] أي: إذا رأوك قالوا: أهذا الذي بعثه الله إلينا رسولا؟ ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ [الفرقان: ٤٢] قال ابن عباس: لقد كاد أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا.

﴿لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤٢] أي: على عبادتها، قال الله: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ [الفرقان: ٤٢] في الآخرة عيانا، ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلا﴾ [الفرقان: ٤٢] من أخطأ طريقا عن الهدى، أهم أم المؤمنون؟ ثم عجب نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نهاية جهلهم حين عبدوا ما دعاهم إليه الهوى، فقال: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣] قال عطاء، عن ابن عباس: أرأيت من ترك عبادة إلهه وخالفه،

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٣٤٠

ثم هوى حجرا فعبده، ما حاله عندي؟ قال مقاتل: وذلك إن الحارث بن قيس السهمي هوي حجرا فعبده.

وقال سعيد بن جبير: كان أهل الجاهلية ليعبدون الحجر، فإذا رأوا أحسن منه أخذوه وتركوا الأول.

وقال الحسن: يقول: لا يهوى شيئا إلا اتبعه.

وقال ابن قتيبة: يقول: يتبع هواه ويدع الحق فهو كالإله له.

والمعنى أنه أطاع هواه وركبه فلم يبال عاقبة ذلك، وقوله: ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا﴾ [الفرقان: ٤٣] أي: أفأنت عليه كفيل حافظ يحفظه عليه من أتباع هواه وعبادة ما يهوى من دون الله، أي: ليست كذلك، قال الكلبي: نسختها آية القتال.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا﴾ [الفرقان: ٤٤] .." (١)

"﴿ولقد أتوا﴾ يعني: مشركي مكَّة ﴿على القرية التي أمطرت **مطر السوء**﴾ يعني: الحجارة وهي قرية قوم لوطٍ ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ إذا مرُّوا بها مسافرين فيعتبروا ﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً﴾ لا يخافون بعثاً." (٢)

"﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ أَيْ: وَأَهْلَكْنَا قُرُونًا كَثِيرًا بَيْنَ عَادٍ وَأَصْحَابِ الرَّسِّ.

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (٤٠) وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) ﴾

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ أَيْ: الْأَشْبَاهُ فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ نُهْلِكْهُمْ إِلَّا بَعْدَ الْإِنْذَارِ ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ أَيْ: أَهْلَكْنَا إِهْلَاكًا. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: كَسَّرْنَا تَكْسِيرًا. قَالَ الزَّجَّاجُ: كُلُّ شَيْءٍ كَسَّرْتُهُ وَفَتَّتُّهُ فَقَدْ تَبَّرْتُهُ. ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ**﴾ يَعْنِي الْحِجَارَةَ، وَهِيَ قَرْيَاتُ قَوْمِ لُوطٍ، وَكَانَتْ خَمْسُ قُرًى، فَأَهْلَكَ اللَّهُ أَرْبَعًا مِنْهَا، وَنَجَتْ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ أَصْغَرُهَا، وَكَانَ أَهْلُهَا لَا يَعْمَلُونَ الْعَمَلَ الْخَبِيثَ، ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ إِذْ مَرُّوا بِهِمْ فِي أَسْفَارِهِمْ فَيَعْتَبِرُوا وَيَتَذَكَّرُوا، لِأَنَّ مَدَائِنَ قَوْمِ لُوطٍ كَانَتْ عَلَى طَرِيقِهِمْ عِنْدَ مَمَرِّهِمْ إِلَى الشَّامِ، ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ ٤٦/ب لَا يَخَافُونَ، ﴿نُشُورًا﴾ بَعْثًا. قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٣٤١

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٧٨٠

رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ﴾ يَعْنِي: مَا يَتَّخِذُونَكَ، ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ أَيْ: مَهْزُوءًا بِهِ، نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ، كَانَ إِذْ مَرَّ بِأَصْحَابِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مُسْتَهْزِئًا: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ (١) ؟! ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ أَيْ: قَدْ قَارَبَ أَنْ يُضِلَّنَا، ﴿عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أَيْ: لَوْ لَمْ نَصْبِرْ عَلَيْهَا لَصُرِفْنَا عَنْهَا، ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ مَنْ أَخْطَأُ طَرِيقًا. ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَانَ يَعْبُدُ الْحَجَرَ فَإِذَا رَأَى حَجَرًا أَحْسَنَ مِنْهُ طَرَحَ الْأَوَّلَ وَأَخَذَ الْآخَرَ فَعَبَدَهُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَرَأَيْتَ مَنْ تَرَكَ عِبَادَةَ اللَّهِ وَخَالِقَهُ ثُمَّ هَوِيَ حَجَرًا فَعَبَدَهُ مَا حَالُهُ عِنْدِي؟ ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ أَيْ: حَافِظًا، يَقُولُ: أَفَأَنْتَ

---

(١) ذكره في البحر المحيط: ٦ / ٥٠٠، والآية فيها إخبار عن استهزاء المشركين بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتنقصهم له، وأبو جهل داخل في عموم أولئك المشركين.." (١)

"إليه من تكذيب الأنبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره. والتتبير: التفتيت والتكسير.

ومنه: التبر، وهو كسار الذهب والفضة والزجاج. وكُلًّا الأوّل منصوب بما دل عليه ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ وهو: أنذرنا. أو: حذرنا. والثاني بتبرنا، لأنه فارغ له.

[سورة الفرقان (٢٥) : آية ٤٠]

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً (٤٠)

أراد بالقرية «**سدوم**» من قرى قوم لوط، وكانت خمسا: أهلك الله تعالى أربعا بأهلها وبقيت واحدة. **ومطر السوء**: الحجارة، يعنى أن قريشا مرّوا مرارا كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء أَفَلَمْ يَكُونُوا في مرار مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون بَلْ كانُوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نُشُوراً وعاقبة، فوضع الرجاء موضع التوقع، لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا، ومرّوا بها كما مرّت ركابهم. أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم. أو لا يخافون، على اللغة التهامية.

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٤١ الى ٤٢]

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٨٥/٦

وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً (٤١) إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْلا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٢)

إِنْ الأولى نافية، والثانية مخففة من الثقيلة. واللام هي الفارقة بينهما. واتخذه هزوا:

في معنى استهزأ به، والأصل: اتخذه موضع هزؤ، أو مهزوءا به أَهذَا محكي بعد القول المضمر.

وهذا استصغار، وبَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا وإخراجه في معرض التسليم والإقرار، وهم على غاية الجحود والإنكار سخرية واستهزاء، ولو لم يستهزءوا لقالوا: أهذا الذي زعم أو ادّعى أنه مبعوث من عند الله رسولا. وقولهم إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم، وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم، مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام، لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم، ولَوْلا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى- لا من حيث الصنعة- مجرى التقييد للحكم المطلق وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدّة الإمهال، ولا بدّ للوعيد أن يلحقهم فلا يغرّنهم التأخير. وقوله مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا كالجواب." (١)

"شعيب عليه السلام، وقاله وهب بن منبه وقال علي رضي الله عنه في كتاب الثعلبي أَصْحابَ الرَّسِّ قوم عبدوا شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت، رسوا نبيهم في بير حفروه له في حديث طويل، والرَّسِّ في اللغة كل محفور من بير أو قبر أو معدن ومنه قول الشاعر [النابغة الجعدي] : [المتقارب]

سبقت إلى فرط بأهل ... تنابلة يحفرون الرساسا

وروى عكرمة ومحمد بن كعب القرظي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الرس المشار إليهم في هذه الآية قوم أخذوا نبيهم فرسوه في بير وأطبقوا عليه صخرة، قال فكان عبد أسود قد آمن به يجيء بطعام إلى تلك البير فيعينه الله على تلك الصخرة إلى أن ضرب الله يوما على أذن ذلك الأسود بالنوم أربع عشرة سنة وأخرج أهل القرية نبيهم فآمنوا به في حديث طويل، قال الطبري فيمكن أنهم كفروا به بعد ذلك فذكرهم الله في هذه الآية، وقوله وَقُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً إبهام لا يعلم حقيقته إلا الله عز وجل وقد تقدّم شرح القرن وكم هو، ومن هذا اللفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى، ويروى أن ابن عباس قاله، «كذب النسابون من فوق عدنان لأن الله تعالى أخبر عن كثير من الخلق والأمم ولم يحد» ، ثم قال تعالى إن كل هؤلاء «ضرب له الأمثال» ، ليهتدي فلم يهتد، «فتبره» الله أي أهلكه، والتبار الهلاك ومنه تبر الذهب أي المكسر المفتت، وكذلك يقال لفتات الرخام والزجاج تبر، وقال ابن جبير إن أصل الكلمة نبطي ولكن

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٢٨١

العرب قد استعملته.

قوله عز وجل:

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٤٠ الى ٤٤]

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً (٤٠) وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً (٤١) إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْلا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٤)

قال ابن عباس وابن جريج والجماعة الإشارة إلى مدينة قوم لوط وهي سدوم بالشام، ومَطَرَ السَّوْءِ حجارة السجيل، وقرأ أبو السمال «السّوء» بضم السين المشددة، ثم وقفهم على إعراضهم وتعرضهم لسخط الله بعد رؤيتهم العبرة من تلك القرية، ثم حكم عليهم أنهم إذا رأوا محمدا صلى الله عليه وسلم استهزؤوا به واستحقروه وأبعدوا أن يبعثه الله رسولا، فقالوا على جهة الاستهزاء أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا وفي بَعَثَ ضمير يعود على الذي حذف اختصارا وحسن ذلك في الصلة، ثم أنس النبي صلى الله عليه وسلم عن كفرهم بقوله أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ الآية، والمعنى لا تتأسف عليهم ودعهم لرأيهم ولا تحسب أنهم على ما يجب من التحصيل والعقل بل هم كالأنعام في الجهل بالمنافع وقلة التحسس للعواقب، ثم حكم بأنهم أَضَلُّ سَبِيلًا من حيث لهم الفهم وتركوه، و «الأنعام» لا سبيل لهم." (١)

"٢٥: «وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلًا» : ونزل الملائكة: أبو عمرو: ٤/ ٢٠٨ ونزّل: أبو رجاء: ٤/ ٢٠٨ وأنزل الملائكة: الأعمش- ابن مسعود: ٤/ ٢٠٨ ونزلت الملائكة: أبيّ بن كعب: ٤/ ٢٠٨ وتنزلت الملائكة: أبيّ بن كعب: ٤/ ٢٠٨ ٣٢: لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ: ليثبّت: ابن مسعود: ٤/ ٢٠٩ ٤٠: مَطَرَ السَّوْءِ: السّوء: أبو السمال: ٤/ ٢١١ ٤٩: وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنا: ونسقيه: أبو عمرو- ابن مسعود- ابن أبي عبلة- أبو حيوة: ٤/ ٢١٣ ٥٠: وَلَقَدْ صَرَّفْناهُ: صرفنا: عكرمة: ٤/ ٢١٣ ٥٠: لِيَذَّكَّرُوا: ليذكروا: حمزة- الكسائي- الكوفيون: ٤/ ٢١٣ ٥٣: وَهذا مِلْحٌ: ملح: طلحة بن مصرف: ٤/ ٢١٤ ٥٩: ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمنُ: الرحمن: زيد بن علي بن الحسين: ٤/ ٢١٦ ٦٠: لِما تَأْمُرُنا: يأمرنا: ابن مسعود- حمزة- الكسائي- الأسود بن يزيد: ٤/ ٢١٦ ٦١: وَجَعَلَ فِيها سِراجاً: سرجا: ابن مسعود- علقمة- الأعمش-

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٢١١

النخعي- ابن وثاب: ٤/ ٢١٧ ٦١: وَقَمَراً مُنِيراً: وقمرا: أبو حاتم- الحسن- الأعمش- النخعي: ٤/ ٢١٧ ٦٢: لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ: يذكر: حمزة: ٤/ ٢١٨ يتذكر: مصحف أبيّ بن كعب: ٤/ ٢١٨ ٦٦: إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً: مقاما: فرقة: ٤/ ٢١٩ ٦٧: وَلَمْ يَقْتُرُوا: يقتروا: نافع- ابن عامر- أبو بكر: ٤/ ٢٢٠ يقتروا: مجاهد: ٤/ ٢٢٠ يقتروا: أبو عبد الرحمن: ٤/ ٢٢٠ ٦٧: قَواماً: قواما: حسان بن عبد الرحمن: ٤/ ٢٢٠ ٦٩: يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً: يضعّف: ابن كثير- أبو جعفر- الحسن: ٤/ ٢٢٠ نضعّف له العذاب: طلحة بن سليمان: ٤/ ٢٢٠ ويخلّد: أبو عمرو: ٤/ ٢٢٠ ٧٤: رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّيَّاتِنا: ذرّيّتنا: أبو عمرو- حمزة- الكسائي-- عيسى: ٤/ ٢٢٢ ٧٥: وَيُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَسَلاماً: ويلقون: حمزة- الكسائي- ابن عامر- طلحة- محمد اليماني: ٤/ ٢٢٣ ٧٧: فَقَدْ كَذَّبْتُمْ: فقد كذب الكافرون: الزبير- ابن مسعود: ٤/ ٢٢٣." (١)

"[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٤٠ الى ٤٤]

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً (٤٠) وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً (٤١) إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْلا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٤)

قوله تعالى: وَلَقَدْ أَتَوْا يعني كفار مكة عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ يعني قرية قوم لوط التي رُميت بالحجارة أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها في أسفارهم فيعتبروا؟! ثم أخبر بالذي جرَّأهم على التكذيب، فقال: بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً أي: لا يخافون بعثاً، هذا قول المفسرين. وقال الزجاج: الذي عليه أهل اللغة أن الرجاء ليس بمعنى الخوف، وإِنما المعنى: بل كانوا لا يرجون ثواب عمل الخير، فركبوا المعاصي.

قوله تعالى: وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ أي: ما يتخذونك إِلَّا هُزُواً أي: مهزوءاً به، ثم ذكر ما يقولون من الاستهزاء: أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا أي: ليصرفنا عن عبادة آلهتنا لَوْلا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها أي: على عبادتها قال الله تعالى: وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ في الآخرة مَنْ أَضَلُّ أي: مَنْ أَخطأُ طريقاً عن الهدى، أهم، أم المؤمنون. ثم عجَّب نبيَّه من جهلهم حين عبدوا ما دعاهم إِليه الهوى، فقال: أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ قال ابن عباس: كان أحدهم يعبد الحجر، فاذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر. وقال قتادة: هو الكافر لا يهوى شيئاً إلا ركبه. وقال ابن قتيبة: المعنى: يتَّبع هواه ويدع

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٨٠/٦

الحقَّ، فهو له كالإله. قوله تعالى: أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا أي: حفيظا يحفظه من اتِّباع هواه. وزعم الكلبي أن هذه الآية منسوخة بآية القتال.

قوله تعالى: أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ يعني أهل مكة والمراد: يسمعون سماع طالب للإفهام أَوْ يَعْقِلُونَ ما يعاينون من الحُجج والأعلام إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ وفي وجه تشبيههم بالأنعام قولان: أحدهما: أن الأنعام تسمع الصوت ولا تفقه القول. والثاني: أنه ليس لها همٌّ إلا المأكل والمشرب. قوله تعالى: بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا لأن البهائم تهتدي لمراعيها وتنقاد لأربابها وتُقبل على المحسِن إليها، وهم على خلاف ذلك.

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٤٥ الى ٥٢]

أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (٤٥) ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً (٤٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً وَالنَّوْمَ سُباتاً وَجَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً (٤٧) وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنا أَنْعاماً وَأَناسِيَّ كَثِيراً (٤٩)

وَلَقَدْ صَرَّفْناهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً (٥٠) وَلَوْ شِئْنا لَبَعَثْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً (٥١) فَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَجاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً كَبِيراً (٥٢)." [1]

"المسألة الثَّامِنَةُ: التَّتْبِيرُ التَّفْتِيتُ وَالتَّكْسِيرُ، وَمِنْهُ التِّبْرُ وهو كسارة الذهب والفضة والزجاج.

[سورة الفرقان (٢٥) : آية ٤٠]

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها بَلْ كانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُوراً (٤٠)

القصة الرابعة- قصة لوط عليه السلام

وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى أَرَادَ بِالْقَرْيَةِ سَدُومَ مِنْ قُرَى قَوْمِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَتْ خَمْسًا أَهْلَكَ اللَّه تَعَالَى أَرْبَعًا بِأَهْلِهَا وَبَقِيَتْ وَاحِدَةٌ، وَ (**مَطَرَ السَّوْءِ**) الْحِجَارَةُ يَعْنِي أَنَّ قُرَيْشًا مَرُّوا مِرَارًا كَثِيرَةً فِي مَتَاجِرِهِمْ إِلَى الشَّأْمِ عَلَى تِلْكَ الْقَرْيَةِ الَّتِي أُهْلِكَتْ بِالْحِجَارَةِ مِنَ السماء، أَفَلَمْ يَكُونُوا في [مرار] مُرُورِهِمْ يَنْظُرُونَ إِلَى آثَارِ عَذَابِ اللَّه تَعَالَى ونكاله [ويذكررون] «١» بَلْ كانُوا قَوْمًا كَفَرَةً لَا يَرْجُونَ نُشُوراً وَذَكَرُوا فِي تَفْسِيرِ يَرْجُونَ وُجُوهًا: أَحَدُهَا: وَهُوَ

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٣٢٢

الَّذِي قَالَهُ الْقَاضِي وَهُوَ الْأَقْوَى أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى حَقِيقَةِ الرَّجَاءِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَحَمَّلُ مَتَاعِبَ التَّكَالِيفِ وَمَشَاقَّ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ إِلَّا لِرَجَاءِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ فَإِذَا لَمْ يُؤْمِنْ بِالْآخِرَةِ لَمْ يَرْجُ ثَوَابَهَا فَلَا يَتَحَمَّلُ تِلْكَ الْمَشَاقَّ وَالْمَتَاعِبَ وَثَانِيهَا: مَعْنَاهُ لَا يَتَوَقَّعُونَ نُشُورًا [وَعَاقِبَةً] ، فَوَضَعَ الرَّجَاءَ مَوْضِعَ التَّوَقُّعِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَتَوَقَّعُ الْعَاقِبَةَ مَنْ يُؤْمِنُ، وَثَالِثُهَا: مَعْنَاهُ لَا يَخَافُونَ عَلَى اللُّغَةِ التِّهَامِيَّةِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ وَالْأَوَّلُ هُوَ الْحَقُّ.

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٤١ الى ٤٤]

وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً (٤١) إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْلا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٤)

اعْلَمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا بَيَّنَ مُبَالَغَةَ الْمُشْرِكِينَ فِي إِنْكَارِ نُبُوَّتِهِ وَفِي إِيرَادِ الشُّبُهَاتِ فِي ذَلِكَ، بَيَّنَ بَعْدَ ذَلِكَ أنهم إدا رَأَوُا الرَّسُولَ اتَّخَذُوهُ هُزُوًا فَلَمْ يَقْتَصِرُوا عَلَى تَرْكِ الْإِيمَانِ بِهِ بَلْ زَادُوا عَلَيْهِ بِالِاسْتِهْزَاءِ وَالِاسْتِحْقَارِ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا وَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» (إِنْ) الْأُولَى نَافِيَةٌ وَالثَّانِيَةُ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاللَّامُ هِيَ الْفَارِقَةُ بَيْنَهُمَا.

المسألة الثَّانِيَةُ: جَوَابُ (إِذَا) هُوَ مَا أُضْمِرَ مِنَ الْقَوْلِ يَعْنِي وَإِذَا رَأَوْكَ مُسْتَهْزِئِينَ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّه هَذَا رَسُولًا، وَقَوْلُهُ: إِنْ يَتَّخِذُونَكَ جُمْلَةٌ اعْتَرَضَتْ بَيْنَ (إِذَا) وَجَوَابِهَا.

المسألة الثَّالِثَةُ: اتَّخَذُوهُ هزوا في معنى استهزؤا بِهِ وَالْأَصْلُ اتَّخَذُوهُ مَوْضِعَ هُزْءٍ أَوْ مَهْزُوءًا بِهِ.

المسألة الرَّابِعَةُ: اعْلَمْ أَنَّ اللَّه تَعَالَى أَخْبَرَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ مَتَى رَأَوُا الرَّسُولَ أتوا بنوعين من الأفعال

---

(١) زيادة من الكشاف.." (١)

"فيها حبيباً النجار، وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون، وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ أو دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم إذا أعوزها الصيد، ولذلك سميت مغرباً فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم أنهم قتلوه فأهلكوا.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٦١/٢٤

وقيل هم قوم كذبوا نبيهم ورسوه أي دسوه في بئر. وَقُرُوناً وأهل أعصار قيل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون. بَيْنَ ذلِكَ إشارة إلى ما ذكر. كَثِيراً لا يعلمها إلا الله.

وَكُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين إنذاراً وإعذاراً فلما أصروا أهلكوا كما قال: وَكُلًّا تَبَّرْنا تَتْبِيراً فتتناه تفتيتاً ومنه التبر لفتات الذهب والفضة، وَكُلًّا الأول منصوب بما دل عليه ضَرَبْنا كأنذرنا والثاني ب تَبَّرْنا لأنه فارغ.

[سورة الفرقان (٢٥) : آية ٤٥]

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها بَلْ كانُوا لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً (٤٠)

وَلَقَدْ أَتَوْا يعني قريشاً مروا مراراً في متاجرهم إلى الشام. عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط أمطرت عليها الحجارة. أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها في مرار مرورهم فيتعظوا بما يرون فيها من آثار عذاب الله. بَلْ كانُوا لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشوراً ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم، أو لا يأملون نشوراً كما يأمله المؤمنون طمعاً في الثواب، أو لا يخافونه على اللغة التهامية.

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٤١ الى ٤٢]

وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً (٤١) إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْلا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٢)

وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً ما يتخذونك إلا موضع هزء أو مهزوءاً به. أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا محكي بعد قول مضمر والإشارة للاستحقار، وإخراج بعث الله رسولاً في معرض التسليم يجعله صلة وهم على غاية الإنكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا أهذا الذي زعم أنه بعثه الله رسولاً.

إِنْ إنه كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء إلى التوحيد وكثرة ما يوردها مما يسبق إلى الذهن بأنها حجج ومعجزات. لَوْلا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولَوْلا في مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ. وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا كالجواب لقولهم إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا فإنه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له، وفيه وعيد ودلالة على أنه لا يهملهم وإن أمهلهم.

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٤٣ الى ٤٤]

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٤)

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ بأن أطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلاً، وإنما قدم المفعول الثاني للعناية به. أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا حفيظاً تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الأول للتقرير والتعجيب والثاني للإنكار.

أَمْ تَحْسَبُ بل أتحسب. أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ فتجدي لهم الآيات أو الحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في إيمانهم، وهو أشد مذمة مما قبله حتى حق بالإضراب عنه إليه، وتخصيص الأكثر لأنه كان." (١)

"وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (٤٠)

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ يعني أهل مكة ﴿عَلَى القرية﴾ سدوم وهي أعظم قرى قوم لوط وكانت خمساً أهلك الله أربعاً مع أهلها وبقيت واحدة ﴿التى أُمْطِرَتْ مَطَرَ السوء﴾ أي أمطر الله عليها الحجارة يعني أن قريشاً مروا كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء ومطر السوء مفعول ثانٍ والأصل أمطرت القرية مطراً أو مصدر محذوف الزوائد أي إمطار السوء ﴿أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا﴾ أما شاهدوا ذلك بأبصارهم عند سفرهم الشام فيتفكروا فيؤمنوا ﴿بَلْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً﴾ بل كانوا قوماً كفرة بالبعث لا يخافون بعثا فلا يؤمنون أو." (٢)

"بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه، قال عطاء: يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم ينبتان، ثم يأكلهما هكذا كلما نبتت يده أكلها على ما فعل، تحسرا وندامة يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ أي في الدنيا مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا أي ليتني اتبعت محمدا صلّى الله عليه وسلّم واتخذت معه طريقا إلى الهداية يا وَيْلَتى دعا على نفسه بالويل لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا قيل يعني أبي بن خلف لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ أي عن الإيمان والقرآن بَعْدَ إِذْ جاءَنِي يعني الذكر مع الرسول صلّى الله عليه وسلّم وَكانَ الشَّيْطانُ وهو كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الجن والإنس لِلْإِنْسانِ خَذُولًا أي كثير الخذلان يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب به وحكم الآية عام في كل خليلين، ومتحابين اجتمعا على معصية الله (ق) عن أبي

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٢٥/٤

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٥٣٨/٢

موسى الأشعري عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال «مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» أخرجه أبو داود والترمذي.

ولهما عن أبي سعيد الخدري قال: قال الرسول صلّى الله عليه وسلّم «لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي». قوله عز وجل:

[سورة الفرقان (٢٥): الآيات ٣٠ الى ٤٠]

وَقالَ الرَّسُولُ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً (٣٠) وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفى بِرَبِّكَ هادِياً وَنَصِيراً (٣١) وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً (٣٢) وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً (٣٣) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلى وُجُوهِهِمْ إِلى جَهَنَّمَ أُوْلئِكَ شَرٌّ مَكاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً (٣٤)

وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَجَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَدَمَّرْناهُمْ تَدْمِيراً (٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ وَجَعَلْناهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ عَذاباً أَلِيماً (٣٧) وَعاداً وَثَمُودَ وَأَصْحابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً (٣٨) وَكُلاًّ ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنا تَتْبِيراً (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً (٤٠)

وَقالَ الرَّسُولُ يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً أي متروكا وأعرضوا عنه، ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو السيئ من القول فزعموا أنه سحر وشعر، والمعنى أن محمدا صلّى الله عليه وسلّم، يشكو قومه إلى الله عز وجل يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا، فعزاه الله تعالى فقال وَكَذلِكَ جَعَلْنا أي وكما جعلت لك أعداء من مشركي مكة، وهم قومك كذلك جعلنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ أي المشركين والمعنى لا يكبرن عليك ذلك فإن الأنبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم، فصبروا فاصبر أنت كما صبروا فإني ناصرك، وهاديك وهو قوله تعالى وَكَفى بِرَبِّكَ هادِياً وَنَصِيراً قوله تعالى وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً أي كما أنزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود صلوات الله عليهم أجمعين قال الله كَذلِكَ فعلنا ذلك لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ أي أنزلناه مفرقا لنقوي به قلبك، فتعيه وتحفظه فإن الكتب المتقدمة نزلت على أنبياء، يكتبون ويقرءون وأنزلنا القرآن على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ، ومنه ما

هو جواب لمن سأل عن أمور تحدث في أوقات مختلفة ففرقناه ليكون أوعى لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأيسر على العامل به وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا.." (١)

"قال ابن عباس: وبيناه بيانا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت وقيل فرقناه تفريقا آية بعد آية وَلا يَأْتُونَكَ يعني يا محمد هؤلاء المشركون بِمَثَلٍ يعني يضربونه لك في إبطال أمرك إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ أي بما ترد به ما جاءوا به من ما يوردون المثل، وتبطله فسمي ما يوردون من الشبه مثلا، وسمي ما يدفع به الشبه حقا وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً يعني أحسن بيانا وتفصيلا ثم ذكر ما لهؤلاء المشركين فقال تعالى الَّذِينَ يعني هم الذين يُحْشَرُونَ أي يساقون ويجرون عَلى وُجُوهِهِمْ إِلى جَهَنَّمَ أُوْلئِكَ شَرٌّ مَكاناً يعني منزلا ومصيرا وَأَضَلُّ سَبِيلًا أي أخطأ طريقا. قوله تعالى وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَجَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً أي معينا وظهيرا فَقُلْنَا اذْهَبا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا يعني القبط فَدَمَّرْناهُمْ فيه إضمار أي فكذبوهما فدمرناهم تَدْمِيراً يعني أهلكناهم إهلاكا وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ يعني رسولهم ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع أَغْرَقْناهُمْ وَجَعَلْناهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً أي عبرة لمن بعدهم وَأَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ في الآخرة عَذاباً أَلِيماً يعني سيرى ما حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا وَعاداً وَثَمُودَ أي أهلكنا عادا وثمود وَأَصْحابَ الرَّسِّ قال وهب بن منبه كان أهل بئر الرس نزولا عليها، وكانوا أصحاب مواش يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيبا، يدعوهم إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم وآذوا شعيبا فبينما هم حول البئر في منازلهم، انهارت البئر وخسف بهم وبديارهم ورباعهم وقيل: الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله. وقال سعيد بن جبير: كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله وقيل الرس بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار هم الذين ذكرهم الله في سورة «يس» وقيل هم أصحاب الأخدود والرس الأخدود وَقُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً أي وأهلكنا قرونا كثيرا بين عاد وثمود وأصحاب الرس وَكُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ أي الأشباه في إقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار وَكُلًّا تَبَّرْنا تَتْبِيراً أي أهلكناهم إهلاكا قوله تعالى وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط، وهي خمس قرى أهلك الله منها أربعا ونجت واحدة. وهي أصغرها وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها يعني إذا مروا بها في أسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لأن مدائن قوم لوط كانت على طريقهم في ممرهم إلى الشأم بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً يعني لا يخافون بعثا. قوله تعالى:

---

(١)الأبواب التي بوب البخاري بأفضليتها من فتح البار

[سورة الفرقان (٢٥): الآيات ٤١ الى ٤٨]

وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً (٤١) إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْلا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٤) أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (٤٥)

ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً (٤٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً وَالنَّوْمَ سُباتاً وَجَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً (٤٧) وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً (٤٨)

وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً نزلت في أبي جهل كان إذا مر مع أصحابه قال مستهزئا أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا يعني قد قارب أن يضلنا عَنْ عبادة آلِهَتِنا لَوْلا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها يعني على عبادتها والمعنى لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ أي في الآخرة عيانا مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا أي أخطأ طريقا أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد حجرا، فإذا رأى حجرا أحسن منه رماه وأخذ الأحسن منه وعبده وقال ابن عباس: أرأيت من ترك عبادة الله خالقه، ثم هوى." (١)

"ينزل بأهل هذه المدائن، وقرئ فأسر بوصل الألف وقطعها، وهما لغتان يقال سرى وأسرى بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ أي قطعة منه وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ نهوا عن الالتفات لئلا تتفطر أكبادهم على قريتهم، وقيل: يلتفت معناه يلتوي إِلَّا امْرَأَتَكَ قرئ بالنصب والرفع «١» ، فالنصب استثناء من قوله فأسر بأهلك، فيقتضي هذا أنه لم يخرجها مع أهله، والرفع بدل من ولا يلتفت منكم أحد، وروي على هذا أنه أخرجها معه، وأنها التفتت وقالت: يا قوماه فأصابها حجر فقتلها إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أي وقت عذابهم الصبح أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ذكر أنهم لما قالوا: إن موعدهم الصبح قال لهم لوط: هلا عذبوا الآن، فقالوا له: أليس الصبح بقريب جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها الضمير للمدائن روي أن جبريل أدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط، واقتلعها فرفعها حتى سمع أهل السماء صراخ الديكة ونباح الكلاب، ثم أرسلها مقلوبة وَأَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً أي على المدائن، والمراد أهلها. روي أنه من كان منهم خارج المدائن أصابته حجارة من السماء، وأما من كان في المدائن فهلك لما قلبت مِنْ سِجِّيلٍ قيل: معناه من ماء وطين، وإنما كان من الآجر المطبوخ وقيل: من سجله إذا أرسله، وقيل: هو لفظ أعجمي مَنْضُودٍ أي مضموم بعضه فوق بعض مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ معناه:

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٣١٤

معلّمة بعلامة، روي أنه كان فيها بياض وحمرة، وقيل كان في كل حجر اسم صاحبه وَما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ الضمير للحجارة والمراد بالظالمين كفار قريش، فهذا تهديد لهم أي ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم لأجل كفرهم، وقيل: الضمير للمدائن، فالمعنى ليست ببعيدة منهم أفلا يعتبرون بها كقوله: وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** [الفرقان: ٤٠] وقيل: إن الظالمين على العموم إِنِّي أَراكُمْ بِخَيْرٍ يعني رخص الأسعار وكثرة الأرزاق عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ يوم القيامة أو يوم عذابهم في الدنيا بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ أي ما أبقاه الله لكم من رزقه ونعمته،

أَصَلاتُكَ «٢» تَأْمُرُكَ الصلاة هي المعروفة ونسب الأمر إليها مجاز كقوله:

---

(١) . قرأ ابن كثير وأبو عمرو: امرأتك بالرفع وقرأ الباقون بالنصب.

(٢) . أصلاتك هي قراءة حمزة والكسائي وحفص، وقرأ الباقون: أصلواتك.." (١)

"وفي الكلام حذف تقديره: فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم كَذَّبُوا الرُّسُلَ تأويله كما ذكر في قوله في هود فعصوا رسله وَأَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ يحتمل أن يريد بالظالمين من تقدم ووضع هذا الاسم الظاهر موضع المضمر لقصد وصفهم بالظلم، أو يريد الظالمين على العموم وَأَصْحابَ الرَّسِّ معنى الرس في اللغة: البئر، واختلف في أصحاب الرس: فقيل هم من بقية ثمود وقيل: من أهل اليمامة، وقيل من أهل أنطاكية، وهم أصحاب يس، واختلف في قصتهم فقيل بعث الله إليهم نبيا فرموه في بئر فأهلكهم الله، وقيل: كانوا حول بئر لهم فانهارت بهم فهلكوا وَقُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً يقتضي التكثير والإبهام، والإشارة بذلك إلى المذكور قبل من الأمم ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ أي بينا له تَبَّرْنا أي أهلكنا وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الضمير في أتوا لقريش وغيرهم من الكفار، والقرية قرية قوم لوط، **ومطر السوء** الحجارة ثم سألهم على رؤيتهم لها لأنها في طريقهم إلى الشام، ثم أخبر أن سبب عدم اعتبارهم بها كفرهم بالنشور. ويَرْجُونَ كقوله: يَرْجُونَ لِقاءَنا، وقد ذكر أَهذَا الَّذِي حكاية قولهم على وجه الاستهزاء، فالجملة في موضع مفعول لقول محذوف يدل عليه هذا، وقوله «إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا» استئناف جملة أخرى وتم كلامهم، واستأنف كلام الله تعالى في قوله «وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» الآية على وجه التهديد لهم اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أي أطاع هواه حتى صار كأنه له إله بَلْ هُمْ أَضَلُّ لأن الأنعام ليس لها عقول، وهؤلاء لهم عقول ضيعوها، ولأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها، وهؤلاء يتركون أنفع الأشياء وهو الثواب، ولا يخافون أضرّ الأشياء وهو العقاب.

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٣٧٦/١

أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ أي إلى صنع ربك وقدرته مَدَّ الظِّلَّ قيل: مدّة من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأن الظل حينئذ على الأرض كلها. واعترضه ابن عطية لأن ذلك الوقت من الليل، ولا يقال ظل بالليل، واختار أن مدّ الظل من الإسفار إلى طلوع الشمس وبعد مغيبها بيسير، وقيل: معنى مد الظل أي جعله يمتدّ وينبسط وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً أي ثابتا غير زائل لكنه جعله يزول بالشمس، وقيل: معنى ساكن غير منبسط على الأرض، بل يلتصق بأصل الحائط والشجرة ونحوها ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا قيل:

معناه أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها، في سيرها على الظل متى يتسع ومتى ينقبض،." (١)

"يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ» .

وَهَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ. وَقِيلَ: هُوَ مَجَازٌ لِلذِّلَّةِ الْمُفْرِطَةِ وَالْهَوَانِ وَالْخِزْيِ. وَقِيلَ: هُوَ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ مَرَّ فُلَانٌ عَلَى وَجْهِهِ إِذَا لَمْ يَدْرِ أَيْنَ ذَهَبَ. وَيُقَالُ: مَضَى عَلَى وَجْهِهِ إِذَا أسرع متوجها لقصده وشَرٌّ وأَضَلُّ ليسيا عَلَى بَابِهِمَا مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى التَّفْضِيلِ. وَقَوْلُهُ شَرٌّ مَكاناً أَيْ مُسْتَقَرًّا وَهُوَ مُقَابِلٌ لِقَوْلِهِ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِالْمَكَانِ الْمَكَانَةُ وَالشَّرَفُ لَا الْمُسْتَقَرُّ.

وَأَعْرَبُوا الَّذِينَ مُبْتَدَأً وَالْجُمْلَةَ مِنْ أُوْلئِكَ فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ وَيَجُوزُ عِنْدِي أَنْ يَكُونَ الَّذِينَ خَبَرَ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ لَمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُ الْكَافِرِينَ وَمَا قَالُوا قَالَ إِبْعَادًا لَهُمْ وَتَسْمِيعًا بِمَا يؤول إِلَيْهِ حَالُهُمْ هُمُ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ ثُمَّ اسْتَأْنَفَ إِخْبَارًا أَخْبَرَ عَنْهُمْ فَقَالَ أُوْلئِكَ شَرٌّ مَكاناً

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٣٥ الى ٤٤]

وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَجَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَدَمَّرْناهُمْ تَدْمِيراً (٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ وَجَعَلْناهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ عَذاباً أَلِيماً (٣٧) وَعاداً وَثَمُودَ وَأَصْحابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً (٣٨) وَكُلاًّ ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنا تَتْبِيراً (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً (٤٠) وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً (٤١) إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْلا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٤)

لَمَّا تَقَدَّمَ تَكْذِيبُ قُرَيْشٍ وَالْكُفَّارِ لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ تَعَالَى مَا فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلرَّسُولِ

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/٨٣

وَإِرْهَابٌ لِلْمُكَذِّبِينَ وَتَذْكِيرٌ لَهُمْ أَنْ يُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَ الْأُمَمَ السَّابِقَةَ مِنْ هَلَاكِ الِاسْتِئْصَالِ لِمَّا كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ، فَنَاسَبَ أَنْ ذَكَرَ أَوَّلًا مَنْ نَزَلَ عَلَيْهِ كِتَابُهُ جُمْلَةً وَاحِدَةً وَمَعَ ذَلِكَ." (١)

"وَهَذَا مِنْ وَاضِحِ الْإِعْرَابِ. وَمَعْنَى ضَرَبَ الْأَمْثَالَ أَيْ بَيَّنَ لَهُمُ الْقِصَصَ الْعَجِيبَةَ مِنْ قَصَصِ الْأَوَّلِينَ وَوَصَفْنَا لَهُمْ مَا أَدَّى إِلَيْهِ تَكْذِيبُهُمْ بِأَنْبِيَائِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَتَدْمِيرِهِ إِيَّاهُمْ لِيَهْتَدُوا بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ فَلَمْ يَهْتَدُوا وَأَبْعَدَ مَنْ جَعَلَ الضَّمِيرَ فِي لَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَالْمَعْنَى وَكُلَّ الْأَمْثَالِ ضَرَبْنَا لِلرَّسُولِ وَعَلَى هَذَا وكُلًّا منصوب بضربنا والأَمْثال بَدَلٌ مِنْ كُلًّا. وَالضَّمِيرُ فِي وَلَقَدْ أَتَوْا لِقُرَيْشٍ كَانُوا يَمُرُّونَ عَلَى سَدُومَ مِنْ قُرَى قَوْمِ لُوطٍ فِي مَتَاجِرِهِمْ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَتْ قُرَى خَمْسَةً أَهْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا أَرْبَعًا وَبَقِيَتْ وَاحِدَةٌ وَهِيَ زُغَرُ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهَا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ الْعَمَلَ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَطَرَ السَّوْءِ الْحِجَارَةُ الَّتِي أُمْطِرَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ فَهَلَكُوا.

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُنَادِي نَصِيحَةً لَكُمْ: يَا سَدُومُ يَوْمٌ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْهَاكُمْ أَنْ تَتَعَرَّضُوا لِلْعُقُوبَةِ مِنَ اللَّهِ

، وَمَعْنَى أَتَوْا مَرُّوا فَلِذَلِكَ عَدَّاهُ بِعَلَى. وَأَفْرَدَ لَفْظَ الْقَرْيَةِ وَإِنْ كَانَتْ قُرَى لِأَنَّ سَدُومَ هِيَ أُمُّ تِلْكَ الْقُرَى وَأَعْظَمُهَا.

وَقَالَ مَكِّيٌّ: الضَّمِيرُ فِي أَتَوْا عَائِدٌ عَلَى الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا انْتَهَى. وَهُمْ قُرَيْشٌ وَانْتَصَبَ مَطَرَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَانٍ لِأُمْطِرَتْ عَلَى مَعْنَى أُولِيَتْ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ مَحْذُوفُ الزَّوَائِدِ أَيْ إِمْطَارَ السَّوْءِ. أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها أَيْ يَنْظُرُونَ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْعِبَرِ وَالْآثَارِ الدَّالَّةِ عَلَى مَا حَلَّ بِهَا مِنَ النِّقَمِ كَمَا قَالَ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ

«١» . وَقَالَ وَإِنَّهُما لَبِإِمامٍ مُبِينٍ «٢» وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ التَّعَجُّبُ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَعْتَبِرُوا بِرُؤْيَتِهَا أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مَا حَلَّ بِأُولَئِكَ، بَلْ كَانُوا كَفَرَةً لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ فَلَمْ يَتَوَقَّعُوا عَذَابَ الْآخِرَةِ وَضَعَ الرَّجَاءَ مَوْضِعَ التوقع لأنه إنما بتوقع الْعَاقِبَةَ مَنْ يُؤْمِنُ، فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَنْظُرُوا وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا وَمَرُّوا بِهَا كَمَا مَرَّتْ رِكَابُهُمْ، أَوْ لَا يَأْمُلُونَ نُشُوراً كَمَا يَأْمُلُهُ الْمُؤْمِنُونَ لِطَمَعِهِمْ إِلَى ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ أَوْ لَا يَخَافُونَ عَلَى اللُّغَةِ التِّهَامِيَّةِ. وَقَرَأَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ مصرت ثلاثي مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ وَمَطَرَ مُتَعَدٍّ. قَالَ الشَّاعِرُ:

كَمَنْ بَوَادِيهِ بَعْدَ الْمَحْلِ مَمْطُورِ وَقَرَأَ أَبُو السِّمَاكِ مُطْرَ السَّوْءِ بِضَمِّ السِّينِ.

وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً لَمْ يَقْتَصِرِ الْمُشْرِكُونَ عَلَى إِنْكَارِ نُبُوَّةَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَتَرْكِ

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٠٥/٨

الْإِيمَانِ بِهِ، بَلْ زَادُوا عَلَى ذَلِكَ بِالِاسْتِهْزَاءِ وَالِاحْتِقَارِ. حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا وإِنْ نَافِيَةٌ جَوَابُ إِذا وَانْفَرَدَتْ إِذا

---

(١) سورة الصافات: ٣٧/ ١٣٧.

(٢) سورة الحجر: ١٥/ ٧٩.." (١)

"قوله: ﴿مَطَرَ السوء﴾ : فيه ثلاثةُ أوجهٍ، أحدها: أنه مصدرٌ على حَذْفِ الزوائدِ أي: إمْطار السَّوْء. الثاني: أنه مفعولٌ ثانٍ؛ إذ المعنى: أعطيتُها وأَوْلَيْتُها **مطرَ السَّوْء**. الثالث: أنه نعتُ مصدرٍ محذوفٍ أي: إمطاراً مثلَ **مطرِ السَّوْء**.

وقرأ: زيد بن علي «مُطِرَت» ثلاثياً مبنياً للمفعولِ و «مَطَرَ» متعدٍ قال:

٣٤٨٥ -. . . . . كَمَنْ بِوادِيْه بعد المَحْلِ مَمْطورِ

وقرأ أبو السَّمَّال **«مَطَرَ السُّوء»** . بضم السين. وقد تقدَّم الكلامُ على السُّوء والسَّوْء في براءة.." (٢)

"اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، أَعْظَمُ نَبِيٍّ أَرْسَلَهُ اللَّهُ وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْقُرْآنِ الصِّفَتَيْنِ مَعًا، فَفِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى أُنْزِلَ جُمْلَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا (١) ثُمَّ نُزِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْأَرْضِ مُنَجَّمًا بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا دَاوُدَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي عِشْرِينَ سَنَةً، قَالَ: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ، وَقَوْلُهُ ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنزلْنَاهُ تَنزيلا﴾ [الْإِسْرَاءِ: ١٠٦] (٢) .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ سُوءِ حَالِ الْكُفَّارِ فِي مَعَادِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَحَشْرِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ، فِي أَسْوَأِ الْحَالَاتِ وَأَقْبَحِ الصِّفَاتِ: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾ ، وَفِي الصَّحِيحِ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: "إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ قَادِرٌ أَنْ يُمشيَه عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٣) وَهَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، [وَاللَّهُ أَعْلَمُ] (٤) .

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٨/١٠٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٨/٤٨٤

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلا ضَرَبْنَا لَهُ الأمْثَالَ وَكُلا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا (٤٠) ﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا مَنْ كَذَّبَ رسولَه مُحَمَّدًا، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِ وَمَنْ خَالَفَهُ (٥) ، وَمُحَذِّرَهُمْ مِنْ عِقابِهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ، مِمَّا أَحَلَّهُ بِالْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ الْمُكَذِّبِينَ لِرُسُلِهِ، فَبَدَأَ بِذِكْرِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّهُ ابْتَعَثَهُ وَجَعَلَ مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا، أَيْ: نَبِيًّا مُوَازِرا وَمُؤَيِّدًا وَنَاصِرًا، فَكَذَّبَهُمَا فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، فَ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [مُحَمَّدٍ: ١٠] .، وَكَذَلِكَ فعلَ بِقَوْمِ نُوحٍ حِينَ كَذَّبُوا رَسُولَهُ نُوحًا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَنْ كَذَّبَ بِرَسُولٍ فَقَدْ كَذَّبَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ؛ إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ رَسُولٍ وَرَسُولٍ، وَلَوْ فُرِضَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ كُلَّ رَسُولٍ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُكَذِّبُونَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ ، وَلَمْ يُبْعَثْ إِلَيْهِمْ إِلَّا نُوحٌ فَقَطْ، وَقَدْ لَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيُحَذِّرُهُمْ نقمه، فَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ. وَلِهَذَا أَغْرَقَهُمُ الله

---

(١) في أ: "من السماء الدنيا".

(٢) النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٧٢) .

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٧٦٠) وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٦) .

(٤) زيادة من ف.

(٥) في ف، أ: "خالفهم".." (١)

"فَكَانَ نَبِيُّهُمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْأَسْوَدِ: مَا فَعَلَ؟ فَيَقُولُونَ لَهُ: لَا نَدْرِي. حَتَّى قَبَضَ اللَّهُ النَّبِيَّ، وَأهبّ الأسودَ مِنْ نَوْمَتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ ذَلِكَ الأسودَ لأولُ مَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ".

وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ (١) عَنِ ابْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ سَلَمَةَ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ مُرْسَلًا. وَفِيهِ غَرَابَةٌ ونكارَةٌ، وَلَعَلَّ فِيهِ إِدْرَاجاً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَأَمَّا ابْنُ جَرِيرٍ فَقَالَ: لَا يَجُوزُ أَنْ يُحْمَلَ هَؤُلَاءِ عَلَى أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الرَّسِّ الَّذِينَ ذُكِرُوا فِي الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُ أَهْلَكَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ قَدْ بَدَا لَهُمْ فَآمَنُوا بِنَبِيِّهِمْ، اللَّهُمَّ إِلا

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦/١١٠

أَنْ يَكُونَ حَدَثَ لَهُمْ أَحْدَاثٌ، آمَنُوا بِالنَّبِيِّ بَعْدَ هَلَاكِ آبَائِهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِأَصْحَابِ الرَّسِّ هُمْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، الَّذِينَ ذُكِرُوا فِي سُورَةِ الْبُرُوجِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ أَيْ: وَأُمَمًا بَيْنَ أَضْعَافِ مَنْ ذُكر أَهْلَكْنَاهُمْ كَثِيرَةً؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَكُلا ضَرَبْنَا لَهُ الأمْثَالَ﴾ أَيْ: بَيَّنَّا لَهُمُ الْحُجَجَ، ووضَّحنا لَهُمُ الْأَدِلَّةَ -كَمَا قَالَ قَتَادَةُ: أَزَحْنَا (٢) عَنْهُمُ الْأَعْذَارَ - ﴿وَكُلا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ أَيْ: أَهْلَكْنَا إِهْلَاكًا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الْإِسْرَاءِ: ١٧] .

وَالْقَرْنُ: هُوَ الْأُمَّةُ مِنَ النَّاسِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٣١] وحدَّه بَعْضُهُمْ (٣) بِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَقِيلَ: بِمِائَةِ سَنَةٍ. وَقِيلَ: بِثَمَانِينَ سَنَةً. وَقِيلَ: أَرْبَعِينَ. وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. وَالْأَظْهَرُ: أَنَّ الْقَرْنَ هُمُ الْأُمَّةُ الْمُتَعَاصِرُونَ فِي الزَّمَنِ الْوَاحِدِ؛ فَإِذَا ذَهَبُوا وَخَلَفَهُمْ جِيلٌ آخَرُ فَهُمْ قَرْنٌ ثَانٍ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ" الْحَدِيثَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ**﴾ يَعْنِي: قَوْمَ لُوطٍ، وَهِيَ **سَدُومُ** وَمُعَامَلَتُهَا الَّتِي أَهْلَكَهَا اللَّهُ بِالْقَلْبِ، وَبِالْمَطَرِ الْحِجَارَةِ مِنْ سِجِّيلٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ١٧٣] وَقَالَ ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧ -١٣٨] وقال تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾ [الْحِجْرِ:٧٦] وَقَالَ ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [الْحِجْرِ: ٧٩] ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ أَيْ: فَيَعْتَبِرُوا بِمَا حَلّ بِأَهْلِهَا مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ بِالرَّسُولِ وَمُخَالَفَتِهِمْ أَوَامِرَ اللَّهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ يَعْنِي: الْمَارِّينَ بِهَا مِنَ الْكُفَّارِ لَا يَعْتَبِرُونَ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا، أَيْ: مَعَادًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولا (٤١) إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلا (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا (٤٣) ﴾

---

(١) تفسير الطبري: ١٩/١٠.

(٢) في أ: "وأزحنا".

(٣) في ف، أ: "بعض المفسرين".." [1]

"قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى القرية التي أُمْطِرَتْ (مَطَرَ السوء) ﴾ الآية. أراد بالقرية قريات لوط، وكانت خمس قرى، فأهلك الله منها أربعاً ونجت واحدة، وهي (صقر) كان أهلها لا يعملون العمل الخبيث. يعني أن قريشاً مَرُّوا مُرُوراً كثيراً إلى الشام على تلك القرى، ﴿التي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السوء﴾ أي: أهلكت بالحجارة من السماء، ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ في مرورهم وينظروا إلى آثار عذاب الله ونكاله فيعتبروا ويتذكروا.

قوله: «مَطَرَ السَّوْءِ» فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه مصدر على حذف الزوائد أي: أمطار السوء.

الثاني: أنه مفعول ثان؛ إذ المعنى: أعطيتها وأوليتها مطر السوء.

الثالث: أنه نعت مصدر محذوف، أي: أمطاراً مثل مطر السوء وقرأ زيد بن عليّ «مُطِرَتْ» ثلاثياً مبنياً (للمفعول) ، ومطر متعد قال:

٣٨٧٥ - كَمَنْ بِوَادِيهِ بَعْدَ المَحْلِ مَمْطُورُ ...." [2]

"وقرأ أبو السمال «مطر السُّوء» بضم السين، وتقدم الكلام على السوء والسوء في براءة. وقوله: ﴿أَتَوْا عَلَى القرية﴾ إنما عُدِّي (أتى) ب (على) ، لأنه ضُمِّن معنى مرَّ.

قوله: ﴿بَلْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً﴾ في هذا الرجاء ثلاثة أوجه:

أقواها ما قاله القاضي: وهو أنه محمول على حقيقة الرجاء؛ لأن الإنسان لا يحتمل متاعب التكليف إلا رجاء ثواب الآخرة، فإذا لم يؤمن بالآخرة لم يَرْجُ ثوابها فلا يتحمل تلك المشاق.

وثانيها: معناه لا يتوقعون نشورا، فوضع الرجاء موضع التوقُّع؛ لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن.

وثالثها: معناه: (لا يخافون) على اللغة التهامية. وهو ضعيف.

قوله: «وإذَا رَأَوْكَ» الآية. لما بين مبالغة المشركين في إنكار نبوته بإيراد الشبهات بين بعد ذلك أنهم إذا رأوا الرسول اتخذوه هزواً، ولم يقتصروا على ترك الإيمان به بل زادوا عليه بالاستهزاء والاستحقار، ويقول بعضهم لبعض: ﴿أهذا الذي بَعَثَ الله رَسُولاً﴾ .

قوله: «إِنْ يَتَّخِذُونَكَ» «إِنْ» الأولى نافية، والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما، و «هُزُوًّا

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦/١١٢

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٤/٥٣٥

مفعول ثان، ويحتمل أن يكون التقدير: موضع هُزْءٍ وأن يكون مهزوءاً بك. وهذه الجملة المنفية تحتمل وجهين:

أحدهما: أنها جواب (إذا) الشرطية، واختصت (إذا) بأن جوابها متى كان منفياً ب (ما) أو (إن) أو (لا) لا تحتاج إلى الفاء بخلاف غيرها من أدوات الشرط فعلى هذا يكون قوله:» أَهَذَا الَّذي «في محل نصب بالقول المضمر، وذلك القول المضمر في محل نصب على الحال، أي: إن يتخذونك قائلين ذلك.." (١)

"قد قَدَّرَهَا وَقَدَّرَ نزوله فيها، وأَنَّ هؤلاءِ الكفرة لا يجيئون بمثل يضربونه على جهة المعارضة منهم إلاَّ جاء القرآن بالحَقِّ في ذلك والجلية، ثم هو أحسن تفسيراً، وأفصح بياناً، وباقي الآية بَيِّنٌ تقدم تفسير نظيره، والجمهور: أَنَّ هذا المشي على الوجوه حقيقة، وقد جاء ٤٤ أكذلك في الحديث، وقد تقدَّمَ، ولفظ البخاريِّ عن أنس [رضي الله عنه] : / أَنَّ رَجُلاً قَالَ:

يَا نَبِيَّ الله، أَيُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قال: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ في الدُّنْيَا قَادِراً عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» «١» قال قتادة: بلى وعزّة ربّنا، انتهى.

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٣٥ الى ٤٤]

وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَجَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَدَمَّرْناهُمْ تَدْمِيراً (٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ وَجَعَلْناهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ عَذاباً أَلِيماً (٣٧) وَعاداً وَثَمُودَ وَأَصْحابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً (٣٨) وَكُلاًّ ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنا تَتْبِيراً (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً (٤٠) وَإِذا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً (٤١) إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْلا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٤)

وقوله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ ... الآيات تنبيه لكفار قريشٍ، وَتَوَعُّدٌ أَنْ يَحِلَّ بِهِم ما حَلَّ بهؤلاء المُعَذَّبين قال قتادة «٢» : أصحاب الرَّسِّ، وأَصحابُ الأَيْكَةِ: قومانِ أُرْسِلَ إليهما شُعَيْبٌ، وقاله وهب «٣» بن منبه، وقيل غير هذا.

وقوله تعالى: وَقُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً إبهام لاَ يَعْلَمُ حقيقتَه إلاَّ الله عز وجل، والتَّبَارُ: الهلاك، والقرية التي

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٣٦/١٤

أُمْطِرَت **مَطَرَ السوء** هي: «سدُوم» مدينة قوم لوط، وما لم نذكر تفسيره قد تقدم بيانه للفاهم المتيقظ، ثم ذكر سبحانه أَنَّهُم إذا رأوا محمداً عليه السلام قالوا على جهة الاستهزاء: أَهذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا.

قال ص: إِنْ يَتَّخِذُونَكَ [إنْ] «٤» نافية، جوابُ «إذا» ، انتهى، ثم آنس الله تعالى نبيّه بقوله: أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ ... الآية، المعنى: لا تتأسف عليهم،

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٢١٠) ، والسيوطي (٥/ ١٢٩) ، وعزاه لابن عساكر.

(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٢١١) .

(٤) سقط في ج.." (١)

"تَفْسِيرًا): بيانًا وكشفًا في جواب اعتراضهم، وهذا أيضًا من علل جهة إنزاله مفرقًا، (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ): مرفوع بالذم أو بدل من ضمير يأتونك، أو مبتدأ خبره أولئك وعلى أي وجه ففيه بيان أنَّهم يضربون لك الأمثال، ويحقرونك، ولا يدرون أنَّهم على تلك الفضيحة، وفي الصحيح أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ فقال: " إن من أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على جهه يوم القيامة "، (أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا): منزلاً أو منزلة، (وَأَضَلُّ سَبِيلًا)، نسب الضلال إلى السبيل، وهو لهم فيها للمبالغة مجازًا.

* * *

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (٤٠) وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولًا (٤١) إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ." (٢)

"فمن قائل عباد الأصنام كانوا حول بئر فخسف بهم، والرس البئر الغير المطوية، أو قوم دفنوا ودسوا نبيهم في بئر أو أصحاب [يس]، أو أصحاب الأخدود، أو قرى من اليمامة، (وَقُرُونًا)، أهل أعصار، (بَيْنَ

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/٢١٠

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣/١٥٥

ذَلِكَ): الذين ذكرناهم، (كَثِيرًا وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ)،: في إقامة الحجة عليهم وأنذرناهم من وقائع أسلافهم فلم يعتبروا، نصب (كُلًّا) بما دل عليه ضربنا إلخ مثل أنذرنا، (وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا)، أي: كسرناهم وفتتناهم، (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ)**، أي: مر قريش في طريق الشام بقرى قوم لوط التي أمطرت عليها الحجارة، (أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا)، فيتعظوا بما يرون من آثار العذاب مع أنَّهم مروا عليها مراراً، (بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا): لا يخافونه أو لا يأملونه فلهذا لم يعتبروا (وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا): مهزوءاً به أو موضع هزء، (أَهَذَا الَّذِي)، أي: يقولون أهذا الذي، والإشارة للاستحقار، (بَعَثَ اللهُ رَسُولًا)،: قالوه تهكمًا، (إِنْ كَادَ)، مخففة من المثقلة، (لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا): شارفنا أن نترك ديننا لفرط اجتهاده في تقوية دينه وإبطال دين غيره، ويصرفنا عن عبادتها، (لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا): استمسكنا بعبادتها وثبتنا عليها، وجوابه ما دل عليه قبله، (وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا): جواب عن قولهم إن كاد ليضلنا،." (١)

"﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ جملةٌ مستأنفةٌ مَسوقةٌ لبيانِ مشاهدتهم لآثارِ هلاك بعض الأُمم المتبَّرةِ وعدم اتِّعاظِهم بها وتصديرُها بالقسم لمزيدِ تقريرِ مضمونِها أي وبالله لقد أتى قُريشٌ في متاجرهم إلى الشَّامِ ﴿عَلَى القرية التى أُمْطِرَتْ﴾ أي أُهلكت بالحجارة وهي قُرى قومِ لوطٍ وكانت خمسَ قُرى ما نجتْ منها إلاَّ واحدةٌ كان أهلُها لا يعملون العملَ الخبيثَ وأمَّا البواقي فأهلكها الله تعالى بالحجارةِ وهي المرادة بقول تعالى **﴿مَطَرَ السوء﴾** وانتصابُه إمَّا على أنَّه مصدرٌ مؤكِّدٌ بحذف الزَّوائد كما قيل في أنبتَه الله تعالى نباتاً حسنَاً أي إمطارَ السَّوءِ أو على تركهم بعلَّةِ الحُكمِ ﴿لَوْلاَ نُزّلَ عليه القرآن﴾ التَّنزيلُ هَهُنا مجرَّدٌ عن مَعْنى التَّدريجِ كما في قوله تعالى يسألك الآمالِ التي هي إنجاءُ بني إسرائيل التَّذكر عند مُشاهدة ما يُوجبه والهمزة لإنكار نفي استمرار رؤيتِهم لها وتقريرِ استمرارِها حسب استمرارِ ما يُوجبها من إتيانِهم عليها لا لإنكارِ استمرارِ نفي رؤيتِهم وتقريرِ رؤيتِهم لها في الجُملةِ والفاءُ لعطفِ مدخولِها على مقدَّرٍ يقتضيه المقامُ أي ألم يكونوا ينظرون إليها فلم يكونوا يَرونها أو أكانُوا ينظرون إليها فلم يكونُوا يَرونها في مرارِ مرورِهم ليتَّعظِوا بما كانُوا يُشاهدونَهُ من آثارِ العذابِ فالمنكر في الأوَّلِ تركُ النَّظرِ وعدمُ النظر الرُّؤيةِ معاً وفي الثَّاني عدمُ الرُّؤيةِ مع تحقُّقِ النَّظرِ الموجبِ لها وقوله تعالى ﴿بَلْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً﴾ إما إضرابٌ عمَّا قبلَه من عدمِ رؤيتِهم لآثار ما جَرى على أهلِ القُرى من العقوبة وبيان لكون وعدم اتِّعاظِهم بسبب إنكارِهم لكون ذلك عقوبة." (٢)

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ١٥٧/٣

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢١٩/٦

"وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ «١» . وقيل: الظالمين على العموم. هـ. وقال البيضاوي: وعنه- عليه الصلاة والسلام: «أَنَّهُ سَأَلَ جِبريل، فَقَال: يَعني: ظَالِمي أُمتِكَ، مَا مِنْ ظَالِمٍ منهم إلاَّ وهو معرض لحجر يسقط عليه مَنْ سَاعَةٍ» إلى ساعة» «٢» . هـ.

الإشارة: الاعتناء بشأن الأضياف، وحفظ حرمتهم: من شأن الكرام، والاستخفاف بحقهم، والتجاسر عليهم، من فعل اللئام. وفي الحديث: «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَليُكرمْ ضَيفَهُ» . والإسراع إلى الفواحش من علامة الهلاك، لا سيما اللواطَ والسفاح. والإيواء إلى الله والاعتصام به من علامة الفلاح، والبعد عن ساحة أهل الفساد من شيم أهل الصلاح، وكل من اشتغل بالظلم والفساد فالرمي بالحجارة إليه بالمرصاد.

ثم ذكر قصة شعيب، فقال:

[سورة هود (١١) : الآيات ٨٤ الى ٨٦]

وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ إِنِّي أَراكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (٨٤) وَيا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (٨٦)

قلت: «مفسدين» : حال مؤكده لمعنى عاملها، وهو: «لا تعثوا» . وفائدة ذكره: إخراج ما يقصد به الإصلاح، كما فعله الخضر عليه السلام.

يقول الحق جلّ جلاله: وَأرسلنا إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً، أراد أولاد مدين بن إبراهيم عليه السلام أو أهل مدين، وهي بلدهُ، فسميت باسمه، قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وحده ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ، وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ، وكانوا مطففين. أمرهم أولاً بالتوحيد فإنه رأس الأمر، ثم نهاهم عما اعتادوه من: البخس المنافي للعدل، المخل بحكمة المعاوضة، ثم قال لهم: إِنِّي أَراكُمْ بِخَيْرٍ بسعة كرخص الأسعار، وكثرة الأرزاق، فينبغي أن تشكروا عليها، وتتعففوا بها عن البخس، لا أن تنقضوا الناس حقوقهم، أو بسعة ونعمة، فلا

(١) من الآية: ٤٠ من سورة الفرقان.

(٢) عزاه فى الفتح السماوي (٢/ ٧٢١) للثعلبى مرفوعا، بغير إسناد.." (١)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٤٨/٢

"يقول الحق جلّ جلاله: وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ أُنزل عليه جملة، ومع ذلك كفروا وكذبوا به، كما قال تعالى: أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسى مِنْ قَبْلُ «١» ، فكذلك هؤلاء، لو نزل جملة، كما اقترحوا، لكفروا وكذبوا كما كذَّب أولئك. وَجَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً، فأخاه: مفعول أول لجعل، و (وزيراً) : مفعول ثان، أي: جعلنا معه أخاه مقوياً ومعيناً. والوزير: من يُرجع إليه ويُتَحَصَّنُ برأيه، من الوزَر، وهو الملجأ. والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يُبعث في الزمن الواحد أنبياء، ويُؤمرون أن يوازر بعضهم بعضاً.، أو: يكون وزيراً أول مرة ورسولاً ثانياً.

فَقُلْنَا اذْهَبا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أي: فرعون وقومه. والمراد بالآيات: التسع الظاهرة على يد موس عليه السلام، ولم يتصف القوم بالتكذيب عند إرسالها إليهم ضرورة لتأخير تكذيب الآي ا ت عن إظهارها المتأخر عن إرسالها، بل إنما وُصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بياناً لعلة استحقاقهم، لما حكي بعده من التدمير.

أي: فذهبا إليهم فأرياهم آياتنا كلها، فكذبوهما تكذيباً مستمراً، فَدَمَّرْناهُمْ إثر ذلك تَدْمِيراً عجيباً هائلاً، لا يُقادر قدره، ولا يدرك كنهه. فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود. انظر أبا السعود.

الإشارة: أعباء الرسالة والولاية لا تحمل ولا تظهر إلا بمُعين. قال تعالى: وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى «٢» ، ولا بد لصاحب الخصوصية من إخوان يستعين بهم على ذكر الله، ويستظهر بهم على إظهار طريقة الله. فإن وُجد وَليّ لا إخوان له، ولا أولاد، فلا يكون إلا غالباً عليه القبض، مائلاً لجهة الجذب، فيقل الانتفاع به، ولا تحصل التوسعة للوَلي إلا بكثرة الأصحاب والإخوان، يعالجهم ويصبر على جفاهم، حتى يتسع صدره وتتسع معرفته. وبالله التوفيق.

ثم سلّى نبيه بما جرى على الأمم قبله، فقال:

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٣٧ الى ٤٠]

وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ وَجَعَلْناهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ عَذاباً أَلِيماً (٣٧) وَعاداً وَثَمُودَ وَأَصْحابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً (٣٨) وَكُلاًّ ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنا تَتْبِيراً (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً (٤٠)

---

(١) من الآية ٤٨ من سورة القصص.

(٢) من الآية ٢ من سورة المائدة.." [1]

"قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن أول الناس مِمَّنْ يدخل الجنة عبد أسود، وذلك إن الله تعالى بَعَثَ نَبِياً إلى قَرْيَةٍ، فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ إلا ذلِكَ الأَسْوَد، فحَفَرَ أَهْلُ القَرْيَةِ بِئْراً وأَلْقوا فِيها نبيهم، وأطْبقُوا عَلَيْهَا بحَجر ضخْم، فكَانَ العَبْدُ يَحْتَطِب على ظهره، ويبيعه، ويأتيه بطعامه، فيعينه الله تعالى على رفع تلك الصخرة حتى يُدليه إليْهِ. فبينما هو يحْتَطِبُ ذَات يَوْمٍ إذ نام، فَضَرَبَ على أذنهِ سَبْعَ سِنينَ، ثم جاء بطَعَامه إلى البئر فلم يَجِده. وكان قومُه قد بدا لهم فاسْتَخْرجُوه وآمَنُوا بِهِ، ومات ذلك النبي، فقال- عليه الصلاة والسلام: «إنَّ ذَلِكَ الأَسْوَدَ لأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّة» «١» ، يعني: من قومه. هـ. وهؤلاء آمنوا فلا يصح حمل الآية عليها، إلا أن يكونوا أحدثوا شيئاً بعد نبيهم، فدمرهم الله.

وقال جعفر بن محمد عن أبيه: أن أصحاب الرسّ: السحّاقات، قال أنس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنَّ مِنْ أَشْراطِ السَّاعَةِ أن يستكفي الرجالُ بالرجالِ، والنساءُ بالنساءِ» «٢» ، وذلك السحاق، ويقال له أيضاً: المساحقة، وهو حرام بالإجماع. وسبب ظهوره: أن قوماً أحدثوا فاحشة اللواط، حتى استغنوا عن النساء، فبقيت النساء معطلة، فجاءتهن شيطانة في صورة إمرأة، وهي الوَلِهات بنت إبليس، فشهَّت إلى النساء ركوب بعضهن بعضاً، وعلمتهن كيف يصنعن ذلك، فسلط عليهم صاعقة من أول الليل، وخسفاً من آخر الليل، وصيحة مع الشمس، فلم يبق منهم بقية. هـ.

وَقُرُوناً أي: دمرنا أهل قرون. والقرن: سبعون سنة، وقيل: أقل، وقيل: أكثر، بَيْنَ ذلِكَ أي: بين ذلك المذكور من الأمم والطوائف، كَثِيراً، لا يعلم عددها إلا العليمُ الخبير، وَكُلًّا من الأمم المذكورين قد ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ أي: بيَّنا له القصص العجيبة، الزاجرة عماهم عليه من الكفر والمعاصي، بواسطة الرسل. وقيل: المراد: تبيين ما وقع لهم، ووصف ما أدى إليه تكذيبهم لأنبيائِهِمْ، من عذاب الله وتدميره إياهم، ليكون عبرة لمن بعدهم، وَكُلًّا أي: وكل واحد منهم تَبَّرْنا تَتْبِيراً أي: أهلكنا إهلاكاً عجيباً. والتتبير:

التفتيت. قال الزجاج: كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته.

ثم بيّن بعض آثار الأمم المُتَبَّرَةِ، فقال: وَلَقَدْ أَتَوْا يعني: أهل مكة عَلَى الْقَرْيَةِ، وهي سدوم، وهي أعظم قرى قوم لوط، وكانت خمساً، أهلك الله أربعاً، وبقيت واحدة، كان أهلها لا يعملون الخبيث، وأما البواقي فأهلكها بالحجارة، وإليه أشار بقوله: الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أي: أمطر الله عليها الحجارة. والمعنى:

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٩٩

والله لقد أتى قريش في متاجرهم إلى الشام على القرية التي أهلكها الله، وبقي آثارها خاربة، أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَها

---

(١) أخرجه الطبري فى التفسير (١٩١/ ١٤) عن محمد بن كعب القرطبي، وانظر تفسير ابن كثير (٣/ ٣١٨) .

(٢) أخرجه الطبراني فى المعجم الكبير (١٠/ ٢٨٢ ح ١٠٥٥٦) مطولا من حديث ابن مسعود رضى الله عنه وفيه: «يا ابن مسعود إن أعلام الساعة وأشراطها..» الحديث. قال فى مجمع الزوائد ٧/ ٣٢٣. رواه الطبراني فى الأوسط. وفيه: سيف بن مسكين، وهو ضعيف.." [١]

"وَقَوْلُهُ هُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ: وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ [٧ \ ٨٤] .

لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا هَذَا الْمَطَرَ مَا هُوَ، وَلَكِنَّهُ بَيَّنَ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ أَنَّهُ مَطَرُ حِجَارَةٍ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِهَا كَقَوْلِهِ: وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ [١٥ \ ٧٤] ، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ السِّجِّيلَ الطِّينُ بِقَوْلِهِ فِي «الذَّارِيَاتِ» : لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ [٥١ \ ٣٣] ،، وَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا الْمَطَرَ مَطَرُ سُوءٍ لَا رَحْمَةٍ بِقَوْلِهِ: وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ [٢٥ \ ٤٠] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي «الشُّعَرَاءِ» : وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ [١٧٣] .

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا.

الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: وَتَبْغُونَهَا رَاجِعٌ إِلَى السَّبِيلِ وَهُوَ نَصٌّ قُرْآنِيٌّ عَلَى أَنَّ السَّبِيلَ مُؤَنَّثَةٌ، وَلَكِنَّهُ جَاءَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مَا يَدُلُّ عَلَى تَذْكِيرِ السَّبِيلِ أَيْضًا، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا [٧ \ ١٤٦] .

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

بَيَّنَ تَعَالَى حُكْمَهُ الَّذِي حَكَمَ بِهِ بَيْنَهُمْ بِقَوْلِهِ: وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ [١١ \ ٩٤] ، وَقَوْلِهِ: فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ [٧ \

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٠١/٤

٧٨] ، وَقَوْلِهِ: الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ [٧ \ ٩٢] ، وَقَوْلِهِ: فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ الْآيَةَ [٢٦ \ ١٨٩] ، فَإِنْ قِيلَ: الْهَلَاكُ الَّذِي أَصَابَ قَوْمَ شُعَيْبٍ ذَكَرَ تَعَالَى فِي الْأَعْرَافِ أَنَّهُ رَجْفَةٌ، وَذَكَرَ فِي هُودٍ أَنَّهُ صَيْحَةٌ، وَذَكَرَ فِي الشُّعَرَاءِ أَنَّهُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ.

فَالْجَوَابُ: مَا قَالَهُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ قَالَ: وَقَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ كُلُّهُ أَصَابَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ وَهِيَ سَحَابَةٌ أَظَلَّتْهُمْ فِيهَا شَرَرٌ مِنْ نَارٍ وَلَهَبٍ وَوَهَجٍ عَظِيمٍ، ثُمَّ جَاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَرَجْفَةٌ مِنَ الْأَرْضِ شَدِيدَةٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَزَهَقَتِ الْأَرْوَاحُ، وَفَاضَتِ النُّفُوسُ، وَخَمَدَتِ الْأَجْسَامُ. اهـ مِنْهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ. بَيَّنَ جَلَّ وَعَلَا الرِّسَالَاتِ الَّتِي أَبْلَغَهَا رَسُولُهُ شُعَيْبٌ إِلَى قَوْمِهِ." (١)

"عَجُوزٌ، وَلَمْ يُبَيِّنْ هُنَا مَا فَعَلَتْ عِنْدَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ بَيَّنَ مَا فَعَلَتْ فِي «الذَّارِيَاتِ» بِقَوْلِهِ: فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ [٥١ \ ٢٩] ، وَقَوْلُهُ: فِي صَرَّةٍ، أَيْ: ضَجَّةٍ وَصَيْحَةٍ، وَقَوْلُهُ: فَصَكَّتْ وَجْهَهَا، أَيْ: لَطَمَتْهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ، لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا مَا جَادَلَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ الْمَلَائِكَةَ فِي قَوْمِ لُوطٍ، وَلَكِنَّهُ أَشَارَ إِلَيْهِ فِي «الْعَنْكَبُوتِ» بِقَوْلِهِ: قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ الْآيَةَ [٢٩ \ ٣١، ٣٢] .

فَحَاصِلُ جِدَالِهِ لَهُمْ أَنَّهُ يَقُولُ: إِنْ أَهْلَكْتُمُ الْقَرْيَةَ وَفِيهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَكْتُمْ ذَلِكَ الْمُؤْمِنَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ، فَأَجَابُوهُ عَنْ هَذَا بِقَوْلِهِمْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا الْآيَةَ [٢٩ \ ٣٢] .

وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ [٥١ \ ٣٥، ٣٦] .

قَوْلُهُ تَعَالَى: يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ.

هَذَا الْعَذَابُ الَّذِي صَرَّحَ هُنَا بِأَنَّهُ آتٍ قَوْمَ لُوطٍ لَا مَحَالَةَ وَأَنَّهُ لَا مَرَدَّ لَهُ بَيَّنَهُ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ، كَقَوْلِهِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ: فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣٦/٢

مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ [١١ \ ٨٢، ٨٣] .
وَقَوْلِهِ فِي «الْحِجْرِ» : فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ [١٥ \ ٧٤، ٧٥] .
وَقَوْلِهِ: وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** الْآيَةَ [٢٥ \ ٤٠] .
وَقَوْلِهِ: ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ [٢٦ \ ١٧٢، ١٧٣] .
وَقَوْلِهِ: لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ [٥١ \ ٣٣، ٣٤] ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ.
ذَكَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ لُوطًا عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَمَّا جَاءَتْهُ رُسُلُ رَبِّهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَصَلَتْ لَهُ بِسَبَبِ مَجِيئِهِمْ مَسَاءَةٌ عَظِيمَةٌ ضَاقَ صَدْرُهُ بِهَا، وَأَشَارَ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ إِلَى أَنَّ سَبَبَ مَسَاءَتِهِ وَكَوْنِهِ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا، وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ: أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُمْ ضُيُوفٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، كَمَا ظَنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَظَنَّ أَنَّ قَوْمَهُ يَنْتَهِكُونَ حُرْمَةَ ضُيُوفِهِ فَيَفْعَلُونَ بِهِمْ فَاحِشَةَ اللِّوَاطِ ؛ لِأَنَّهُمْ إِنْ عَلِمُوا بِقُدُومِ." (١)
"ضَرَبَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْأَمْثَالَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، لِيَتَفَكَّرُوا بِسَبَبِهَا، وَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا يَعْقِلُهَا إِلَّا أَهْلُ الْعِلْمِ، وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي بِهَا قَوْمًا، وَيُضِلُّ بِهَا آخَرِينَ.
وَهَذِهِ الْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ [٢ \ ٢٦] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ [٣٩ \ ٢٧] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [٥٩ \ ٢١] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ [٢٩ \ ٤٣] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ الْآيَةَ [٢٢ \ ٧٣] وَالْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢/١٨٧

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ** أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا.

أَقْسَمَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ كَذَّبُوا نَبِيَّنَا – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ **مَطَرَ السَّوْءِ**، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ أَمْطَرَ عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ، وَهِيَ سَدُومُ قَرْيَةُ قَوْمِ لُوطٍ، وَهَذَانِ الْأَمْرَانِ الْمَذْكُورَانِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَهُمَا أَنَّ اللَّهَ أَمْطَرَ هَذِهِ الْقَرْيَةَ **مَطَرَ السَّوْءِ** الَّذِي هُوَ حِجَارَةُ السِّجِّيلِ، وَأَنَّ الْكُفَّارَ أَتَوْا عَلَيْهَا، وَمَرُّوا بِهَا جَاءَ مُوَضَّحًا فِي آيَاتٍ أُخْرَى.

أَمَّا كَوْنُ اللَّهِ أَمْطَرَ عَلَيْهَا الْحِجَارَةَ الْمَذْكُورَةَ، فَقَدْ ذَكَرَهُ جَلَّ وَعَلَا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ [١٥ \ ٧٤] وَبَيَّنَ فِي سُورَةِ «الذَّارِيَاتِ» ، أَنَّ السِّجِّيلَ الْمَذْكُورَ نَوْعٌ مِنَ الطِّينِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ [٥١ \ ٣٢ – ٣٣] وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الطِّينَ وَقْعُهُ أَلِيمٌ، شَدِيدٌ مُهْلِكٌ ؛ وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ [٢٦ \ ١٧٣] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ الْآيَةَ [١٥ \ ٧٢ – ٧٤] .." [١]

"بِرِيشَةٍ مِنْ جَنَاحِ الذُّلِّ صَبَبْتُ لَكَ شَيْئًا مِنْ مَاءِ الْمَلَامِ، فَلَا حُجَّةَ فِيهِ ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ لَا يُرَادُ بِهَا أَنَّ لِلذُّلِّ جَنَاحًا، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهَا خَفْضُ الْجَنَاحِ الْمُتَّصِفِ بِالذُّلِّ لِلْوَالِدَيْنِ مِنَ الرَّحْمَةِ بِهِمَا، وَغَايَةُ مَا فِي ذَلِكَ إِضَافَةُ الْمَوْصُوفِ إِلَى صِفَتِهِ كَحَاتِمِ الْجُودِ، وَنَظِيرُهُ فِي الْقُرْآنِ الْإِضَافَةُ فِي قَوْلِهِ: **مَطَرَ السَّوْءِ** [٢٥ \ ٤٠] وَعَذَابَ الْهُونِ [٦ \ ٩٣] أَيْ: مَطَرَ حِجَارَةِ السِّجِّيلِ الْمَوْصُوفَ بِسَوْئِهِ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ، وَعَذَابَ أَهْلِ النَّارِ الْمَوْصُوفَ بِهَوْنِ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ، وَالْمُسَوِّغُ لِإِضَافَةِ خُصُوصِ الْجَنَاحِ إِلَى الذُّلِّ مَعَ أَنَّ الذُّلَّ مِنْ صِفَةِ الْإِنْسَانِ لَا مِنْ صِفَةِ خُصُوصِ الْجَنَاحِ، أَنَّ خَفْضَ الْجَنَاحِ كُنِّيَ بِهِ عَنْ ذُلِّ الْإِنْسَانِ، وَتَوَاضُعِهِ وَلِينِ جَانِبِهِ لِوَالِدَيْهِ رَحْمَةً بِهِمَا، وَإِسْنَادُ صِفَاتِ الذَّاتِ لِبَعْضِ أَجْزَائِهَا مِنْ أَسَالِيبِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، كَإِسْنَادِ الْكَذِبِ وَالْخَطِيئَةِ إِلَى النَّاصِيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ [٩٦ \ ١٦] وَكَإِسْنَادِ الْخُشُوعِ وَالْعَمَلِ وَالنَّصَبِ إِلَى الْوُجُوهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ [٨٨ \ ٢ – ٣] وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ، وَفِي كَلَامِ الْعَرَبِ. وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ كَلَامُ السَّلَفِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ.

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «الصَّوَاعِقِ» : إِنَّ مَعْنَى إِضَافَةِ الْجَنَاحِ إِلَى الذُّلِّ أَنَّ لِلذُّلِّ جَنَاحًا مَعْنَوِيًّا يُنَاسِبُهُ لَا جَنَاحَ رِيشٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، انْتَهَى. وَفِيهِ إِيضَاحُ مَعْنَى خَفْضِ الْجَنَاحِ.

وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ إِضَافَةَ الْجَنَاحِ إِلَى الذُّلِّ مِنْ إِضَافَةِ الْمَوْصُوفِ إِلَى صِفَتِهِ ؛ كَمَا أَوْضَحْنَا، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥٦/٦

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي «الْكَشَّافِ» ، فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ قُلْتَ: الْمُتَّبِعُونَ لِلرَّسُولِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَالْمُؤْمِنُونَ هُمُ الْمُتَّبِعُونَ لِلرَّسُولِ، فَمَا قَوْلُهُ: لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

قُلْتُ: فِيهِ وَجْهَانِ، أَنْ يُسَمِّيَهُمْ قَبْلَ الدُّخُولِ فِي الْإِيمَانِ مُؤْمِنِينَ، لِمُشَارَفَتِهِمْ ذَلِكَ. وَأَنْ يُرِيدَ بِالْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِينَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَهُمْ صِنْفَانِ: صِنْفٌ صَدَّقَ وَاتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِيمَا جَاءَ بِهِ، وَصِنْفٌ لَمْ يُوجَدْ مِنْهُمْ إِلَّا التَّصْدِيقُ فَحَسْبُ، ثُمَّ إِمَّا أَنْ يَكُونُوا مُنَافِقِينَ أَوْ فَاسِقِينَ، وَالْمُنَافِقُ وَالْفَاسِقُ، لَا يُخْفَضُ لَهُمَا الْجَنَاحُ.

وَالْمَعْنَى: الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عَشِيرَتِكَ وَغَيْرِهِمْ، أَيْ: أَنْذِرْ قَوْمَكَ فَإِنِ اتَّبَعُوكَ وَأَطَاعُوكَ، فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَإِنْ عَصَوْكَ وَلَمْ يَتَّبِعُوكَ فَتَبَرَّأْ مِنْهُمْ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ وَغَيْرِهِ، انْتَهَى مِنْهُ.." (١)

"تَعَالَى: إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ [٣٨ \ ١٤] . وَقَوْلِهِ تَعَالَى كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ [٥٠ \ ١٤] وَالْآيَاتُ بِمِثْلِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

وَقَدْ بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الْمُرَادَ بِذِكْرِ إِهْلَاكِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ بِسَبَبِ الْكُفْرِ وَتَكْذِيبِ الرُّسُلِ تَهْدِيدُ كُفَّارِ مَكَّةَ، وَتَخْوِيفِهِمْ مِنْ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ مِثْلُ مَا نَزَلَ بِأُولَئِكَ إِنْ تَمَادَوْا عَلَى الْكُفْرِ وَتَكْذِيبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ذَكَرَ تَعَالَى ذَلِكَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا [٤٧ \ ١٠] لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا تَهْدِيدٌ عَظِيمٌ بِذَلِكَ.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ [١١ \ ٨٢ – ٨٣] فَقَوْلُهُ: وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ فِيهِ تَهْدِيدٌ عَظِيمٌ لِمَنْ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ مِنَ الْكُفْرِ وَتَكْذِيبِ نَبِيِّهِمْ، وَفَوَاحِشِهِمُ الْمَعْرُوفَةِ، وَقَدْ وَبَّخَ تَعَالَى مَنْ لَمْ يَعْتَبِرْ بِهِمْ، وَلَمْ يَحْذَرْ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ مِثْلُ مَا نَزَلَ بِهِمْ، كَقَوْلِهِ فِي قَوْمِ لُوطٍ: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [٣٧ \ ١٣٧ – ١٣٨] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا [٢٥ \ ٤٠] .

وَقَوْلِهِ فِيهِمْ: وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [٢٩ \ ٣٥] . وَقَوْلِهِ فِيهِمْ: وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ. وَقَوْلِهِ فِيهِمْ وَفِي قَوْمِ شُعَيْبٍ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ [١٥ \ ٧٩] وَالْآيَاتُ بِمِثْلِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

وَأَمَّا الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: وَهِيَ نِدَاؤُهُمْ إِذَا أَحَسُّوا بِأَوَائِلِ الْعَذَابِ ؛ فَقَدْ ذَكَرَ تَعَالَى فِي آيَاتٍ مِنْ كِتَابِهِ نَوْعَيْنِ مِنْ

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٦/١٠٢

أَنْوَاعِ ذَلِكَ النِّدَاءِ:

أَحَدُهُمَا: نِدَاؤُهُمْ بِاعْتِرَافِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا ظَالِمِينَ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ إِلَى قَوْلِهِ قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ [٢١ \ ١١ - ١٥] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ [٧ \ ٤ - ٥] .

الثَّانِي: مِنْ نَوْعَيِ النِّدَاءِ الْمَذْكُورِ نِدَاؤُهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ مُسْتَغِيثِينَ مِنْ ذَلِكَ الْعَذَابِ." (١)

"بِصِيغَةِ الْمُجَرَّدِ فِي الْفِعْلَيْنِ، لِأَنَّ مَنْ قُتِلَ وَمَاتَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤْمَرَ بِقَتْلِ قَاتِلِهِ، بَلِ الْمُرَادُ فِي إِنْ قَتَلُوا بَعْضَكُمْ فَلْيَقْتُلْهُمْ بَعْضُكُمُ الْآخَرُ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُ ابْنِ مُطِيعٍ:

فَإِنْ تَقْتُلُونَا عِنْدَ حَرَّةِ وَاقِمٍ فَإِنَّا عَلَى الْإِسْلَامِ أَوَّلُ مَنْ قَتَلَ أَيْ فَإِنْ تَقْتُلُوا بَعْضَنَا، وَإِنَّ مِنْهُ أَيْضًا: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا [٤٩ \ ١٤] ، لِأَنَّ هَذَا فِي بَعْضِهِمْ دُونَ بَعْضٍ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ إِلَى قَوْلِهِ: سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [٩ \ ٩٩] .

وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي الْحُجُرَاتِ وَغَيْرِهَا أَنَّ مِنْ أَصْرَحِ الشَّوَاهِدِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ذَلِكَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

فَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ ... نَبَا بِيَدَيْ وَرْقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدِ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: فَعَقَرَ: أَيْ قَتَلَهَا، وَالْعَرَبُ تُطْلِقُ الْعَقْرَ عَلَى الْقَتْلِ وَالنَّحْرِ وَالْجَرْحِ وَمِنْهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ:

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطُ بِنَا مَعًا ... عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَانْزِلِ

وَمِنْ إِطْلَاقِ الْعَقْرِ عَلَى نَحْرِ الْإِبِلِ لِقِرَى الضَّيْفِ - قَوْلُ جَرِيرٍ:

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ ... بَنِي ضُوطَرَى لَوْلَا الْكَمِيَّ الْمُقَنَّعَا

قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً.

قَدْ قَدَّمْنَا الْآيَاتِ الْمُوَضِّحَةَ لَهُ بِكَثْرَةٍ فِي سُورَةِ فُصِّلَتْ فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [٤١ \ ١٧] .

قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣٣٢/٦

قَوْلُهُ: إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا: قَدْ قَدَّمْنَا الْآيَاتِ الْمُوَضِّحَةَ لَهُ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ [٢٥ \ ٤٠] ، وَقَوْلِهِ: إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ قَدْ قَدَّمْنَا الْآيَاتِ الْمُوَضِّحَةَ لَهُ إِيضَاحًا شَافِيًا بِكَثْرَةٍ.." (١)

"[سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٧٤ الى ٧٥]

ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين (٧٤) وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين (٧٥)

قوله تعالى: (ولوطا آتيناه حكما وعلما) " لوطا" منصوب بفعل مضمر دل عليه الثاني، أي وآتينا لوط آتيناه. وقيل: أي واذكر لوطا. والحكم النبوة، والعلم المعرفة بأمر الدين وما يقع به الحكم بين الخصوم. وقيل:" علما" فهما، والمعنى واحد. (ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث) يريد سدوم. ابن عباس: كانت سبع قرى، قلب جبريل عليه السلام ستة وأبقى واحدة للوط وعياله، وهي زغر التي فيها الثمر من كورة فلسطين إلى حد الشراة «١»، ولها قرى كثيرة إلى حد بحر الحجاز «٢». وفي الخبائث التي كانوا يعملونها قولان: أحدهما: اللواط على ما تقدم. والثاني: الضراط، أي كانوا يتضارطون في ناديهم ومجالسهم. وقيل: الضراط وخذف«3» الحصى وسيأتي. (إنهم كانوا قوم سوء فاسقين) أي خارجين عن طاعة الله، والفسوق الخروج وقد تقدم. (وأدخلناه في رحمتنا) أي في النبوة. وقيل: في الإسلام. وقيل: الجنة. وقيل: عنى بالرحمة إنجاءه من قومه (إنه من الصالحين).

[سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٧٦ الى ٧٧]

ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم (٧٦) ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين (٧٧)

قوله تعالى: (ونوحا إذ نادى من قبل) أي واذكر نوحا إذ نادى، أي دعا." من قبل" أي من قبل إبراهيم ولوط على قومه، وهو قوله:" رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا" «٤» [نوح: ٢٦] وقال لما كذبوه:" أني مغلوب فانتصر" «٥» [القمر: ١٠]. (فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) أي من الغرق. والكرب الغم الشديد" وأهله" أي المؤمنين منهم. (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٨٢/٧

ـــــــــــــــــــــ
(١). كذا في ب وز وك. وهو الأشبه. والشراة جبل بنجد لطيئ. وفي اوج وط: السراة بالمهملة: جبل من عرفات إلى حد نجران.

(٢). في ك: نجد بالحجاز.

(٣). كذا في ك: وفي ب وج وز وط: حذف. بالمهملة.

(٤). راجع ج ١٨ ص ٣١٢.

(٥). راجع ج ١٧ ص ١٣١.

)."[1]

"قوله تعالى: (ولوطا إذ قال لقومه) أي وأرسلنا لوطا، أو اذكر لوطا." إذ قال لقومه" وهم أهل سدوم. وقال لقومه: (أتأتون الفاحشة) الفعلة القبيحة الشنيعة. (وأنتم تبصرون) أنها فاحشة، وذلك أعظم لذنوبكم. وقيل: يأتي بعضكم بعضا وأنتم تنظرون إليه. وكانوا لا يستترون عتوا منهم وتمردا. (أإنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) أعاد ذكرها لفرط قبحها وشنعتها. (بل أنتم قوم تجهلون) إما أمر التحريم أو العقوبة. واختيار الخليل وسيبويه تخفيف الهمزة الثانية من" أإنكم" فأما الخط فالسبيل فيه أن يكتب بألفين على الوجوه كلها، لأنها همزة مبتدأة دخلت عليها ألف الاستفهام. قوله تعالى: (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) أي عن أدبار الرجال. يقولون ذلك استهزاء منهم، قاله مجاهد. وقال قتادة: عابوهم والله بغير عيب بأنهم يتطهرون من أعمال السوء. (فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين) وقرأ عاصم:" قدرنا" مخففا والمعنى واحد. يقال قد قدرت الشيء قدرا وقدرا وقدرته. (وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) أي من أنذر فلم يقبل الإنذار. وقد مضى بيان هذا في" الأعراف" «١» و" هود" «٢».

ـــــــــــــــــــــ
(١). راجع ج ٧ ص ٢٤٧ طبعه أولى أو ثانية.

(٢). راجع ج ٩ ص ٨١ وما بعدها طبعه أولى أو ثانية.." [2]

ـــــــــــــــــــــ
(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٠٦/١١

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢١٩/١٣

"لفعلت وروي في خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم:" أن الأرض تنشق عن الدابة وعيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون من ناحية المسعى وإنها تخرج من الصفا فتسم بين عيني المؤمن هو مؤمن سمة كأنها كوكب دري وتسم بين عيني الكافر نكتة سوداء كافر" وذكر في الخبر أنها ذات وبر وريش، ذكره المهدوي. وعن ابن عباس أنها تخرج من شعب فتمس رأسها السحاب ورجلاها في الأرض لم تخرجا، وتخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام. وعن حذيفة: تخرج ثلاث خرجات، خرجة في بعض البوادي ثم تكمن، وخرجة في القرى يتقاتل فيها الأمراء حتى تكثر الدماء، وخرجة من أعظم المساجد وأكرمها وأشرفها وأفضلها الزمخشري: تخرج من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد، فقوم يهربون، وقوم يقفون نظارة. وروي عن قتادة أنها تخرج في تهامة. وروي أنها تخرج من مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح عليه السلام. وقيل: من أرض الطائف، قال أبو قبيل: ضرب عبد الله بن عمرو أرض الطائف برجله وقال: من هنا تخرج الدابة التي تكلم الناس. وقيل: من بعض أودية تهامة، قال ابن عباس. وقيل: من صخرة من شعب أجياد، قال عبد الله بن عمرو. وقيل: من بحر سدوم، قاله وهب بن منبه. ذكر هذه الأقوال الثلاثة الأخيرة الماوردي في كتابه. وذكر البغوي أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال: حدثنا علي بن الجعد عن فضيل بن مرزوق الرقاشي الأغر- وسيل عنه يحيى بن معين فقال ثقة- عن عطية العوفي عن ابن عمر قال تخرج الدابة من صدع في الكعبة كجري الفرس ثلاثة أيام لا يخرج ثلثها. قلت: فهذه أقوال الصحابة والتابعي في خروج الدابة وصفتها، وهي ترد قول من قال من المفسرين: إن الدابة إنما هي إنسان متكلم يناظر أهل البدع والكفر وقد روى أبو أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم" ذكره الماوردي." تكلمهم" بضم التاء وشد اللام المكسورة- من الكلام- قراءة العامة، يدل عليه قراءة أبي" تنبئهم". وقال السدي: تكلمهم ببطلان الأديان سوى." (١)

"الأولى- قوله تعالى: (ولوطا إذ قال لقومه) قال الفراء: لوط مشتق من قولهم: هذا أليط بقلبي، أي ألصق. وقال النحاس: قال الزجاج زعم بعض النحويين- يعني الفراء- أن لوطا يجوز أن يكون مشتقا من لطت إذا ملسته بالطين. قال: وهذا غلط، لأن الأسماء الأعجمية لا تشتق كإسحاق، فلا يقال: إنه من السحق وهو البعد. وإنما صرف لوط لخفته «١» لأنه على ثلاثة أحرف وهو ساكن الوسط. قال النقاش: لوط من الأسماء الأعجمية وليس من العربية. فأما لطت الحوض، وهذا أليط بقلبي من هذا، فصحيح.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/٢٣٧

ولكن الاسم أعجمي كإبراهيم وإسحاق. قال سيبويه: نوح ولوط أسماء أعجمية، إلا أنها خفيفة فلذلك صرفت. بعثه الله تعالى إلى أمة تسمى سدوم، وكان ابن أخي إبراهيم. ونصبه إما ب" أرسلنا" المتقدمة فيكون معطوفا. ويجوز أن يكون منصوبا بمعنى واذكر. الثانية- قوله تعالى: (أتأتون الفاحشة) يعني إتيان الذكور. ذكرها الله باسم الفاحشة ليبين أنها زنى، كما قال الله تعالى:" ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة «٢» ". واختلف العلماء فيما يجب على من فعل ذلك بعد إجماعهم على تحريمه، فقال مالك: يرجم، أحصن أو لم يحصن. وكذلك يرجم المفعول به إن كان محتلما. وروي عنه أيضا: يرجم إن كان محصنا، ويحبس ويؤدب إن كان غير محصن. وهو مذهب عطاء والنخعي وابن المسيب وغيرهم. وقال أبو حنيفة: يعزر المحصن وغيره، وروي عن مالك. وقال الشافعي: يحد حد الزنى قياسا عليه. احتج مالك بقول تعالى:" وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل". فكان ذلك عقوبة لهم وجزاء على فعلهم. فإن قيل: لا حجة فيها لوجهين، أحدهما- أن قوم لوط إنما عوقبوا على الكفر والتكذيب كسائر الأمم. الثاني- أن صغيرهم وكبيرهم دخل فيها، فدل على خروجها من باب الحدود. قيل: أما الأول فغلط، فإن الله سبحانه أخبر عنهم أنهم كانوا على معاصي فأخذهم بها، منها هذه. وأما الثاني فكان منهم فاعل وكان منهم راض، فعوقب الجميع لسكوت الجماهير عليه. وهي حكمة الله وسنته في عباده.

---

(١). من ب وج ك وى وز.

(٢). راجع ج ١٠ ص ٢٥٣ وص ٤٢ وج ٩ ص ٨١.." [1]

"فجاءوا يهرعون وهم أسارى ... نقودهم على رغم الأنوف

وقال آخر:

بمعجلات نحوه مهارع

وهذا مثل: أولع فلان بالأمر، وأرعد زيد. وزهي فلان وتجيء ولا تستعمل إلا على هذا الوجه. وقيل: أهرع أي أهرعه حرصه، وعلى هذا" يهرعون" أي يستحثون عليه. ومن قال بالأول قال: لم يسمع إلا أهرع الرجل أي أسرع، على لفظ ما لم يسم فاعله. قال ابن القوطية: هرع الإنسان هرعا، وأهرع: سيق واستعجل. وقال الهروي يقال: هرع الرجل وأهرع أي استحث. قال ابن عباس وقتادة والسدي:" يهرعون" يهرولون. الضحاك:

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٤٣/٧

يسعون. ابن عيينة: كأنهم يدفعون. وقال شمر بن عطية: هو مشي بين الهرولة والجمزى. وقال الحسن: مشي بين مشيين، والمعنى متقارب. وكان سبب إسراعهم ما روي أن امرأة لوط الكافرة، لما رأت الأضياف وجمالهم وهيئتهم، خرجت حتى أتت مجالس قومها، فقالت لهم: إن لوطا قد أضاف الليلة فتية ما رئي مثلهم جمالا، وكذا وكذا، فحينئذ جاءوا يهرعون إليه. ويذكر أن الرسل لما وصلوا إلى بلد لوط وجدوا لوطا في حرث له. وقيل: وجدوا ابنته تستقي ماء من نهر سدوم، فسألوها الدلالة على من يضيفهم، ورأت هيئتهم فخافت عليهم من قوم لوط، وقالت لهم: مكانكم! وذهبت إلى أبيها فأخبرته، فخرج إليهم، فقالوا: نريد أن تضيفنا الليلة، فقال لهم: أوما سمعتم بعمل هؤلاء القوم؟ فقالوا: وما عملهم؟ فقال أشهد بالله إنهم لشر قوم في الأرض- وقد كان الله عز وجل، قال لملائكته لا تعذبوهم حتى يشهد لوط عليهم أربع شهادات- فلما قال لوط هذه المقالة، قال جبريل لأصحابه: هذه واحدة، وتردد القول بينهم حتى كرر لوط الشهادة أربع مرات، ثم دخل بهم المدينة. قوله تعالى: (ومن قبل) أي ومن قبل مجيء الرسل. وقيل: من قبل لوط. (كانوا يعملون السيئات) أي كانت عادتهم إتيان الرجال. فلما جاءوا إلى لوط وقصدوا." (١)

"(قال لو أن لي بكم قوة) وجواب لو محذوف، والتقدير لدافعتكم عنهم ومنعتكم منهم، وهذا منه عليه السلام على طريق التمني: أي لو وجدت معينا وناصرا، فسمي ما يتقوى به قوة (أو آوي إلى ركن شديد) عطف على ما بعد لوطا فيه من معنى الفعل، والتقدير: لو قويت على دفعكم أو آويت إلى ركن شديد. وقرئ (أو آوي) بالنصب عطفا على قوة كأنه قال: لو أن لي بكم قوة أو إيواء إلى ركن شديد، ومراده بالركن الرشيد: العشيرة، وما يمنع به عنهم هو ومن معه لأنه كان أولا بالعراق مع إبراهيم فلما هاجر إلى الشام أرسله الله إلى **أهل سدوم وهي** قرية عند حمص.

قال أبو هريرة: ما بعث الله نبيا بعده إلا في منعة من عشيرته، وقيل أراد بالقوة الولد وبالركن من ينصره من غير ولده، وقيل أراد بالقوة قوته في نفسه قال السدي: إلى جند شديد لقاتلتكم.

وقد ثبت في البخاري وغيره من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: يغفر الله للوط إن كان يأوي إلى ركن شديد، وهو مروي في غير الصحيح من طريق غيره من الصحابة، وقال النووي: المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فإنه أشد الأركان وأقواها وأمنعها اهـ. وهو يخالف ظاهر الآية والحديث المتقدم.." (٢)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٧٥/٩

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٢١/٦

"(فلما جاء أمرنا) أي الوقت المضروب لوقوع العذاب فيه أو المراد بالأمر نفس العذاب والأول أولى (جعلنا عاليها) أي عالي قرى قوم لوط (سافلها) والمعنى أنه قلبها على هذه الهيئة وهي كون عاليها صار سافلها وسافلها صار عاليها وذلك لأن جبريل أدخل جناحه تحتها فرفعها من تخوم الأرض حتى أدناها من السماء ثم قلبها عليهم:

قال مجاهد: لما أصبحوا غدا جبريل على قريتهم وقطعها من أركانها ثم أدخل جناحه ثم حملها على خوافي جناحه بما فيها ثم صعد بها إلى السماء، حتى سمع أهل السماء صياح ديكهم ونباح كلابهم ثم قلبها فكان أول ما سقط منها سرادقها فلم يصب قوما ما أصابهم.

ثم إن الله طمس على أعينهم ثم قلبت قريتهم وهي خمس مدائن **أكبرها سدوم وهي** المؤتفكات المذكورة في سورة براءة يقال كان فيها أربعة آلاف ألف.

(وأمطرنا عليها) أي على المدن حين رفعها جبريل أو على شذاذها وعلى من كان خارجا عنها من مسافريه، أو من بعد قلبها، قيل أنه يقال أمطرنا في." [1]

"الخصومات بالحق، وقيل هو الفهم (ونجيناه من القرية) **هي سدوم كما** تقدم (التي كانت تعمل) أي يعمل أهلها، ففيه مجاز عقلي (الخبائث) هي اللواطة والضراط، وحذف الحصى والرمي بالبندق واللعب بالطيور وغير ذلك كما سيأتي.

ثم علل سبحانه ذلك بقوله: (إنهم كانوا قوم سوء فاسقين) أي خارجين عن طاعة الله." [2]

"(ولقد أتوا على القرية) مستأنفة مبينة لمشاهدتهم لآثار هلاك بعض الأمم، وضمن أتى معنى مر لأنه يستعمل متعديا بنفسه أو بإلى، والمعنى ولقد أتى مشركو مكة في أسفارهم إلى الشام، على قرية قوم لوط، وهي سدوم، وهي أعظم قرى قومه وكانت خمسا. أهلك الله أربعا مع أهلها، وبقيت واحدة، وهي أصغرها، وكان أهلها لا يعمل الخبائث.

(التي أمطرت مطر السوء) وهو الحجارة، قاله ابن عباس، والأمطار معناه الرمي، أي: هلكت بالحجارة، التي أمطروا بها، ورميت رمي الحجارة، والمعنى أعطيتها وأوليتها، مطر السوء، أي أمطارا مثل مطر السوء وقد تقدم، تفسير السوء في براءة (أفلم يكونوا يرونها) الاستفهام للتقريع والتوبيخ أي يرون القرية." [3]

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٢٤/٦

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٥١/٨

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣١١/٩

"(و) أرسلنا (لوطا إذ قال لقومه) هم أهل سدوم: (أتأتون الفاحشة) أي: الفعلة المتناهية في القبح والشناعة، وهي إتيان المذكور واللواط (وأنتم تبصرون) أي وأنتم تعلمون علما يقينا أنها فاحشة وقبيحة. وذلك أعظم ذنوبكم، على أن تبصرون من بصر القلب وهو العلم أو بمعنى النظر لأنهم كانوا لا يستترون حال فعل الفاحشة، عتوا وتمردا، والجملة حالية مفيدة لتأكيد الإنكار، وتشديد التوبيخ، وقد تقدم تفسير هذه القصة في الأعراف مستوفى.." (١)

"(فما كان جواب قومه إلا أن قالوا) أي: إلا قولهم (أخرجوا آل لوط) أي لوطا وأهله، والمراد بهم بنتاه وزوجته المؤمنة (١) (من قريتكم) فيه امتنان عليه بإسكانه عندهم، والإضافة للجنس لأن قراهم كانت خمسا **أعظمها سدوم** (إنهم أناس يتطهرون) أي يتنزهون ويتباعدون عن أدبار الرجال، قالوا ذلك استهزاء منهم بهم.." (٢)

"الجساسة وبه قال ابن عمرو.

وفي التعبير عنها باسم الجنس وتأكيد إبهامه بالتنوين التفخيمي من الدلالة على غرابة شأنها وخروج أوصافها عن طور البيان ما لا يخفى، وقيل: هي دابة على خلقة بني آدم، رأسها في السحاب وقوائمها في الأرض، وقيل: رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش. وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصل ومفصل إثنا عشر ذراعا، ولعل ذلك هو الجساسة، وقيل: الثعبان، والمشرف على جدار الكعبة التي اقتلعها العقاب حين أرادت قريش بناء الكعبة، والمراد أنها هي التي تخرج في آخر الزمان، وقيل: هي دابة ما لها ذنب ولها لحية، وقيل: هي إنسان ناطق متكلم يناظر أهل البدع ويراجع الكفار، وفيه بعد.

وعن ابن عباس قال: الدابة ذات وبر وريش؛ مؤلفة فيها من كل لون، لها أربع قوائم، تخرج ب‍ءقب من الحاج. وقيل غير ذلك مما لا فائدة في التطويل بذكره، وقد رجح القول الأول القرطبي في تفسيره، وقال: هو أصح الأقوال، واختلف في تعيينها وصفاتها اختلافا كثيرا قد ذكرناه في كتاب التذكرة انتهى، واختلف من أي موضع تخرج، فقيل: من جبل الصفا بمكة، يتصدع فتخرج منه، قاله ابن عمرو، وقيل: تخرج من جبل أبي قبيس، وقيل: لها ثلاث خرجات، خرجة في بعض البوادي حتى يتقاتل عليها الناس؛ وتكثر الدماء؛ ثم تكمن، وتخرج في القرى، ثم تخرج من أعظم المساجد وأكرمها وأشرفها، وقيل: تخرج من بين الركن

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٥٥/١٠

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٥٦/١٠

والمقام، وقال ابن عباس تخرج من بعض أودية تهامة، وقيل: من مسجد الكوفة من حيث فار التنور، وقيل: من أرض الطائف؛ وقيل: من صخرة من شعب أجياد، قاله ابن عمرو، وقيل: من صدع في الكعبة، وقيل: من **بحر سدوم قاله** وهب بن منبه، واختلف في معنى قوله:

(تكلمهم) فقيل: تكلم الموجودين ببطلان الأديان سوى دين الإسلام." [(١)]

"(ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) أي: بالبشارة بالولد وهو إسحاق وبولد الولد وهو يعقوب (قالوا) لإبراهيم: (إنا مهلكو أهل هذه القرية) **وهي سدوم التي** كان فيها قوم لوط قيل: كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع إبراهيم عليه السلام (إن أهلها كانوا ظالمين) تعليل للإهلاك أي: إهلاكنا لهم بهذا السبب.." [(٢)]

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ١ ، ص : ٤٧١

٧٦ لبسبيل مقيم : طريق واضح ، كقوله «١» : لبإمام مبين ، ومعناه :

أن الاعتبار بها ممكن ، لأن آثارها ثابتة مقيمة ، وهي قرية «سدوم» «٢».

و«أصحاب الأيكة» «٣» : قوم شعيب «٤» ، بعث إليهم وإلى أهل مدين ، فأهلك الله مدين بالصيحة «٥» والأيكة بالظلة فاحترقوا بنارها «٦».

٧٩ وإنهما : مدينة قوم لوط وأصحاب الأيكة «٧» ، لبإمام مبين :

طريق يؤم ويتبع «٨».

٨٠ الحجر : ديار ثمود «٩».

---

(١) آية : ٧٩ من سورة الحجر.

(**٢) سدوم** : بفتح أوله وضم ثانيه : مدينة من مدائن قوم لوط.

وفي معجم البلدان : ٣/ ٢٠٠ عن أبي حاتم الرازي في كتاب «المزال والمفسد» قال : إنما هو «سذوم» بالذال المعجمة ، قال : والدال خطأ».

قال الأزهري : «و هو الصحيح ، وهو أعجمي».

وانظر تهذيب اللغة : ١٢/ ٣٧٤ ، ومعجم ما استعجم : ٣/ ٧٢٩ ، والروض المعطار :

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٠/٧١

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٠/١٨٨

.٣٠٨

(٣) من قوله تعالى : وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين [آية : ٧٨].

(٤) تفسير الطبري : ١٤/ ٤٨ ، وتفسير البغوي : ٣/ ٥٥ ، والمحرر الوجيز : ٨/ ٣٤٤.

(٥) وقال الله تعالى فيهم : ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين [هود : ٩٤].

(٦) قال تعالى : فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم [الشعراء : آية : ١٨٩].

وانظر تفسير الماوردي : ٢/ ٥٣٧ ، والمحرر الوجيز : ٨/ ٣٤٥.

(٧) تفسير الطبري : ١٤/ ٤٩ ، وتفسير الماوردي : ٢/ ٣٧٥ ، وتفسير البغوي : ٣/ ٥٥.

(٨) ينظر معاني القرآن للفراء : ٢/ ٩١ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٣٩ ، وتفسير الطبري : ١٤/ ٤٩.

(٩) ذكره الطبري في تفسيره : ١٤/ ٥٠ ، ونقله الماوردي في تفسيره : ٢/ ٣٧٥ عن ابن شهاب.

وينظر تفسير البغوي : ٣/ ٥٥ ، والتعريف والإعلام للسهيلي : ٩٠.

قال ابن عطية في المحرر الوجيز : ٨/ ٣٤٧ : «و هي ما بين المدينة وتبوك».." [(١)]

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ٢ ، ص : ٥٦١

و قيل «١» : حيل بينها وبينه فلم تصل إليه.

٧١ إلى الأرض التي باركنا فيها : أرض الشام «٢». وبركتها أن أكثر الأنبياء منها ، وهي أرض خصيب يطيب فيها عيش الغني والفقير.

٧٤ القرية التي كانت تعمل/ الخبائث : **قرية سدوم** «٣» ، وخبائثهم إتيان الذكران وتضارطهم في أنديتهم «٤».

٧٨ نفشت فيه غنم القوم : رعت ليلا «٥» ، نفشت الغنم ، ونفشها أهلها ، وأسداها أيضا بالليل ، وأهملها بالنهار «٦».

٧٩ ففهمناها سليمان : دفع الغنم إلى صاحب الحرث لينتفع بدرها ونسلها ودفع الحرث إلى صاحب الغنم ، وجعل عليه عمارته حتى إذا نبتت في السنة القابلة ترادا «٧».

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ١/٤٧١

٧٨ وكنا لحكمهم : جمع في موضع التثنية لإضافته إلى المحكوم لهم ومن حكم.

---

(١) ذكره الفخر الرازي في تفسيره : ٢٢/ ١٨٩.

(٢) ورد هذا القول في آثار أخرجها الطبري في تفسيره : (١٧/ ٤٦ ، ٤٧) عن أبي بن كعب ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وابن جريج ، وابن زيد.

وأورد ابن الجوزي في زاد المسير : ٥/ ٣٦٨ القول الذي ذكره المؤلف ، ثم قال : «و هذا قول الأكثرين».

وأورده السيوطي في الدر المنثور : ٥/ ٦٤٢ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره : ١٧/ ٤٩ ، والماوردي في تفسيره : ٣/ ٥٠ ، والبغوي في تفسيره : ٣/ ٢٥٢ ، وابن الجوزي في زاد المسير : ٥/ ٣٧٠.

(٤) المصادر السابقة.

(٥) غريب القرآن لليزيدي : ٢٥٦ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٨٧ ، وتفسير الطبري : ١٧/ ٥٣ ، والمفردات للراغب : ٥٠٢ ، واللسان : ٦/ ٣٥٧ (نفش).

(٦) الهمل ، بالتحريك : الإبل بلا راع ، مثل النفش ، إلا أن الهمل بالنهار والنفش لا يكون إلا ليلا. يقال : إبل همل وهاملة وهمال وهوامل ، وتركتها هملا أي : سدى إذا أرسلتها ترعى ليلا بلا راع.

ينظر اللسان : ١١/ ٧١٠ (همل).

(٧) تفسير الطبري : (١٧/ ٥١ - ٥٤) ، وتفسير البغوي : ٣/ ٢٥٣ ، وتفسير ابن كثير : ٥/ ٣٤٩.

[.....]."[١]

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ٢ ، ص : ٦١٣

و كفى بربك هاديا : يجوز حالا وتمييزا «١».

٣٢ لنثبت به فؤادك : أي : باتصال الوحي ، أو لنثبته في فؤادك بالإنزال متفرقا.

ورتلناه : فصلناه ، والرتل في الثغر أن يكون مفلجا لا لصص فيه «٢».

والقرية التي أمطرت مطر السوء «٣» : سدوم قرية لوط «٤» عليه السلام.

٤٥ مد الظل : أي : الليل لأنه ظل الأرض الممدود على قريب من نصف وجهها.

وقيل «٥» : هو ما بين طلوع الفجر إلى شروق الشمس.

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٢/٥٦١

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج : ٤/ ٦٦ ، وتفسير القرطبي : ١٣/ ٢٨ ، والبحر المحيط : ٦/ ٤٩٦.

(٢) جاء في لسان العرب : «و ثغر رتل ورتل : حسن التنضيد مستوى النبات ، وقيل : المفلج ، وقيل : بين أسنانه فروج لا يركب بعضها بعضا».

والفلج في الأسنان : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات خلقة.

واللصص : تقارب ما بين الأضراس حتى لا ترى بينها خللا».

ينظر اللسان : ٢/ ٣٤٦ (فلج) ، ٧/ ٨٧ (لصص) ، ١١/ ٢٦٥ (رتل).

(٣) في قوله تعالى : ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء ... [آية : ٤٠].

(٤) أخرج الطبري هذا القول في تفسيره : ١٩/ ١٦ عن ابن جريج.

وأورده السيوطي في الدر المنثور : ٦/ ٢٥٩ ، وزاد نسبته إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم عن قتادة.

وانظر هذا القول في معاني القرآن للزجاج : ٤/ ٦٩ ، وتفسير الماوردي : ٣/ ١٥٨ ، وتفسير ابن كثير : ٦/ ١٢١ ، ومفحمات الأقران : ١٤٩.

(٥) ذكره الفراء في معاني القرآن : ٢/ ٢٦٨ ، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن : ٣١٣.

وأخرجه الطبري في تفسيره : ١٩/ ١٨ عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير.

وانظر هذا القول في معاني الزجاج : ٤/ ٧٠ ، وتفسير البغوي : ٣/ ٣٧٠ ، وزاد المسير : ٦/ ٩٣.." [١]

"في البحر والتقمه حوت عظيم فنادى في جوفه: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الانبياء: ٨٧]، فاستجاب الله له، وقذفه الحوت على الشاطئ.وأرسله الله ثانيا إلى أهل نينوى وآمنوا وكانوا يزيدون على مائة ألف.وكانت مدته في أول القرن الثامن قبل الميلاد.ولم نقف على ضبط وفاته.وذكر ابن العربي في الأحكام في سورة الصافات أن قبره بقرية جلجون بين القدس وبلد الخليل، وأنه وقف عليه في رحلته.وستأتي أخبار يونس في سورة يونس وسورة الأنبياء وسورة الصافات.

وأما لوط فهو ابن هاران بن تارح، فهو ابن أخي إبراهيم.ولد في"أور الكلدانيين".ومات أبوه قبل تارح، فاتخذ

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٦١٣/٢

تارح لوطا في كفالته.ولما مات تارح كان لوط مع إبراهيم ساكنين في أرض حاران "حوران"بعد أن خرج تارح أبو إبراهيم من أور الكلدانيين قاصدين أرض كنعان.وهاجر إبراهيم مع لوط إلى مصر لقحط أصاب بلاد كنعان، ثم رجعا إلى بلاد كنعان، وافترق إبراهيم ولوط بسبب خصام وقع بين رعاتهما، فارتحل لوط إلى "سدوم"، وهي من شرق الأردن إلى أن أوحي إليه بالخروج منها حين قدر الله خسفها عقابا لأهلها فخرج إلى "صوغر"مع ابنته ونسله هناك، وهم"المؤابيون"و "بنو عمون".

وقوله: ﴿وكلا فضلنا على العالمين﴾ جملة معترضة، والواو اعتراضية، والتنوين عوض عن المضاف إليه، أي كل أولئك المذكورين من إسحاق إلى هنا.و"كل"يقتضي استغراق ما أضيف إليه.وحكم الاستغراق أن يثبت الحكم لكل فرد فرد لا للمجموع.والمراد تفضيل كل واحد منهم على العالمين من أهل عصره عدا من كان أفضل منه أو مساويا له، فاللام في ﴿العالمين﴾ للاستغراق العرفي، فقد كان لوط في عصر إبراهيم وإبراهيم أفضل منه.وكان من غيرهما من كانوا في عصر واحد ولا يعرف فضل أحدهم على الآخر.وقال عبد الجبار: "يمكن أن يقال: المراد وكل من الأنبياء يفضلون على كل من سواهم من العالمين.ثم الكلام بعد ذلك في أن أي الأنبياء أفضل من الآخر كلام في غرض آخر لا تعلق له بالأول"اهـ.ولا يستقيم لأن مقتضى حكم الاستغراق الحكم على كل فرد فرد.

وتتعلق بهذه الآية مسألة مهمة من مسائل أصول الدين.وهي ثبوت نبوءة الذين جرى ذكر أسمائهم فيها، وما يترتب على ثبوت ذلك من أحكام في الإيمان وحق النبوة.وقد أعرض عن ذكرها المفسرون وكان ينبغي التعرض لها لأنها تتفرع إلى مسائل تهم طالب." (١)

"**ببلاد سدوم ولم** يكن بينهم وبينه قرابة.

والقوم الذين أرسل إليهم لوط عليه السلام هم أهل **قرية سدوم و** عمورة من أرض كنعان، وربما أطلق **اسم سدوم وعمورة** على سكانها. وهم أسلاف الفينيقيين وكانتا على شاطئ السديم، وهو بحر الملح، كما جاء في التوراة١ وهو البحر الميت المدعو بحيرة لوط بقرب أرشليم. وكانت **قرب سدوم ومن** معهم أحدثوا فاحشة استمتاع الرجال بالرجال، فأمر الله لوطا عليه السلام لما نزل **بقريتهم سدوم في** رحلته مع عمه إبراهيم عليه السلام أن ينهاهم ويغلظ عليهم.

فالاستفهام في ﴿أتأتون﴾ إنكاري توبيخي، والإتيان المستفهم عنه مجاز في التلبس والعمل، أي أتعملون الفاحشة، وكني بالإتيان على العمل المخصوص وهي كناية مشهورة.

---

(١) التحرير والتنوير، ٦/١٩٦

والفاحشة: الفعل الدنيء الذميم، وقد تقدم الكلام عليها عند تفسير قوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾ [الأعراف: ٢٨]: والمراد هنا فاحشة معروفة، فالتعريف للعهد.

وجملة: ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ مستأنفة استئنافا ابتدائيا، فإنه بعد أن أنكر عليهم إتيان الفاحشة، وعبر عنها بالفاحشة، وبخهم بأنهم أحدثوها، ولم تكن معروفة في البشر فقد سنوا سنة سيئة للفاحشين في ذلك.

ويجوز أن تكون جملة: ﴿ما سبقكم بها من أحد﴾ صفة للفاحشة، ويجوز أن تكون حالا من ضمير: ﴿أتأتون﴾ أو من: ﴿الفاحشة﴾.

والسبق حقيقته: وصول الماشي إلى مكان مطلوب له ولغيره قبل وصول غيره، ويستعمل مجازا في التقدم في الزمان، أي الأولية والابتداء، وهو المراد هنا، والمقصود أنهم سبقوا الناس بهذه الفاحشة إذ لا يقصد بمثل هذا التركيب أنهم ابتدأوا مع غيرهم في وقت واحد.

والباء لتعدية فعل "سبق" لاستعماله بمعنى ابتداء فالباء ترشيح للتبعية. و"من" الداخلة على "أحد" لتوكيد النفي للدلالة على معنى الاستغراق في النفي. و"من" الداخلة على ﴿العالمين﴾ للتبعيض.

–

١ الاصحاح من سفر التكوين ٢٠.." (١)

"الجملة: ﴿قال لقومه﴾ [لأعراف: ٨٠] وهذا التعقيب يؤذن بأن لوطا عليه السلام أرسل إلى قومه قبل حلول العذاب بهم بزمن قليل.

و ﴿أنجيناه﴾ مقدم من تأخير. والتقدير: فأمطرنا عليهم مطرا وأنجيناه وأهله، فقدم الخبر بإنجاء لوط عليه السلام على الخبر بإمطارهم مطر العذاب، لقصد إظهار الاهتمام بأمر إنجاء لوط عليه السلام، ولتعجيل المسرة للسامعين من المؤمنين، فتطمئن قلوبهم لحسن عواقب أسلافهم من مؤمني الأمم الماضية، فيعلموا أن تلك سنة الله في عباده، وقد تقدم بيان ذلك عند قوله تعالى: ﴿فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك﴾ في هذه السورة [٦٤].

وأهل لوط عليه السلام هم زوجه وابنتان له بكران، وكان له ابنتان متزوجتان كما ورد في التوراة امتنع زوجاهما من الخروج مع لوط عليه السلام فهلكتا مع أهل القرية.

وأما امرأة لوط عليه السلام فقد أخبر الله عنها هنا أن الله لم ينجها، فهلكت مع قوم لوط، وذكر في سورة

---

(١) التحرير والتنوير، ١٧٨/٨

هود ما ظاهره أنها لم تمتثل ما أمر الله لوطا عليه السلام أن لا يلتفت هو ولا أحد من أهله الخارجين معه إلى المدن حين يصيبها العذاب فالتفتت امرأته فأصابها العذاب، وذكر في سورة التحريم أن امرأة لوط عليه السلام كانت كافرة. وقال المفسرون: كانت تسر الكفر وتظهر الإيمان، ولعل ذلك سبب التفاتها لأنها كانت غير موقنة بنزول العذاب على قوم لوط، ويحتمل أنها لم تخرج مع لوط عليه السلام وان قوله: ﴿إلا امرأتك﴾ في سورة هود [٨١]، استثناء من ﴿أهلك﴾ لا من ﴿أحد﴾ . لعل امرأة لوط عليه السلام كانت من **أهل سدوم تزوجها** لوط عليه السلام هنالك بعد هجرته، فإنه أقام **في سدوم سنين** طويلة بعد أن هلكت أم بناته وقبل أن يرسل، وليست هي أم بنتيه فإن التوراة لم تذكر امرأة لوط عليه السلام إلا في آخر القصة.

ومعنى ﴿من الغابرين﴾ من الهالكين، والغابر يطلق على المنقضي، ويطلق على آتي، فهو من أسماء الأضداد، وأشهر إطلاقيه هو المنقضي، ولذلك يقال: غبر بمعنى هلك، وهو المراد هنا: أي كانت من الهالكين، أي هلكت مع من هلك من أهل سدوم.

والإمطار مشتق من المطر، والمطر اسم للماء النازل من السحاب، يقال: مطرتهم السماء بدون همزة بمعنى نزل عليهم المطر، كما يقال: غاثتهم ووبلتهم، ويقال: مكان ممطور، أي أصابه المطر، ولا يقال: ممطر، ويقال أمطروا بالهمزة بمعنى نزل عليهم." (١)

"المنافقين الذين عاد عليهم الضمير في قوله: ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب﴾ التوبة:٦٥]، أو الضمير في قوله: ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ [التوبة:٦٨].

والاستفهام موجه للمخاطب تقريرا عنهم، بحيث يكون كالاستشهاد عليهم بأنهم أتاهم نبأ الذين من قبلهم.

والإتيان مستعمل في بلوغ الخبر كقوله تعالى: ﴿يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه﴾ وقد تقدم في سورة العقود[٤١]، شبه حصول الخبر عند المخبر بإتيان الشخص، بجامع الحصول بعد عدمه، ومن هذا القبيل قولهم: بلغه الخبر، قال تعالى: ﴿لأنذركم به ومن بلغ﴾ في سورة الأنعام[١٩].

والنبأ الخبر وقد تقدم في قوله تعالى: ﴿ولقد جاءك من نبإ المرسلين﴾ في سورة الأنعام [٣٤].

وقوم نوح تقدم الكلام عليهم عند قوله تعالى: ﴿لقد أرسلنا نوحا إلى قومه﴾ في سورة الأعراف[٥٩].

ونوح: تقدم ذكره عند قوله تعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا﴾ في سورة آل عمران [٣٣].

وعاد: تقدم الكلام عليهم عند قوله تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾ في سورة الأعراف [٦٥].

وكذلك ثمود. وقوم إبراهيم هم الكلدانيون، وتقدم الكلام على إبراهيم وعليهم عند قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨٣/٨

إبراهيم ربه بكلمات﴾ في سورة البقرة[١٢٤].
وإضافة ﴿أصحاب﴾ إلى ﴿مدين﴾ باعتبار إطلاق اسم مدين على الأرض التي كان يقطنها بنو مدين، فكما أن مدين اسم للقبيلة كما في قوله تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا﴾ [الأعرف:٨٥]. كذلك هو اسم لموطن تلك القبيلة. وقد تقدم ذكر مدين عند قوله: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا﴾ في الأعراف[٨٥].
﴿والمؤتفكات﴾ عطف على ﴿أصحاب مدين﴾ ، أي نبأ المؤتفكات، وهو جمع مؤتفكة: اسم فاعل من الائتفاك وهو الانقلاب. أي القرى التي انقلبت والمراد بها: قرى صغيرة كانت مساكن قوم لوط وهي: سدوم، وعمورة، وأدمة، وصبويم، وكانت قرى." (١)
"ذلك في عادة الناس في ذلك الزمان إذا كان النازل بالبيت يضمر شرا لمضيفه، لأن أكل طعام القرى كالعهد على السلامة من الأذى، لأن الجزاء على الإحسان بالإحسان مركوز في الفطرة، فإذا الكف أحد عن تناول الإحسان فذلك لأنه لا يريد المسالمة ولا يرضى أن يكون كفورا للإحسان.
ولذلك عقب قوله: ﴿نكرهم﴾ ب ﴿أوجس منهم خيفة﴾ ، أي أحس في نفسه خيفة منهم وأضمر ذلك. ومصدره الإيجاس. وذلك أنه خشي أن يكونوا مضمرين شرا له، أي حبسهم قطاعا، وكانوا ثلاثة وكان إبراهيم - عليه السلام - وحده.
وجملة: ﴿قالوا لا تخف﴾ مفصولة عما قبلها، لأنها أشبهت الجواب، لأنه لما أوجس منهم خيفة ظهر أثرها على ملامحه، فكان ظهور أثرها بمنزلة قوله إني خفت منكم، ولذلك أجابوا ما في نفسه بقولهم: ﴿لا تخف﴾ ، فحكي ذلك عنهم بالطريقة التي تحكى بها المحاورات، أو هو جواب كلام مقدر دل عليه قوله: ﴿فأوجس منهم خيفة﴾ ، أي وقال لهم: إني خفت منكم، كما حكي في سورة الحجر ﴿قال إنا منكم وجلون﴾ . ومن شأن الناس إذا امتنع أحد من قبول طعامهم أن يقولوا له: لعلك غادر أو عدو، وقد كانوا يقولون للوافد: أحرب أم سلم.
وقولهم: ﴿إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾ مكاشفة منهم إياه بأنهم ملائكة. والجملة استئناف مبينة لسبب مجيئهم. والحكمة من ذلك كرامة إبراهيم عليه السلام وصدورهم عن علم منه.
وحذف متعلق ﴿أرسلنا﴾ أي بأي شيء، إيجازا لظهوره من هذه القصة وغيرها.
وعبر عن الأقوام المراد عذابهم بطريق الإضافة ﴿قوم لوط﴾ إذ لم يكن لأولئك الأقوام اسم يجمعهم ولا يرجعون إلى نسب بل كانوا خليطا من فصائل عرفوا بأسماء قراهم، **وأشهرها سدوم كما** تقدم في الأعراف.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٥٠/١٠

وجملة: ﴿وامرأته قائمة فضحكت﴾ في موضع الحال من ضمير ﴿أوجس﴾ ، لأن امرأة إبراهيم – عليه السلام – كانت حاضرة تقدم الطعام إليهم، فإن عادتهم كعادة العرب من بعدهم أن ربة المنزل تكون خادمة القوم. وفي الحديث "والعروس خادمهم". وقال مرة بن محكان التميمي:

يا ربة البيت قومي غير صاغرة ... ضمي إليك رجال القوم والغربا." (١)

"قال أبو علي الفارسي: قنط يقنط – بفتح النون في الماضي وكسرها في المستقبل – من أعلى اللغات. قال تعالى: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا﴾ [سورة الشورى: ٢٨].

قلت: ومن فصاحة القرآن اختياره كل لغة في موضع كونها فيه أفصح، فما جاء فيه إلا الفتح في الماضي، وجاء المضارع بالفتح والكسر على القراءتين.

[٥٧-٦٠] ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين﴾

حكاية هذا الحوار بين إبراهيم والملائكة عليهم السلام لأنه يجمع بين بيان فضل إبراهيم – عليه السلام – وبين موعظة قريش بما حل ببعض الأمم المكذبين انتقل إبراهيم عليه السلام إلى سؤالهم عن سبب نزولهم إلى الأرض، لأنه يعلم أن الملائكة لا ينزلون إلا لأمر عظيم كما قال تعالى: ﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق﴾ [سورة الحجر:٨]. وقد نزل الملائكة يوم بدر لاستئصال سادة المشركين ورؤسائهم.

والخطب تقدم في قوله تعالى: ﴿قال ما خطبكن﴾ في [سورة يوسف:٥١].

والقوم المجرمون هم **قوم سدوم وقراها**. وتقدم ذكرهم في سورة هود.

والاستثناء في ﴿إلا آل لوط﴾ منقطع لأنهم غير مجرمين. واستثناء ﴿إلا امرأته﴾ متصل لأنها من آل لوط.

وجملة ﴿إنا لمنجوهم أجمعين﴾ استئناف بياني لبيان الإجمال الذي في استثناء آل لوط من متعلق فعل ﴿أرسلنا﴾ لدفع احتمال أنهم لم يرسلوا إليهم ولا أمروا بإنجائهم.

وفي قوله: ﴿أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ إيجاز حذف وتقدير الكلام: إنا أرسلنا إلى لوط لأجل قوم مجرمين، أي لعذابهم. ودل ذلك على الاستثناء في ﴿إلا آل لوط﴾.

وقرأ الجمهور ﴿لمنجوهم﴾ – بفتح النون وتشديد الجيم – مضارع نجى المضاعف. وقرأ حمزة والكسائي وخلف – بسكون النون وتخفيف الجيم – مضارع أنجى المهموز.

---

(١) التحرير والتنوير، ١١/٢٩٥

وإسناد التقدير إلى ضمير الملائكة لأنهم مزمعون على سببه. وهو ما وكلوا به من تحذير لوط عليه السلام وآله من الالتفات إلى العذاب، وتركهم تحذير امرأته حتى التفتت فحل بها ما حل بقوم لوط.." [1]

"عطف جزء من قصة قوم لوط وهو الجزء الأهم فيها.

ومجيء أهل المدينة إليه ومحاورته معهم كان قبل أن يعلم أنهم ملائكة ولو علم ذلك لما أشفق مما عزم عليه أهل المدينة لما علم بما عزموا عليه بعد مجادلتهم معه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾ في سورة هود [٨١]. والواو لا تفيد ترتب معطوفها.

ويجوز جعل الجملة في موضع الحال من ضمير لوط المستتر في فعل ﴿قال إنكم قوم منكرون﴾ [سورة الحجر:]، أو من الهاء في ﴿إليه﴾ولا إشكال حينئذ.والمدينة هي سدوم.

و ﴿يستبشرون﴾ يفرحون ويسرون. وهو مطاوع بشره فاستبشر، قال تعالى: ﴿فاستبشروا ببيعكم﴾ في سورة براءة [١١١]. وصيغ بصيغة المضارع لإفادة التجدد مبالغة في الفرح. وذلك أنهم علموا أن رجالا غرباء حلوا ببيت لوط – عليه السلام – ففرحوا بذلك ليغتصبوهم كعادتهم السيئة. وقد تقدمت القصة في سورة هود.

والفضح والفضيحة: شهرة حال شنيعة. وكانوا يتعيرون بإهانة الضيف ويعد ذلك مذلة لمضيفه. وقد ذكرهم بالوازع الديني وإن كانوا كفارا استقصاء للدعوة التي جاء بها، وبالوازع العرفي فقال: ﴿واتقوا الله ولا تخزون﴾ كما في قول عبد بني الحسحاس:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

والخزي: الذل والإهانة. وتقدم في قوله تعالى: ﴿إلا خزي في الحياة الدنيا﴾ في أوائل سورة البقرة [٨٥]. وتقدم في مثل هذه القصة في سورة هود.

[٧٠-٧٧] ﴿قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل إن في ذلك لآيات للمتوسمين وإنها لبسبيل مقيم إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾

الواو في ﴿أولم ننهك﴾ عطف على كلام لوط – عليه السلام – جار على طريقة العطف على كلام الغير

---

(١) التحرير والتنوير، ٤٩/١٣

كقوله تعالى: ﴿قال ومن ذريتي﴾ بعد قوله تعالى: ﴿قال إني جاعلك للناس إماما﴾ في سورة البقرة [١٢٤].." (١)

"ولأجل البعد أعيد فعل الإيتاء ليظهر عطفه على ﴿آتينا إبراهيم رشده﴾ . ولم يعد في قصة نوح عقب هذه.

وأعقبت قصة إبراهيم بقصة لوط للمناسبة. وخص لوط بالذكر من بين الرسل لأن أحواله تابعة لأحوال إبراهيم في مقاومة أهل الشرك والفساد. وإنما لم يذكر ما هم عليه قوم لوط من الشرك استغناء بذكر الفواحش الفظيعة التي كانت لهم سنة فإنها أثر من الشرك.

والحكم: الحكمة، وهو النبوة، قال تعالى: ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾ .

والعلم: علم الشريعة، والتنوين فيهما للتعظيم.

والقرية سدوم. وقد تقدم ذكر ذلك في سورة هود. والمراد من القرية أهلها كما مر في قوله تعالى: ﴿واسأل القرية﴾ في سورة يوسف.

والخبائث: جمع خبيثة بتأويل الفعلة، أي الشنيعة. والسوء بفتح السين وسكون الواو مصدر، أي القبيح المكروه. وأما بضم السين فهو اسم مصدر لما ذكر وهو أغم من المفتوح لأن الوصف بالاسم أضعف من الوصف بالمصدر.

[٧٦-٧٧] ﴿ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين﴾

لما ذكر أشهر الرسل بمناسبات أعقب يذكر أول الرسل.

وعطف ﴿ونوحا﴾ على ﴿لوطا﴾ ، أي آتينا نوحا حكما وعلما، فحذف المفعول الثاني لـ ﴿آتينا﴾ لدلالة ما قبله عليه، أي آتيناه النبوة حين نادى، أي نادانا.

ومعنى ﴿نادى﴾ دعا ربه أن ينصره على المكذبين من قومه بدليل قوله: ﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ .

وبناء ﴿قبل﴾ على الضم يدل على مضاف إليه مقدر، أي من قبل هؤلاء، أي قبل الأنبياء المذكورين. وفائدة ذكر هذه القبلية التنبيه على أن نصر الله أولياءه سنته المرادة له." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ٥٣/١٣

(٢) التحرير والتنوير، ٨٢/١٧

"ولكون هذا مما قد يغيب عن الألباب نزل منزلة الشيء المتردد فيه فأكد بإن المخففة وبفعل كنا. واللام هي الفارقة بين إن المؤكدة المخففة عند إهمال عملها وبين إن النافية.

[٣٢،٣١] ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ .

تعقيب قصة نوح وقومه بقصة رسول آخر، أي أخرى، وما بعدها من القصص يراد منه أن ما أصاب قوم نوح على تكذيبهم له لم يكن صدفة ولكنه سنة الله في المكذبين لرسله ولذلك لم يعين القرن ولا القرون بأسمائهم.

والقرن: الأمة. والأظهر أن المراد به هنا ثمود لأنه الذي يناسبه قوله في آخر القصة ﴿فأخذتهم الصيحة بالحق﴾ ، لأن ثمود أهلكوا بالصاعقة ولقوله: ﴿قال عما قليل ليصبحن نادمين﴾ مع قوله في سورة الحجر ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾ فكان هلاكهم في الصباح. ولعل تخصيصهم بالذكر هنا دون عاد خلافا لما تكرر في غير هذه الآية رأن العبرة بحالهم أظهر لبقاء آثار ديارهم بالحجر كما قال تعالى ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون﴾ .

وقوله: ﴿فأرسلنا فيهم رسولا﴾ أي جعل الرسول بينهم وهو منهم، أي من قبيلتهم. وضمير الجمع عائد إلى قرنا لأنه في تأويل الناس كقوله: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ .

وعدي فعل أرسلنا بفي دون إلى لإفادة أن الرسول كان منهم ونشأ فيهم لأن القرن لما لم يعين باسم حتى يعرف أن رسولهم منهم أو واردا إليهم مثل لوط لأهل سدوم، ويونس لأهل نينوى، وموسى للقبط. وكان التنبيه على أن رسولهم منه مقصودا إتماما للمماثلة بين حالهم وحال الذين أرسل إليهم محمد صلى الله عليه وسلم. وكلام رسولهم مثل كلام نوح.

وأن تفسير لما تضمنه ﴿أرسلنا﴾ من معنى القول.

[٣٨،٣٣] ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة." [١]

"هذه السورة وهو مثل حذف جواب لو، وتقدم حذف جواب لو عند قوله تعالى: ﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب﴾ في سورة البقرة. وجواب لولا لم يحضرني الآن شاهد لحذفه وقد قال بعض الأئمة: إن لولا مركبة من لو ولا.

[١١] ﴿إن الذين جاءوا بالأفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما

---

(١) التحرير والتنوير، ٤١/١٨

اكتسب من الأثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾

استئناف ابتدائي فإن هذه الآيات العشر إلى قوله تعالى: ﴿والله سميع عليم﴾ نزلت في زمن بعيد عن زمن نزول الآيات التي من أول هذه السورة كما ستعرفه.

والإفك: اسم يدل على كذب لا شبهة فيه فهو بهتان يفجأ الناس. وهو مشتق من الأفك بفتح الهمزة وهو قلب الشيء، ومنه سمي **أهل سدوم وعمورة** وأدمة وصبوييم قرى قوم لوط أصحاب المؤتفكة لأن قراهم ائتفكت، أي قلبت وخسف بها فصار أعلاها أسفلها فكان الإخبار عن الشيء بخلاف حالته الواقعية قلبا له عن حقيقته فسمي إفكا. وتقدم عند قوله تعالى: ﴿فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾ في سورة الأعراف.

و ﴿جاءوا بالأفك﴾ معناه: قصدوا واهتموا. وأصله: أن الذي يخبر بخبر غريب يقال له: جاء بخبر كذا، ولأن شأن الأخبار الغريبة أن تكون مع الوافدين من أسفار أو المبتعدين عن الحي قال تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ﴾ ؛ فشبه الخبر بقدوم المسافر أو الوافد على وجه المكنية وجعل المجيء ترشيحا وعدي بباء المصاحبة تكميلا للترشح.

والإفك: حديث اختلقه المنافقون وراج عند المنافقين ونفر من سذج المسلمين إما لمجرد اتباع النعيق وإما لإحداث الفتنة بين المسلمين. وحاصل هذا الخبر: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قفل من غزوة بني المصطلق من خزاعة، وتسمى غزوة المريسيع ولم تبق بينه وبين المدينة إلا مرحلة، آذن بالرحيل آخر الليل. فلما علمت عائشة بذلك خرجت من هودجها وابتعدت عن الجيش لقضاء شأنها كما هو شأن النساء قبل الترحل فلما فرغت أقبلت إلى رحلها فافتقدت عقدا من جزع ظفار كان في صدرها فرجعت على طريقها تلتمسه فحبسها طلبه وكان ليل. فلما وجدته رجعت إلى حيث وضع رحلها فلم تجد الجيش ولا رحلها، وذلك أن الرجال الموكلين بالترحل قصدوا الهودج فاحتملوه وهم يحسبون أن عائشة فيه وكانت خفيفة قليلة اللحم فرفعوا الهودج وساروا فلما لم تجد أحدا اضطجعت في مكانها رجاء أن يفتقدوها فيرجعوا إليها فنامت وكان صفوان بن المعطل بكسر الطاء السلمي." (١)

"حال أنفسهم عليها. قال تعالى ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال﴾ [إبراهيم: ٤٥].

[٤٠] ﴿ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا﴾ .

لما كان سوق خبر قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وما بينهما من القرون مقصودا لاعتبار قريش

---

(١) التحرير والتنوير، ١٣٦/١٨

بمصائرهم نقل نظم الكلام هنا إلى إضاعتهم الاعتبار بذلك وبما هو أظهر منه لأنظارهم، وهو آثار العذاب الذي نزل بقرية قوم لوط.

واقتران الخبر بلام القسم لإفادة معنى التعجيب من عدم اعتبارهم كما تقدم في قوله ﴿لقد استكبروا في أنفسهم﴾ [الفرقان: ٢١]. وكانت قريش يمرون بديار قوم لوط في أسفارهم للتجارة إلى الشام فكانت ديارهم يمر بها طريقهم قال تعالى ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون﴾ [الصافات: ١٣٧ – ١٣٨]. وكان طريق تجارتهم من مكة على المدينة ويدخلون أرض فلسطين فيمرون حذو بحيرة لوط التي على شافتها بقايا مدينة "سدوم" ومعظمها غمرها الماء. وتقدم ذكر ذلك عند قوله تعالى ﴿وإنهما لبإمام مبين﴾ في سورة [الحجر: ٧٩].

والإتيان: المجيء. وتعديته بـ ﴿على﴾ لتضمينه معنى: مروا، لأن المقصود من التذكير بمجيء القرية التذكير بمصير أهلها فكأن مجيئهم إياها مرور بأهلها، فضمن المجيء بمعنى المرور لأنه يشبه المرور فإن المرور يتعلق بالسكان والمجيء يتعلق بالمكان فيقال: جئنا خراسان، ولا يقال: مررنا بخراسان. وقال تعالى ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون﴾ [الصافات: ١٣٧ – ١٣٨].

ووصف القرية بـ ﴿التي أمطرت مطر السوء﴾ لأنها اشتهرت بمضمون الصلة بين العرب أهل الكتاب. وهذه القرية هي المسماة "سدوم" بفتح السين وتخفيف الدال وكانت لقوم لوط قرى خمس أعظمها "سدوم". وتقدم ذكرها عند قوله تعالى ﴿ولوطا إذ قال لقومه﴾ في سورة [الأعراف: ٨٠].

و ﴿مطر السوء﴾ هو عذاب نزل عليهم من السماء وهو حجارة من كبريت ورماد، وتسميته مطرا على طريقة التشبيه لأن حقيقة المطر ماء السماء.." (١)

"للبشرى، فتعين أن يكون التعريف في البشرى تعريف العهد لاقتضاء ﴿لما﴾ أن تكون معلومة، فالبشرى هي ما دل عليه قوله تعالى آنفا ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ [العنكبوت: ٢٧] كما تقدم بيانه.

والبشرى: اسم للبشارة وهي الإخبار بما فيه مسرة للمخبر–بفتح الباء–وتقدم ذكر البشارة عند قوله تعالى ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا﴾ في [سورة البقرة: ١١٩].

ومن لطف الله بإبراهيم أن قدم له البشرى قبل إعلامه بإهلاك قوم لوط لعلمه تعالى بحلم إبراهيم. والمعنى: قالوا لإبراهيم إنا مهلكو أهل هذه القرية الخ.

---

(١) التحرير والتنوير، ٥٤/١٩

والقرية هي (سدوم) قرية قوم لوط. وقد تقدم ذكرها في سورة الأعراف.
وجملة ﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾ تعليل للإهلاك وقصد به استئناس إبراهيم لقبول هذا الخبر المحزن، وأيضا لأن العدل يقتضي أن لا يكون العقاب إلا على ذنب يقتضيه.
والظلم: ظلمهم أنفسهم بالكفر والفواحش، وظلمهم الناس بالغصب على الفواحش والتدرب بها.
وقوله ﴿إن فيها لوطا﴾ خبر مستعمل في التذكير بسنة الله مع رسله من الإنجاء من العذاب الذي يحل بأقوامهم. فهو من التعريض للملائكة بتخصيص لوط ممن شملتهم القرية في حكم الإهلاك، ولوط وإن لم يكن من أهل القرية بالأصالة إلا أن كونه بينهم يقتضي الخشية عليه من أن يشمله الإهلاك. ولهذا قال ﴿إن فيها لوطا﴾ بحرف الظرفية ولم يقل: إن منها.
وجواب الملائكة إبراهيم بأنهم أعلم بمن فيها يريدون أنهم أعلم منه بأحوال من في القرية، فهو جواب عما اقتضاه تعريضه بالتذكير بإنجاء لوط، أي نحن أعلم منك باستحقاق لوط النجاة عند الله، واستحقاق غيره العذاب فإن الملائكة لا يسبقون الله بالقول وهم بأمره يعملون وكان جوابهم مطمئنا إبراهيم. فالمراد من علمهم بمن في القرية علمهم باختلاف أحوال أهلها المرتب عليها استحقاق العذاب، أو الكرامة بالنجاة.
وإنما كان الملائكة أعلم من إبراهيم بذلك لأن علمهم سابق على علمه ولأنه علم يقين ملقى من وحي الله فيما سخر له أولئك الملائكة إذ كان إبراهيم لم يوح الله إليه بشيء في ذلك، ولأنه علم تفصيلي لا إجمالي، وعمومي لا خصوصي. فلأجل هذا الأخير أجابوا بـ ﴿نحن أعلم بمن فيها﴾ . ولم يقولوا: نحن أعلم بلوط، وكونهم أعلم من إبراهيم." (١)

"بالموعظة بحال هود مع قومه. وسيقت أيضا مساق الحجة على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى عناد قومه بذكر مثال لحالهم مع رسولهم بحال عاد مع رسولهم. ولها أيضا موقع التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم على ما تلقاه به قومه من العناد والبهتان لتكون موعظة وتسلية معا يأخذ كل منها ما يليق به.
ولا تجد كلمة أجمع للمعنيين مع كلمة ﴿اذكر﴾ لأنها تصلح لمعنى الذكر اللساني بأن يراد أن يذكر ذلك لقومه، ولمعنى الذكر بالضم بأن يتذكر تلك الحالة في نفسه وإن كانت تقدمت له وأمثالها لأن في التذكر مسلاة وإسوة كقوله تعالى ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد﴾ في سورة ص [١٧] وكلا المعنيين ناظر إلى قوله آنفا ﴿ قل ما كنت بدعا من الرسل﴾ فإنه إذا قال لهم ذلك تذكروا ما يعرفون من

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦٤/٢٠

قصص الرسل مما قصه عليهم القرآن من قبل وتذكر هو لا محالة أحوال رسل كثيرين ثم جاءت قصة هود مثالا لذلك. ومشركو مكة إذا تذكروا في حالهم وحال عاد وجدوا الحالين متماثلين فيجدر بهم أن يخافوا من أن يصيبهم مثل ما أصابهم.

والاقتصار على ذكر عاد لأنهم أول الأمم العربية الذين جاءهم رسول بعد رسالة نوح العامة وقد كانت رسالة هود ورسالة صالح قبل رسالة إبراهيم عليهم السلام، وتأتي بعد ذكر قصتهم إشارة إجمالية إلى أمم أخرى من العرب كذبوا الرسل في قوله تعالى ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى﴾ [الاحقاف: ٢٧] الآية.

وأخو عاد هو هود وتقدمت ترجمته في سورة الأعراف. وعبر عنه هنا بوصفه دون اسمه العلم لأن المراد بالذكر هنا ذكر التمثيل والموعظة لقريش بأنهم أمثال عاد في الإعراض عن دعوة رسول من أمتهم.

والأخ يراد به المشارك في نسب القبيلة، يقولون: يا أخا بني فلان، ويا أخا العرب، وهو المراد هنا وقد يراد بها الملازم والمصاحب، يقال: أخو الحرب وأخو عزمات. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة "أنت أخونا ومولانا" وهو المراد في قوله تعالى ﴿كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون﴾ [الشعراء:١٦٠،١٦١]. ولم يكن لوط من نسب قومه أهل سدوم.

و ﴿إذ أنذر﴾ اسم للزمن الماضي، وهي هنا نصب على البدل من أخا عاد، أي اذكر زمن إنذاره قومه فهي بدل اشتمال. وذكر الإنذار هنا دون الدعوة أو الإرسال لمناسبة تمثيل حال قوم هود بحال قوم محمد صلى الله عليه وسلم فهو ناظر إلى قوله تعالى في أول السورة." [١]

"وعبر عن قوم لوط ب ﴿وإخوان لوط﴾ ولم يكونوا من قبيله، فالمراد ب ﴿إخوان﴾ أنهم ملازمون. وهم **أهل سدوم وعمورة** وقراهما وكان لوط ساكنا **في سدوم ولم** يكن من أهل نسبهم لأن **أهل سدوم كنعانيون** ولوطا عبراني. وقد تقدم قوله تعالى ﴿إذ قال لهم أخوهم لوط﴾ [الشعراء: من الآية١٦١] في سورة الشعراء. وذكر قوم تبع وهم أهل اليمن ولم يكن العرب يعدونهم عربا.

وهذه الأمم أصابها عذاب شديد في الدنيا عقابا على تكذيبهم الرسل. والمقصود تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتعريض بالتهديد لقومه المكذبين أن يحل بهم ما حل بأولئك.

والرس: يطلق اسما للبئر غير المطوية ويطلق مصدرا للدفن والدس. واختلف المفسرون في المراد به هنا. ﴿وأصحاب الرس﴾ قوم عرفوا بالإضافة إلى الرس، فيحتمل أن إضافتهم إلى الرس من إضافة الشيء إلى موطنه مثل ﴿أصحاب الأيكة﴾ ، و ﴿أصحاب الحجر﴾ [الحجر: ٨٠] و ﴿أصحاب القرية﴾ [يس:

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٨/٢٦

١٣] ويجوز أن تكون إضافة إلى حدث حل بهم مثل ﴿أصحاب الأخدود﴾ [البروج: ٤] وفي تعيين ﴿أصحاب الرس﴾ أقوال ثمانية أو تسعة وبعضها متداخل.

وتقدم الكلام عليهم في سورة الفرقان. والأظهر أن إضافة ﴿أصحاب﴾ إلى ﴿الرس﴾ من إضافة اسم إلى حدث حدث فيه فقد قيل: إن أصحاب الرس عوقبوا بخسف في الأرض فوقعوا في مثل البئر. وقيل: هو بئر ألقى أصحابه فيه حنظلة بن صفوان رسول الله إليهم حيا فهو إذن علم بالغلبة وقيل هو فلج من أرض اليمامة.

وتقدم الكلام على أصحاب الرس في سورة الفرقان [٣٨] عند قوله تعالى ﴿وعادا وثمودا وأصحاب الرس﴾ وأصحاب الأيكة هم من قوم شعيب وتقدم في سورة الشعراء وقوم تبع هم حمير من عرب اليمن وتقدم ذكرهم في سورة الدخان.

وجملة ﴿كل كذب الرسل﴾ مؤكدة لجملة ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ الى آخرها، فلذلك فصلت ولم تعطف، وليبني عليه قوله ﴿فحق وعيد﴾ فيكون تهديد بأن يحق عليهم الوعيد كما حق على أولئك مرتبا بالفاء على تكذيبهم الرسل فيكون في ذلك تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وللرسل السابقين. وتنوين ﴿كل﴾ تنوين عوض عن المضاف إليه، أي كل أولئك. و ﴿حق﴾ صدق وتحقق.

والوعيد: الإنذار بالعقوبة واقتضى الإخبار عنه ب ﴿حق﴾ أن الله توعدهم به فلم يعبأوا." (١)

"بالوحي، فكان من علم النبوءة أن إرسال الملائكة إلى الأرض بتلك الصورة لا يكون إلا لخطب قال تعالى و ﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين﴾ [الحجر:٨].

والخطب: الحدث العظيم والشأن المهم، وإضافته إلى ضميرهم لأدنى ملابسة.

والمعنى: ما الخطب الذي أرسلتم لأجله إذ لا تنزل الملائكة إلا بالحق. وخاطبهم بقوله ﴿أيها المرسلون﴾ لأنه لا يعرف ما يسميهم به إلا وصف أنهم المرسلون، والمرسلون من صفات الملائكة كما في قوله تعالى ﴿والمرسلات عرفا﴾ [المرسلات:١] عن أحد تفسيرين.

والمراد بالقوم المجرمين **أهل سدوم وعمورية**، وهم قوم لوط، وقد تقدمت قصتهم في سورة الأعراف وسورة هود.

والإرسال الذي في قوله ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين﴾ مستعمل في الرمي مجازا كما يقال: أرسل سهمه على الصيد، وهذا الإرسال يكون بعد أن أصعدوا الحجارة إلى الجو وأرسلتها عليهم، ولذلك سميت مطرا

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٦/٢٤٦

في بعض الآيات.
وحصل بين ﴿أرسلنا﴾ وبين ﴿لنرسل﴾ جناس لاختلاف معنى اللفظين.
والحجارة: اسم جمع للحجر، ومعنى كون الحجارة من طين: أن أصلها طين تحجر بصهر النار، وهي حجارة بركانية من كبريت قذفتها الأرض من الجهة التي صارت بحيرة تدعى اليوم بحيرة لوط وأصعدها ناموس إلهي بضغط جعله الله يرفع الخارج من البركان إلى الجو فنزلت على قرى قوم لوط فأهلكتهم، وذلك بأمر التكوين بواسطة القوى الملكية.
والمسومة: التي عليها المسومة أي العلامة، أي عليها علامات من ألوان تدل على أنها ليست من الحجارة المتعارفة.
ومعنى ﴿عند ربك﴾ أن علاماتها بخلق الله وتكوينه.
والمسرفون: المفرطون في العصيان، وذلك بكفرهم وشيوع الفاحشة فيهم، فالمسرفون: القوم المجرمون، عدل عن ضميرهم إلى الوصف الظاهر، لتسجيل إفراطهم في الإجرام.
[٣٥-٣٧]﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين [٣٥] فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين [٣٦] وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم﴾ [٣٧].." (١)
"وثمودا أشهر في العرب وأكثر ذكرا بينهم وديارهم في بلاد العرب.
وقرأ الجمهور ﴿عادا الأولى﴾ بإظهار تنوين ﴿عادا﴾ وتحقيق همزة ﴿الأولى﴾ وقرأ ورش عن نافع وأبو عمرو ﴿عاد لولى﴾ بحذف همزة ﴿الأولى﴾ بعد نقل حركتها إلى اللام المعرفة وإدغام نون التنوين من ﴿عادا﴾ ﴿لولى﴾ . وقرأه قالون عن نافع بإسكان همزة ﴿الأولى﴾ بعد نقل حركتها إلى اللام المعرفةط ﴿عاد لؤلى﴾ على لغة من يبدل الواو الناشئة عن إشباع الضمة همزا، كما قرئ ﴿فاستوى على سوقه﴾ [الفتح:٢٩].
وقرأ الجمهور ﴿وثمودا﴾ بالتنوين على إطلاق اسم جد القبيلة عليها. وقرأه عاصم وحمزة بدون تنوين على إرادة اسم القبيلة.
وجملة ﴿إنهم كانوا هم أظلم وأطغى﴾ تعليل لجملة ﴿أهلك عادا الأولى﴾ إلى آخرها، وضمير الجمع في ﴿إنهم كانوا﴾ يجوز أن يعود إلى قوم نوح، أي كانوا أظلم وأطغى من عاد وثمود. ويجوز أن يكون عائد إلى عاد وثمود وقوم نوح والمعنى: أنهم أظلم وأطغى من قومك الذين كذبوك فتكون تسلية للنبي صلى الله عليه

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٨/٢٧

وسلم بأن الرسل من قبله لقوا من أممهم أشد مما لقيه محمد صلى الله عليه وسلم، وفيه إيماء إلى أن الله مبق على أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يهلكها لأنه قدر دخول بقيتها في الإسلام ثم أبنائها.

وضمير الفصل في قوله: ﴿كانوا هم أظلم وأطغى﴾ لتقوية الخبر.

[٥٣،٥٤] ﴿والمؤتفكة أهوى [٥٣] فغشاها ما غشى﴾ .

والمؤتفكة صفة لموصوف محذوف يدل عليه اشتقاق الوصف كما سيأتي، والتقدير: القرى المؤتفكة، وهي قرى قوم لوط الأربع **وهي سدوم و** عمورة و آدمة و صبوييم. ووصفت في سورة براءة بالمؤتفكات لأن وصف جمع المؤنث يجوز أن يجمع وأن يكون بصيغة المفرد المؤنث. وقد صار هذا الوصف غالبا عليها بالغلبة.

وذكرت القرى باعتبار ما فيها من السكان تفننا ومراعاة للفواصل.

ويجوز أن تكون المؤتفكة هنا وصفا للأمة، أي لأمة لوط ليكون نظيرا لذكر عاد وثمود وقوم نوح كما في قوله تعالى: ﴿وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة﴾ في سورة الحاقة [٩]. والائتفاك: الانقلاب، يقال: أفكها فاتفكت. والمعنى: التي خسف بها فجعل عاليها سافلها، وقد تقدم ذكرها في سورة براءة.." (١)

"وامضوا حيث تؤمرون قيل هي مصر وقيل حيث هنا للزمان إذ لم يذكر مكان وقضينا إليه ذلك الأمر هو من القضاء والقدر وإنما تعدى بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا وقيل معناه أعلمناه بذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع هذا تفسير لذلك الأمر ودابر القوم أصلهم والإشارة إلى قوم لوط مصبحين في الموضعين أي إذا أصبحوا ودخلوا في الصباح وجاء أهل المدينة يستبشرون المدينة **هي سدوم واستبشار** أهلها بالأضياف طمعا أن ينالوا منهم الفاحشة قالوا أولم ننهك عن العالمين كانوا قد نهوه أن يضيف أحدا قال هؤلاء بناتي دعاهم إلى تزويج بناته ليقي بذلك أضيافه لعمرك قسم والعمر الحياة ففي ذلك كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم لأن الله أقسم بحياته أو قيل هو من قول الملائكة للوط وارتفاعه بالابتداء وخبره محذوف تقديره لعمرك قسمي واللام للتوطئة إنهم لفي ... ٣٤٣." (٢)

" ٢٩ وهم مع ذلك يعبدونهم فهذه غاية الضلال في فعلهم وغاية المكابرة والمعاندة في جدالهم ويحتمل أن يكون نكسوا على رءوسهم بمعنى رجوعهم من المجادلة إلى الانقطاع فإن قولهم لقد علمت

---

(١) التحرير والتنوير، ١٥٢/٢٧

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٦٢/٢

ما هؤلاء ينطقون إعتراف يلزم منه أنهم مغلوبون بالحجة ويحتمل على هذا أن يكون نكسوا على رءوسهم حقيقة أي أطرقوا من الخجل لما قامت عليهم الحجة أف لكم تقدم الكلام على أف في الإسراء قالوا حرقوه لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغلب عليه بالظلم قلنا يا نار كوني بردا وسلاما أي ذات برد وسلام وجاءت العبارة هكذا للمبالغة واختلف كيف بردت النار فقيل أزال الله عنها ما فيها من الحر والإحراق وقيل دفع عن جسم إبراهيم حرها وإحراقها مع ترك ذلك فيها وقيل خلق بينه وبينها حائلا ومعنى السلام هنا السلامة وقد روي أنه لو لم يقل سلاما لهلك إبراهيم من البرد وقد أضربنا عما ذكره الناس في قصة إبراهيم لعدم صحته ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه إلى الأرض التي باركنا فيها هي الشام خرج إليها من العراق وبركتها بخصبها وكثرة الأنبياء فيها نافلة أي عطية والتنفيل العطاء وقيل سماه نافلة لأنه عطاء بغير سؤال فكأنه تبرع وقيل الهبة إسحاق والنافلة يعقوب لأنه سأل إسحاق بقوله هب لي من الصالحين فأعطى يعقوب زيادة على ما سأل واختار بعضهم على هذا الوقف على إسحاق لبيان المعنى وهذا ضعيف لأنه معطوف على كل قول يهدون بأمرنا أي يرشدون الناس بإذننا ولوطا قيل إنه انتصب بفعل مضمر يفسره آتيناه والأظهر أنه انتصب بالعطف على موسى وهارون أو إبراهيم وانتصب ونوحا وداود وسليمان وما بعدهم بالعطف أيضا وقيل بفعل مضمر تقديره اذكر آتيناه حكما أي حكما بين الناس أو حكمة من القرية هي سدوم من أرض الشام وأدخلناه في رحمتنا أي في الجنة أو في أهل رحمتنا نادى من قبل أي دعا قبل إبراهيم ولوط من الكرب يعني من الغرق ونصرناه من القوم تعدى نصرناه." (١)

"قوله : ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾.

قيل : إنه تولى عنهم بعد موتهم لقوله تعالى : ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ فَتَوَلَّى ﴾ و " الفاءُ " تقتضي التعقيب.

وقيل : تولّى عنهم قبل موتهم لقوله : ﴿وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ فدلَّ ذلك على كونهم أحياء من ثلاثة أوْجُهٍ : [الأول] : قوله لهم " يَا قَوْم " ، والأموات لا يوصفون بالقوم ، لاشتقاق لفظ القوم من القيام ، وهو مفقود في حقِّ الميت.

والثاني : أنَّ هذه الكلمات خِطَاب معهم ، وخطاب الميت لا يجوز.

والثالث : قوله : ﴿وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ يقتضي كونهم بحيث تصحُّ حصول المحبّة فيهم.

ويمكن الجوابُ : بأنَّه قد يقولُ الرَّجلُ لصاحبه الميت ، وقد كان نصحه فلم يقبل النَّصيحة ، حتى ألقى

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٢/١٩٧

نفسه في الهلاك : يا أخي منذ كم نصحتك فلم تقبل ، وكمن منعتك فلم تمتنع ، فكذا هاهنا.

وفائدتُهُ : إمّا لأن يسمعه الحيُّ فيعتبر به ، وينزجِر عن مثل تلك الطريقة ، وإما لإحراق قلبه بسبب تلك الواقعة ، فإذا ذكر ذلك الكلام فرَّجت تلك القضية من قلبه.

وذكروا جواباً آخر ، وهو أن صالحاً – عليه السلامُ – خاطبهم بعد كونهم " جَاثِمِينَ " ، كما خاطب نبينا – عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ – قتلى " بدر ".

فقيل : تتكلم مع هؤلاء الجيف ؟ فقال : " مَا أنْتُمْ بأسْمَعَ مِنْهُم ، ولكنْ لا يَقْدِرُونَ على الجوابِ " وقيل : في الآية تقديمٌ وتأخير ، تقديره : فتولَّى عنهم وقال : يا قَوْم لَقَدْ أبْلَغْتُكم رسالةَ ربِّي ، فأخذتهم الرجفة.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ١٩٧

قوله تعالى : ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ القصة.

في نصب " لُوطاً " وجهان : أحدهما : أنه منصوب بـ " أرْسَلْنَا " الأوَّلِ ، و " إذ " ظرف الإرسال.

والثاني : أنَّهُ منصوبٌ بإضمار " اذْكُرْ " ، وفي العامل في الظرف حينئذ وجهان : أحدهما – وهو قول الزمخشريِّ أنَّهُ بدلٌ من " لوطاً " قال : " بمعنى : واذكر وقت إذ قال لقومه " وهذا على تسليم تصرف إذ ".

٢٠٢

والثاني : أنَّ العامل فيها مُقَدَّرٌ تقديره : " واذْكُرْ رسالةَ لُوط إذْ قَالَ " فـ " إذ " مصوبة بـ " رسالة ".

قاله أبُو البقاء ، والبدل حينئذٍ بدل اشتمال.

وصرّف نوح ولوط لخفَّتِه ، فإنَّهُ ساكنُ الوسط ، مركب من ثلاثة أحرف.

، لُطْتُ الحوض إذا ملسته بالطين ، وهذا غلط ؛ لأنَّ الأسماء الأعجميّة لا تشتق كإسْحَاق ، فلا يقال : إنه من السُّحق وهو البعد ؛ وإنَّمَا صرف لخفته ؛ لأنَّه على ثلاثة أحْرُف ساكن الوسط ، فأمَّا لطتُ الحوضَ ، وهذا أليط فصحيح ، ولكن الاسم أعجميّ كإبراهيم وإسحاق.

وهو : لوطُ بْنُ هَاران بْنِ تَارخ ابْنِ أخير إبراهيم ، كان في أرض بابل مع عمه إبراهيم ، ، فهاجر إلى الشَّام ، فنزل إبراهيمُ إلى فلسطين ، وأنزل لوطاً الأردن ، فأرسله اللَّهُ عز وجل إلى أهل سَدُوم.

قوله : " أتأتُونَ الفَاحِشَة " أتفعلون السيئة المتناهية في القبح ، وذكرها باسم الفاحشة ليبين أنَّها زنا لقوله تعالى : ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ [الإسراء : ٣٢].

﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ﴾ في هذه الجملة وجهان : أحدهما : أنَّهَا مستأنفة لا محلَّ لها

من الإعرابِ ، وعلى الاستئناف يحتمل أن تكون جواباً لسؤال وألا تكون جواباً.
٢٠٣
قال الزَّمَخْشَرِيُّ : " فإن قلت : ما موقع هذه الجملة " ؟ قلت : لا مَحَلَّ لها لأنَّها مُسْتَأنفة ، أنكر عليهم أوّلاً بقوله : " أتَأتُونَ الفَاحِشَةَ " ثُمَّ وبخهم عليها فقال : أنتم أوَّلُ من عملها.
أو تكون جواباً لسؤال مقدَّر ، كأنَّهُم قالوا : لِمَ لا تأتيها ؟ فقال : " ما سبقكم بها أحَدٌ ؛ فلا تفعلوا ما لم تُسْبَقُوا به " وعلى هذا فتكون صفة للفاحشة ، كقوله تعالى : ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [يس : ٣٧] وقال الشَّاعِر : [الكامل] ٢٥١١ - وَلَقَدْ أمُرُّ على اللَّئِيم يَسُبُّنِي

....

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢٠٢
." (١)

"قوله : ﴿بَلْ جِئْنَاكَ﴾ إضراب عن الكلام المحذوف ، تقديره : ما جئناك بما ينكر ، ﴿بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا [كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾].
وقد تقدَّم الخلاف في قوله : " فأسْرِ " قعاً ووصلاً في هود : [٨١].
وقرأ اليماني فيما نقل ابن عطية ، وصاحب اللوامح : " فَسِرْ " من السير.
وقرأت فرقة بفتح الطاء ، وقد تقدَّم في يونس أنَّ الكسائي ، وابن كثير قرآه بالسكون في قوله " قِطْعاً " والباقون بالفتح.
قوله : قالت الملائكة ﴿بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكون أنه نازلٌ بهم ، وهو العذاب ؛ لأنه كان يوعدهم بالعذاب ، فلا يصدقونه ، ثمَّ أكدوا ذلك بقولهم : ﴿وَآتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ قال الكلبيُّ : بالعذاب ، [وقيل] باليقين والأمر الثابت الذي لا شك فيه وهو العذاب] ثم أكدوا هذه التَّأكيد بقولهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.
﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ والقِطْعُ والقَطع : آخر الليل ؛ قال : [الخفيف] ٣٢٨٠. افْتَحِي البَابَ وانظُرِي في النُّجُومِ
كَم علَيْنَا مِن قِطْعِ لَيْلٍ بَهِيمِ
﴾

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٣٨٢

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٤٦٦
وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ ، أي سر خلفهم ﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا ترتاعوا من أمر عظيم فأنزل بهم من العذاب.
وقيل : معناه الإسراع ، وترك الاهتمام لما خلف وراءه ، كما يقول : امض لشأنك ، ولا تعرج على شيءٍ.
وقيل : المعنى لو بقي [منه] متاعٌ في ذلك الموضع ، فلا يرجعن بسببه ألبتَّة.
وقيل : جعل الكله ذلك علامة لمن ينجو من آل لوطٍ.
﴿وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : يعني " الشَّام ".
وقال المفضل : حيث يقول لكم جبريل.
وقال مقاتل : يعني زغر.
وقيل : " الأرْدن ".
قوله : ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ " حَيْثُ " على بابها من كونها ظرف مكان مبهمٍ ، ولإبهامها
٤٧٥
تعدي إليها الفعل من غير واسطةٍ ، على أنه قد جاء في الشِّعر تعديته إليها بـ " في "كقوله : [الطويل]
٣٢٨١ـ فَأصْبحَ في حَيْثُ التَقيْنَا شَردُهمْ
طَلِيقٌ ومكْتوفُ اليَديْنِ ومُزْعِفُ
وزعم بعضهم أنها هنا ظرف زمانٍ ، مستدلاً بقوله : ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ ثم قال ﴿وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ أي : في ذلك الزَّمان.
وهو ضعيف ، ولو كان كما قال ، لكان التركيب وأمضوا حيث أمرتهم على أنه لو جاء التَّركيب كذا لم يكن فيه دلالة.
قوله : ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ ضمَّن القضاء معنى الإيجاء ؛ فلذلك تعدَّى تعيدته ـ " إلى " ، ومثله ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الإسراء : ٤].
و " ذَلكَ الأمْرَ " " ذَلِكَ " مفعول القضاءِ ، والإشارة به إلى ما وعد من إهلاكِ قومه ، و " الأمْرَ " إمَّا بدلٌ منه ، أو عطف بيانٍ له.
قوله : ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلآءِ﴾ العامة على فتح " أنَّ " وفيها أوجه : أحدها : أنها بدل من " ذَلِكَ " إذا قلنا : " الأمْرَ " عطف بيان.
الثاني : أنَّها بدلٌ من " الأمْرَ " سواء قلنا : إنه بيان أو بدل مما قبله.

الثالث : أنه على حذف الجار ، أي : بأنَّ دابر ، ففيه الخلاف المشهور.

وقرأ زيد بن علي ، والأعمش بكسرها ؛ لأنه بمعنى القول.

وعلَّله أبو حيان : بأنه لمَّا علق ما هو بمعنى العلم ؛ كسر.

وفيه النظر المتقدم.

ويؤيّد إضمار القول قراءة ابن مسعودٍ : وقلنا إنَّ دابر هؤلاء.

ودابرهم : آخرهم " مَقطوعٌ " مستأصل ، يعني مستأصلون عن آخرهم ؛ حتى لا يبقى منهم أحد " مُصْبحينَ " ، أي في حال ظهور الصبح ، فهو حال من الضمير المستتر في : " مَقطُوعٌ " ، وإنَّما جمع حملاً على المعنى ، وجعله الفرَّاء ، وأبو عبيدة خبراً لكان المضمرة ، قالا : تقديره : إذا كانوا مصبحين ، نحو " أنْتَ مَاشِياً أحسنُ مِنْكَ رَاكِباً ".

وهو تكلفٌ ، و " مُصْبحِينَ " داخلين في الصَّباحِ.

قوله : ﴿وَجَآءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ ، أي : مدينة لوط ، يعني : "**سدُوم**" " يَسْتبشِرُونَ " حالٌ ، أي : يستبشرون بأضياف لوطٍ ، يبشر بعضهم بعضاً في ركوب الفاحشة منهم.

٤٧٦

قيل : إنَّ الملائكة لما كانوا في غاية الحسن اشتهر خبرهم.

وقيل : أخبرتهم امرأة لوطٍ بذلك ؛ فذهبوا إلى دارِ لوطٍ ؛ طلباً منهم لأولئك المردِ.

فقال لهم لوط ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : " هَؤلاءِ ضَيْفِي " وحق على الرجل إكرام ضيفه ، " فلا تَفْضحُونِ " فيهم.

يقال : فَضحَهُ يَفضحُه فَضْحاص ، وفَضِيحَةً ، إذا أظهر من أمره ما يلزمه به العار ، والفَضِيحُ والفَضِيحةُ : البيان ، والظُّهورُ ، ومنه : فَضِيحَةُ الصُّبْحِ ؛ قال الشاعر : [البسيط] ٣٢٨٢. وَلاحَ ضَوءُ هِلالِ اللَّيْلِ يَفْضحُنَا مِثْلَ القُلامَةِ قَدْ قُصَّتْ مِنَ الظُّفُرِ

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٤٦٦

". (١)

"إلا أَنْ قَالُوا له استهزاء ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أن العذاب نازل بنا فعند ذلك قال لوط : ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ بتحقيق قولي في العذاب.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٣١٦١

فإن قيلَ : قال قوم " إبراهيم " اقتلوه أو حرّقوه ، وقال قوم لوط ﴿ائتنا بعذاب الله﴾ وما هددوه (مع) أن " إِبْرَاهِيمَ " كان أعظم من " لوط " فإن لوطاً كان من قومه.

فالجوابُ : أن إبراهيم كان يقدح في دينهم ويشتم آلهتهم ويعدد صفات نقصهم بقوله : " لا تُبْصِرُ ولا تَسْمَع ولا تَنْفَعُ ، ولا تُغْنِي " ، والقدح في الدين صعب ، فجعلوا جزاءه القتل والتحريق ، ولوط كان ينكر عليهم فعلهم ، وينبههم إلى ارتكاب التحريم وهم ما كانوا يقولون إن هذا واجب من الدين فلم يصعب عليهم مثل ما صعب على قوم إبراهيم كلام إبراهيم وقالوا : إنك تقول : إن هذا حرام والله يعذب عليه ونحن نقول : لا نعذب فإن كنت صادقاً فتِنَا بالعذَابِ.

؟ فإن قيل : إن الله قال في موضع آخر : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اْ أَخْرِجُوا اْ آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ [النمل : ٥٦].

وقال هنا : ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا﴾ فكيف الجمع ؟ فالجوابُ : أن لوطاً كان ثابتاً على الإرشاد مكرراً على النهي والوعيد فقالوا (أولاً) ائتنا (ثم) لما كثر منه ولم يسكت عنهم قالوا : " أخرجوا ".

ثم إنَّ لوطاً لما يَئِسَ منهم طلب النُّصْرَةَ من الله وذكرهم بما لا يحب الله فقال " رب انصرني على القوم المفسدين﴾ (فإن الله لا يحب المفسدين) حتى يُنْجِزَ النَّصْرَ.

واعلم أن كُلَّ نبي من الأنبياء ما طلب هلاكُ قَوْمه إلا إذا علم أن عدمَهُمْ خيرٌ من وجودهم ، كما قال نوحٌ ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا اْ إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾ [نوح : ٢٧] ، يعني : أن المصلحة إما أن تكون فيهم حالاً ، أو بسببها مآلاً ولا مصلحة فيهما ، فإنهم ضالون في الحال وفي المآل فإنهم يوصون أولادهم من صغرهم بالامتناع عن الأَتباع وكذلك لوط لما رأى أنهم يفسدون في الحال ، واشتغلوا بما لا يُرْجَى منهم ولد صالح يعبد الله فطلب المصلحة حالاً ومآلاً ، فعدمهم صار خيراً ، وطلب العذاب.

٣٤٦

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٣٤٣

قوله (تعالى) : ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ﴾ من الله بإسحاقَ ويعقوبَ ﴿قَالُوا اْ إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَاذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يعني قوم لوطِ ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَالِمِينَ﴾.

" قَالَ " إبْراهيم ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطاً﴾ ، قالت الملائكة : ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ ويأتي بقية الكلام على ذلك.

قوله : ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ﴾ تقدم نظيرها إلا أن هنا زيدت " أن " وهو مطّرد تأكيداً.

اعلم أنه لما دعا لوطٌ على قومه بقوله : " رب انصرني " استجاب الله دعاءه ، وأمره ملائكته بإهلاكهم

وأرلهم مبشرين ومنذرين فجاءوا إبراهيم وبشَّرُوه بذرية طيبة وقالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية يعني أهل سَدُومَ.

" إحداهما " : أن الله جعلهم مبشرين ومنذرين لكن البشارة إثْرَ الرحمة والإنذار بالهلاك إثْرَ الغضب ، ورحمته سبقت غضبه فقدم البشارة على الإنذار ، وقال : ﴿جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ ثم قال : " إنَّا مُهْلِكُوا " ، " والثانية " : حين ذكروا البشرى ما هلكوا وقالوا : إنا نبشرك بأنك رسول ، أو لأنك مؤمن أو لأنك عادل ، وحين ذكروا الإهلاك هَلَكُوا ، وقالوا : إن أهلها كانوا ظالمين لأن ذا الفضل لا يكون فضله بعوض ، والعادل لا يكون عذابه إلا على جُرْمٍ.

فإن قيل : قال في قوم نوح : ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت : ١٤] (وقيل : إن ذلك إشارة إلى أنهم كانوا على ظلمهم حين أخذهم ولم يقل : وهم ظَالِمُونَ).

فالجواب : لا فرق في الموضعين في كونهما مُهْلَكِينَ وهم مصرّون على الظلم لكن هناك الإخبار من الله عن الماضي حيث قال : " فأخذهم " وهم عند الوقوع في العذاب

٣٤٧

". (١)

"والثالث : ـ وهو الصحيح ـ أنها نافية بمعنى مكّناكم في الذي ما مكّناهم فيه من القوة والبَسْطَةِ وسَعَةِ الأرزاق.

ويدل له قوله في مواضع : ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الروم : ٩] وأمثاله.

وإنما عدل عن لفظ " ما " النافية إلى " إنْ " كراهية لاجتماع متماثلين لفظاً.

قال الزمخشري : وقد أَغَيُّ أبو الطيب في قوله : ٤٤٥٩. لَعُمُرَكَ ما ما بانَ مِنْكَ لَضَارِبٌ

....

وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال : " مَا إنْ بان ".

فصل معنى الآية مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الأبدان وطولِ العمر ، وكَثْرةِ ا لمال ثم إنهم مع زيادة القُوَّة ما نَجَوْا من عذاب الله تعالى فكيف يكون حالكم ؟ ثم قال : ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً﴾ أي فتحنا عليهم أبواب النعم وأعطيناهم سمْعاً ، فما استعملوه في سَمَاع الدلائل وأعطيناهم أبصاراً فما استعملوها في دلائل ملكوت السموات والأرض ، وأعطيناهم أفئدة فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القُوَى إلى طلب الدنيا ولذاتها فلا جَرَمَ ما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ ، ص/٤٠٤٥

من عذاب الله تعالى.

قوله : ﴿فَمَآ أَغْنَى ﴾ يجوز أن يكون " ما " نفياً وهو الظاهر.

أو استفهاماً للتقرير.

واستبعده أبو حيان لأجل قوله : ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ قال : إذ يصير التقدير أي شيء أعنى عنهم من

٤١٠

شيء ؟ فزاد " من " فِي الوَاجِبِ ، وهو لا يجوز على الصحيح.

قال شهاب الدين : قالوا يجوز زيادتها في غير المُوجب.

وفسروا غير الموجب بالنفي والنهي والاستفهام وهذا استفهام.

قوله : ﴿إِذْ كَانُواْ﴾ معمول لـ " أغْنى " وِهيَ مُشْرِبة معنى التعليل ، أي لأنهم كانوا يجحدون فهو كقوله ضَرَبْتُهُ إذْ أَسَاءَ ، أي ضربته لأنه أساء.

وفي هذه الآية تخويف لأهل مكة.

ثم قال : ﴿وَحَاقَ بِه م ِّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يعني أنهم كانوا يطلبون نزول العذاب على سبل الاسْتِهْزَاء.

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَى ﴾ يا كفار مكة كحِجْر ثَمُود وعاد باليمن وأرض سدوم ونحوها بالشام ﴿وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ﴾ الحُجج بيناها لهم لعل أهل القرى يرجعون.

قال الجبائي : قوله : ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ معناه لكي يرجعوا عن كفرهم وذلك يدل على أنه تعالى أراد رجوعهم ولم يرد إصرارهم وأجيب : بأنه فصل ما لو فعله غيره لكان ذلك لأجل الإرادة المذكورة وإنَّما ذهبنا إلى هذا التأويل للدلائل الدالة على أنه تعالى مريد لجميع الكائنات.

قوله تعالى : ﴿فَلَوْلاَ نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَاناً آلِهَةَ﴾ القُرْبَانُ ما تُقُرِّب به إلى الله.

أي اتخذوها شفعاء وقالوا : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣].

قوله : ﴿قُرْبَاناً﴾ فيه أربعة أوجه : أظهرها : أن المفعول الأول لـ " اتَّخَذَ " محذوف ، هو عائد.....

" قُرْبَاناً " نصب على الحال ، و " آلِهَةً " هو المفعول الثاني للاتِّخَاذ ، والتقدير.....

نَصرَهُم الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ مُتَقَرَّباً بهم آلهة.

٤١١

والثاني : أن المفعول الأول محذوف . كما تقدم . و " قُرْبَاناً " مفعولاً ثانياً و " آلهة " بدل منه.

وإليه نحا أبن عطية والحَوْفِيُّ وأبو البقاء ، إلا أن الزمخشري منع هذه الوجه قال : " الفساد المعنى ".
ولم يبين جهة الفاسد.
قال أبو حيان : ويظهر أن المعنى صحيح على ذلك الإعراب.
قال شهاب الدين : ووجه الفساد ـ والله أعلم ـ أن القُرْبَانَ اسم لما تقرب به إلى الإله ، فلو جعلناه مفعولاً ثانياً و " آلهةً " بدلاً منه لزم أن يكون الشيء المُتَقَرَّبُ به آلهةً والغرض أنه غيرُ آلهة.
بل هو شيء يتقرب به إليها فهو غيرها فكيف تكون الآلهة بدلاً منه ؟ وهذا مَا لاَ يَجُوزُ.
الثالث : أن " قرباناً " مفعولٌ من أجله.
وعزاه أبو حيان للحَوْفي.
وإليه ذهب أبو البقاء أيضاً.
وعلى هذا فـ " آلِهَةً " مفعولٌ ثان ، والأول محذوف كما تقدم.
الرابع : أن يكون مصدراً.
نقله مكي.
ولولا أنه ذكر وجهاً ثانياً وهو المفعول من أجله لكان كلامه مؤولاً بأنه أراد بالمصدر المفعول من أجله لبُعْدِ معنى المصدر.
قوله : ﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ﴾ قال مقاتل : بل ضلت الآلهة عنهم فلم ينفعهم عد نزول العذاب لهم.
قوله : ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ العامة على كسر الهمزة ، وسكون الفاء ، مصدر أَفِكَ يَأفِكُ إفْكاً ، أي كَذِبُهُمْ وابن عباس بالفتح وهو مصدر له أيضاً.
وابن عباس ـ أيضا ـ وعكرمة والصَّباح بنْ العلاء أَفَكَهُمْ ـ بثلاث فتحات ـ فعلاً ماضياً ، أي صَرَفَهُمْ.
وأبو عياض وعكرمة أيضاً كذلك ، إلا أنه بتشديد الفاء للتكثير ، وابن الزبير ، وابن
٤١٢
." (١)

"٨٧٢٢- حدثنا أبو زرعة، ثنا منجاب بن الحارث، أنبأ بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، في قوله : " " أتأتون الفاحشة " ، قال : يعني الأدبار".
قوله تعالى : " ما سبقكم بها من أحد من العالمين "

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ ، ص/٤٥٥٦

٨٧٢٣- حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني، ثنا مسدد، ثنا إسماعيل بن عليه، قال : سمعت ابن أبي نجيح، يقول : " " أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين " ، قال : قال عمرو بن دينار : ما نزلوا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط".

قوله تعالى : " إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون "

٨٧٢٤- ثنا أبي، ثنا علي بن محمد الطنافسي، ثنا محمد بن فضيل، عن عمر بن أبي زائدة، عن جامع بن شداد أبي صخرة، قال : "كانت اللوطية في قوم لوط في النساء، قبل أن تكون في الرجال، بأربعين سنة".

٨٧٢٥- أخبرنا أبو عبد الله محمد بن حماد الطهراني، فيما كتب إلي، ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدثني عبد الصمد بن معقل، قال : سمعت وهب بن منبه، يقول : "**كان سدوم الذين** فيهم لوط قوم سوء قد استغنوا عن النساء بالرجال".

قوله تعالى : " وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم " ." (١)

"١١٩٠٧- حدثنا أبو زرعة، ثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط، عن السدي، قال:"خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط فأتوها نصف النهار، فلما بلغوا **نهر سدوم لقوا** بنت لوط تسقي من الماء لأهلها، وكان له ابنتان اسم الكبرى: ربا والصغرى: زغرنا، فقال لها: يا جارية هل من منزل ؟ فقالت: نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم فرقت عليهم قومها، فأتت أباها، فقالت: يا أبتاه أرادوك فتيان على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم في أحسن منهم لا يأخذهم قومك فيفضحونهم، وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجلا، وقالوا احل عنا فلنضيف الرجال فجاءوا بهن فلم يعلم أحد إلا أهل بيت لوط وخرجت امرأته فأخبرت قومها، فقالت: إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم قط فجاءه قومه يهرعون إليه، قالوا: أو لم ننهك أن تضيف الرجال".

قوله تعالى: " سيء بهم "

١١٩٠٨- حدثنا أبي، ثنا أبو صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله " سيء بهم " يقول:"ساء ظنا بقومه".

١١٩٠٩- حدثنا أبي، ثنا الحسن بن عمر بن شقيق الجرمي، ثنا جعفر بن سليمان، عن أبي عمران

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠٥/٦

الجوني، عن عبد الله بن رباح، عن كعب: " سيء بهم وضاق بهم ذرعا " "ساء مكانهم لما رأى منهم من الحال".." (١)

"١١٩٥٣- حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا إسحاق بن منصور، عن الحكم بن عبد الملك، عن قتادة، قال:"قرية لوط حيث رفعها جبريل وفيها أربعمائة ألف، فسمع أهل السماء نباح الكلاب وأصوات الديك، ثم قلب أسفلها أعلاها".

١١٩٥٤- حدثنا أبي، ثنا هشام بن خالد، ثنا شعيب بن إسحاق، ثنا ابن أبي عروبة، عن قتادة، قوله: " فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها " ذكر لنا"أنها ثلث قرى فيها من العدد ما شاء الله أن يكون من الكثرة، ذكر لنا أنه كان فيها أربعة آلاف ألف، **وهي سدوم قرية** بين المدينة، والشام".

قوله تعالى: " وأمطرنا عليها "

١١٩٥٥- حدثنا أبي، ثنا الحسين بن عمر بن شفيق الجرمي، ثنا جعفر بن سليمان، عن أبي عمران الجوني، عن عبد الله بن رباح، عن كعب: " وأمطرنا عليها حجارة من سجيل " قال:"هي على أهل نواديهم، وعلى دعاتهم وعلى مسافريهم، فلم ينفلت منهم أحد".

قوله تعالى: " من سجيل "

١١٩٥٦- ثنا أبو سعيد الأشج، ثنا حفص المكتب، عن إدريس، عن عطية، عن عكرمة، عن ابن عباس: " حجارة من سجيل " قال:"سنك وكل".." (٢)

"١٦٦٦٧- حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا إسحاق بن منصور السلولي، عن الحكم بن عبد الملك، عن قتادة، قال:"قرية لوط حين رفعها جبريل عليه السلام وفيها أربعمائة ألف فسمع أهل السماء نباح الكلاب وأصوات الديكة، ثم قلب أسفلها أعلاها".

قوله تعالى: " إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون، إني لكم رسول أمين، فاتقول الله و أطيعون، وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين "

١٦٦٦٨- حدثنا المنذر بن شاذان، ثنا يعلى بن عبيد، ثنا عبد الملك، عن عطاء، قوله: " وأطيعون " ، قال:"طاعة الرسول: اتباع الكتاب والسنة".

قوله تعالى: " أتأتون الذكران من العالمين "

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٢٢٤/٨

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٢٣٦/٨

١٦٦٦٩- أخبرنا أبو عبد الله محمد بن حماد الطهراني، فيما كتب إلي، أنبأ إسماعيل بن عبد الكريم، حدثني عبد الصمد بن معقل، قال: سمعت وهب بن منبه، قال:"كان **أهل سدوم الذين** فيهم لوط قوم سوء قد استغنوا عن النساء بالرجال"، تقدم تفسير الآية".

قوله تعالى " وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون "

١٦٦٧٠- حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم " تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال وأدبار النساء".." [١]

"١٧٣٦١- أخبرنا أبو عبد الله الطهراني فيما كتب إلي، أنبأ إسماعيل بن عبد الكريم، حدثني عبد الصمد بن معقل، أنه سمع عمه وهب بن منبه، يقول:"قال عزيز: أتاني الملك، قلت: أخبرني ما بقي من الدنيا؟، قال: لا علم لي، ولم تسألني عما لا أعلم؟، قال: أنا أعلم أنه عند انقضاء الدنيا واقربت الآخرة وآية ذلك أن يكثر الكذب، ويقل الصدق، ويظهر الفجور، وينعدم البر، وتعود الأرض عقيما من الأنهار، وترى الشمس في أثر ذلك من مغربها، وتقطر الشجر دما، وتجول الأنواء وتنطق الحجارة، ويملك من لم يكن برجالة الملك، وتخبر الطير، وتخرج من **تحت سدوم دابة** تكلم الناس كل يسمعها، وتضع الحبالى قبل التمام، ويعود الماء العذب أجاجا، ويتعادى الأخلاء وتخرق الحكمة ويرفع العلم، وتكلم الأرض التي تليها وفي ذلك الزمان يرجو الناس ما لا يبلغون ويتعنون فيما لا ينالون، ويعملون فيما لا يأكلون".

قوله تعالى: " تكلمهم "

٦١٧٣٢- حدثنا أبي، ثنا أبو صالح، كاتب الليث، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: " دابة من الأرض تكلمهم " ، يقول:"تحدثهم"، وروي عن قتادة مثل ذلك." [٢]

"عن الضحاك، رضي الله عنه، قال: مر رجل يقول: من يعرف البقرة؟ فقال رجل أنا بعلها، فقال له ابن عباس، رضي الله عنهما:"تزعم أنك زوج البقرة؟"، قال الرجل: أما سمعت قول الله: " أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين " ، قال: تدعون بعلا، وأنا ربكم، فقال له ابن عباس، رضي الله عنهما:"صدقت"

عن قتادة، رضي الله عنه، في قوله:" " أتدعون بعلا " ، قال: ربا بلغة أزد شنوءة"

عن زيد بن أسلم، رضي الله عنه، في قوله:" " أتدعون بعلا " ، قال: صنما لهم، كانوا يعبدونه في بعلبك، وهي وراء دمشق، فكان بها البعل الذي يعبدونه".

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٣/١١

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٢٠٦/١١

قوله تعالى: " سلام على إل ياسين "

عن الضحاك، أنه قرأ:" " سلام على آل ياسين " ، وقال: هو مثل إلياس، مثل عيسى والمسيح، ومحمد وأحمد، وإسرائيل، ويعقوب"

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في قوله:" " سلام على إل ياسين " ، قال: نحن آل محمد " إل ياسين " ".

قوله تعالى: " إلا عجوزا في الغابرين "

عن السدي، رضي الله عنه، في قوله:" " إلا عجوزا في الغابرين " ، قال: الهالكين " وإنكم لتمرون عليهم " ، قال: في أسفاركم"

عن قتادة،" " وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل " ، قال: نعم صباحا ومساء، من أخذ من المدينة إلى الشام، أخذ **على سدوم قرية** قوم لوط".

قوله تعالى: " مصبحين " ." (١)

"قرن إلا وهو أخبث من الأول وأعتى من الأول ويقول الرجل منهم : قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا فلم يزل هكذا مجنونا وكان الرجل منهم إذا أوصى عند الوفاة يقول لأولاده : احذروا هذا المجنون فإنه قد حدثني آبائي : إن هلاك الناس على يدي هذا ، فكانوا كذلك يتوارثون الوصية بينهم حتى أن كان الرجل ليحمل ولده على

عاتقه ثم يقف به وعليه فيقول : يا بني إن عشت ومت أنا فاحذر هذا الشيخ فلما طال ذلك به وبهم ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ هود الآية ٣٢.

وأخرج ابن أبي حاتم ، وابن عساكر عن قتادة . أن نوحا بعث من الجزيرة وهودا من أرض الشحر أرض مهرة وصالحا من الحجر ولوطا **من سدوم وشعيبا** من مدين ومات إبراهيم وآدم وإسحاق ويوسف بأرض فلسطين وقتل يحيى بن زكريا بدمشق.

وأخرج ابن عساكر عن مجاهد قال : كانوا يضربون نوحا حتى." (٢)

"وأخرج أحمد في الزهد عن عمار قال : إن قوم صالح سألوا الناقة فأتوها فعقروها وإن بني إسرائيل سألوا المائدة فنزلت فكفروا بها وإن فتنتكم في الدينار والدرهم.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١١١/١٢

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٤٣٨/٦

وأخرج أبو الشيخ عن وهب قال : إن صالحا لما نجا هو والذين معه قال : يا قوم إن هذه دار قد سخط الله عليها وعلى أهلها فأظعنوا والحقوا بحرم الله وأمنه فأهلوا من ساعتهم بالحج وانطلقوا حتى وردوا مكة فلم يزالوا حتى ماتوا فتلك قبورهم في غربي الكعبة.

- الآية (٨٠ - ٨٤).

أخرج ابن عساكر عن سليمان بن صرد قال : أبو لوط هو عم إبراهيم.

وأخرج إسحاق بن بشر ، وابن عساكر عن ابن عباس قال : أرسل لوط إلى المؤتفكات وكانت قرى لوط أربع مدائن **، سدوم وأمورا** وعامورا وصبوير ، وكان في كل قرية مائة ألف مقاتل وكانت أعظم **مدائنهم سدوم وكان** لوط يسكنها وهي من بلاد الشام ومن فلسطين مسيرة وليلة وكان إبراهيم خليل الرحمن عم لوط بن هاران بن تارح وكان إبراهيم ينصح قوم لوط وكان الله قد أمهل قوم لوط فخرقوا حجاب الإسلام وانتهكوا المحارم وأتوا الفاحشة الكبرى فكان إبراهيم يركب على حماره حتى يأتي مدائن قوم." [١]

"لوط فينصحهم فيأبون أن يقبلوا فكان بعد ذلك يجيء على حماره فينظر **إلى سدوم فيقول** : **يا سدوم أي** يوم لك من **الله سدوم إنما** أنهاكم أن لا تتعرضوا لعقوبة الله حتى بلغ الكتاب أجله فبعث الله جبريل في نفر من الملائكة فهبطوا في صورة الرجال حتى انتهوا إلى إبراهيم وهو في زرع له يثير الأرض فلما بلغ الماء إلى سكته من الأرض ركز مسحاته في الأرض فصلى خلفها ركعتين فنظرت الملائكة إلى إبراهيم فقالوا : لو كان الله يبتغي أن يتخذ خليلا لاتخذ هذا العبد خليلا ولا يعلمون أن الله قد اتخذه خليلا.

وأخرج ابن أبي الدنيا ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في ذم الملاهي والشعب ، وابن عساكر عن ابن عباس في قوله ﴿أتأتون الفاحشة﴾ قال : أدبار الرجال.

وأخرج ابن أبي شيبة ، وابن أبي الدنيا ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي ، وابن عساكر عن عمرو بن دينار في قوله ﴿ما سبقكم بها." [٢]

"عليه السلام كان يشرف **على سدوم فيقول** : ويلك **يا سدوم يوم** مالك ثم قال ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ نضيج وهو يحسبهم أضيافا ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ قال : ولد الولد ﴿قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٤٦٥/٦

(٢) الدر الـمنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٤٦٦/٦

وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب﴾ فقال لها جبريل ﴿أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾ وكلمهم إبراهيم في أمر قوم لوط إذ كان فيهم إبراهيم قالوا : (يا إبراهيم أعرض عن هذا) (سورة هود الآية ٧٦) إلى قوله (ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) (سورة هود الآية ٧٧) قال : ساءه مكانهم لما رأى منه من الجمال ﴿وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب﴾ قال : يوم سوء من قومي فذهب بهم إلى منزله فذهبت امرأته لقومه (فجاءه قومه يهزعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال : يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) (سورة هود الآية ٧٨) تزوجوهن (أليس منكم رجل رشيد قالوا : لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد) (سورة هود الآية ٧٩) وجعل الأضياف في بيته وقعد على باب البيت (قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد) (سورة هود الآية ٨٠) قال : إلى عشيرة تمنع فبلغني أنه لم يبعث بعد لوط عليه السلام رسول إلا في عز من قومه فلما رأت الرسل ما قد لقي لوط في سيئتهم ﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك﴾." [١]

"أهل لوط حتى ردهم إلى قرارهم ثم انصرف إبراهيم إلى مكانه وكان **أهل سدوم الذين** فيهم لوط قوم قد استغنوا عن النساء بالرجال فلما رأى الله كان عند ذلك بعث الملائكة ليعذبوهم فأتوا إبراهيم فلما رآهم راعه هيئتهم وجمالهم فسلموا عليه وجلسوا إليه فقام ليقرب إليهم قرى فقالوا : مكانك ، قال : بل دعوني آتيكم بما ينبغي لكم فإن لكم حقا لم يأتنا أحد أحق بالكرامة منكم فأمر بعجل سمين فحنذ له – يعني شوي لهم – فقرب إليهم الطعام ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة﴾ وسارة رضي الله عنها وراء الباب تسمع ﴿قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم﴾ مبارك فبشر به امرأته سارة فضحكت وعجبت كيف يكون له مني ولد وأنا عجوز وهذا شيخ كبير ، ﴿قالوا أتعجبين من أمر الله﴾ فإنه قادر على ما يشاء وقد وهبه الله لكم فأبشروا به ، فقاموا وقام معهم إبراهيم عليه السلام فمشوا معا وسألهم قال : أخبروني لم بعثتم وما دخل بكم قالوا : إنا أرسلنا إلى **أهل سدوم لندمرها** فإنهم قوم سوء وقد." [٢]

"استغنوا بالرجال عن النساء ، قال إبراهيم : إن فيها قوما صالحين فكيف يصيبهم من العذاب ما يصيب أهل عمل السوء قالوا : وكم فيها قال : أرأيتم إن كان فيها خمسون رجلا صالحا ، قالوا : إذن لا نعذبهم ، قال : إن كان فيهم أربعون قالوا : إذن لا

نعذبهم ، فلم يزل ينقص حتى بلغ إلى عشرة ثم قال : فأهل بيت قالوا : فإن كان فيها بيت صالح ، قال :

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٩١/٨

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٩٥/٨

فلوط وأهل بيته قالوا : إن امرأته هواها معهم فكيف يصرف عن أهل قرية لم يتم فيها أهل بيت صالحين ، فلما يئس منهم إبراهيم عليه السلام انصرف وذهبوا إلى **أهل سدوم فدخلوا** على لوط عليه السلام فلما رأتهم امرأته أعجبها هيئتهم وجمالهم فأرسلت إلى أهل القرية أنه قد نزل بنا قوم لم ير قط أحسن منهم ولا أجمل ، فتسامعوا بذلك فغشوا دار لوط من كل ناحية وتسوروا عليهم الجدران فلقيهم لوط عليه السلام فقال : يا قوم لا تفضحوني في بيتي وأنا أزوجكم بناتي فهن أطهر لكم ، قالوا : لو كنا نريد بناتك لقد عرفنا مكانك ولكن لا بد لنا من هؤلاء القوم الذين نزلوا بك فخل بيننا وبينهم وأسلم منا فضاق به الأمر ﴿قال لو أن." [1]

"ودوما وسدوم وهي القرية العظمى.

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة رضي الله عنه قال : ذكر لنا أنها ثلاث قرى فيها من العدد ما شاء الله أن يكون من الكثرة ذكر لنا أنه كان منها أربعة آلاف ألف **وهي سدوم قرية** بين المدينة والشام.

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿حجارة من سجيل﴾ قال : من طين ، وفي قوله ﴿مسومة﴾ قال : السوم بياض في حمرة.

وأخرج ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله ﴿حجارة من سجيل﴾ قال : هي بالفارسية سنك وكل حجر وطين ، وفي قوله ﴿مسومة﴾ قال : معلمة.

وأخرج الفريابي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد رضي الله عنه في قوله ﴿حجارة من سجيل﴾ قال : بالفارسية أولها حجارة وآخرها طين ، وفي قوله ﴿مسومة﴾ قال : معلمة.

وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد رضي اللہ عنه ﴿حجارة من سجيل﴾ قال : هي." [2]

"﴿وكلا تبرنا تتبيرا﴾ قال : تبر الله كلا بالعذاب.

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال ﴿تبرنا﴾ بالنبطية.

وأخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿ولقد أتوا على القرية﴾ قال : **هي سدوم قرية** قوم لوط ﴿التي أمطرت مطر السوء﴾ قال : الحجارة.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء ﴿ولقد أتوا على القرية﴾ قال : قرية لوط.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٩٦/٨

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٢٢/٨

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن ﴿ولقد أتوا على القرية﴾ قال : هي بين الشام والمدينة.

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر عن ابن جريج في قوله ﴿لا يرجون نشورا﴾ قال : بعثا وفي قوله ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ قال : ثبتنا.

- قوله تعالى : أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا.

أخرج ابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن ابن عباس في قوله ﴿أرأيت من." (١)

"وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن السدي رضي الله عنه في قوله ﴿إلا عجوزا في الغابرين﴾ قال : الهالكين ﴿وإنكم لتمرون عليهم﴾ قال : في أسفاركم.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل﴾ قال : نعم ، صباحا ومساء من أخذ من المدينة إلى الشام أخذ على سدوم قرية قوم لوط.

وأخرج عبد الرزاق ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل﴾ قال ﴿لتمرون عليهم مصبحين﴾ قال : على قرية قوم لوط ﴿أفلا تعقلون﴾ قال : أفلا تتفكرون أن يصيبكم ما أصابهم.

الآيات ١٣٩ - ١٤٨.

أخرج عبد الرزاق وأحمد في الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، عن طاووس في قوله ﴿وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون﴾ قال : قيل ليونس عليه السلام إن قومك يأتيهم العذاب يوم كذا وكذا ، فلما كان يومئذ خرج يونس عليه السلام ففقده قومه فخرجوا بالصغير والكبير والدواب." (٢)

" صفحة رقم ٢٤٧

الجنوب حتى أتى بيت إيل إلى الموضع الذي كان نصب فيه خيمته من قبل ولوط معه كان له غنم وبقر وخير كثير جدا وأخبية ، ولم تكن تلك الأرض تسعهما كليهما لأن مواشيهما كثرت جدا ؛ فذكر أن لوطا رفع بصره فنظر غلى أرض الأردن فإذا هي كلها أرض سقي وشرب مثل فردوس الله ومثل أرض مصر التي في مدخل صاغار - وفي نسخة : زغر فاختار لوط أرض الأردن ؛ فسكن إبرم أرض كنعان ، وسكن لوط قرى عاجار وورث - وفي نسخة : قرى المرج - وخيم إلى سدوم وكان أهل سدوم أشرارا خطأة جدا ،

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١١/١٨١

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٢/٤٦٢

فقال الرب لإبرم بعدما اعتزله لوط : مد بصرك فانظر من المكان الذي أنت فيه إلى الجرنيا والتيمن – وفي نسخة : إلى الشمال والجنوب والمشرق والمغرب – لأن جميع الأرض التي ترى إياك أعطيها وذريتك من بعدك غلى الأبد ، واجعل ذريتك مثل ثرى الأرض ، فإن قدرت أن تحصي تراب الأرض فإن زرعك يحصى ، فأتى إبرم فسكن بين بلوط – وفي نسخة : في مرج ممرى الأموراني التي بحبرون – وبنى هنالك مذبحا للرب ، وكان على عهد أمر قال ملك شنعار – وفي نسخة : شنوار – وأرنوخ ملك ذي اللاشار – وفي نسخة : الخزر – وكدر لعمر ، ملك عيلم – وفي نسخة : خوزستان وترغيل ملك جيلان – وفي نسخة : الأمم – اجتمع هؤلاء في قاع السدوميين وهو البحر المالح فقتلوا الجبابرة الذين في العشرة القرى والأبطال الذين بها والحورانيين الذين في جبال ساعير – وفي نسخة : شراة – إلى بطمة فاران التي في البرية ، ورجعوا وأتوا عين الدنيا – وفي نسخة : الحكم – وهي رقيم وقتلوا كل رؤساء العمالقة والأموراniين سكان عين جاد ، وخرج بارع **ملك سدوم وبرشع** ملك عامرا وشنآب ملك أدوما وشاليم ملك صبويم وملك بالاع التي هي صاغر – وفي نسخة : زغر – خمسة ملوك ، قاتلوا الأربعة بقاع السدوميين ، فهرب **ملك سدوم وملك** عامرا فوقعوا هناك ، وهرب البقية إلى الجبل فاستباحوا جميع **مواشي سدوم وعامرا** وجميع طعامهم واستاقوا لوطا ابن أخي إبرم وماشيته وانطلقوا ، فأتى من نجا منهم وأخبر إبرم العبراني ، فعبى فتيانه ومولديه ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا وسار في طلبهم إلى داريا – وفي نسخة : بانياس – فأحاط بهم ليلا ، فقاتلهم وهزمهم إلى الجوف – وفي نسخة : المزة – التي عن شمال دمشق وهي قرية يقال لها حلبون ورد لوطا ابن أخيه وماشيته وجميع المواشي والنساء والشعب ، فخرج **ملك سدوم فتلقاه** فرد إليه جميع ما سلب منه ؛ ومن بعد هذا حل وحي الله على إبرم في الرؤيا وقال له : يا إبرم أنا أكانفك وأساعدك ، لأن ثوابك قد جزل جدا ، فقال إبرم : اللهم رب ما الذي تنحلني وأنا خارج من الدنيا بلا نسب ويرثني اليعازر غلامي الدمشقي ؟ فقال له الرب : لا يرثك هذا بل ابنك الذي يخرج من صلبك فهو يرثك ، ." [١]

" صفحة رقم ٣٥٣

السماء ، وقوات ترتج ، وحينئذ تظهر علامات ابن الإنسان في السماء ، وتنوح كل قبائل الأرض ، وترون ابن الإنسان آتيا في سحاب السماء مع قوات ومجد كثير ، ويرسل الملائكة مع صوت الناقور العظيم ، ويجمع مختاريه من الأربعة الأزياج من أقصى السماوات – وقال مرقس : من أطراف الأرض إلى أطراف السماء – فمن شجرة التينة – وقال لوقا : ومن كل الأشجار – تعلمون المثل ، إذا لانت أغصانها وفرعت

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١/٢٤٧

أوراقها علمتم أن الصيف قد دنا .
كذلك أنتم إذا رأيتم هذا كله علمتم أنه قد قرب على الأبواب ، الحق أقول لكم إن هذا الجيل لا يزول حتى يتم هذا كله ، والأرض والسماء تزولان وكلامي لا يزول ، لأجل ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعرفها أحد ولا ملائكة السماوات - وقال مرقس : ولا الابن - إلا ألأب وحده ، وقال لوقا : سأله الفريسيون : متى يأتي ملكوت الله ؟ فقال : ليس يأتي ملكوت الله برصد ولا يقولون : هوذا ها هنا أو هناك ها هو ذا ملكوت الله ؛ ثم قال لتلاميذه : ستأتي أيام تشتهون أن تروا يوما واحدا من أيام ابن الإنسان ولا ترون ، فإن قالوا لكم : هوذا هاهنا أو هناك ، فلا تذهبوا ولا تسرعوا ، لأنه كمثل البرق الذي يضيء في السماء فيضيء تحت السماء ، كذلك تكون أيام ابن البشر - انتهى .
وكما كان في أيام نوح عليه الصلاة والسلام كذلك يكون استعلاء ابن الإنسان ، لأنه كما كنوا قبل أيام الطوفاني يأكلون ويشربون ويتزجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح إلى السفينة ، ولم يعلموا حتى جاء الطوفان فأدرك جميعهم ، كذلك يكون حضور ابن الإنسان ؛ وقال لوقا : ومثل ما كان في أيام لوط يأكلون ويشربون ويبيعون ويشترون ويغرسون ويبنون إلى اليوم الذي خرج فيه لوط **من سدوم** ، ومطر من السماء نارا وكبريتا ، وأهلك جميعهم ، كذلك في اليوم الذي يظهر فيه ابن الإنسان ، وفي ذلك اليوم من كان في السطح وآلته في البيت لا ينزل كي يأخذها ، ومن كان في الحقل أيضا لا يرجع هكذا إلى ورائه .
انظروا إلى امرأة لوط ، من أراد أن يحيي نفسها فليهلكها ، ومن أهلكها أحياها ، أقول لكم : إن في هذه الليلة - وقال متى : حينئذ - يكون اثناب في الحقل ، يؤخذ واحد ، ويترك الآخر ، واثنتان تطحنان على رحة واحدة ، تؤخذ الواحدة ، وتترك الأخرى ، وقال مرقس : فانظروا واسهروا وصلوا ، لأنكم لا تعلمون متى يكون الزمان اسهروا فإنكم لا تعلمون متى يأتي رب البيت ليلا يأتي بغتة فيجدكم نياما ، والذي أقول لكم أقوله للجميع ، اسهروا قال متى : حينئذ - يكون اثنان في على الهرب في هذه الأمور الكائنة كلها ، وتفقوا قدام ابن الإنسان ، وقال متى : فاسهروا لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم ، واعلموا أنه لو علم رب البيت في أي هجعة يأتي السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب ، كذلك كونوا مستعدين لأن ابن الإنسان يأتي." (١)
" صفحة رقم ٥٦٥
فعلموا أنهم رفضوا أمر الله لهم إذ لم يعتمدوا منه ؛ قال متى : ثم قال : من له أذنان سامعتان فليسمع بماذا

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٥٣/٢

أشبه هذا الجيل ؟ يشبه صبيانا جلوسا في الأسواق ، يصيحون إلى أصحابهم قائلين : زمرنا لكم فلم ترقصوا ، ونحنا لكم فلم تبكوا ، جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب ، فقالوا : معه جنون ، جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب ، فقالوا : هذا إنسان أكول شريب خليل العشارين والخطأة ، فتبررت الحكمة من بنيها ، حينئذ بدأ يعير المدن التي كان فيها أكثر قواته ، لأنهم لم يتوبوا ، ويقول : الويل لك يا كورزين والويل لك يا بيت صيدا لأن القوات اللاتي كن فيكما قديما لو كن في صور وصيدا لتابوا بالمسوح والرماد ، لكن أقول لكم : إن لصور وصيدا راحة في يوم الدين أكثر منكن ، وأنت يا كفرناحوم لو ارتفعت إلى السماء ستهبطين إلى الجحيم ، لأنه لو كان **في سدوم هذه** القوات التي كانت فيك إذن لثبتت إلى اليوم ، وأقول لكم أيضا : إن **أرض سدوم تجد** راحة يوم الدين أكثر منك .

ثم قال : وانتقل يسوع من هناك ودخل إلى مجمعهم وإذا رجل هناك يده يابسة – وقال لوقا : يده اليمنى يابسة – فسألوه قائلين : هل يحل أن يشفى في السبت ؟ فقال لهم : أي إنسان منكم يكون له خروف ، يسقط في حفرة في السبت ، ولا يمسكه ويقيمه ؟ فبكم أحزي الإنسان أفضل من الخروف ، فإذن جيد هو فعل الخير في السبت ؛ وقال لوقا : فقال للرجل اليابس اليد : قف في الوسط ، فقام ، وقال لهم يسوع : أسألكم ماذا يحل أن يعمل في السبت ؟ خير أم شر ؟ نفس تخلص أم تهلك ؟ فسكتوا ؛ قال متى : حينئذ قال للإنسان : أمدد يدك ، فمدها فصحت مثل الأخرى ، فخرج الفريسيون – قال مرقس : مع أصحاب هيرودس – متوامرين في إهلاكه ، فعلم يسوع وانتقل من هناك وتبعه جمع كثير ، فشفى جميعهم ، وأمرهم أن لا يظهروا ذلك لكي يتم ما قيل في أشعيا النبي القائل : ها هوذا فتاي الذي هويت ، وحبيبي الذي به سررت ، أضع روحي عليه ويخبر الأمم بالحكم ، لا يماري ولا يصيح ولا يسمع أحد صوته في الشوارع ، قصبة مرضوضة لا تكسر ، وسراج مطفطف لا بطفأ حتى يخرج الحكم في الغلبة ، وعلى اسمه تتكل الأمم ؛ ثم قال : وفي ذلك اليوم خرج يسوع من البيت وجلس جانب البحر ، فاجتمع إليه جمع كبير حتى أنه صعد إلى السفينة وجلس ، وكان الجمع كله قياما على الشط ، وكلهم بأمثال كثيرة قائلا : ها هو ذا خرج الزارع ليزرع ، وفيما هو يزرع سقط البعض على الطريق ، فأتى الطير وأكله – وقال لوقا : فديس وأكله طائر السماء – وبعض سقط على الصخرة حيث لم يكن له أرض كثيرة ، وللوقت شرق إذ ليس له عمق أرض ، ولما أشرقت الشمس احترق ، وحيث لم يكن له أصل يبس ، وبعض سقط في الشوك فطلع الشوك وخنقه ؛ وقال مرقس : فخنقه بعلوه عليه فلم." (١)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٦٥/٢

" صفحة رقم ٦٠٤

نحاسا في مناطقكم ولا هميانا في الطريق ولا ثوبين ولا حذاء ولا عصى ، والفاعل مستحق طعامه ، وفي إنجيل مرقس : وأمرهم أن لا يأخذوا في الطريق غير عصى فقط ولا هميانا ولا خبزا ولا فضة ولا نحاسا في مناطقهم إلا نعالا في أرجلهم ولا يلبسوا قميصين ؛ وفي إنجيل لوقا : وقال لهم : لا تحملوا في الطريق شيئا ، لا عصى ولا هميانا ولا خبزا ولا فضة ، ولا يكون لكم ثوبان ، وأي مدينة أو قرية دخلتموها فحصوا فيها عمن يستحقكم ، وكونوا هناك حتى تخرجوا ، فإذا دخلتم إلى البيت فسلموا عليه ، فإن كان البيت مستحقا لسلامكم فهو يحل عليه ، وإن كان لا يستحق فسلامكم راجع إليكم ، ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فإذا خرجتم من ذلك البيت وتلك القرية أو تلك المدينة انفضوا غبار أرجلكم ؛ وفي إنجيل مرقس : وقال لهم : أي بيت دخلتموه أقيموا فيه إلى أن تخرجوا منه ، وأي موضع لم يقبلكم ولم يسمع منكم فإذا خرجتم من هناك فانفضوا الغبار الذي تحت أرجلكم للشهادة عليهم ، الحق أقول لكم إن **الأرض سدوم وعاموا** راحة في يوم الدين أكثر من تلك المدينة ، هو ذا أنا مرسلكم كالخراف بين الذئاب ، كونوا حكماء كالحية وودعاء كالحمام ، احذروا من الناس ، فإنهم يسلمونكم إلى المحافل ، وفي مجامعهم يضربونكم ، ويقدمونكم إلى القواد والملوك من أجلي شهادة لهم وللأمم - وفي إنجيل مرقس : شهادة عليهم وعلى كل الأمم ، ينبغي أولا أن يكرزوا بالإنجيل - فإذا أسلموكم فلا تهتموا بما تقولون - وفي إنجيل مرقس : ولا ماذا تجيبون - فإنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به ، ولستم أنتم المتكلمين لكن روح أبيكم - وفي إنجيل مرقس : لكن روح القدس يتكلم فيم - وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والأب ابنه ، ويقوم الأبناء على آبائهم فيقتلونهم ، وتكونون مبغوضين من الكل من أجل اسمي ، والذي يصبر إلى المنتهى يخلص ، فإذا طردوكم من هذه المدينة اهربوا إلى أخرى ، الحق الحق أقول لكم إنكم لا تكلمون مدائن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان ، ليس تلميذ أفضل من معلمه ، ولا عبد أفضل من سيده ، وحسب التلميذ أن يكون مثل معلمه والعبد مثل سيده ، إن كانوا سموا رب البيت باعل زبول فكم بالحري أهل بيته فلا تخافوهم ، فليس خفي إلا سيظهر ولا مكتوم إلا سيعلم ، الذي اقول لكم في الظلمة قولوه أنتم في النور ، وما سمعتموه بآذانكم فاكرزوا به على السطوح ، ولا تخافوا ممن يقتل الجسد ولا يستطيع أن يقتل النفس ، خافوا ممن يقدر أن يهلك النفس." (١)

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢/٦٠٤

" صفحة رقم ٦٠٥

والجسد جميعا في جهنم ، أليس عصفوران يباعان بفلس ، وواحد منهما لا يسقط على الأرض دون إرادة أبيكم ، وأنتم فشعور رؤوسكم كلها محصاة ، فلا تخافوا ، فإنكم أفضل من عصافير كثيرة ، لا تظنوا أني جئت لألقي على الأرض سلامة ، لكن سيفا ، أتيت لأفرق الإنسان من أبيه والابنة من أمها ، والعروس من حماتها ، وأعداء الإنسان أهل بيته ، من أحب أبا أو أما أكثر مني فما يستحقني ، ومن وجد نفسه فليهلكها ، ومن أهلك نفسه من أجلي وجدها ، ومن قبلكم فقد قبلني ، ومن قبلني فهو يقبل الذي أرسلني ، ومن يقبل نبيا باسم نبي فأجر نبي يأخذ ، ومن يأخذ صديقا باسم صديق فأجر صديق يأخذ ، ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ - الحق أقول لكم - إن أجره لا يضيع ، ولما أكمل يسوع أمره لتلاميذه الاثني عشر ، انتقل من هناك ليعلم ويكرز في مدنهم ؛ وفي إنجيل مرقس : فلما خرجوا - يعني الرسل - كرزوا بالتوبة وأخرجوا شياطين كثيرة ومرضى عديدة يدهنونهم بالزيت فيشفون ؛ وفي إنجيل لوقا : ومن بعد هذا أيضا ميز الرب سبعين آخرين ويرسلهم اثنين اثنين قدام وجهه إلى كل مدينة وموضع أزمع أن يأتيه ، وقال لهم : إن الخصاد كثير والفعلة فليلون ، أطلبوا من رب الحصاد ليخرج فعلة لحصاده ؛ وفي إنجيل متى ما ظاهره أن هذا الكلام كان للاثني عشر ، فإنه قال قبل ذكر عددهم : فلما رأى الجمع تحنن عليهم لأنهم كانوا ضالين ومطرحين كالخراف التي ليس لها راع ، حينئذ قال لتلاميذه الاثني عشر - إلى آخر ما ذكرته عنه أولا ، فيجمع بأنه قاله للفريقين - رجع إلى السياق الأول : اذهبوا ، وهو ذا أرسلكم كالخراف بين الذئاب ، لا تحملوا هميانا ولا حذاء ولا مزودا ولا تقبلوا أحدا في الطريق ، وأي بيت دخلتموه فقولوا أولا : سلام لأهل هذا البيت ، فإن كان هناك ابن سلامكم فإن سلامكم يحل عليه ، وإلا فسلامكم راجع إليكم ، وكونوا في ذلك البيت ، كلوا واشربوا من عندهم ، فإن الفاعل مستحق أجرته ، ولا تنتقلوا من بيت إلى بيت ، وأي مدينة دخلتموها ويقبلكم أهلها فكلوا مما يقدم لكم ، واشفوا المرضى الذين فيها ، وقولوا لهم : قد قربت ملكوت الله ، وأي مدينة دخلتموها ولا يقبلكم أهلها فاخرجوا من شوارعها وقولوا لهم : نحن ننفض لكم الغبار الذي لصق بأرجلنا من مدينتكم ، لكن اعلموا أن ملكوت الله قد قربت ، أقول لكم : **إن سدوم في** ذلك اليوم لها راحة أكثر من تلك المدينة ، الويل لك يا كورزين والويل لك يا بيت صيدا لأنه لو كان في صور وصيدا القوات التي كن فيكما جلسوا وتابوا بالمسوح والرماد

، وأما صور وصيدا فلهما راحة في الدينونة أكثر منكم ، وأنت يا كفرناحوم لو أنك ارتفعت إلى السماء سوف تهبطين إلى الجحيم ، من سمع منكم فقد سمع مني ، ومن جحدكم فقد جحدني ، ومن." [1]

" صفحة رقم ٦٢

) وإذ يعدكم الله إحدى الطائفين (ولا ريب في أن زمان الكل يكن متحداإلا بتأويل جميع ألايام المتعلقة بالوقعة من سير وقتال وغير ذلك – والله اعلم ، وعبر في قصة نوح عليه السلام ب

٧٧ ( ) أرسلنا نوحا إلىقومه ( ) ٧

[الأعراف : ٥٩] ثم نسق من بعده عليه فقيل :

٧٧ ( ) وإلى مدين أخاهم هودا ( ) ٧

[الأعراف : ٦٥]

٧٧ ( ) وإلى ثمود أخاهم صالحا ( ) ٧

[الأعراف : ٧٣]

٧٧ ( ) وإلى مدين أخاهم شعيبا ( ) ٧

[الأعراف : ٨٥] وعدل عن هذا السلوب في قصة لوط فلم يقل : وإلى أهل أدوما أخاهم لوطا ، أو إلى أهل سدوم لوطا أو وأرسلنا لوطا إلى قومه ونحو ذلك كما سيأتي في قصة موسعليه السلام ، لأن من أعظم المقاصد بسياق هذه القصص تسلية النبي (صلى الله عليه وسلم) ، في مخالفة قومه له من العذاب ، وقصص من عدا قوم لوطفزائده عن ذلك بأمر فظيع عظيم الشناعة شديد العار والفحش فعدل عن ذلك النسق تنبيها عليه تهويلا للامر وتبشيعا له ، ليكون في التسلية أشد ، وفي استدعاء الحمد والشكر أتم ، وحينئذ يترجح أن يكون العامل) اذكر (لا) أرسلنا) أي وأذركر لوطا وما حصل عليه من قومه زيادة على شركهم من رؤيته فيهم هذا الأمر الذي لم يبق للشناعة موضعا ، فالقصة في الحقيقة تسلية وتذكير بنعمة معافاة العرب من مثل هذا الحال وإنذارلهم سوء المآل مع ما شاركت فيه اخواتها من الدلالة على سوء جبلة هواء جلبة هؤلاء القوم وشرارة جوهرهم المقتضى لتفردهم عن اهل الأرض بذلك الأمر الفاحش ، والدليل على انه اشنع الشنع بعد الشرك – مع ما جعل الله تعالى في كل طبع سليم من النفرة عنه – اختصاصه بمشاركته للشرك في أنه لم يحل في ملة من الملل في وقت من الوقات ولا مع وصف من الأوصاف ، وبقية المحرمات ليست كذلك ، فأما قتل النفوس فقد حل في القصاص والجهاد وغير ذلك ، والوطء في القبل

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبد الرزاق غالب)، ٢/٦٠٥

لم يحرم إلا بقيد كونه بالباطل – وكذا غير ذلك ؛ قال أبو حيان : ولما الأصل فيه الحل ، وما حرم إلا بقيد كونه زنى ، ولولا الوصف الحل ، واكل المال الأصل فيه الحل ، وما حرم إلا بقيد الباطل – وكذا غير ذلك ؛ قال أبو حيان : ولما كان هذا الفعل معهودا قبحه ومركوزا في العقول فحشه ، أتى معفا – أي في قوله بعد إنكاره عليهم وتقريعه وتوبيخهلهم : (أتأتون الفاحشة (أتفعلون السيئة المتمادية في القبح وإن كان بينكم وبينها مسافة بعيدة – أو تكون (أل) فيه للجنس على سبيل المبالغة ، كأنه لشدة قبحه جعل جميع الفواحش ولبعد العرب عن ذلك البعد التام ، وذلك بخلاف الزنى فإنه قال فيه

٧٧ ( ) ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة ( ) ٧

[الإسراء : ٣٢] ولما كان غير مستبعد على صفاته وجوههم ووقاحتهم ان يقولون : لم تكون فعلتنا." (١)

" صفحة رقم ٥٥٦

وسعى إلى قطيع البقر فأخذ عجلا سمينا شابا فدفعه إل الغلام وأمر بتعجيل صنعته وأخذ سمنا ولبنا والعجل الذي صنع له ايضا فقربه إليهم ، وكان هو واقفا بين أيديهم تحت الشجرة وقالوا له : أين سارة امرأتك ؟ فقال : في الخيمة ، فقال له : إني أرجع إليك في مثل هذا الحين من قابل وهي في الحياة ولها منك ابن ، فسمعت سارة وهي على باب الخيمة مستترة وكان هو خلفها ، وكان إبراهيم وسارة قد شاخا وقدم سنهما وانقطعن سارة سبيل النساء ، فضحكت سارة في قلبها وقالت : أني ي بالولد وقد شخت ؟ أيعسر هذا على الله ؟ إني ارجع إليك في مثل هذا الحين من قابل وهي حية ولها ابن ، فجحدت سارة وقالت : كلا ما ضحكت ، لأنها فزعت ، فقال : كلا ولكنك قد ضحكت ، ثم قام الرجال وعمدوا **طريق سدوم وعامورا** ، وانطلق معهم إبراهيم ليشيعهم .

وقال الله : أأكتم عبدي إبراهيم شيئا مما أصنع ؟ وإباريهم يكون رئيسا لشعب عظيم كبير ، وتتبارك به شعوب الأرض ، لأني عالم أنه يوضي بنيه وأهل بيته من بعده أن يحفظوا طرق الرب ليعملوا بالبر والعدل ، لأن الرب يكمل لإبراهيم جميع ما وعده به .

فقال الرب لإبراهيم : لقد وصل إلي **حديث سدوم وعامورا** وقد كثرت خطاياهم جدا ، ثم ولى القوم ومضوا **إلى سدوم** ، وكان إبراهيم بعد واقفا قدام الرب ، فدنا إبراهيم وقال : يا رب تهلك الأبرار مع الفجار بغضب واحد ؟ إن كان في القرية خمسون بارا أهلكهم بغضب واحد ؟ حاشاك يا رب أن تصنع هذا الصنيع وتهلك البريء مع السقيم ، ويكون البريء بحال السقيم ، حاشا لك يا حاكم الأرض كلها لا يكون هذا من صنيعك

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٢/٣

فقال الرب : إن وجدت بسدوم خمسين بارا في القرية عفوت عن جميع البلد من أجلهم ، فأجاب إبراهيم وقال : إني قد بدأت بالكلام بين يدي الرب ، وإنما أنا تراب ورماد ، فإن نقص من الخمسين بارا خمسة تخرب القرية كلها من أجل الخمسة ؟ فقال : لا أخربها إن وجدت بها خمسة وأربعين بارا ، فعاد إبراهيم وقال له : فإن وجد فيها أربعون ؟ فقال : لا أخربها إن وجدت فيها أربعين ، فقال : لا يمكن الرب كلامي فأتكلم ، فإن كان هناك ثلاثون ؟ فقالك لا أخربها إن وجدت فيها ثلاثين ، فقال : إني قد أمعنت في الكلام بين يدي الرب ، فإن وجد بها عشرون ؟ فقال : لا أخربها من أجل العشرين ، فقال لانشقن على الرب ، فأتكلم هذه المرة يارب فقط ، فإن وجد بها عشرة رهط ؟ فقال : لا أفسدها من أجل العشرة ؛ فارتفع استعالن الرب عن إبراهيم لما فرغ إبراهيم من كلامه ورجع إبراهيم إلى موضعه – انتهى .
وقد مضى أمر حبل سارة وولادها في البقرة .." (١)

" صفحة رقم ٥٦٢

ذكر هذه القصة من التوراة : قال في السفر الأول بعد ما مضى في قصة بشرى إبراهيم عليه السلام : فأتى الملكان **إلى سدوم عشاء** ، وكان لوط جالسا على **باب سدوم** ، فنظر إليهما لوط فتلقاهما ، ثم خر على وجهه ساجدا على الأرض وقال : إني طالب إليكما يا سيدي ، اعدلا إلى منزل عبدكما فبيتا فيه واغسلا اقدامكما وبكرا فانطلقا في طريقكما ، فقالا : كلا ولكنا نبيت في السوق ، فألح عليهما لوط إلحاحا شديدا فانصرفا معه ودخلا منزله فأعد لهما طعاما ، ومن قبل وقت الهجوع إذا أهل القرية **أهل سدوم قد** أحاطوا بالباب من الشبان إلى المشايخ جميع إلينا فنعرفهما – وفي نسخة : حتى نواقعهما – فخرج لوط إليهم وأغلق الباب خلفهن فقال لهم لوط : لا تسيئوا بي يا إخوة هذا لي بنتان لم يمسهما رجل ، أخرجهما إليكم فاصنعوا بهما ما حسن في أعينكم ، ولا ترتكبوا من هذين الرجلين شيئا لأنهما ولجا ظلال بيتي ، فقالوا له : تنح عنا ، إن واحدا أتى ليسكن بيتنا فصار يحكم فينا ، فالآن نسيء إليك أكثر منهما ، فجاهد لوط القوم جدا فدنوا ليكسروا الباب فمد الرجلان أيديهما فأدخلا لوطا إليهما إلى منزله ، ثم إن القوم الذين كانوا بالباب ضربوا بالعشى من كبيرهم حتى صغيرهم فأعيوا في طلب الباب ، فقال الملكان للوط : ماتصنع هاهنا ؟ اعند إلى أختانك وبينك وبناتك وجميع ما لك في هذه القرية فأخرجهم من هذه البلدة لأنا نريد الخسف بالبلدة لأن فعالهم وخبث صنيعهم قد بلغ الرب ، فارسلنا الرب لنفسدها ، فخرج لوط وكلم أختانه وأزواج بناته وقال لهم : قوموا فاخرجوا من هذه القرية فإن الرب مزمع لخرابها ، وكان عند أختانه كالمستهزىء

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣/٥٥٦

بهم ، فلما كان عند طلوع الصبح ألح الملكان على لوط قالا له : قم فأخرج امرأتك وابنتيك اللتين معك لكيلا تبتلي بخطايا أهل هذه القرية ، فابطأ لوط فأخذ الملكان بيده وبيد امرأته وابنتيه لأن الله رحمه فأخرجاه وصيراه خارجا عن القرية ، فلما أخرجاهم خارجا قالا له : انج بنفسك ولا تلتفتن غلى خلفك ولا تقف في شيء من جميع القاع ، والتجيء إلى جبل وخلص نفسك ، فقال لهما لوط : أكلب إليكما يا سيدي أن أظفر الآن لأن عبدكما برحمة ورأفة كثرت نعماكما إلي لتحيي نفسي ، لست اقدر أن انجو إلى الجبل ، لعل الشر يرهقني فأموت ، وهذه القرية هي قريبة للهرب إليها وهي صغيرة ، أتأذنان لي بالهرب إليها لأنها حقيرة ، فلتحييا نفسي ، فقال له : قد شفعتك في هذا أيضا فلا أقلب هذه القرية التي سألت ، أسرع فانج نفسك إلى هناك ، لأنا لسنا نقدر أن نعمل شيئا حتى تدخلها ، ولذلك سميت تلك القرية صاغار - وفي نسخة : زغر - فشرقت الشمس على الأرض وقد دخل لوط صاغار ، وفي نسخة : زغر - فأهبط الرب على." [1]

" صفحة رقم ٥٦٣

سدوم وعامورا نارا وكبريتا من بين يدي الرب من السماء فقلب هذه القرى والقاع بأسره ، وأهلك جميع سكانها وجميع من فيها وجمع نبت الأرض ، فالتفتت امرأته إلى خلفها لتنظر فصارت نصبة ملح ، فأدلج إبراهيم باكرا غلى المرضع الذي كان يقف فيه بين يدي الرب ؛ فمد بصره **نحو سدوم وعامورا** وإلى جميع أرض القاع فنظر فإذا دخان القرية يرتفع كدخان الأخدود ، فلما خسف الله قرى القاع ذكر الله إبراهيم فارسل لوطا من المأفوكة إذ قلب الله القرى التي كان ينزلها لوط فطلع لوط من صاغار - وفي نسخة : زغر - فسكن الجبل هو وابنتاه معه لأنه تخوف أن يسكن صاغار ، فجلس في مغارة .

هود : (٨٤ - ٨٥) وإلى مدين أخاهم. .. . .

) وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ويقوم أوفوا المكيال والميزان بالقِسط ولا تبخسوا الناس أشيآءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (( )

ولما انتهت القصة معلمة لما قام به لوط عليه السلام من أمر الله غير وان لرغبة ولا رهبة وبما في إنزال الملائكة من الخطر ، أتبعت أقرب القصص الشهيرة إليها في الزمن فقال تعالى : (وإلى) أي ولقد أرسلنا إلى) مدين (وهم قبيلة أبيهم مدين بن إبراهيم عليه السلام) أخاهم شعيبا (فكأن قائلا قال : ما قال لهم

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٦٢/٣

؟ فقيل : (قال (ما قال إخوانه من الأنبياء في البداءة بأصل الدين : (يا قوم (مستعطفا لهم مظهرا غاية الشفقة) اعبدوا الله (أيا لملك الأعلى غير مشركين به شيئا لأنه واحد) ما لكم (وأغرق في النفي فقال : (من إله غيره (فلقد اتفقت – كما ترى – كلمتهم واتحدت إلى الله وحده دعوتهم ، وهذا وحده قطعي الدلالة على صدق كل منهم لما علم قطعا من تباعد أعصارهم وتنائي ديارهم وأن بعضهم لم يلم بالعلوم ولا عرف أخبار الناس إلا من الحي القيوم ؛ قال الإمام شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي في كتابه (رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية) في ذكر الأنبياء : اتحدت مصادرهم كأنهم بينان مرصوص ، عبروا بألسنة مختلفة تنتهي إلى بحر متصل بالقلوب متحد بها يستمد من البحر المحيط بعالمي الشهادة والغيب ، واختلفت الموارد من الشرائع بحسب ما اقتضت الحكمة الإلهية من مصلحة أهل كل زمان وكل ملة ، فما ضر اختلافهم في الفروع مع اتحادهم في الأصول ، وقال قبل ذلك : إن الفلاسفة لما لم يغترفوا من بحار الأنبياء وقفت بهم أفراس أفكارهم في عالم الشهادة ، فلما حاولوا الخوض في الإلهيات انكشفت عورة جهلهم وافتضحوا باضطرابهم واختلافهم)) تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ( ) [الحشر : ١٤] القطع بهم سير الفكر في منتهى عالم الملك والشهادة ولم يدخل." [1]

" صفحة رقم ٢٣٠

العدو يكون مستقبلا لعدوه ، فهو كنايةعن الاستئصال بأن آخرهم وأولهم في الأخذ سواء ، لأن الآخذ قادر ، لا كما يفعل بعض الناس مع بعض من أنهم يملون في آخر الوقائع فيفوتهم البعض .

الحجر : (٦٧ – ٧٢) وجاء أهل المدينة. . . . .

) وجآء أهل المدينة يستبشرون قال إن هؤلآء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلآء بناتي إن كنتم فاعلين لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون (( )

فلما تم ما دار بينه وبين الرسل مقدما لما بين ، أتبعه البيان عن حال قومه إشارة إلى أن الملائكة إن كانوا بصفات البشر لم يعرفهم الكفرة ، وإن كانوا بصفاتهم أو بإظهار شيء من خوارقهم لم تحتمله قواهم ، فلا نفع لهم في مكاشفتهم في حالة من الحالات ، فسؤالهم الإتيان بهم جهل عظيم ، فقال تعالى : (وجاء أهل المدينة) أي التي كان هذا الأمر فيها – قالوا : **وهي سدوم –** لإرادة عمل الفاحشة بالأضياف) يستبشرون) أي يلوح على بشراتهم السرور ، فهم يوجدونه لأنفسهم إيجاد من هو شديد الرغبة في طلبه ، فكان حال لوط عليه السلام أن) قال (لهم : (إن هؤلاء) أي الأقرباء مني) ضيفي (.

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٦٣/٣

ولما كان إكرام الضيف إكراما لمن هو عنده وإهانته إهانته ، سبب عن ذلك ما أشار إليه الكلام فقال : (فلا تفضحون (في إصابتهم بفاحشة ، وكان ذلك قبل معرفته أنهم ملائكة) واتقوا الله) أي الذي له جميع العظمة) ولا تخزون) أي بإهانة ضيفي ، فيكون ذلك عارا علي مدى الدهر ، فلم يكفهم ذلك بل) قالوا (بفظاظة ، عاطفين على ما تقديره : ألم تعلم أنا لا نترك هذا الأمر لشيء من الأسباب : (أو لم ننهك) أي من قبل هذا) عن العالمين (أن تجبر علينا أحدا منهم ، فما وصلوا إلى هذا الحد من الوقاحة ، ذكر لهم الحريم ليحملهم ذلك على الحياء ، لأنه دأب من له أدنى مروءة ولا سيما ذكر الأبكار في سياق يكاد يصرح بمراده ، بأن) قال هؤلاء (مشيرا إلى بيته الذي فيه بناته (صلى الله عليه وسلم) ورضي عنهن) بناتي إن كنتم (ولا بد) فاعلين) أي قد عزمتم عزما ماضيا على هذا الفعل ، إشارة بأداة الشك إلى أن هذا الفعل مما لا ينبغي أن يفعل ، يعني وأنتم عالمون بأني لا أسلم بناتي أبدا ، فعلم من ذلك ان وصولكم إلى أضيافي دون هلاكي محال .

ولما ذكر ما ذكر من أمورهم وعظيم فجورهم ، وهم قد فرغ من أمرهم وقضي باستئصالهم ، كان كل من يعلم ذلك قاضيا بأنهم لا عقول لهم ، فأتبع سبحانه ذلك ما." (١)

" صفحة رقم ٩٨

داوود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين) ٧٣

( ) ٧١

ولما ذكر أنه أعطاهم رتبة الصلاح في انفسهم ، ذكر أنه أعطاهم رتبة الإصلاح لغيرهم ، فقال معظما لإمامتهم : (وجعلناهم أئمة) أي أعلاما ومقاصد يقتدى بهم في الدين بما أعطاهم من النبوة .

ولما كان الإمام قد يدعو إلى الردى ، ويصد عن الهدى ، إذا كانت إمامته ظاهرة لا يصحبها صلاح باطن ، تحترز عن ذلك بقوله : (يهدون) أي يدعون إلينا من وفقناه للهداية) بأمرنا (وهو الروح الذي هو العمل المؤسس على العلم بإخبار الملائكة به عنا ، ولإفهام ذلك عطف عليه قوله معظما لوحية إليهم : (وأوحينا إليهم) أي أيضا) فعل) أي أن يفعلوا) الخيرات (كلها وهي شرائع الدين ، ولعله عبر بالفعل دلالة على أنهم امتثلوا كل ما أوحي إليهم .

ولما كانت الصلاة أم الخيرات ، خصها بالذكر فقال : (وإقام الصلاة (قال الزجاج : الإضافة عوض عن تاء التأنيث .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤/٢٣٠

يعني فيكون من الغالب لا من القليل ، وكان سر الحذف تعظيم الصلاة لأنها مع نقصها عن صلاتنا – لما أشار إليه الحذف – بهذه المنزلة من العظمة فما الظن بصلاتنا .

ولما كانت الصلاة بين العبد والحق ، وكان روحها الإعراض عن كل فان ، عطف عليها قوله : (وإيتاء الزكاة) أي التي هي مع كنها إحسانا إلى الخلق بما دعت الصلاة إلى الانسلاخ عنه من الدنيا ، ففعلوا ما أوحيناه إليهم) وكانوا لنا (دائما جبلة وطبعا) عابدين) أي فاعلين لكل ما يأمرون به غيرهم ، فعل العبد مع ملاه من كل ما يجب له من الخدمة ، ويحق له من التعظيم والحرمة .

ولما كان سبحانه قد سخر لصديقه لوط عليه السالم إهلاك من عصاه في أول المر بحجارة الكبريت التي هي من النار ، وفي آخره بالماء الذي هو اقوى من النار ، تلاه به فقال : (ولوطا) أي وآتيناه أو واذكر لوطا ؛ ثم استأنف قوله : (ءاتيناه) أي بعظمتنا) حكما) أي نبوة وعملا محكما بالعلم) وعلما (مزينا بالعمل) ونجيناه (بانفرادنا بالعظمة .

ولما كانت مادة (قرا) تدل على الجمع ، قال : (من القرية (**المسماة سدوم** ، أي من عذابهم وجميع شرورهم ، وأفرد تنبيها على عمومها بالقلع والقلب وأنه كان في غاية السهولة والسرعة ، وقال أبو حيان : وكانتسبعا ، عبر عنها بالواحدة لاتفاق أهلها على الفاحشة .

) التي كانت (قبل إنجائنا له منها) تعمل الخبائث (بالذكران ، وغير ذلك من الطغيان ، فاستحقوا النار التي أمر المؤلفات ، بما ارتكبوا من الشهوة المححظورة لعدهم لها الملذذات ، والغمر بالماء القذر المنتن الذي جعلناه – مع أنا جعلنا من." (١)

" صفحة رقم ٥٥٤

رسلنآ إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين) ٧٣

( ) ٧١

ولما كان – كما مضى – السياق للابتلاء ، خص بالبسط في القص من لم يكن له ناصر من قومه ، أو كان غريبا منها ، ولذلك أتبع الخليل عليه الصلاة والسلام ابن أخيه الذي أرسله الله إلى **أهل سدوم** : ناس لا قرابة له فيهم ولا عشيرة ، فقال : (ولوطا) أي أرسلناه ، وأشار إلى إسراعه في الامتثال بقوله : (إذ (اي وأرسناه حين) قال لقومه (**أهل سدوم الذين** سكن فيهم وصاهرهم وانقطع إليهم فصاروا قومه ، حين

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٩٨/٥

فارق عمه إبراهيم الخليل عليهما السلام ، منكرا ما رأى من حالهم ، وقبيح فعالهم ، مؤكدا له إشارة إلى أنه – مع كونه يرونه من أعرف المعارف – جدير بأن ينكر : (إنكم لتأتون الفاحشة) أي المجاوزة للحد في القبح ، فكأنها لذلك لا فاحشة غيرها .

ثم علل كونها فاحشة استئنافا بقولهك) ما سبقكم (أو هي حال مبنية لعظيم جرأتهم على المنكر ، أي غير مسبوقين) بها (وأعرق في النفي بقوله : (من أحد (وزاد بقولهك) من العالمين) أي كلهم فضلا عن خصوص الناسح ثم كرر الإنكار تأكيدا لتجاوز قبحها الذي ينكرونه فقال : (أئنكم لتأتون الرجال (إتيان الشهوة ، وعطف عليها ما ضموه إليها من المناكر ، بيانا لاستحقاق الذم من وجوه ، فأوجب حالهم ظن أنهم وصلوا من الخبث إلى حد لا مطمع في الرجوع عنه مع ملازمته لدعائهم من غير ملل ولا ضجر ، فقال) وتقطعون السبيل) أي بأذى الجلابين والمارة .

ولما خص هذين الفسادين ، عم دالا على المجاهرة فقال : (وتأتون في ناديكم) أي المكان الذي تجلسون فيه للتحدث بحيث يسمع بعضكم نداء بعض من مجلس المؤانسة ، وهو ناد ما دام القوم فيه ، فإذا قاموا عنه لم يسم بذلك) المنكر) أي هذا الجنس ، وهو ما تنكره الشرائع والمروءات والعقول ، ولا تتحاشون عن شيء منه في المجتمع الذي يتحاشى فيه الإنسان من فعل خلاف الأولى ، من غير أن يستحي بعضكم من بعض ؛ ودل على عنادهم بقوله مسببا عن هذه النصائح بالنهي عن تلك الفضائح : (فما كان جواب قومه) أي الذين فيهم قوة ونجدة بحيث يخشى شرهم ، ويتقي أذاهم وضرهم ، لما أنكر عليهم ما أنكر) إلا أن قالوا (عنادا وجهلا واستهزاء : (ائتنا بعذاب الله (وعبروا بالاسم الأعظم زيادة في الجرأة .

ولما كان الإنكار ملزوما للوعيد بأمر ضار قالوا : (إن كنت) أي كونا متمكنا) من الصادقين) أي في وعيدك وإرسالك ، إلهابا وتهييجا .." (١)

" صفحة رقم ٥٥٥

ولما كان كأنه قيل : بم أجابهم ؟ قيل : (قال) أي لوط عليه الصلاةوالسلام معرضا عنهم ، مقبلا بكليته على المحسن إليه : (رب) أي أيها المحسن إلي) انصرني على القوم) أي الذين فيهم من القوة ما لا طاقة لي بهم معه) المفسدين (بإتيان ما تعلم من القبائح .

ولما كان التقدير : فاستجبنا له فأرسلنا رسلنا بشرى لعمه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ولإهلاك قوم لوط

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٥٥٤

عليه الصلاة والسلام ، تحقيقا لانتقامنا من المجرمين ، وإنعامنا على الصالحين ، ولابتلائنا لمن نريد من عبادنا حيث جعلنا النذارة مقارنة للبشارة ، عطف عليه قوله : (ولما جاءت (وأسقط (أن) لأنه لم يتصل المقول بأول المجيء بل كان قبله السلام والإضافة ؛ وعظم الرسل بقولهك) رسلنا) أي من الملائكة تعظيما لهم في أنفسهم ولما جاؤوا به) إبراهيم بالبشرى) أي بإسحاق ولدا له ، ويعقوب ولدا لإسحاق عليهما الصلاة والسلام .

ولما كان المقام للابتلاء والامتحان ، أجمل البشرى ، وفصل النذري ، فقال : (قالوا (اي الرسل عليهم الصلاة والسلام لإبراهيم عليه الصلاة والسلام بعد أن بشروه وتوجهوا **نحو سدوم** ، جوابا لسؤاله عن خطبهم ، تحقيقا لأن أهل السيئات مأخذون ، وأكدوا لعلمهم أن الخليل عليه الصلاة والسلام يود أن يهديهم الله على يد ابن أخيه ولا يهلكهم ، فقالوا : (إنا مهلكو (وأضافوا تحقيقا لأن الأمر قد حق وفرغ منه فقالوا : (أهل هذه القرية (ثم عللوا ذلك بقولهم : (إن أهلها (مظهرين غير مضمرين إفهاما لأن المراد أهلها الأضلاء في ذلك ، إخراجا للوط عليه السلام : (كانوا الظالمين) أي عريقين في هذا الوصفن فلا حيلة في رجوعهم عنه .

ولما كان السامع بحيث يتشوف إلى معرفة ما كان بعد ذلك ، كان كأنه قيل : لم يقنع الخليل عليه السلام لخطر المقام بهذا التلويح ، بل) قال (مؤكدا تنبيها على جلالة ابن أخيه ، وإعلاما بشدة اهتمامه به ، وأنه ليس ممن يستحق الهلاك ، ليعلم ما يقولون في حقه ، لأن الحال جد ، فهو جدير بالاختصارك) إن (وأفهم بقوله : (فيها لوطا (دون ، منهم ، أنه نزيل تدرجا إلى التصريح بالسؤال فيه ، وسؤالا في الدفع عنهم بكونه فيهم ، لأنه بعيد عما عللوا به الإهلاك من الظلم ،) قالوا) أي الرسل لإبراهيم عليه الصلاة والسلام : (نحن أعلم) أي منك) بمن فيها) أي من لوط وغيره .

ولما كان كلامهم محتملا للأنجاء والإرداء ، صرحوا بقولهم على سبيل التأكيدن لأن إنجاءه من بينهم جدير بالاستبعاد : (لننجينه) أي إنجاءا عظيما) وأهله (ولما أفهم هذا امرأه استثنوها ليكون ذلك أنص على إجاء غيرها من جميع أهله فقالوا : (إلا." (١)

"ومنه إرجاف النفوس لكريه الأخبار أي تحريكها وروي أن صيحة ثمود كان فيها من صوت كل شيء هائل الصوت وكانت مفرطة شقت قلوبهم فجثوا على صدورهم والجاثم اللاطىء بالأرض على صدره مع قبض ساقيه كما يرقد الأرنب والطير فإن جثومها على وجهها ومنه قول جرير

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٥٥٥

(عرفت المنتأى وعرفت منها

مطايا القدر كالحدأ الجثوم) " الوافر " وقال بعض المفسرين معناه حمما محترقين كالرماد الجاثم

قال القاضي أبو محمد وحيث وجد الرماد الجاثم في شعر فإنما هو مستعار لهيئة الرماد قبل همود وتفرقه

وذهب صاحب هذا القول إلى أن الصيحة اقترن بها صواعق محرقة

وأخبر الله عز وجل بفعل صالح في توليه عنهم وقت عقرهم الناقة وقولهم " ائتنا بما تعدنا " وذلك قبل نزول العذاب وكذلك روي أنه صلى الله عليه وسلم خرج من بين أظهرهم قبل نزول العذاب وهو الذي تقتضيه مخاطبته لهم وأما لفظ الآية فيحتمل أن خاطبهم وهم موتى على جهة التفجع عليهم ذكر حالهم أو غير ذلك كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل قليب بدر قال الطبري وقيل لم تهلك أمة ونبيها معها وروي أنه ارتحل بمن معه حتى جاء مكة فأقام بها حتى مات ولفظة التولي تقتضي اليأس من خيرهم واليقين في إهلاكهم

وقوله " لا تحبون الناصحين " عبارة عن تغليبهم الشهوات على الرأي إذ كلام الناصح صعب مضاد لشهوة نفس الذي ينصح ولذلك تقول العرب أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك

قوله عز وجل

سورة الأعراف ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤

لوط عليه السلام بعثه الله إلى أمة تسمى سدوم وروي أنه ابن أخي إبراهيم عليه السلام ونصبه إما " أرسلنا " المتقدم في الأنبياء وإما بفعل مضمر تقديره واذكر " لوطا " استفهامه لهم هو على جهة التوقيف والتوبيخ والتشنيع و " الفاحشة " هنا إتيان الرجال في الأدبار وروي أنه لم تكن هذه المعصية في أمم قبلهم

قال القاضي أبو محمد وإن كان لفظ الآية يقتضي هذا فقد كانت الآية تحتمل أن يراد بها ما سبقكم أحد إلى

لزومها وتشهيرها وروي أنهم إن كانوا يأتي بعضهم بعضا وروي أنهم إنما كانوا يأتون الغرباء قاله الحسن البصري قال عمرو بن دينار ما زنا ذكر على ذكر قبل قوم لوط وحكى النقاش أن إبليس كان أصل عملهم بأن دعاهم إلى نفسه وقال بعض العلماء عامل اللواط كالزاني وقال مالك رحمه الله

٤٢٥

وغيره يرجم أحصن أو لم يحصن وحرق أبو بكر الصديق رضي الله عنه رجلا يسمى الفجأة حين عمل عمل

قوم لوط
". (١)

"الرسل هنا هم الملائكة الذين كانوا أضياف إبراهيم عليه السلام وذلك أنهم لما خرجوا إلى بلد لوط وبينه وبين قرية إبراهيم ثمانية أميال وصلوه فقيل وجدوا لوطا في حرث له وقيل وجدوا ابنته تستقي ماء في نهر سدوم وهي أكبر حواضر قوم لوط فسألوها الدلالة على من يضيفهم ورأت هيئتهم فخافت عليهم من قوم لوط وقالت لهم مكانكم وذهبت إلى أبيها فأخبرته فخرج إليهم فقالوا له نريد أن تضيفنا الليلة فقال لهم أو ما سمعتم بعمل هؤلاء القوم فقالوا وما عملهم فقال أشهد بالله لهم شر قوم في الأرض وقد كان الله عز وجل قال للملائكة لا تعذبوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما قال لوط هذه قال جبريل لأصحابه هذه واحدة وتردد القول بينهم حتى كرر لوط الشهادة أربع مراتثم دخل لوط بهم المدينة وحينئذ " سيء بهم " أي أصابه سوء و " سيء " فعل بني للمفعول و " الذرع " مصدر مأخوذ من الذراع ولما كان الذراع موضع قوة الإنسان قيل في الأمر الذي لا طاقة له به ضاق بهذاالأمر ذراع فلان وذرع فلان أي حيلته بذراعه وتوسعوا في هذا حتى قلبوه فقالوا فلان رحب الذراع إذا وصفوه باتساع القدرة ومنه قول الشاعر
(يا سيد
ما أنت من سيد
موطأ الأكناف رحب الذراع) .
وقوله " هذا يوم عصيب " أشار به إلى ما كان يتخوفه من تعدي قومه على أضيافه واحتياجه إلى المدافعة مع ضعفه عنها و " عصيب " بناء اسم فاعل معناه يعصب الناس بالشر كما يعصب الخابط السلمة إذا أراد خبطها ونفض ورقها ومنه قول الحجاج في خطبته ولأعصبنكم عصب السلمة فهو من
١٩٤
العصابة ثم كثر وصفهم اليوم بعصيب ومنه قول الشاعر وهو عدي بن زيد
(وكنت لزاز خصمك لم أعرد
وقد سلكوك في يوم عصيب) " الوافر "
ومنه قول الآخر
(فإنك إلا ترض بكر بن وائل

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٤٩١/٢

يكن لك يوم بالعراق عصيب) " الطويل "
ف (عصيب) بالجملة في موضع شديد وصعب الوطأة واشتقاقه كما ذكرنا .
وقوله تعالى " وجاءه قومه " الآية روي أن امرأة لوط الكافرة لما رأت الأضياف ورأت جمالهم وهيئتهم خرجت حتى أتت مجالس قومها فقالت لهم إن لوطا أضاف الليلة فتية ما ريء مثلهم جمالا وكذا وكذا فحينئذ جاءوا " يهرعون إليه " ومعناه يسرعون والأهراع هو أن يسرع أمر بالإنسان حتى يسير بين الخبب والخمر فهي مشية الأسير الذي يسرع به والطامع المبادر إلى أمر يخاف فوته ونحو هذا يقال هرع الرجل وأهرعه طمع أو عدو أو خوف ونحوه .
والقراءة المشهورة يهرعون بضم الياء أي يهرعون الطمع وقرأت فرقة يهرعون بفتح الياء من هرع ومن هذه اللفظة قول مهلهل
(فجاءوا يهرعون وهم أسارى
تقودهم على رغم الأنوف) " الوافر "
." (١)

"وقولهم " بشرناك بالحق " فيه شدة ما أي بشر بما بشرت به ودع غير ذلك وقرأ جمهور الناس القانطين والقنوط أتم اليأس وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وابن مصرف ورويت عن عمرو القنطين وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة ومن يقنط بفتح النون في كل القرآن وقرأ أبو عمرو والكسائي ومن يقنط بكسر النون وكلهم قرا من " بعد ما قنطوا " بفتح النون ورد أبو عبيد قراءة أهل الحرمين وأنكر أن يقال قنط بكسر النون وليس كما قال لأنهم لا يجمعون إلا على قوي في اللغة مروي عندهم وهي قراءة فصيحة إذ يقال قنط يقنط وقنط يقنط مثل نقم ونقم وقرا الأعمش هنا يقنط بكسر النون وقرأ " من بعد ما قنطوا " بكسر النون أيضا فقرأ باللغتين وقرأ الأشهب يقنط بضم النون وهي قراءة الحسن والأعمش أيضا وهي لغة تميم .
قوله عز وجل
سورة الحجر ٥٧ - ٦٥
القائل هنا إبراهيم عليه السلام وقوله " فما خطبكم " سؤال فيه عنف كما تقول لمن تنكر حاله ما دهاك وما مصيبتك وأنت إنما تريد استفهاما عن حاله فقط .

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٢٠٨/٣

لأن الخطب لفظة إنما تستعمل في الأمور الشداد على أن قول إبراهيم عليه السلام " أيها المرسلون " وكونهم أيضا قد بشروه يقتضي أنه قد كان عرف أنهم ملائكة حين قال " فما خطبكم " فيحتمل قوله " فما خطبكم " مع هذا أنه أضاف الخطب إليهم من حيث هم حملته إلى القوم المعذبين أي ما هذا الخطب الذي تتحملونه وإلى أي أمة .

و " لقوم مجرمين " يراد به أهل **مدينة سدوم الذين** بعث فيهم لوط عليه السلام والمجرم الذي يجر الجرائر ويرتكب المحظورات وأصل جرم وأجرم كسب ومنه قول الشاعر

(جريمة ناهض في رأس نيق

) " الوافر "

أي كسب عقاب في قنة شامخ ولكن اللفظة خصت في عرفها بالشر لا يقال لكاسب الأجر مجرم وقولهم " إلا آل " استثناء منقطع والأول القوم الذي يؤول أمرهم إلى المضاف إليه كذا قال سيبويه وهذا نص في أن لفظة " آل " ليست لفظة أ ه ل كما قال النحاس ويجوز على هذا إضافة " آل " إلى الضمير وأما أهيل فتصغير أهل واجتزوا به عن تصغير آل فرفضوا أويلا وقرأ جمهور السبعة

٣٦٧

لمنجوهم وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم بسكون النون وضم الجيم مخففة والضمير في " لمنجوهم " في موضع خفض بالإضافة وانحذفت النون للمعاقبة هذا قول جمهور النحويين وقال الأخفش الضمير في موضع نصب وانحذفت النون لأنه لا بد من اتصال هذا الضمير .

قال القاضي أبو محمد وفي هذا نظر وقوله " إلا امرأته " استثناء بعد استثناء وهما منقطعان فيما حكى بعض النحاة لأنهم لم يجعلوا امرأته الكافرة من آله .

". (١)

"قال ابن عباس وابن جريج والجماعة الإشارة إلى مدينة قوم لوط **وهي سدوم بالشام** و " مطر السوء " حجارة السجيل وقرأ أبو السمال السوء بضم السين المشددة ثم وقفهم على إعراضهم وتعرضهم لسخط الله بعد رؤيتهم العبرة من تلك القرية ثم حكم عليهم أنهم إذا رأوا محمدا صلى الله عليه وسلم استهزؤوا به واستحقروه وأبعدوا أن يبعثه الله رسولا فقالوا على جهة الاستهزاء " أهذا الذي بعث الله رسولا " وفي " بعث " ضمير يعود على الذي حذف اختصارا وحسن ذلك في الصلة ثم أنس النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣٦٣/٣

عن كفرهم بقوله " أرأيت من اتخذ إلهه هواه " الآية والمعنى لا تتأسف عليهم ودعهم لرأيهم ولا تحسب أنهم على ما يجب من التحصيل والعقل بل هم كالأنعام في الجهل بالمنافع وقلة التحسس للعواقب ثم حكم بأنهم " أضل سبيلا " من حيث لهم الفهم وتركوه و " الأنعام " لا سبيل لهم
٢١٢
إلى فهم المصالح ومن حيث جهالة هؤلاء وضلالتهم في أمر أخطر من الأمر الذي فيه جهالة الأنعام وقوله " اتخذ إلهه هواه " معناه جعل هواه مطاعا فصار كالإله والهوى قائد إلى كل فساد لأن النفس أمارة بالسوء وإنما الصلاح إذا ائتمرت للعقل وقال ابن عباس الهوى الإله يعبد من دون الله ذكره الثعلبي وقيل الإشارة بقوله " إلهه هواه " إلى ما كانوا عليه من أنهم كانوا يعبدون حجرا فإذا وجدوا أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الثاني الذي وقع هواهم عليه قال أبو حاتم وروي عن رجل من أهل المدينة قال ابن جني هو الأعرج " إلهه هواه " والمعنى اتخذ شمسا يستضيء بها هواه إذ الشمس يقال لها إلهة وتصرف ولا تصرف والوكيل القائم على الأمر الناهض به .

قوله عز وجل

سورة الفرقان ٤٥٤٧

" ألم تر " معناه انتبه والرؤية ها هنا رؤية القلب وأدغم عيسى بن عمر " ربك كيف " قال أبو حاتم والبيان أحسن و " مد الظل " بإطلاق هو بين أول الإسفار إلى بزوغ الشمس ومن بعد مغيبها مدة يسيرة فإن في هذين الوقتين على الأرض كلها ظل ممدود على أنها نهار وفي سائر أوقات النهار ظلال متقطعة والمد والقبض مطرد فيها وهو عندي المراد في الآية والله أعلم وفي الظل الممدود ما ذكر الله في هواء الجنة لأنها لما كانت لا شمس فيها كان ظلها ممدودا أبدا .

". (١)

"و " العليم " معناه بالمصالح وغير ذلك من العلومات ثم قال إبراهيم عليه السلام للملائكة " فما خطبكم " والخطب الأمر المهم وقل ما يعبر به الا عن الشدائد والمكاره حتى قالوا خطوب الزمان ونحو هذا فكأنه يقول لهم ما هذه الطامة التي جئتم لها فأخبروه حينئذ انهم أرسلوا **الى سدوم قرية** لوط بإهلاك أهلها الكفرة العاصين المجرمين والمجرم فاعل الجرائم وهي صعاب المعاصي كفر ونحوه واحدتها جريمة وقولهم " لنرسل عليهم " أي لنهلكهم بهذه الحجارة

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٤/٢٥٧

ومتى اتصلت (أرسل) ب (على) فهي بمعنى المبالغة في المباشرة والعذاب ومتى اتصلت ب (إلى) فهي أخف
وانظر ذلك تجده مطردا
وقوله تعالى " حجارة من طين " بيان يخرج عن معتاد حجارة البرد التي هي من ماء
ويروى انه طين طبخ في نار جهنم حتى صار حجارة كالآجر
و " مسومة " نعت ل " حجارة " وقيل معناه متروكة وسومها من الإهلاك والانصباب
وقيل معناه معلمة بعلامتها من السيما والسومى وهي العلامة أي انها ليست من حجارة الدنيا وقال الزهراوي والرماني وقيل معناه على كل حجر اسم المضروب به
وقال
١٧٩
الرماني وقيل كان عليها أمثال الخواتم
وقال ابن عباس تسويمها إن كان في الحجارة السود نقط بيض وفي البيض سود
ويحتمل أن يكون المعنى انها بجملتها معلومة عند ربك لهذا المعنى معلمة له
لا ان كل واحد منها له علامة خاصة به
والمسرف الذي يتعدى الطور فإذا جاء مطابقا فهو لأبعد الغايات الكفر فما دونه
ثم أخبر تعالى أنه أخرج بأمره من كان في قرية لوط " من المؤمنين " منجيا لهم
واعاد الضمير على القرية
ولم يصرح لها قبل ذلك بذكر لشهرة امرها
ولأن القوم المجرمين معلوم انهم في قرية ولا بد
قال المفسرون ولا فرق بين تقدم ذكر المؤمنين وتأخره وإنما هما وصفان ذكرهم أولا بأحدهما ثم آخر بالثاني قال الرماني الآية دالة على ان الإيمان هو الإسلام
قال القاضي ابو محمد ويظهر الي ان في المعنى زيادة تحسن التقديم للإيمان وذلك انه ذكره مع الإخراج من القرية كانه يقول نفذ امرنا بإخراج كل مؤمن ولا يشترط فيه ان يكون عاملا بالطاعات
بل التصديق بالله فقط
ثم لما ذكر حال الموحدين ذكرهم بالصفة التي كانوا عليها وهي الكاملة التصديق والأعمال والبيت من

المسلمين هو بيت لوط وكان هو وابنتاه وقيل ونبته

وفي كتاب الثعلبي وقيل لوط وأهل بيته ثلاثة عشر وهلكت امراته فيمن هلك وهذه القصة بجملتها ذكرت على جهة المثال لقريش

أي أنهم إذا كفروا وأصابهم مثل ما أصاب هؤلاء المذكورين

قوله عز وجل

سورة الذاريات ٣٧ - ٤٤

المعنى " وتركنا " في القرية المذكورة **وهي سدوم أثرا** من العذاب باقيا مؤرخا لا يفني ذكره فهو " آية " أي علامة على قدرة الله وانتقامه من الكفرة

". (١)

" صفحة رقم ٤٩٢

لهلاكهم لأن النفوس فيه أودع والناس فيه أجمع .

(هود : (٨٢ - ٨٣) فلما جاء أمرنا . . . . .

" فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد " (قوله عز وجل :) فلما جاء أمرنا (فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه أمر الله تعالى للملائكة . الثاني : أنه وقوع العذاب بهم .

الثالث : أنه القضاء بعذابهم .

) جعلنا عاليها سافلها (قال محمد بن كعب القرظي إن الله تعالى بعث جبريل إلى مؤتفكات قوم لوط فاحتملها بجناحه ثم صعد بها حتى إن أهل السماء يسمعون نباح كلابهم وأصوات دجاجهم ، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأتبعها بحجارة من سجيل حتى أهلكها وما حولها ، وكن خمسا : صبغة ومقرة وعمرة ودوما **وسدوم** وهي القرية العظمى .

وقال قتادة : كانوا في ثلاث قرى يقال **لها سدوم بين** المدينة والشام وكان فيها أربعة آلاف ألف .

(و أمطرنا عليها حجارة من سجيل (فيه ثمانية تأويلات : أحدها : أنه فارسي معرب وهو (سنك وكيل) فالسنك : الحجر ، والكيل الطين ، قاله ابن عباس .

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١٦١/٥

الثاني : أنه طين قد طبخ حتى صار كالأرحاء ، ذكره ابن عيسى .

الثالث : أنه الحجارة الصلبة الشديدة ، قاله أبو عبيدة وأنشد قول ابن مقبل :." [١]

" صفحة رقم ٤٥٥

قوله تعالى :) ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة (فيها ثلاثة أوجه :

أحدها : أن النافلة الغنيمة ، قال لبيد :

٨٩ (لله نافلة الأفضل .) ٨٩

الثاني : أن النافلة الابن ، حكاه السدي .

الثالث : أنها الزيادة في العطاء . وفيما هو زيادة قولان :

أحدهما : أن يعقوب هو النافلة ، لأنه دعا بالولد فزاده الله ولد الولد ، قاله ابن عباس وقتادة .

الثاني : أن إسحاق ويعقوب هما جميعا نافلة ، لأنهما زيادة على ما تقدم من النعمة عليه ، قاله مجاهد ، وعطاء .

قوله وجل :) ولوطا آتيناه حكما وعلما (فيه تأويلان :

أحدهما : أنه القضاء بالحق بين الخصوم قاله ابن عيسى .

الثاني : النبوة ، قاله . . . .

) علما (يعني فهما .

) ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبآئث (وهي قرية سدوم .

وفي الخبائث التي كانوا يعملونها قولان :

أحدهما : اللواط .

الثاني : الضراط) ونجيناه (قيل من قدرب المدائن ورمي الحجارة .

(الأنبياء : (٧٦ - ٧٧) ونوحا إذ نادى . . . . .

" ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين " (."[٢]

---

(١) النكت والعيون . ، ٤٩٢/٢

(٢) النكت والعيون . ، ٤٥٥/٣

" صفحة رقم ١٤٦

الرابع : أنهم قوم أرسل الله إليهم نبيا فأكلوه وهم أول من عمل نساؤهم السحر ، قاله الكلبي .

قوله تعالى :) ولقد أتوا على القرية (**وهي سدوم قرية** لوط .

) التي أمطرت مطر السوء (الحجارة التي أمطروا بها ، والذين أتوا عليها قريش .

) أفلم يكونوا يرونها (أي يعتبرون بها

.) بل كانوا لا يرجون نشورا (أي لا يخافون بعثا .

(الفرقان : (٤١ - ٤٤) وإذا رأوك إن . . . . .

" وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا " (قوله تعالى :) أرءيت من اتخذ إلهه هواه (فيه ثلاثة أقاويل

: أحدها : أنهم قوم كان الرجل منهم يعبد حجرا يستحسنه ، فإذا رأى أحسن منه عبده وترك الأول ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه الحارث بن قيس كان إذا هوى شيئا عبده ، حكاه النقاش .

الثالث : أنه الذي يتبع هواه في كل ما دعا إليه ، قاله الحسن ، وقتادة .

) أفأنت تكون عليه وكيلا (فيه أربعة أوجه

: أحدها : يعني ناصرا ، قاله قتادة .

الثاني : حفيظا ، قاله يحيى بن سلام .

الثالث : كفيلا قاله الكلبي .

الرابع : مسيطرا ، قاله السدي .

(الفرقان : (٤٥ - ٤٧) ألم تر إلى . . . . .

" ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه." [١]

" صفحة رقم ٢٢٧

وفي قوله) من الأرض (أربعة أقاويل :

---

(١) النكت والعيون ، ٤/١٤٦

أحدها : أنها تخرج من بعض أودية تهامة ، قاله ابن عباس .

الثاني : من صخرة من شعب أجياد ، قاله ابن عمر .

الثالث : من الصفا ، قاله ابن مسعود .

الرابع : من **بحر سدوم** ، قاله ابن منبه .

وفي) تكلمهم (قراءتان :

الشاذة منهما :) تسمهم (بفتح التاء ، وفي تأويلها وجهان :

أحدهما : تسمهم في وجوههم بالبياض في وجه المؤمن ، وبالسواد في وجه الكافر حتى يتنادى الناس في أسواقهم يا مؤمن يا كافر ، وقد روى أبو أمامة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (تخرج الدابه فتسم الناس على خراطيمهم) . الثاني : معناه تجرحهم وهذا مختص بالكافر والمنافق ، وجرحه إظهار كفره ونفاقه ومنه جرح الشهود بالتفسيق ، ويشبه أن يكون قول ابن عباس .

والقراءة الثانية : وعليها الجمهور) تكلمهم (بضم التاء وكسر اللام من الكلام ، وحكى قتادة أنها في بعض القراء ة :) تنبئهم (وحكى يحيى بن سلام أنها في بعض القراءة :) تحدثهم (.

وفي كلامها على هذا التأويل قولان :

أحدهما : أن كلامها ظهور الآيات منها من غير نطق ولا لفظ .

والقول الثاني : أنه كلام منطوق به .." (١)

"و﴿المنكر﴾ : ما تنكره العقول والشرائع والمروآت ، حذف الناس بالحصباء ، والاستخفاف بالغريب الخاطر ، وروت أم هانيء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم. أو إتيان الرجال في مجالسهم يرى بعضهم بعضا ، قاله منصور ومجاهد والقاسم بن محمد وقتادة بن زيد ؛ أو تضارطهم ؛ أو تصافعهم فيها ، قاله ابن عباس ؛ أو لعب الحمام ؛ أو تطريف الأصابع بالحناء ، والصفير ، والحذف ، ونبذ الحياء في جميع أمورهم ، قاله مجاهد أيضا ، أو الحذف بالحصى ، والرمي بالبنادق ، والفرقعة ، ومضغ العلك ، والسواك بين الناس ، وحل الأزرار ، والسباب ، والفحش في المزاح ، قاله ابن عباس أيضا مع شركهم بالله. كانت فيهم ذنوب غير الفاحشة ، تظالم فيما بينهم ، وبشاعة ، ومضاريط في مجالسهم ، وحذف ، ولعب بالنرد والشطرنج ، ولبس المصبغات ، ولباس النساء للرجال ، والمكوس على كل عابر ؛ وهم أول من لاط ومن ساحق.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٨١٣

---

(١) النكت والعيون . ، ٤/٢٢٧

ولما وقفهم لوط عليه السلام على هذه القبائح ، أصروا على اللجاج في التكذيب ، فكان جوابهم له : ﴿أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ ، فيما تعدنا به من نزول العذاب ، قالوا ذلك وهم مصممون على اعتقاد كذبه فيما وعدهم به. وفي آية أخرى : ﴿فما كان جواب قومها إلا أن﴾ ، الجمع بينهما أنهم أولا قالواغ : ﴿ائتنا بعذاب الله﴾ ، ثم أنه كثر منه الإنكار ، وتكرر ذلك منه نهيا ووعظا ووعيدا ، ﴿قالوا أخرجوا ءال لوط﴾ . ولما كان إنما يأمرهم بترك الفواحش وما كانوا يصنعونه من قبيح المعاصي ، ويعد على ذلك بالعذاب ، وكانوا يقولون إن الله لم يحرم هذا ولا يعذب عليه وهو يقول إن الله حرمه ويعذب عليه ، ﴿قالوا ائتنا بعذاب الله﴾ ، فكانوا ألطف في الجواب من قوم إبراهيم بقولهم : ﴿اقتلوه أو حرقوه﴾ ، لأنه كان لا يذم آلهتهم ، وعهد إلى أصنامهم فكسرها ، فكان فعله هذا معهم أعظم من قول لوط لقومه ، فكان جوابهم له : ﴿أن قالوا اقتلوه أو حرقوه﴾ .

ثم استنصر لوط عليه السلام ، فبعث ملائكة لعذابهم ، ورجمهم بالحاصب ، وإفسادهم بحمل الناس على ما كانوا عليه من المعاصي طوعا وكرها ، وخصوصا تلك المعصية المبتدعة. ﴿بالبشرى ﴾ : هي بشارته بولده إسحاق ، وبنافلته يعقوب ، وبنصر لوط على قومه وإهلاكهم ، و﴿القرية﴾ : **سدوم** ، وفيها قيل : أجور من قاضي سدوم. ﴿كانوا ظالمين﴾ : أي قد سبق منهم الظلم. واستمر على الأيام السالفة وهم مصرون ، وظلمهم : كفرهم وأنواع معاصيهم. ولما ذكروا لإبراهيم : ﴿إنا مهلكوا أهل هاذه القرية﴾ ، أشفق على لوط فقال : ﴿إن فيها لوطا ﴾ . ولما عللوا الإهلاك بالظلم ، قال لهم : فيها من هو بريء من الظلم ، ﴿قالوا نحن أعلم بمن فيها ﴾ : أي منك ، وأخبر بحاله. ثم أخبروه بإنجائهم إياه ﴿وأهلها إلا امرأته﴾ . وقرأ حمزة ، والكسائي : ، مضارع أنجى ؛ وباقي السبعة : مضارع نجى ؛ والجمهور : بشد النون ؛ وفرقة : بتخفيفها.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣٨

﴿الغابرين * ولمآ أن جآءت رسلنا لوطا سى ء بهم وضاق بهم ذرعا﴾ : تقدم الكلام على مثل هذه الجملة ، إلا أن هنا زيدت ، أن بعد لما ، وهو قياس مطرد. وقال الزمخشري أن صلة أكدت وجود الفعلين مترتبا أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما ، كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان ، كأنه قيل : لما أحس بمجيئهم ، فاجأت المساءة من غير وقت خيفة عليهم من قومه. انتهى. وهذا الذي ذكره في الترتيب هو مذهب سيبويه ، إذ مذهبه. أن لما : حرف لا ظرف ، خلافا للفارسي ، وهذا مذكور في علم النحو. وقرأ العربيان ، ونافع ، وحفص : ﴿منجوك﴾ ، مشددا ؛ وباقي

". (١)

"المستكن في بينكم. وأجاز أبو البقاء أن يتعلق ﴿وقال إنما﴾ . باتخذتم على جعل ما كافة ونصب مودة ، لا على جعل ما موصولة بمعنى الذي ، أو مصدرية ورفع موده ، لئلا يؤدي إلى الفصل بين الموصول وما في الصلة بالخبر. وأجاز قوم منهم ابن عطية أن يتعلق ﴿وقال إنما﴾ بمودة ، وأن يكون ﴿بينكم﴾ صفة لمودة ، وهو لا يجوز ، لأن المصدر إذا وصف قبل أخذ متعلقاته لا يعمل ، وشبهتهم في هذا أنه يتسع في الظرف ، بخلاف المفعول به. وأجاز أبو البقاء أن يتعلق بنفس بينكم ، قال : لأن معناه : اجتماعكم أو وصلكم. وأجاز أيضا أن يجعله حالا من بينكم ، قال : لتعرفه بالإضافة. انتهى ، وهما إعرابان لا يتعقلان.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣٨

﴿فاامن له لوط﴾ : لم يؤمن بإبراهيم أحد من قومه إلا لوط عليه السلام ، حين رأى النار لم تحرقه ، وكان ابن أخي سارة ، أو كانت بنت عمه. والضمير في ﴿وقال﴾ عائد على إبراهيم ، وهو الظاهر ، ليتناسق مع قوله : ﴿و وهبنا له إسحاق﴾ ، وهو قول قتادة والنخعي. وقالت فرقة : يعود على لوط ، وهاجر ، وإبراهيم ، عليهم السلام ، من قريتهما كوني ، وهي في سواد العراق ، من أرض بابل ، إلى فلسطين من أرض الشأم. وكان إبراهيم ابن خمس وسبعين سنة ، وهو أول من هاجر في الله. وقال ابن جريج : هاجر إلى حران ، ثم إلى الشام ، وفي هجرته هذه كانت معه سارة. والمهاجر : الفارغ عن الشيء ، وهو في عرف الشريعة : من ترك وطنه رغبة في رضا الله. وعرف بهذا الاسم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المهاجرون ، قبل فتح مكة. ﴿إلى ربى ﴾ ، أي إلى الجهة التي أمرني ربي بالهجرة إليها. وقيل : إلى حيث لا أمنع عبادة ربي. وقيل : مهاجرا من خالفني من قومي ، متقربا إلى ربي. ونزل إبراهيم قرية من أرض فلسطين ، وترك لوطا في سدوم ، وهي المؤتفكة ، على مسيرة يوم وليلة من قرية إبراهيم عليهما السلام. ﴿إنه هو العزيز﴾ الذي لا يذل من عبده ، ﴿الحكيم﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها. والضمير في ﴿ذريتها﴾ عائد على إبراهيم. ﴿النبوة﴾ : إسحاق ، ويعقوب ، وأنبياء بني إسرائل ، وإسماعيل ، ومحمد خاتمهم ، صلى الله وسلم عليهم أجمعين. ﴿والكتاب﴾ : اسم جنس يدخل فيه التوراة ، والزبور ، والإنجيل ، والفرقان.

﴿و وهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ : أي في حياته قال مجاهد : نجاته من النار ، ومن الملك الجبار ،

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

والعمل الصالح : والثناء الحسن ، بحيث يتولاه كل أمة وقال ابن جريج : والولد الذي قرت به عينه ، قاله الحسن. وقال السدي : إنه رأى مكانه من الجنة. وقال ابن أبي بردة : ما وفق له من عمل الآخرة. وقال الماوردي : بقاء ضيافته عند قبره ، وليس ذلك لنبي غيره. وقيل : النبوة والحكمة. وقيل : الصلاة عليه إلى آخر الدهر. وانتصب لوطا بإضمار اذكر ، أو بالعطف على إبراهيم ، أو بالعطف على ما عطف عليه إبراهيم. والجمهور : على الاستفهام في أئنكم معا. وقرىء : أنكم على الخبر ، والثاني على الاستفهام. وقال أبو عبيد : وجدته في الإمام بحرف واحد بغير ياء ، ورأيت الثاني بحرفين ، الياء والنون. ولم يأت في قصة لوط أنه دعا قومه إلى عبادة الله ، كما جاء في قصة إبراهيم وقصة شعيب ، لأن لوطا كان من قوم إبراهيم وفي زمانه ، وسبقه إبراهيم إلى الدعاء لعبادة الله وتوحيده ، واشتهر أمره بذلك عند الخلق ، فذكر لوط ما اختص به من المنع من الفحشاء وغيرها. وأما أبراهيم وشعيب فجآ بعد انقراض من كان يعبد الله ، فلذلك دعوا إلى عبادة الله.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣٨

قال الزمخشري : ﴿ما سبقكم بها﴾ جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة ، كأن قائلا قال : لم كانت فاحشة ؟ فقيل : لأن أحدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لإفراط قبحها ، حتى قدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم ، قالوا : لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط. انتهى. ويظهر أن ﴿ما سبقكم بها﴾ جملة حالية ، كأنه قال : أتأتون الفاحشة مبتدعين لها غير مسبوقين بها ؟ واستفهم أولا وثانيا استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع ، وبين ما تلك الفاحشة المبهمة في قوله : ﴿إنكم لتأتون الفاحشة﴾ ، وإن كانت معينة أنها إتيان الذكور

١٤٩

في الأدبار بقوله : ﴿ما سبقكم بها﴾ ، فقال : ﴿أأنكم لتأتون الرجال﴾ : يعني في الأدبار ، ﴿وتقطعون السبيل﴾ : الولد ، بتعطيل الفرج ووطء أدبار الرجال ، أو بإمساك الغرباء لذلك الفعل حتى انقطعت الطرق ، أو بالقتل وأخذ المال ، أو بقبح الأحدوثة حتى تنقطع سبل الناس في التجارات. ﴿وتأتون فى ناديكم﴾ : أي في مجلسكم الذي تجتمعون فيه ، وهو اسم جنس ، إذ أنديتهم في مدائنهم كثيرة ، ولا يسمى ناديا إلا ما دام فيه أهله ، فإذا قاموا عنه ، لم يطلق عليه ناد إلا مجازا.

." (١)

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

"﴿فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾ ظاهر العطف بالفاء أن هذا التولي كان بعد هلاكهم ومشاهدة ما جرى عليهم فيكون الخطاب على سبيل التفجع عليهم والتحسر لكونهم لم يؤمنوا فهلكوا والاغتمام لهم وليسمع ذلك من كان معه من المسلمين فيزدادوا إيمانا وانتفاء عن معصية الله واقتضاء لما جاء به نبيه عن الله ويكون معنى قوله ولكن ﴿لا تحبون الناصحين﴾ ولكن كنتم لا تحبون الناصحين فتكون حكاية حال ماضية وقد خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل قليب بدر وروي أنه خرج في مائة وعشرين من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة دار ، وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ، وقيل : كان توليه عنهم وقت عقر الناقة وقولهم ﴿ائتنا بما تعدنآ﴾ وذلك قبل نزول العذاب وهو الذي يقتضيه ظاهر مخاطبته لهم وقوله ﴿ولـٰكن لا تحبون الناصحين﴾ وهو الذي في قصصهم من أنه رحل عنهم ليلة أن أخذتهم الرجفة صبحتها ، وبعد ظهور أمارات الهلاك التي وعد بها قال الطبري : وقيل لهم تهلك أمة ونبيها فيها ، وروي أنه ارتحل بمن معه حتى جاء مكة فأقام بها حتى مات ولفظة التولي تقتضي اليأس من خيرهم واليقين في هلاكهم وخطابه هذا كخطابهم نوح وهود عليهما السلام في قولهما ﴿أبلغكم رسالات ربى﴾ وذكر النصح بعد ذلك لكنه لما كان قوله ﴿أبلغتكم﴾ ماضيا عطف عليه ماضيا فقال : ﴿ونصحت﴾ ، وقوله : ﴿لا تحبون الناصحين﴾ أي من نصح لك من رسول أو غيره أي ديدنكم ذلك لغلبة شهواتكم على عقولكم. وجاء لفظ ﴿الناصحين﴾ عاما أي أي شخص نصح لكم لم تقبلوا في أي شيء نصح لكم وذلك مبالغة في ذمهم.

وروي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من مائها ولا يستقوا منها فقالوا : يا رسول الله قد طبخنا وعجنا ، فأمرهم أن يطرحوا ذلك الطبيخ والعجين ويهرقوا ذلك الماء وأمرهم أن يستقوا من الماء الذي كانت ترده ناقة صالح وإلى الأخذ بهذا الحديث ، أخذ أبو محمد بن حزم في ذهابه إلى أنه لا يجوز الوضوء بماء أرض ثمود إلا إن كان من العين التي كانت تردها الناقة ، وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه : "لا يدخل أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم" وفي الحديث أنه مر بقبر فقال ﴿فيقول ما هـٰذآ﴾ ؟ قالوا لا قال "هذا قبر أبي رغال الذي هو أبو ثقيف كان من ثمود فأصاب قومه البلاء وهو بالحرم فسلم فلما خرج من الحرم أصابه فدفن هنا وجعل معه غصن من ذهب" قال فابتدر القوم بأسيافهم فحفروا حتى أخرجوا الغصن.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣١٤

﴿ولوطا إذ قال لقومها أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾

٣٣٢

هو لوط بن هارون أخي إبراهيم عليه السلام وناحور وهم بنو تارح بن ناحور وتقدم رفع نسبه وقوله هم أهل سدوم وسائر القرى المؤتفكة بعثه الله تعالى إليهم ، وقال ابن عطية بعثه الله إلى أمة تسمى سدوم وانتصب ﴿لوطا﴾ بإضمار وأرسلنا عطفا على الأنبياء قبله و﴿إذ﴾ معمولة وجوز الزمخشري وابن عطية : نصبه بواذكر مضمرة زاد الزمخشري أن ﴿المرسلين * إذ﴾ بدل من لوط أي واذكر وقت قال لقومه ، وقد تقدم الكلام على كون إذ تكون مفعولا بها صريحا لأذكر وأن ذلك تصرف فيها والاستفهام هو على جهة الإنكار والتوبيخ والتشنيع والتوقيف على هذا الفعل القبيح و﴿الفاحشة﴾ هنا إتيان ذكران الآدميين في الادبار ولما كان هذا بالفعل معهودا قبحه ومركوزا في العقول فحشه أتى معرفا بالألف واللام أن تكون أل فيه للجنس على سبيل المبالغة كأنه لشدة قبحه جعل جميع الفواحش ولبعد العرب عن ذلك البعد التام ، ذلك بخلاف الزنا فإنه قال فيه : ﴿ولا تقربوا الزنى ا إنه كان فاحشة﴾ فأتى به منكرا أي فاحشة من الفواحش وكان كثير من العرب يفعله ولا يستنكرون من فعله ولا ذكره في أشعارهم والجملة المنفية تدل على أنهم هم أول من فعل هذه الفعلة القبيحة وأنهم مبتكروها والمبالغة في ﴿من أحد﴾ حيث زيدت لتأكيد نفي الجنس وفي الإتيان بعموم العالمين جمعا.

". (١)

"﴿وما كان جواب قومها إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم﴾ الضمير في ﴿أخرجوهم﴾ عائد على لوط ومن آمن به ولما تأخر نزول هذه السورة عن سورة النمل أضمر ما فسره الظاهر في النمل من قوله ﴿فما كان جواب قومها إلا﴾ وآل لوط ابنتاه وهما رغواء وريفاء ومن تبعه من المؤمنين ، وقيل : لم يكن معه إلا ابنتاه كما قال تعالى : ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ وقال ابن عطية : والضمير عائد على آل لوط وأهله وإن كان لم يجر لهم ذكر فإن المعنى يقتضيهم ، وقرأ الحسن ﴿جواب﴾ بالرفع انتهى وهنا جاء العطف بالواو والمراد بها أحد محاملها الثلاث من التعقيب المعني في النمل في قوله ﴿تجهلون﴾ فما وفي العنكبوت ﴿وتأتون فى ناديكم المنكر﴾ فما وكان التعقيب مبالغة في الرد حيث لم يمهلوا في الجواب زمانا بل أعجلوه بالجواب سرعة

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤/٢٧٠

وعدم البراءة بما يجاوبون به ولم يطابق الجواب قوله لأنه لما أنكر عليهم الفاحشة وعظم أمرها ونسبهم إلى الإسراف بادروا بشيء لا تعلق له بكلامه وهو الأمر بالإخراج ونظيره جواب قوم إبراهيم بأن قالوا ﴿حرقوه وانصروا ءالهتكم﴾ حتى قبح عليهم بقوله ﴿أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ فأتوا بجواب لا يطابق كلامه والقرية **هي سدوم سميت باسم سدوم بن** باقيم الذي يضرب المثل في الحكومات هاجر لوط مع عمه إبراهيم من أرض بابل فنزل إبراهيم أرض فلسطين وأنزل لوطا الأردن.

﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ قال ابن عباس ومجاهد يتقذرون عن إتيان أدبار الرجال والنساء ، وقيل يأتون النساء في الأطهار ، وقال ابن بحر : يرتقبون أطهار النساء فيجامعونهن فيها ، وقيل : يتنزهون عن فعلنا وهو معنى قول ابن عباس ومجاهد ، وقيل : يغتسلون من الجنابة ويتطهرون بالماء عيروهم بذلك ويسمى هذا النوع في علم البيان التعريض بما يوهم الذم وهو مدح كقوله :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهمبهن فلول من قراع الكتائب

ولذلك قال ابن عباس : عابوهم بما يمدح به ، والظاهر أن قوله ﴿أنهم﴾ تعليل للإخراج أي لأنهم لا يوافقوننا على ما نحن عليه ومن لا يوافقنا وجب أن نخرجه ، وقال الزمخشري : وقولهم ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشيطان من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣١٤

﴿فأنجيناه وأهلها إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ أي ﴿فأنجيناه وأهلها﴾ من العذاب الذي حل بقومه ﴿وأهلها﴾ هم المؤمنون معه أو ابنتاه على الخلاف الذي سبق واستثنى من أهله امرأته فلم تنج واسمها واهلة كانت منافقة تسر الكفر موالية **لأهل سدوم ومعنى** ﴿من الغابرين﴾ من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا وعلى هذا يكون قوله ﴿كانت من الغابرين﴾ تفسيرا وتوكيدا لما تضمنه الاستثناء من كونها لم ينجها الله تعالى. وقال أبو عبيدة : ﴿إلا امرأته﴾ اكتفى به في أنها لم تنج ثم ابتدأ وصفها بعد ذلك بصفة لا تتعلق بها النجاة ولا الهلكة وهي أنها كانت ممن أسن وبقي من عصره إلى عصر غيره فكانت غابرة أي متقدمة في السن كما قال : إلا عجوزا في الغابرين إلى أن هلكت مع قومها انتهى ، وجاء ﴿من الغابرين﴾ تغليبا للذكور على الإناث ، وقال الزجاج : من الغائبين عن النجاة فيكون توكيدا لما تضمنه الاستثناء انتهى ، و﴿كانت﴾ بمعنى صارت أو كانت في علم الله أو باقية على ظاهرها من تقييد غبورها بالزمان الماضي

أقوال.
﴿وأمطرنا عليهم مطرا ﴾ ضمن معنى أرسلنا فلذلك عداه بعلى كقوله فأمطرنا عليهم حجارة من السماء والمطر هنا هي حجارة وقد ذكرت في غير آية خسف بهم وأمطرت عليهم الحجارة ، وقيل : كانت المؤتفكة خمس مدائن ، وقيل : ست ، وقيل : أربع اقتلعها جبريل بجناحه فرفعها حتى سمع أهل السماء نهيق الحمير وصياح الديكة ثم عكسها فرد أعلاها أسفلها وأرسلها إلى الأرض ، وتبعتهم الحجارة مع هذا فأهلكت من كان منهم في سفر أو خارجا عن البقاع وقالت امرأة لوط حين سمعت الرجة واقوماه والتفتت فأصابتها صخرة فقتلتها ، والظاهر أن الأمطار شملهم كلهم ، وقيل : خسف بأهل المدن وأمطرت الحجارة على المسافرين منهم ، وسئل مجاهد هل سلم منهم أحد قال لا إلا رجلا كان بمكة تاجرا وقف الحجر له أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فأصابه فمات وكان عددهم مائة ألف.
﴿مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ خطاب للرسول أو للسامع قصتهم كيف كان مآل من أجرم وفيه إيقاظ وازدجار أن تسلك هذه الأمة هذا المسلك
٣٣٥
." (١)

"﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجآءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط * إن إبراهيم لحليم أواه منيب * يا إبراهيم أعرض عن هاذآا إنه قد جآء أمر ربكا وإنهم ءاتيهم عذاب غير مردود﴾ الروع الخيفة التي كان أو جسها في نفسها حين نكر أضيافه ، والمعنى : اطمأن قلبه بعلمه أنهم ملائكة. والبشرى تبشيره بالولد ، أو بأن المراد بمجيئهم غيره. وجواب لما محذوف كما حذف في قوله : ﴿فلما ذهبوا به﴾ وتقديره : اجترأ على الخطاب اذ فطن للمجادلة ، أو قال : كيت وكيت. ودل على ذلك الجملة المستأنفة وهي يجادلنا ، قال معناه الزمخشري. وقيل : الجواب يجادلنا وضع المضارع موضع الماضي ، أي جادلنا. وجاز ذلك لوضوح المعنى ، وهذا أقرب الأقوال. وقيل : يجادلنا حال من إبراهيم ، وجاءته حال أيضا ، أو من ضمير في جاءته. وجواب لما محذوف تقديره : قلنا يا إبراهيم أعرض عن هذا ، واختار هذا التوجيه أبو علي. وقيل : الجواب محذوف تقديره : ظل أو أخذ يجادلنا ، فحذف اختصارا لدلالة ظاهر الكلام عليه. والمجادلة قيل : هي سؤاله العذاب واقع بهم لا محالة ، أم على سبيل الإخافة ليرجعوا إلى الطاعة. وقيل : تكلما على سبيل الشفاعة ، والمعنى : تجادل رسلنا. وعن حذيفة انهم لما قالوا له : إنا مهلكوا أهل هذه

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٧٢/٤

القرية قال : أرأيتم ان كان فيها خمسون من المسلمين ، أتهكلونها ؟ قالوا : لا ، قال : فأربعون ؟ قالوا : لا. قال : فثلاثون ؟ قالوا : لا ، قال : فعشرون ؟ قالوا : لا. قال : فإن كان فيهم عشرة أو خمسة شك الراوي ؟ قالوا : لا. قال : أرأيتم إن كان فيها رجل. واحد من المسلمين أتهلكونها ؟ قالوا : لا ، فعند ذلك قال : إن فيها لوطا ، قالوا : نحن أعلم بمن فيها ، لننجينه وأهله. وكان ذلك من إبراهيم حرصا على إيمان قوم لوط ونجاتهم ، وكان في القرية أربعة آلاف ألف انسان وتقدم تفسير حليم وأواه ومنيب. يا إبراهيم أي : قالت ا لملائكة ، والاشارة بهذا إلى الجدال والمحاورة في شيء مفروغ منه ، والأمر ما قضاه وحكم به من عذابه الواقع بهم لا محالة. ولا مرد له بجدال ، ولا دعاء ، ولا غير ذلك. وقرأ عمرو بن هرم : وإنهم أتاهم بلفظ الماضي ، وعذاب فاعل به عبر بالماضي عن المضارع لتحقق وقوعه كقوله

٢٤٥

﴿أتى أمر الله﴾ .

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٣٦

﴿ولما جآءت رسلنا لوطا سى ء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب * وجآءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيااتا قال ياقوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد * قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد * قال لو أن لى بكم قوة أو ءاوى إلى ركن شديد﴾ خرجت الملائكة من قرية إبراهيم إلى قرية لوط وبنيهما قيل : ثمانية أميال. وقيل : أربعة فراسخ ، فأتوها عشاء. وقيل : نصف النهار ، ووجدوا لوطا في حرث له. وقيل : وجدوا ابنته تستقي ماء في نهر سدوم ، وهي أكبر حواضر قوم لوط ، فسألوها الدلالة على من يضيفهم ، ورأت هيئتهم فخافت عليهم منقوم لوط وقالت لهم : مكانكم ، وذهبت إلى أبيها فأخبرته ، فخرج إليهم فقالوا : إنا نريد أن تضيفنا الليلة فقال لهم : أو ما سمعتم بعمل هؤلاء القوم ؟ فقالوا : وما عملهم ؟ فقال : أشهد بالله انهم شر قوم في الأرض. وقد كان الله قال للملائكة : لا تعذبوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات ، فلما قال هذه قال جبريل : هذه واحدة ، وتردد القول منهم حتى كرر لوط الشهادة أربع مرات ، ثم دخل لوط المدينة فحينئذ سيء بهم أي : لحقه سوء بسببهم ، وضاق ذرعه بهم ، وقال : هذا يوم عصيب أي شديد ، لما كان يتخوفه من تعدى قومه على أضيافه. وجاءه قومه يهرعون إليه ، لما جاء لوط بضيفه لم يعلم بذلك أحدا لا أهل بيته ، فخرجت امرأته حتى أتت مجالس قومها فقالت : إن لوطا قد أضاف الليلة فتية ما رؤي مثلهم جمالا وكذا وكذا ، فحينئذ جاؤا يهرعون أي : يسرعون ، كما يدفعون دفعا فعل الطامع الخائف فوت

ما يطلبه. وقرأ الجمهور : يهرعون مبنيا للمفعول من أهرع أي يهرعهم الطمع. وقرأت فرقة : يهرعون بفتح الياء من هرع. وقال مهلهل :

فجاؤا يهرعون وهم أساريقودهم على رغم الانوف

." (١)

"وقرأ الأخوان : لمنجوهم بالتخفيف ، وباقي السبعة بالتشديد. وقرأ أبو بكر : قدرنا بالتخفيف ، وباقي السبعة بالتشديد ، وكسرت إنها إجراء لفعل التقدير مجرى العلم ، إما لكونه بمعناه ، وإما لترتبه عليه. وأسندوا التقدير إليهم ، ولم يقولوا : قدر الله ، لأنهم هم المأمورون بإهلاكهم كما يقول من يلوذ بالملك ومن هو متصرف بأوامره : أمرنا بكذا ، والآمر هو الملك. وقال الزمخشري : لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لأحد غيرهم انتهى. فأدرج مذهب الاعتزال في تفضيل الملائكة في غضون كلامه ، ووصف قوم

٤٦٠

بمنكرون لأنه نكرتهم نفسه ونفرت منهم ، وخاف أن يطرقوه بشر. وبل إضراب عن قول محذوف أي : ما جئناك بشيء تخافه ، بل جئناك بالعذاب لقومك ، إذ كانوا يمترون فيه أي : يشكون في وقوعه ، أو يجادلونك فيه تكذيبا لك بما وعدتهم عن الله. ويحتمل أن يكون نكرهم لكونهم ليسوا بمعروفين في هذا القطر ، فخاف الهجوم منهم عليه ، أو أن يتعرض إليهم أحد من قومه إذ كانوا في صورة شباب حسان مرد. وأتيناك بالحق أي : باليقين من عذابهم ، وإنا لصادقون في الإخبار لحلوله بهم. وتقدم الخلاف في القراءة في فأسر. وروى صاحب الإقليد فسر من السير ، وحكاها ابن عطية وصاحب اللوامح عن اليماني. وحكى القاضي منذر بن سعيد أن فرقة قرأت بقطع بفتح الطاء ، وتقدم الكلام في القطع وفي الالتفات في سورة هود. وخطب الزمخشري هنا فقال : (فإن قلت) : ما معنى أمره باتباع أدبارهم ، ونهيهم عن الالتفات ؟ (قلت) : قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه وأهله ، إجابة لدعوته عليهم ، وخرج مهاجرا فلم يكن بد من الاجتهاد في شكر الله وإدامة ذكره وتفريغ باله ، لذلك فأمر بأن يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه ، وليكون مطلعا عليهم وعلى أهوالهم ، فلا يفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحالة المهولة الم حذورة ، ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه ، وليكون مسيره مسير الهارب الذي تقدم سريه وتفوت به.

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٥/٢٠٢

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤٥٥

وحيث تؤمرون قال ابن عباس : الشام. وقيل : موضع نجاة غير معروف. وقيل : مصر. وقيل : إلى أرض الخليل بمكان يقال له اليقين. وحيث على بابها من أنها ظرف مكان ، وادعاء أنها قد تكون هنا ظرف زمان من حيث أنه ليس في الآية أمر إلا قوله : فأسر بأهلك بقطع من الليل ، ثم قيل له : حيث تؤمر ضعيف. ولفظ تؤمر يدل على خلاف ذلك ، إذ كان يكون التركيب من حيث أمرتم ، وحيث من الظروف المكانية المبهمة ، ولذلك يتعدى إليها الفعل وهو : امضوا بنفسه ، تقول : قعدت حيث قعد زيد ، وجاء في الشعر دخول في عليها. قال الشاعر :

فأصبح في حيث التقينا شريدهمطليق ومكتوف اليدين ومرعف

ولما ضمن قضينا معنى أوحينا ، تعدت تعديها بإلى أي : وأوحينا إلى لوط مقضيا مبتوتا ، والإشارة بذلك إلى ما وعده تعالى من إهلاك قومه. وأن دابر تفخيم للأمر وتعظيم له ، وهو في موضع نصب على البدل من ذلك قاله الأخفش ، أو على إسقاط الباء أي بأن دابرا قاله الفراء ، وجوزه الحوفي. وأن دابر هؤلاء مقطوع كناية عن الاستئصال. وتقدم تفسير مثله في قوله : ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا ﴾ ومصبحين داخلين في الصباح ، وهو حال من الضمير المستكن في مقطوع على المعنى ، ولذلك جمعه وقدره الفراء وأبو عبيد : إذا كانوا مصبحين ، كما تقول : أنت راكبا أحسن منك ماشيا ، فإن كان تفسير معنى فصحيح ، وإن أراد الإعراب فلا ضرورة تدعو إلى هذا التقدير. وقرأ الأعمش وزيد بن علي : إن دابر بكسر الهمزة لما ضمن قضينا معنى أوحينا ، فكان المعنى : أعلمنا ، علق الفعل فكسر إن أو لما كان القضاء بمعنى الإيحاء معناه القول كسران ، ويؤيده قراءة عبد الله. وقلنا : إن دابر وهي قراءة تفسير لا قرآن ، لمخالفتها السواد. والمدينة : سدوم ، وهي التي ضرب بقاضيها المثل في الجور.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤٥٥

". (١)

"ولما ذكر تعالى ما أنعم على إبراهيم ما أنعم به على من هاجر معه فارا بدينه وهو لوط ابن أخيه وانتصب ﴿ولوطا﴾ على الاشتغال والحكم الذي أوتيه النبوة. وقيل : حسن الفصل بين الخصوم في القضاء. وقيل : حفظ صحف إبراهيم ، ولما ذكر الحكم ذكر ما يكون به وهو العلم و﴿القرية﴾ سدوم وكانت قراهم سبعا وعبر عنها بالواحدة لاتفاق أهلها على الفاحشة ، وكانت من كورة فلسطين إلى حد السراة إلى

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٥/٣٧٥

حد نجد بالحجاز ، قلب منها تعالى ستا وأبقى منها زغر لأنها كانت محل لوط وأهله ومن آمن به أي

٣٢٩

﴿ونجيناه من﴾ أهل ﴿القرية﴾ أي خلصناه منهم أو من العذاب الذي حل بهم ، ونسب عمل ﴿الخبا ئث﴾ إلى القرية مجازا وهو لأهلها وانتصب ﴿الخبا ئث﴾ على معنى ﴿تعمل﴾ لأعمال أو الفعلات الخبيثة وهي ما ذكره تعالى في غير هذه السورة مضافا إلى كفرهم بالله وتكذيبهم نبيه ، وقوله ﴿أنهم﴾ يدل على أن التقدير من أهل القرية ﴿وأدخلناه فى رحمتآ﴾ أي في أهل رحمتنا أو في الجنة ، سماها رحمة إذ كانت أثر الرحمة.

ولما ذكر تعالى قصة إبراهيم وهو أبو العرب وتنجيته من أعدائه ذكر قصة أبي العالم الإنسي كلهم وهو الأب الثاني لآدم لأنه ليس أحد من نسله من سام وحام ويافث ، وانتصب ﴿نوحا﴾ على إضمار اذكر أي واذكر ﴿نوحا﴾ أي قصته ﴿إذ نادى ﴾ ومعنى نادى دعا مجملا بقوله ﴿أنى مغلوب﴾ فانتصر مفصلا بقوله ﴿رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا﴾ والكرب أقصى الغم والأخذ بالنفس ، وهو هنا الغرق عبر عنه بأول أحوال ما يأخذ الغريق ، وغرقت في بحر النيل ووصلت إلى قرار الأرض ولحقني من الغم والكرب ما أدركت أن نفسي صارت أصغر من البعوضة ، وهو أول أحوال مجيء الموت.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣١٧

﴿ونصرناه من القوم﴾ عداه بمن لتضمنه معنى ﴿نجيناه﴾ بنصرنا ﴿من القوم﴾ أو عصمناه ومنعناه أي من مكروه القوم لقوله ﴿فمن ينصرنا منا بأس الله إن جآءنا ﴾ . وقال الزمخشري : هو نصر الذي مطاوعه انتصر ، وسمعت هذليا يدعو على سارق : اللهم انصرهم منه أي اجعلهم منتصرين منه ، وهذا معنى في نصر غير المتبادر إلى الذهن. وقال أبو عبيدة ﴿من﴾ بمعنى على أي ﴿ونصرناه﴾ على ﴿القوم﴾ ﴿فأغرقناهم﴾ أي أهلكناهم بالغرق. و﴿أجمعين﴾ تأكيد للضمير المنصوب وقد كثر التوكيد بأجمعين غير تابع لكلهم في القرآن ، فكان ذلك حجة على ابن مالك في زعمه أن التأكيد بأجمعين قليل ، وأن الكثير استعماله تابعا لكلهم.

﴿وداود وسليمان﴾ عطف على ﴿ونوحا﴾ . قال الزمخشري : ﴿وإذا﴾ بدل منهما انتهى. والأجود أن يكون التقدير واذكر ﴿داود وسليمان﴾ أي قصتهما وحالهما ﴿إذ يحكمان﴾ وجعل ابن عطية ﴿وداود وسليمان﴾ معطوفين على قوله ﴿ونوحا﴾ معطوفا على قوله ﴿ولوطا﴾ فيكون ذلك مشتركا في العامل الذي هو ﴿ءاتينآ﴾ المقدرة الناصبة للوط المفسرة بآتينا فالتقدير وآتينا نوحا وداود وسليمان أي آتيناهم ﴿حكما

وعلما ﴾ ولا يبعد ذلك وتقدير اذكر قاله جماعة. وكان داود ملكا نبيا يحكم بين الناس فوقعت هذه النازلة ، وكان ابنه إذ ذاك قد كبر وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم وكانوا يدخلون إلى داود من باب آخر ، فتخاصم إليه رجل له زرع وقيل كرم و﴿الحرث﴾ يقال فيهما وهو في الزرع أكثر ، وأبعد عن الاستعارة دخلت حرثه غنم رجل فأفسدت عليه ، فرأى داود دفعها إلى صاحب الحرث فعلى أنه كرم رأى أن الغنم تقاوم وما أفسدت من الغلة وعلى أنه زرع رأى أنها تقاوم الحرث والغلة فخرجا على سليمان فشكى صاحب الغنم فجاء سليمان فقال : يا نبي الله إني أرى ما هو أرفق بالجميع ، أن يأخذ صاحب الغنم الحرث يقوم عليه ويصلحه حتى يعود كما كان ، ويأخذ صاحب الحرث الغنم في تلك المدة ينتفع بمرافقها من لبن وصوف ونسل ، فإذا عاد الحرث إلى حاله صرف كل مال صاحبه إليه فرجعت الغنم إلى ربها والحرث إلى ربه فقال داود : وفقت يا بني وقضى بينهما بذلك. والظاهر أن كلا من داود وسليمان حكم بما ظهر له وهو متوجه عنده فحكمهما باجتهاد وهو قول الجمهور ، واستدل بهذه الآية على جواز الاجتهاد.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣١٧

وقيل : حكم كل واحد منهما بوحي من الله ونسخ حكم داود بحكم سليمان ، وأن معنى ﴿ففهمناها سليمان﴾ أي فهمناه القضاء الفاصل الناسخ الذي أراد الله أن يستقر في النازلة. وقرأ عكرمة فأفهمناها عدي بالهمزة كما عدي في قراءة الجمهور بالتضعيف والضمير في ﴿ففهمناها﴾ للحكومة أو الفتوى ، والضمير في ﴿لحكمهم﴾ عائد على الحاكمين

٣٣٠

." (١)

"﴿وقرونا بين ذالك﴾ هذا إبهام لا يعلم حقيقة ذلك إلا الله ﴿ذالك﴾ إشارة إلى أولئك المتقدمي الذكر فلذلك حسن دخول ﴿بين﴾ عليه من غير أن يعطف عليه شيء كأنه قيل بين المذكورين وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة. ثم يشير إليها. وانتصب ﴿كلا﴾ الأول على الاشتغال أي وأنذرنا كلا أو حذرنا كلا والثاني على أنه مفعول بتبرنا لأنه لم يأخذ مفعولا وهذا من واضح الإعراب. ومعنى ضرب الأمثال أي بين لهم القصص العجيبة من قصص الأولين ووصفنا لهم ما أدى إليه تكذيبهم بأنبيائهم من عذاب الله وتدميره إياهم ليهتدوا بضرب الأمثال فلم يهتدوا وأبعد من جعل الضمير في ﴿له﴾ لرسولصلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٦/٢٤٠

والمعنى وكل الأمثال ضربنا للرسول وعلى هذا و﴿كلا﴾ منصوب بضربنا و﴿الامثال﴾ بدل من ﴿كلا﴾ والضمير في ﴿ولقد أتوا ﴾ لقريش كانوا يمرون **على سدوم من** قرى قوم لوط في متاجرهم إلى الشام وكانت قرى خمسة أهلك الله منها أربع، وبقيت واحدة وهي زغر لم يكن أهلها يعملون ذلك العمل قاله ابن عباس و﴿مطر السوء﴾ الحجارة التي أمطرت عليهم من السماء فهلكوا. وكان إبراهيم عليه السلام ينادي نصيحة لكم : **يا سدوم يوم** لكم من الله عز وجل أنهاكم أن تتعرضوا للعقوبة من الله ، ومعنى ﴿أتوا ﴾ مروا فلذلك عداه بعلى. وأفراد لفظ القرية وإن كانت قرى **لأن سدوم هي** أم تلك

٤٩٩

القرى وأعظمها.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٩٧

وقال مكي : الضمير في ﴿أتوا ﴾ عائد على الذين اتخذوا القرآن مهجوار انتهى. وهم قريش وانتصب ﴿مطر﴾ على أنه مفعول ثان لأمطرت على معنى أوليت ، أو على أنه مصدر محذوف الزوائد أي إمطار السوء. ﴿أفلم يكونوا يرونها ﴾ أن ينظرون إلى ما فيها من العبر والآثار الدالة على ما حل بها من النقم كما قال ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وباليل﴾ وقال ﴿وإنهما لبإمام مبين﴾ وهو استفهام معناه التعجب ومع ذلك فلم يعتبروا برؤيتها أن يحل بهم في الدنيا ما حل بأولئك ، بل كانوا كفرة لا يؤمنون بالبعث فلم يتوقعوا عذاب الآخرة وضع الرجاء موضع التوقع لأنه إنما بتوقع العاقبة من يؤمن ، فمن ثم لم ينظروا ولم يتفكروا ومروا بها كما مرت ركابهم ، أو لا يأملون ﴿نشورا﴾ كما يأمله المؤمنون لطمعهم إلى ثواب أعمالهم أو لا يخافون على اللغة التهامية. وقرأ زيد بن علي مطرت ثلاثي مبنيا للمفعول ومطر متعد. قال الشاعر :

كمن بواديه بعد المحل ممطور

وقرأ أبو السماك ﴿مطر السوء﴾ بضم السين.

﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا﴾ لم يقتصر المشركون على إنكار نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام وترك الإيمان به ، بل زادوا على ذلك بالاستهزاء والاحتقار. حتى يقول بعضهم لبعض ﴿أهاذا الذى بعث الله رسولا﴾ و﴿ءان﴾ نافية جواب ﴿إذآ﴾ وانفردت ﴿إذآ﴾ بأنه إذا كان جوابها منفيا بما أو بلا لا تدخله الفاء بخلاف أدوات الشرط غيرها فلا بد من الفاء مع ما ومع لا إذ، ارتفع المضارع ، فلو وقعت إن النافية في جواب غير إذا فلا بد من الفاء كما النافية ومعنى موضع هزء أو مهزوا به ﴿هزوا أهاذا﴾ قبله قول محذوف أي يقولون وقال : جواب ﴿إذآ﴾ ما أضمر من القول أي ﴿وإذا رأوك﴾ قالوا ﴿أهاذا الذى بعث الله رسولا﴾

و﴿إن يتخذونك إلا هزوا﴾ وجوابها.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٩٧

قيل : ونزلت في أبي جهل كان إذا رأى الرسول عليه الصلاة والسلام قال : ﴿أهاذا الذى بعث الله رسولا﴾ ؟ وأخبر بلفظ الجمع تعظيما لقبح صنعه أو لكون جماعة معه قالوا ذلك : والظاهر أن قائل ذلك جماعة كثيرة وهذا الاستفهام استصغار واحتقار منهم أخرجوه بقولهم بعث الله رسولا في معرض التسليم والإقرار وهم على غاية الجحود والإنكار سخرية واستهزاء ، ولو لم يستهزئوا لقالوا هذا زعم أو ادعى أنه مبعوث من عند الله رسولا.

". (١)

"١٦٠

يعني بنعمة منا " ومن خزي يومئذ " يعني من عذاب يومئذ قرأ نافع والكسائي " ومن خزي يومئذ " بنصب الميم لأنها إضافة إلى إسم غير متمكن فيجوز النصب وقرأ الباقون " يومئذ " بكسر الميم على معنى الإضافة " إن ربك هو القوي العزيز " أخبر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم أنه قادر في أخذه المنيع ممن عصاه

ثم قال تعالى " وأخذ الذين ظلموا الصيحة " يعني كفروا صيحة جبريل صاح صيحة فماتوا كلهم " فأصبحوا في ديارهم جاثمين " يعني صاروا خامدين ميتين "كأن لم يغنوا فيها " يعني صاروا كأن لم يكونوا في الدنيا ويقال كأن لم ينزلوا في ديارهم ولم يكونوا

" ألا إن ثمودا كفروا ربهم " يعني جحدوا وحدانية ربهم فهذا تنبيه وتخويف لمن بعدهم " ألا بعدا لثمود " يعني خزيا وسحقا لثمود في الهلاك قرأ الكسائي " ألا بعدا لثمود " بكسر الدال مع التنوين وجعله إسما للقوم فلذلك جعله منصرفا وقرأ الباقون بنصب الدال لأنه إسم القبيلة وإنما يجري في قوله " إلا إن ثمودا " إتباعا للكتابة في مصحف الإمام وأما الكسائي فأجراه لقربه من قوله " إلا إن ثمودا كفروا ربهم " أي جحدوا بوحدانية ربهم

سورة هود ٦٩ - ٧٣

قوله تعالى " ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى " يعني ببشارة الولد وذلك أن مدينة يقال لها سدوما **ويقال سدوم وكانت** بلدة فيها من السعة والخير ما لم يكن في سائر البلدان وكان الغرباء يحضرون من سائر

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٦٤/٦

البلدان في أيام الصيف ويجمعون من فضل ثمارهم مما كان خارجا من الكروم والحدائق فجاء إبليس عليه اللعنة فشبه نفسه بغلام أمرد وجعل يدخل كرومهم وحدائقهم ويروادهم إلى نفسه حتى أظهر فيهم الفاحشة وجاء إلى نسائهم وقال إن الرجال قد إستغنوا عنكن فعلمهن أن يستغنين عن الرجال حتى إستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فأوحى الله تعالى إلى لوط ليدعوهم إلى الإيمان ويمتنعوا عن الفواحش فلم يمتنعوا فبعث الله جبريل ومعه أحد عشر من الملائكة بإهلاكهم فجاؤوا إلى إبراهيم كهيئة الغلمان فدخلوا على إبراهيم فنظر فرأى إثني عشر غلاما أمرد ويقال كانوا." (١)

٤٣٣"

ثم قال عز وجل " وجعلناهم أئمة " يعني قادة في الخير ويقال أكرمناهم بالإمامة والنبوة " يهدون بأمرنا " أي يدعون الخلق " بأمرنا " إلى أمرنا وإلى ديننا " وأوحينا إليهم فعل الخيرات " يعني أمرناهم بالأعمال الصالحة ويقال بالدعاء إلى الله عز وجل أي قول لا إله إلا الله " وإقام الصلاة " يعني إتمام الصلاة " وإيتاء الزكاة " يعني الزكاة المفروضة وصدقة التطوع " وكانوا لنا عابدين " يعني مطيعين

سورة الأنبياء ٧٤ – ٧٥

وقوله عز وجل " ولوطا " يعني واذكر لوطا إذ " آتيناه حكما وعلما " يعني النبوة والفهم ويقال " ولوطا " يعني وأوحينا إليهم وآتينا لوطا يعني وآتينا لوطا حكما وعلما أي النبوة والفهم " ونجيناه من القرية " يعني مدينة سدوم " التي كانت تعمل الخبائث " يعني اللواطة " إنهم كانوا قوم سوء فاسقين " يعني عاصين " وأدخلنا في رحمتنا " يعني أكرمنا لوطا عليه السلام في الدنيا بطاعتنا وفي الآخرة بالجنة " إنه من الصالحين " أي من المرسلين

سورة الأنبياء ٧٦ – ٧٧

قوله عز وجل " ونوحا " يعني واذكر نوحا عليه السلام " إذ نادى من قبل " أي دعا على قومه من قبل إبراهيم وإسحاق عليهما السلام " فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم " يعني الغرق " ونصرناه من القوم " أي على القوم " الذين كذبوا بآياتنا " يعني كذبوا نوحا بما أنذرهم من الغرق ويقال " نصرناه من القوم " أي نجيناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا " إنهم كانوا قوم سوء " يعني كفارا " فأغرقناهم أجمعين " يعني الصغير والكبير فلم يبق منهم أحد إلا هلك بالطوفان

سورة الأنبياء ٧٨ – ٧٩

---

(١) بحر العلوم. ، ٢/١٦٠

قال عز وجل " وداود وسليمان " يعني واذكر داود وسليمان عليهما السلام " إذ يحكمان في الحرث " يعني الزرع " إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين " وذلك أن غنما لقوم وقعت في زرع رجل فأفسدته قال إبن عباس في رواية أبي صالح إن غنم قوم." (١)

"" صفحة رقم ١١٩ "

حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة من غير داع آخر ، ولا ذم أعظم منه ، لأنه وصف لهم بالبهيمية ، أنه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه أو حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين إلى السماجة) بل أنتم قوم مسرفون (أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو إلى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء ، فمن ثم أسرفوا في بعض قضاء الشهوة ، حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد . ونحوه) بل أنتم قوم عادون ((الشعراء : ١٦٦) .) وما كان جواب قومه إلا أن قالوا (يعني ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام ، من إنكار الفاحشة ، وتعظيم أمرها ، ووسمهم بسمة الإسراف الذي هو أصل الشر كله ، لكنهم جاؤا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته ، من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ، ضجرا بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم . قولهم :) إنهم أناس يتطهرون (سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش ، وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة ، كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم : أبعدوا عنا هذا المتقشف ، وأريحونا من هذاالمتزهد) وأهله (ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين) من الغابرين (من الذين غبروا في ديارهم ، أي بقوا فهلكوا . والتذكير لتغليب الذكور على الإناث . وكانت كافرة موالية **لأهل سدوم** . وروي : أنها التفتت فأصابها حجر فماتت . وقيل : كانت المؤتفكة خمس مدائن . وقيل : كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة ، فأمطر الله عليهم الكبريت والنار . وقيل : خسف بالمقيمين منهم ، وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم . وقيل : أمطر عليهم ثم خسف بهم . وروي : أن تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه . فإن قلت : أي فرق بين مطر وأمطر ؟ قلت : يقال مطرتهم السماء وواد ممطور . وفي نوابغ الكلم : حرى غير ممطور . وحرى أن يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم : أصابتهم." (٢)

---

(١) بحر العلوم . ، ٤٣٣/٢

(٢) تفسير الكشاف . ، ١١٩/٢

) أهل المدينة (**أهل سدوم التي** ضرب بقاضيها المثل في الجور ، مستبشرين بالملائكة) لا تفضحون (بفضيحة ضيفي ، لأن من أسيء إلى ضيفه أو جاره فقد أسيء إليه ، كما أن من أكرم من يتصل به فقد أكرم) ولا تخزون (ولا تذلون بإذلال ضيفي ، من الخزي وهو الهوان . أو ولا تشوروا بي ، من الخزاية وهي الحياء) عن العالمين (عن أن تجير منهم أحدا ، أو تدفع عنهم ، أو تمنع بيننا وبينهم ، فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد ، وكان يقوم (صلى الله عليه وسلم) بالنهي عن المنكر ، والحجر بينهم وبين المتعرض له ، فأوعدوه وقالوا : لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين . وقيل : عن ضيافة الناس وإنزالهم ، وكانوا نهوه أن يضيف أحدا قط) هاؤلآء بناتى (إشارة إلى النساء ؛ لأن كل أمة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته ، فكأنه قال لهم : هؤلاء بناتي فانكحوهن ، وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم) إن كنتم فاعلين (شك في قبولهم لقوله ، كأنه قال : إن فعلتم ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون . وقيل : إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم) لعمرك (على إرادة القول ، أي قالت الملائكة للوط عليه السلام : لعمرك) إنهم لفى سكرتهم (أي غوايتهم التي أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم ، من ترك البنين إلى البنات) يعمهون (يتحيرون ، فكيف يقبلون قولك ويصغون إلى نصيحتك ، وقيل : الخطاب لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأنه أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له ، والعمر والعمر واحد ، إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأخف فيه ، وذلك لأن الحلف كثير الدور على ألسنتهم ، ولذلك حذفوا الخبر ، وتقديره : لعمرك مما أقسم به ، كما حذفوا الفعل في قولك : بالله . وقرىء : (في سكرهم وفي سكراتهم)) الصيحة (صيحة جبريل عليه السلام) مشرقين (داخلين في الشروق وهو بزوع الشمس) من سجيل (قيل : من طين ، عليه كتاب من السجل ، ودليله قوله تعالى :) حجارة من طين مسومة عند ربك ((الذاريات : ٣٣ ٣٤) أي معلمة بكتاب) للمتوسمين (للمتفرسين المتأملين . وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء . يقال : توسمت في فلان كذا ، أي عرفت وسمه فيه . والضمير في) عاليها سافلها (لقرى قوم لوط) وإنها (وإن هذه القرى يعني آثارها) لبسبيل مقيم (ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد ، وهم يبصرون تلك الآثار ، وهو تنبيه لقريش كقوله :) وإنكم لتمرون عليهم مصبحين ((الصافات : ١٣٧) .

) وإن كان أصحاب الا يكة لظالمين فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين (

الحجر : (٧٨ - ٧٩) وإن كان أصحاب . . . . .

) أصحاب الأيكة (قوم شعيب) وإنهما (يعني قرى قوم لوط والأيكة . وقيل : الضمير." [١]

"" صفحة رقم ٢٨٦ "

دسوه فيها) بين ذالك (أي بين ذلك المذكور ، وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها ذلك ، ويحسب الحاسب أعدادا متكاثرة ثم يقول : فذلك كيت وكيت على معنى : فذلك المحسوب أو المعدود) ضربنا له الامثال (بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين ، ووصفنا لهم ما أجروا إليه من تكذيب الأنبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره . والتتبير : التفتيت والتكسير . ومنه : التبر ، وهو كسار الذهب والفضة والزجاج . و) وكلا (الأول منصوب بما دل عليه) ضربنا له الامثال (وهو : أنذرنا . أو : حذرنا . والثاني : بتبرنا ، لأنه فارغ له .

) ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا (

الفرقان : (٤٠) ولقد أتوا على . . . . .

أراد بالقرية (سدوم) من قرى قوم لوط ، وكانت خمسا : أهلك الله تعالى أربعا بأهلها وبقيت واحدة . ومطر السوء : الحجارة ، يعني أن قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء) أفلم يكونوا (في مرار مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون) بل كانوا (قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون) نشورا (وعاقبة ، فوضع الرجاء موضع التوقع ، لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ، ومروا بها كما مرت ركابهم . أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم ، أو لا يخافون ، على اللغة التهامية .

) وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهاذا الذى بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن ءالهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا (

الفرقان : (٤١ - ٤٢) وإذا رأوك إن . . . . .

) إن (الأولى نافية ، والثانية مخففة من الثقيلة . واللام هي الفارقة بينهما . واتخذه هزوا : في معنى استهزأ به ، والأصل : اتخذه موضع هزؤ ، أو مهزوءا به) أهاذا (محكى بعد القول المضمر . وهذا استصغار ، و) بعث الله رسولا (وإخراجه في معرض التسليم والإقرار ، وهم على غاية الجحود والإنكار سخرية واستهزاء ، ولو لم يستهزؤا لقالوا : أهذا الذي زعم أو ادعى أنه مبعوث من عند الله رسولا ، . وقولهم :)

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٥٤٧/٢

إن كاد ليضلنا (دليل على فرط مجاهدة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في دعوتهم ، وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم ، مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام ، لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ، و) لولا (في مثل هذاالكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق) وسوف يعلمون (وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدة الإمهال ، ولا بد." (١)

"" صفحة رقم ٤٥٦ "

عليها اشمئزازا منها في طباعهم لإفراط قبحها ، حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم . قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط . وقريء : إنكم ، بغير استفهام في الأول دون الثاني : قال أبو عبيدة : وجدته في الإمام بحرف واحد بغير ياء ، ورأيت الثاني بحرفين الياء والنون وقطع السبيل : عمل قطاع الطريق ، من قتل الأنفس وأخذ الأموال . وقيل : اعتراضهم السابلة بالفاحشة . وعن الحسن : قطع النسل بإتيان ما ليس بحرث . و) المنكر (عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الخذف بالحصى ، والرمي بالبنادق ، والفرقعة ، ومضغ العلك ، والسواك بين الناس ، وحل الأزرار ، والسباب ، والفحش في المزاح . وعن عائشة رضي الله عنها : كانوا يتحابقون وقيل السخرية بمن مر بهم . وقيل : المجاهرة في ناديهم بذلك العمل ، وكل معصية فإظهارها أقبح من سترها ، ولذلك جاء : من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له . ولا يقال للمجلس : ناد ، إلا ما دام فيه أهله ، فإذا قاموا عنه لم يبق ناديا) إن كنت من الصادقين (فيما تعدناه من نزول العذاب . كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولأنهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم ، وقال الله تعالى :) الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ((النحل : ٨٨) فأراد لوط عليه السلام أن يشتد غضب الله عليهم ، فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه .

) ولما جآءت رسلنآ إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكو أهل هاذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (

العنكبوت : (٣١ - ٣٢) ولما جاءت رسلنا . . . . .

) بالبشرى (هي البشارة بالولد . والنافلة : وهما إسحق ويعقوب . وإضافة مهلكو إضافة تخفيف لا تعريف . والمعنى الاستقبال . والقرية : سدوم التي قيل فيها : أجور من قاضي سدوم) كانوا ظالمين (معناه أن

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٢٨٦/٣

الظلم قد استمر منهم إيجاده في الأيام السالفة ، وهم عليه مصرون ، وظلمهم : كفرهم وألوان معاصيهم) إن فيها لوطا (ليس إخبارا لهم بكونه فيها ، وإنما هو جدال في شأنه : لأنهم لما عللوا إهلاك أهلها بظلمهم : اعترض عليهم بأن فيها من هو بريء من الظلم ، وأراد بالجدال : إظهار الشفقة عليهم ، وما يجب للمؤمن من التحزن لأخيه ، والتشمر في نصرته وحياطته ، والخوف من أن يمسه أذى أو يلحقه ضرر . قال قتادة : لا يرى المؤمن ألا يحوط المؤمن ، ألا ترى إلى جوابهم." (١)

"" صفحة رقم ٣١٣ "

وقد جعلت إن صلة ، مثلها فيما أنشده الأخفش : يرجى المرء ما إن لا يراه

وتعرض دون أدناه الخطوب

وتؤول بإنا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه : والوجه هو الأول ، ولقد جاء عليه غير آية في القرآن) هم أحسن أثاثا (، (مريم : ٧٤)) قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وءاثارا ((غافر : ٨٢) وهو أبلغ في التوبيخ ، وأدخل في الحث على الاعتبار) من شيء (أي من شيء من الإغناء ، وهو القليل منه . فإن قلت بم انتصب) إذ كانوا يجحدون (؟ قلت : بقوله تعالى :) فما أغنى (. فإن قلت : لم جرى مجرى التعليل ؟ قلت : لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك : ضربته لإساءته وضربته إذا أساء ؛ لأنك إذا ضربته في وقت إساءته ؛ فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه ؛ إلا أن (إذ) ، وحيث ، غلبتا دون سائر الظروف في ذلك) .

) ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الا يات لعلهم يرجعون (

الأحقاف : (٢٧) ولقد أهلكنا ما . . . . .

) ما حولكم (يا أهل مكة) من القرى (من نحو حجر ثمود **وقرية سدوم وغيرهما** . والمراد : أهل القرى . ولذلك قال :) لعلهم يرجعون (.

) فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا ءالهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون (

الأحقاف : (٢٨) فلولا نصرهم الذين . . . . .

القربان : ما تقرب به إلى الله تعالى ، أي : اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله ، حيث قالوا : هؤلاء شفعاؤنا عند الله . وأحد مفعولي اتخذ الراجع إلى الذين المحذوف ، والثاني : آلهة . وقربانا : حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى . وقرىء (قربنا) بضم الراء . والمعنى :

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٤٥٦/٣

فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم) بل ضلوا عنهم (أي غابوا عن نصرتهم) وذلك (إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم ، أي : وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة ، وثمرة شركهم." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ [الأعراف: ٨٠] يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا لوطا. ولو قيل: معناه: واذكر لوطا يا محمد إذ قال لقومه إذ لم يكن في الكلام صلة الرسالة كما كان في ذكر عاد وثمود كان مذهبا. -[٣٠٥]- وقوله: ﴿إذ قال لقومه﴾ [الأعراف: ٨٠] يقول: حين قال لقومه من سدوم، وإليهم كان أرسل لوط: ﴿أتأتون الفاحشة﴾ [الأعراف: ٨٠] ، وكانت فاحشتهم التي كانوا يأتونها التي عاقبهم الله عليها: إتيان الذكور ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ [الأعراف: ٨٠] ، يقول: ما سبقكم بفعل هذه الفاحشة أحد من العالمين." (٢)

"حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: " خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط، فأتوها نصف النهار، فلما بلغوا **نهر سدوم لقوا** ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها، وكانت له ابنتان، اسم الكبرى ريثا، والصغرى زغرتا، فقالوا لها: يا جارية، هل من منزل؟ قالت: نعم، فمكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم فرقت عليهم من قومها، فأتت أباها فقالت: يا أبتاه أرادك فتيان على باب المدينة، ما رأيت وجه قوم أحسن منهم، لا يأخذهم قومك -[٤٩٧]- فيفضحوهم وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجلا، فقالوا: خل عنا فلنضف الرجال فجاء بهم، فلم يعلم أحد إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومها، قالت: إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط فجاءه قومه يهرعون إليه "." (٣)

"حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، عن عبد الصمد، أنه سمع وهب بن منبه، يقول: " كان **أهل سدوم الذين** فيهم لوط قوما قد استغنوا عن النساء بالرجال؛ فلما رأى الله ذلك بعث الملائكة ليعذبوهم، فأتوا إبراهيم، وكان من أمره وأمرهم ما ذكر الله في كتابه، فلما بشروا سارة بالولد، قاموا وقام معهم إبراهيم يمشي، قال: أخبروني لم بعثتم وما خطبكم؟ قالوا: إنا أرسلنا إلى **أهل سدوم لندمرها**، وإنهم قوم سوء قد استغنوا بالرجال عن النساء. قال إبراهيم: إن كان فيهم خمسون رجلا صالحا؟

---

(١) تفسير الكشاف ، ٣١٣/٤

(٢) تفسير الطبري ٣٠٤/١٠

(٣) تفسير الطبري ٤٩٦/١٢

قالوا: إذن لا نعذبهم. فجعل ينقم حتى قال أهل البيت، قال: فإن كان فيها بيت صالح؟ قال: فلوط وأهل بيته. قالوا: إن امرأته هواها معهم. فلما يئس إبراهيم انصرف، ومضوا إلى أهل سدوم، فدخلوا على لوط؛ فلما رأتهم امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم، فأرسلت إلى أهل القرية: إنه قد نزل بنا قوم لم ير قوم قط أحسن منهم ولا أجمل فتسامعوا بذلك، فغشوا دار لوط من كل ناحية وتسوروا عليهم الجدران. فلقيهم لوط، فقال: يا قوم لا تفضحوني في ضيفي، وأنا أزوجكم بناتي فهن أطهر لكم فقالوا: لو كنا نريد بناتك لقد عرفنا مكانهن، فقال: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾ [هود: ٨٠] ، فوجد عليه الرسل، قالوا: إن ركنك لشديد، وإنهم آتيهم عذاب -[٥٢١]- غير مردود فمسح أحدهم أعينهم بجناحيه، فطمس أبصارهم، فقالوا: سحرنا، انصرفوا بنا حتى نرجع إليه فكان من أمرهم ما قد قص الله تعالى في كتابه. فأدخل ميكائيل، وهو صاحب العذاب جناحه حتى بلغ أسفل الأرض، فقلبها، ونزلت حجارة من السماء، فتتبعت من لم يكن منهم في القرية حيث كانوا، فأهلكهم الله، ونجى لوطا وأهله، إلا امرأته "." (١)

"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر الهذلي بن عبد الله، قال يقول: " ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ [هود: ٨٣] من ظلمة أمتك ببعيد، فلا يأمنها منهم ظالم، وكان قلب الملائكة عالي **أرض سدوم سافلها** "." (٢)

"حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: " ذكر لنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروتها الوسطى، ثم ألوى بها إلى جو السماء حتى سمعت الملائكة ضواغي كلابهم، ثم دمر بعضها على بعض، ثم أتبع شذان القوم صخرا، قال: وهي ثلاث قرى يقال لها سدوم، وهي بين المدينة والشام. قال: وذكر لنا أنه كان فيها أربعة آلاف ألف. وذكر لنا أن إبراهيم عليه السلام كان يشرف **يقول: سدوم يوم** ما لك "." (٣)

"وقوله: ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾ [الحجر: ٦٧] يقول: وجاء أهل **مدينة سدوم وهم** قوم لوط لما سمعوا أن ضيفا قد ضاف لوطا مستبشرين بنزولهم مدينتهم، طمعا منهم في ركوب الفاحشة، كما:."
(٤)

---

(١) تفسير الطبري ٥٢٠/١٢

(٢) تفسير الطبري ٥٣٣/١٢

(٣) تفسير الطبري ٥٣٥/١٢

(٤) تفسير الطبري ٩٠/١٤

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وإنها لبسبيل مقيم. إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ [الحجر: ٧٧] يقول تعالى ذكره: وإن هذه المدينة **مدينة سدوم لبطريق** واضح مقيم -[٩٨]- يراها المجتاز بها لا خفاء بها، ولا يبرح مكانها، فيجهل ذو لب أمرها، وغب معصية الله، والكفر به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل." (١)

"وقوله: ﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ [الأنبياء: ٧٤] يقول: ونجيناه من عذابنا الذي أحللناه بأهل القرية التي كانت تعمل الخبائث، وهي **قرية سدوم ،** التي كان لوط بعث إلى أهلها. وكانت الخبائث التي يعملونها: إتيان الذكران في أدبارهم، وخذفهم الناس، وتضارطهم في أنديتهم، مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكر، فأخرجه الله حين أراد إهلاكهم إلى الشام. كما:." (٢)

"قال ابن عباس: " خمس قريات فأهلك الله أربعة، وبقيت الخامسة، واسمها صعوة. لم تهلك صعوة. كان أهلها لا يعملون ذلك العمل، **وكانت سدوم أعظمها**، وهي التي نزل بها لوط، ومنها بعث. وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم ينادي نصيحة لهم: يا سدوم، يوم لكم من الله، أنهاكم أن تعرضوا لعقوبة الله، زعموا أن لوطا ابن أخي إبراهيم صلوات الله عليهما "." (٣)

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء، أفلم يكونوا يرونها، بل كانوا لا يرجون نشورا﴾ [الفرقان: ٤٠] يقول تعالى ذكره: ولقد أتى هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجورا على القرية التي أمطرها الله مطر السوء **وهي سدوم قرية** قوم لوط. ومطر السوء هو الحجارة التي أمطرها الله عليهم فأهلكهم بها." (٤)

"كما: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ [الفرقان: ٤٠] قال: «حجارة، وهي قرية قوم لوط، واسمها سدوم»." (٥)

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين﴾ [العنكبوت: ٣١] يقول تعالى ذكره: ﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ [العنكبوت: ٣١] من الله بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ﴿قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية﴾

---

(١) تفسير الطبري ٩٧/١٤

(٢) تفسير الطبري ٣١٨/١٦

(٣) تفسير الطبري ٤٥٧/١٧

(٤) تفسير الطبري ٤٥٧/١٧

(٥) تفسير الطبري ٤٥٧/١٧

[العنكبوت: ٣١] يقول: قالت رسل الله لإبراهيم: إنا مهلكو أهل هذه القرية، قرية سدوم، وهي قرية قوم لوط ﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾ [العنكبوت: ٣١] يقول: إن أهلها كانوا ظالمي أنفسهم بمعصيتهم الله، وتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ [العنكبوت: ٣٤] يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الرسل للوط ﴿إنا منزلون﴾ [العنكبوت: ٣٤] يا لوط ﴿على أهل هذه القرية﴾ [العنكبوت: **٣٤] سدوم** ﴿رجزا من السماء﴾ [البقرة: ٥٩] يعني عذابا.." (٢)

"كما: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين﴾ [الصافات: ١٣٧] " قالوا: نعم والله صباحا ومساء يطئونها وطئا، من أخذ من المدينة إلى الشام، أخذ **على سدوم قرية** قوم لوط "." (٣)

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون﴾ [الأحقاف: ٢٨] يقول تعالى ذكره لكفار قريش محذرهم بأسه وسطوته، أن يحل بهم على كفرهم ﴿ولقد أهلكنا﴾ [يونس: ١٣] أيها القوم من القرى ما حول قريتكم، كحجر ثمود **وأرض سدوم ومأرب** ونحوها، فأنذرنا أهلها بالمثلات، وخربنا ديارها، فجعلناها خاوية على عروشها وقوله: ﴿وصرفنا الآيات﴾ [الأحقاف: ٢٧] يقول: ووعظناهم بأنواع العظات، وذكرناهم بضروب من الذكر والحجج، وبينا لهم ذلك." (٤)

"﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين﴾ [الذاريات: ٣٥] يقول تعالى ذكره: فأخرجنا من كان في قرية سدوم، قرية قوم لوط من أهل الإيمان بالله وهم لوط وابنتاه، وكنى عن القرية بقوله: ﴿من كان فيها﴾ [الذاريات: ٣٥] ولم يجر لها ذلك قبل ذلك." (٥)

---

(١) تفسير الطبري ٣٩٣/١٨

(٢) تفسير الطبري ٣٩٦/١٨

(٣) تفسير الطبري ٦٢٣/١٩

(٤) تفسير الطبري ١٦١/٢١

(٥) تفسير الطبري ٥٣٢/٢١

"وقوله: ﴿والمؤتفكة أهوى﴾ [النجم: ٥٣] يقول تعالى: والمخسوف بها، المقلوب أعلاها أسفلها، وهي **قرية سدوم قوم** لوط، أهوى الله، فأمر جبريل صلى الله عليه وسلم، فرفعها من الأرض السابعة بجناحه، ثم أهواها مقلوبة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل." (١)

"فلما خرج أصابه ما أصاب قومه [فدفن هاهنا] ودفن معه غصن من ذهب وأراهم قبر أبي رغال فول القوم فابتدروه بأسيافهم وبحثوا عليه فاستخرجوا ذلك الغصن، ثم قبع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وأسرع السير حتى جاز الوادي «١» .

قال أهل العلم: توفي صالح (عليه السلام) بمكة وهو ابن ثمان وخمسين [سنة فلبث] في قومه عشرين سنة.

عن الضحاك بن مزاحم قال: قال رسول الله (عليه السلام) : «يا علي أتدري من أشقى الأولين؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «عاقر الناقة» .

قال: «أتدري من أشقى الآخرين؟» قال: الله ورسوله أعلم.

قال: «قاتلك» [١٩١] «٢» .

ولوطا يعني وأرسلنا لوطا وقيل معناه: واذكر لوطا. وهو لوط بن [هاران] بن تارخ أخي إبراهيم (عليه السلام) إذ قال لقومه وهم أهل **سدوم**، وذلك أن لوطا شخص من أرض بابل مع عمه إبراهيم (عليه السلام) مؤمنا به مهاجرا معه إلى الشام فنزل إبراهيم (عليه السلام) فلسطين وأنزل ابن أخيه لوطا الأردن فأرسل الله إلى **أهل سدوم فقال** لهم: أتأتون الفاحشة يعني إتيان الذكران ما سبقكم بها من أحد من العالمين قال عمرو بن دينار: ما كان يزني ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط إنكم لتأتون الرجال [في أدبارهم] شهوة من دون النساء يعني أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء بل أنتم قوم مسرفون مشركون [تبدلون] الحلال إلى الحرام.

---

(١) بطوله في تفسير الطبري: ١٢/ ٨٥ وتاريخ الطبري: ١/ ١٥٩ مع تفاوت

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/٩٠

. (٢) الطبقات الكبرى: ٣/ ٣٥، وتاريخ بغداد: ١/ ١٤٦، وشواهد التنزيل: ٢/ ٤٤٤ ح ١١٠٨ [.....] .." [١]

"لوط من الباب، ودعني وإياهم، فتنحى لوط عن الباب فخرج عليهم فنشر جناحه فضرب [به] «١» وجوههم فطمس أعينهم فعموا وانصرفوا على أعقابهم فلم يعرفوا طريقا ولم يهتدوا إلى بيوتهم.

فانصرفوا وهم يقولون: النجا النجا فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض وقد سحرونا، وجعلوا يقولون: يا لوط كما أنت حتى نصبح، يتوعدونه، فقال لهم لوط: متى موعد هلاكهم؟

فقالوا: الصبح قال: أريد أسرع من ذلك أن تهلكونهم الآن، فقالوا: أليس الصبح بقريب قالوا له: فأسر بأهلك، قرأ أهل الحجاز بوصل الألف من سرى يسري ويدل عليه قوله تعالى: والليل إذا يسر وقرأ الباقون بقطع الألف من أسرى يسري اعتبارا بقوله سبحان الذي أسرى بعبده وهما بمعنى واحد.

فأسر بأهلك بقطع من الليل قال ابن عباس: بطائفة من الليل، الضحاك: ببقية، قتادة:

بعد مضي صدره، الأخفش: بعد جنح، وقيل: بعد هدوء، وبعضها قريب من بعض.

ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك قرأ ابن كثير وأبو عمرو: إلا امرأتك برفع التاء على الاستثناء من الالتفات أي ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنها تلتفت وتهلك، وإن لوطا خرج بها، ونهى من معه ممن أسرى بهم أن يلتفت سوى زوجته، فإنها لما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت: وا قوماه فأدركها حجر فقتلها.

وقرأ الباقون بنصب المرأة على الاستثناء من الأهل، أي فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك ولا يلتفت منكم أحد، ف إنه مصيبها ما أصابهم من العذاب غير مخطئها ولا يخطيهم.

إن موعدهم الصبح أي إن موعد هلاكهم هو الصبح، فقال لوط: أريد أسرع من ذلك، فقالوا: أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا عذابنا جعلنا عاليها سافلها وذلك أن جبريل (عليه السلام) أدخل جناحه تحت قرى قوم لوط **المؤتفكات سدوم وعامورا** ودادوما وصبوا، فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب، ثم جعل عاليها سافلها.

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل (عليه السلام) : «إن الله تبارك وتعالى سماك بأسماء ففسرها لي، قال الله في وصفك ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين فأخبرني عن قوتك، قال: يا محمد رفعت قرى قوم لوط من تخوم الأرض على جناحي في الهواء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا أصواتهم وأصوات الديكة ثم قلبتها ظهرا لبطن، قال: فأخبرني عن قوله مطاع قال: إن رضوان خازن الجنان،

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٤/٢٥٨

ومالكا خازن النيران متى كلفتهما فتح أبواب الجنة والنار فتحاهما لي، قال: فأخبرني عن قوله أمين قال: إن الله عز وجل أنزل من السماء مائة وأربعة كتب على أنبيائه لم يأتمن عليها غيري» [١٠١] .

---

(١) المخطوط غير مقروء وما أثبتناه من تفسير الطبري: ١٢/ ١٢٠.." [١]

"قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين.

قرأه العامة: بالألف.

وقرأ يحيى بن وثاب: القانطين.

قال ومن يقنط.

قرأ الأعمش وأبو عمرو والكسائي بكسر النون، وقرأ الباقون: بفتحه [وقال الزجاج] : قنط يقنط، وقنط يقنط إذا يئس من رحمة الله.

من رحمة ربه إلا الضالون قال لهم إبراهيم فما خطبكم شأنكم وأمركم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين مشركين إلا آل لوط أتباعه وأهل دينه إنا لمنجوهم أجمعين.

قرأ أهل الحجاز وعاصم وأبو عمرو: (لمنجوهم) بالتشديد، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، وخففه الآخرون.

إلا امرأته سوى امرأة لوط قدرنا قضينا إنها لمن الغابرين الباقين في العذاب، وخفف ابن كثير قدرنا.

قال أبو عبيد: استثنى آل لوط من القوم المجرمين، ثم استثنى امرأته من آل لوط فرجعت امرأته في التأويل إلى القوم المجرمين، لأنه استثناء مردود على استثناء، وهذا كما تقول في الكلام: لي عليك عشرة دراهم إلا أربعة إلا درهما، فلك عليه سبعة دراهم لأنك لما قلت:

إلا أربعة، كان لك عليه ستة، فلما قلت: إلا درهما كان هذا استثناء من الأربعة فعاد إلى الستة فصار سابعا.

فلما جاء آل لوط المرسلون قال لوط لهم إنكم قوم منكرون يعني لا أعرفكم قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون يعني يشكون إنه ينزل بهم وهو العذاب وأتيناك بالحق وجئناك باليقين، وقيل: بالعذاب وإنا لصادقون في قولنا فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم أي كن ورائهم وسر خلفهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون.

قال ابن عباس: يعني الشام. وقال خليل: يعني مصدر.

وقضينا إليه ذلك الأمر يعني وفرغنا إلى لوط من ذلك الأمر، وأخبرناه أن دابر هؤلاء.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٨٣/٥

يدل عليه قراءة عبد الله: وقلنا له إن دابر هؤلاء، يعني أصلهم، مقطوع مستأصل مصبحين في وقت الصبح إذ دخلوا فيه وجاء أهل المدينة **يعني سدوم يستبشرون**." (١)

"النساء إلا زينب، ولا يجوز لا ترى إلا زينب، وقال سيبويه: معناه (لا ترى) أشخاصهم. إلا مساكنهم وأجرى الفراء هذه الآية على الاستكراه، وذكر أن المفضل أنشده:

نارنا لم تر نارا مثلها ... قد علمت ذاك معد كرما «١»

فأنث فعل مثل لأنه للنار، قال: وأجود الكلام أن يقول: لم تر مثلها نار.

وقرأ الأعمش وعاصم وحمزة ويعقوب وخلف (بياء) مضمومة مساكنهم رفعا واختاره أبو عبيدة رفعا وأبو حاتم. قال الكسائي: معناه لا يرى شيء إلا مساكنهم.

وقال الفراء: لا يرى الناس لأنهم كانوا تحت الرمل، فإنما يرى مساكنهم لأنها قائمة.

وقرأ الباقون (ترى) (بتاء) مفتوحة (مساكنهم) نصبا على معنى (لا ترى) يا محمد (إلا مساكنهم) .

كذلك نجزي القوم المجرمين.

[سورة الأحقاف (٤٦) : الآيات ٢٦ الى ٣٢]

ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (٢٦) ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون (٢٧) فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون (٢٨) وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين (٢٩) قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم (٣٠)

يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم (٣١) ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين (٣٢)

ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه أي فيما لا يمكنكم فيه من بسطة الأجسام، وقوة الأبدان، وطول العمر، وكثرة المال.

وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٥/٣٤٥

بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل مكة.

من القرى كحجر ثمود، **وأرض سدوم ونحوهما**.

وصرفنا الآيات الحجج والبينات وأنواع العبر والعظات لعلهم يرجعون عن كفرهم، فلم يرجعوا، فأهلكناهم، يخوف مشركي قريش. فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢٦/ ٣٦.." [١]

"وعن ابن عباس في " مسومة " أنها المعلمة بعلامة تعرف بها الملائكة أنها للمسرفين في المعاصي.

وقيل: إنه كان مكتوب على كل حجر أسم من يهلك به.

قال: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين (*) فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ أي: من كان في قرية لوط وهي " **سدوم** " وهم لوط وابنتاه، أنجاهم الله مع لوط. وجاز إضمار القرية ولم يجر لها ذكر؛ لأن المعنى مفهوم. وقيل الهاء في " فيها " للجماعة. ﴿فما وجدنا فيها﴾ أي: في القرية ﴿غير بيت من المسلمين﴾ وهو بيت لوط.

قال ابن زيد: ما كان مع لوط مؤمن واحد، وعرض عليهم أن ينكحوا بناته رجاء أن يكون له منهم عضد يعينه (ويدفع عنه)، ﴿قال ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾ يريد النكاح فأبوا عليه.." [٢]

"أن الرجل كان يأخذ بيد ابنه ويأت به إلى نوح A فيقول: يا بني لا تقبل من هذا فإن أبي مشى بي إلى هذا وأنا مثلك يومئذ وأوصاني بما أوصيتك [به] تتابعا / على الضلالة وتكذيبا لأمر الله.

أي: والمقلوب أعلاها أهوى /، **وهي سدوم قرية** قوم لوط أمر الله جبريل فرفعها من الأرض السابعة بجناحه ثم أهواها مقلوبة. يقال: هوى إذا سقط، وأهواه غيره أسقطه.

قال مجاهد: رفعها جبريل A إلى السماء ثم أهواها.

قال ابن زيد أهواها جبريل عليه السلام [ثم أتبعها تلك الصخر].." [٣]

"بالأرض عملا، يقول ذلك أربع مرات.

وروي أنهم لقوه، وهو يحطب، فسلموا / عليه، فرد عليهم السلام، ثم حمل حزمته، ودعاهم إلى ضيافته.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٩/١٨

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ١١/٧٠٩٦

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ١١/٧١٧٧

فلما دخل بهم المدينة، مر بقوم فقالوا: هذا مع لوط حاجتنا، قوموا بنا إليهم. فقال لوط: أشهد أنكم قوم سوء، ثم مر بآخرين، فقالوا بمثل ذلك، فشهد لوط عليهم بمثل ذلك، ثم مر بآخرين. فقالوا بمثل ذلك، فشهد عليهم لوط مثل ذلك. فقال جبريل لإسرافيل، وميكائيل، عليهم السلام: هذه ثلاث مرات شهد بها نبيهم عليهم.

وقال السدي: خرجت الملائكة من عند إبراهيم، عليهم السلام، نحو قرية لوط، فأتوها نصف النهار، فلما بلغوا نهر سدوم، لقد بنت لوط تستقي من الماء لأهلها، فقالوا لها: يا جارية هل من منزل؟ قالت: نعم، مكانكم حتى آتيكم. فرقت عليهم من قومها، فأتت أباها، فقالت: يا أبتاه: إن أدرك فتيانا على باب المدينة، ما." [1]

"أي: حيث يأمركم الله. قال الزجاج: أمر بترك الالتفات لئلا يرى عظيم ما نزل قومه. وقيل: نهي عن الالتفات إلى ما في المنازل من الرجال لئلا يقع الشغل به عن المضي.

قال تعالى: ﴿وقضينآ إليه ذلك الأمر﴾.

أي: أوحينا إلى لوط ذلك الأمر. ثم فسر ما هو الذي أوحى إليه فقال: " إن دابر هؤلاء مقطوع " فهذا الذي أعلمه الله وأوحى به إليه. ومعنى: " دابر هؤلاء مقطوع " آخرهم يستأصل صباحا.

قوله: ﴿وجآء أهل المدينة يستبشرون﴾.

المعنى: وجاء أهل المدينة، [مدينة] سدوم، وهم قوم لوط، يستبشرون لما سمعوا أن ضيفا قد نزل عند لوط طمعا في ركوبهم الفاحشة، قال قتادة.

والضيف يقع للواحد والجمع والاثنين بلفظ واحد لأنه مصدر في الأصل.." [2]

"وعن النبي A أنه قال: " إن [لله] عبادا يعرفون الناس بالتوسم ".

وحقيقة التوسم: النظر بالتثبت حتى يعرف الحقيقة. فهذا كله متقارب في العمنى. وهذه الآية تنبيه لقريش لأن يتعظوا ويزدجروا بما نزل بقوم / لوط وغيرهم.

أي: **وإن سدوم المنقلبة** بقوم لوط لبطريق واضح يراها المجتاز بها، لا يخفى مكانها. وقيل: المعنى وإن

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٤٤١/٥

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٩١٢/٦

الآيات ﴿لبسبيل مقيم﴾.

أي إن في صنيعنا بقوم لوط لعلامة و [دلالة] لمن آمن بالله على انتقامه من." (١)

"أي: أن أفعلوا الخيرات وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة، أي: أمرناهم بذلك. فالمصدرن يقدر بأن والفعل.

ثم قال تعالى: ﴿وكانوا لنا عابدين﴾.

أي: خاشعين لا يستكبرون عن عبادتنا.

و" عابدين " وقف إن نصبت " ولوطا " بإضمار فعل. أي: واذكر لوطا.

قوله تعالى: ﴿ولوطا آتيناه حكما وعلما﴾ إلى قوله: ﴿فهل أنتم شاكرون﴾.

المعنى: وآتينا لوطا آتيناه حكما وهو فعل القضاء بين الخصمين وعلما بأمر دينه. ﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾، أي: من العذاب الذي نزل بالقرية، وهي **قرية سدوم التي** بعث لوط إلى أهلها، والخبائث هو إتيان الذكور في أدبارهم وإظهار المنكر في مجالسهم، فاخرجه الله مع ابنتيه ومن آمن إلى الشام حينأ راد الله إهلاك قومه، لأنهم كانوا قوم سوء " فاسقين ". أي: خارجين عن طاعة الله تعالى مخالفين لأمره.

ثم قال: ﴿وأدخلناه في رحمتنآ﴾.

أي: أنجيناه من العذاب فدخل في الرحمة.

وقال ابن زيد: هو دخوله في الإسلام.." (٢)

"مطر السوء **وهي سدوم قرية** قوم لوط و ﴿مطر السوء﴾، الحجارة التي أهلكهم الله بها.

وقال ابن عباس خمس قريات أهلك الله أربعا، وبقيت الخامسة واسمها سفن كان أهلها لا يعملون ذلك العمل، **وكانت سدوم أعظمها** وهي التي نزل لوط، ومنها بعث، وكان إبراهيم صلى الله عليه [وسلم]، ينادي نصيحة لهم **يا سدوم يوم** لكم من الله أنهاكم أن تتعرضوا للعقوبة من الله، وكان لوط ابن أخي إبراهيم.

ثم قال ﴿أفلم يكونوا / يرونها﴾، أي: أفلم يكن هؤلاء المشركون يرون تلك القرية وما نزل بها، فيحذروا أن ينزل بهم مثل ذلك.." (٣)

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٩١٨/٦

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٧٨٤/٧

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٢٢٦/٨

"دعوه فإن ممره بي ووقوفه بين يدي ".

ثم قال تعالى ذكره: ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله﴾ أي: ما جاوب لوطا قومه لما نهاهم عن المنكر، وخوفهم من عذاب الله إلا أن قالوا: جئنا بعذاب الله الذي توعدنا به إن كنت صادقا في قولك.

﴿قال رب انصرني على القوم المفسدين﴾ أي: قال لوط مستغيثا لما استعجله قومه بالعذاب: يا رب انصرني على القوم المفسدين/.

ثم قال تعالى: ﴿ولما جآءت رسلنآ إبراهيم بالبشرى﴾ أي: جاءته الملائكة من الله بالبشرى بإسحاق ومن ولده بيعقوب.

﴿قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية﴾ **وهي: سدوم قرية** قوم لوط.

﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾ أي: ظالمين أنفسهم بمعصيتهم الله.

ثم قال تعالى: ﴿قال إن فيها لوطا﴾ أي: قال ذلك إبراهيم عليه السلام.

قال ابن عباس: فجادل إبراهيم الملائكة في قوم لوط عليه السلام أن يتركوا، فقال أرأيتم إن كان فيها عشرة أبيات من المسلمين أتتركون؟ فقالت الملائكة: ليس فيها عشرة أبيات ولا خمسة ولا أربعة ولا ثلاثة ولا اثنان، فقال إبراهيم: إن فيها لوطا.." [(١)]

"ولا تعرج على شيء، وهذا مما تقدم في سورة هود (١).

وقوله تعالى: ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ قال ابن عباس: يعني الشام (٢)، وقال المفضل: حيث يقول لكم جبريل (٣)، قال الكلبي: أمرهم جبريل امضوا إلى صغر (٤)؛ وهي إحدى قريات لوط (٥)، ولم يكونوا يعملون مثل عمل سدوم، وهذا قول مقاتل (٦).

---

(١) آية: [٨١].

(٢) ورد في "تفسير الثعلبي" ٢/ ١٤٩ب، انظر: "تفسير البغوي" ٤/ ٣٨٦، وابن الجوزي ٤/ ٤٠٧، والفخر الرازي ١٩/ ٢٠١، والخازن ٣/ ٩٩، والألوسي ١٤/ ٦٩.

(٣) "تفسير الفخر الرازي" ١٩/ ٢٠١، وورد غير منسوب في: "تفسير ابن الجوزي" ٤/ ٤٠٧، والخازن ٣/ ٩٩.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٦٢٥/٩

(٤) في جميع النسخ: (صفر)، والمثبت أقرب للصواب، والتصويب من تفسيره "الوسيط"، تحقيق: سيسي ٢/ ٣٦٢، "تفسير الثعلبي" ٢/ ١٤٩ ب، وهكذا ضبطه ياقوت، وأشار إلى القصة، بقوله: وهي على البحيرة المقلوبة وبقية مدائن لوط، وإنها نجت لأن أهلها لم يكونوا يعملون الفاحشة، وكذلك ضبطها ابن كثير؛ قال: فذكروا أنه ذهب إلى قرية (صغر) التي يقول الناس (غور زغر)، وقد ضبطت "صعرة". في: تاريخ الطبري و"الروض المعطار في خبر الأقطار"، والحق أنه قد وقع اختلاف كبير في أسماء قرى لوط -عليه السلام- ولم يتفقوا إلا في اسم كبرى هذه القرى وهي: سدوم، وتقع بأرض الشام، لذلك قال السهيلي: وسدوم أعظمها، وقد ذكرت الأسماء الأخر ولكن بتخليط لا يتحصل منه حقيقة. انظر: "التعريف والإعلام" ص ١٦٢، "تاريخ الطبري" ١/ ١١٨، ١٢٢، "معجم البلدان" ٣/ ٤١١، "تفسير القرطبي" ٩/ ٨١، "الكامل في التاريخ" ١/ ٦٩، "الروض المعطار" ص ٣٠٨، "تفسير ابن كثير" ٢/ ٦١٠، "البداية والنهاية" ١/ ١٨١، "الدر المنثور" ٣/ ١٨٥.

(٥) "تفسير ابن الجوزي" ٤/ ٤٠٧.

(٦) الذي في "تفسيره" ١/ ١٩٨ أ. قال: إلى الشام، وورد في "تفسير الثعلبي" ٢/ ١٤٩ ب بمعناه، وانظر: "تفسير القرطبي" ١٠/ 83.." [١]

"قال ابن عباس: يريد أن هلاكهم في الصبح (١)، ومضى الكلام في الدابر (٢).

٦٧ - قوله تعالى: ﴿وجاء أهل المدينة﴾ يعني مدينة لوط؛ وهي سدوم، ﴿يستبشرون﴾ قال الكلبي وغيره: بعملهم الخبيث طمعا منهم في ركوبهم الفاحشة (٣).

قال ابن عباس: قالوا نزل بلوط ثلاثة مرد ما رأينا قط أصبح منهم، فقال لهم لوط لما قصدوا أضيافه:

٦٨ - ﴿إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾ يقال: فضحه يفضحه فضحا وفضيحة، إذا أبان من أمره ما يلزمه به العار، (يقال: فضحه فافتضح (٤)، قال الفراء) (٥): ويقال فضحك الصبح، أي: بينك للناس (٦)، قال المفسرون: أراد أن من حق الضيف إكرامه، فلا تفضحوني بقصدكم إياه

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ٤٣ بنحوه، من طريق الحجاج عن ابن جريج صحيحة، "تنوير

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٦٢٦/١٢

المقباس" ص ٢٧٩.

(٢) سورة الأنعام [آية: ٤٥]، أورد أقوالا في معنى الدابر، فقال: قال الأصمعي وغيره: (الدابر الأصل؛ يقال: قطع الله دابره أي أذهب أصله)، وقال ابن بزرج: "دابر الأمر: آخره، ودابر الرجل عقبه، وقولهم: قطع الله دابره: دعاء عليه بانقطاع العقب حتى لا يبقى أحد يخلفه).

(٣) ورد في: "تنوير المقباس" ص ٢٨٥ مختصرا، تفسيره "الوسيط"، تحقيق: سيسي ٢/ ٣٦٢ بنصه غير منسوب، "تفسير البغوي" ٥/ ٣٨٧، ابن عطة ٨/ ٣٣٧، ابن الجوزي ٤/ ٤٠٧، "تفسير القرطبي" ١٠/ ٣٩، الخازن ٣/ ٩٩.

(٤) انظر: "جمهرة اللغة" ١/ ٥٤٥، "اللسان" (فضح) ٦/ ٣٤٢٥، "عمدة الألفاظ" ٣/ ٢٧٩.

(٥) ما بين القوسين ساقط من: (د).

(٦) ليس في معانيه.." [١]

"﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ يعني أهلها، **والقرية سدوم** (١)، والمراد بالخبائث إتيان الذكور [في قول ابن عباس والمفسرين (٢). وجمعها لإضافتها إلى فاعليها، وإن كان إتيان الذكور] (٣) خصلة واحدة من الخبائث.

وقيل: إنه أراد ذلك وسائر ما كانوا يأتونه من المنكرات (٤).

ثم ذمهم يقول: ﴿إنهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾.

٧٥ - قوله تعالى: ﴿وأدخلناه في رحمتنا﴾ قال ابن عباس: يريد الجنة (٥). وقال غيره: أدخلناه في رحمتنا بإنجائنا إياه من القوم السوء وهلاكهم (٦).

﴿إنه من الصالحين﴾ يعني من الأنبياء.

---

(١) سدوم: بالدال المهملة، وقيل بالذال المعجمة، قرية بالشام، وهي أكبر مدائن قوم لوط. انظر: "معجم البلدان" ٥/ ٥٣، "مراصد الاطلاع" ٢/ ٧٠٠.

(٢) ذكره الماوردي ٣/ ٤٥٥، والقرطبي ١١/ ٣٠٩ من غير نسبة.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٢/٦٢٨

(٤) انظر: "الطبري" ١٧/ ٤٩، "الكشف والبيان" للثعلبي ٣/ ٣٣ أ.

(٥) نحوه في "تنوير المقباس" ص ٢٠٣. وذكره الزمخشري ٢/ ٥٧٩، والقرطبي ١١/ ٣٠٦ من غير نسبة، وذكر الرازي ٢٢/ ١٩٢ عن ابن عباس والضحاك أنهما قالا: الثواب. وهو بمعنى ما هنا.

(٦) هذا قول الطبري في "تفسيره" ١٧/ ٤٩. قال الشقيطي ٤/ ٥٩٥: (في رحمتنا) شامل لنجاته من عذابهم الذي أصابهم، وشامل لإدخاله إياه في رحمته التي هي الجنة، كما في الحديث الصحيح "تحاجت الجنة والنار" الحديث، وفيه: "فقال للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي" أهـ. والحديث الذي أشار إلى الشنقيطي رواه البخاري كتاب: "التفسير" (تفسير سورة ق) ٨/ ٥٩٥ فتح ومسلم كتاب "الجنة وصفة نعيمها وأهلها" ٤/ ٢١٨٦.." [(١)]

"يعني: الحجارة، كل حجر في العظم على قدر إنسان (١) ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ في أسفارهم إذا مروا بها فيخافوا ويعتبروا (٢).

قال ابن عباس: كانت قريش في تجارتها إلى الشام تمر بمدائن قوم لوط (٣). وذلك قوله: ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين﴾ [الصافات: ١٣٧].

ثم أعلم الله -عز وجل- أن الذي جرأهم على التكذيب، وترك المبالاة بما شاهدوا من التعذيب في الدنيا أنهم كانوا لا يصدقون بالبعث، فقال: ﴿بل كانوا لا يرجون نشورا﴾ [الفرقان: ٤٠] قال ابن عباس ومقاتل: لا يخافون بعثا، ولا

= لابن عباس، وأبو السعود ٦/ ٢١٩، والألوسي ١٩/ ٢١، أنها خمس قرى، فأهلك الله أربعا، وبقيت الخامسة، وكان أهلها لا يعملون ذلك العمل الخبيث. وهذا مخالف لظاهر القرآن؛ لأن الله تعالى لم يستثن منهم قرية، بل استثني من العذاب أهل لوط -صلى الله عليه وسلم- فقط. قال الله تعالى: ﴿فنجيناه وأهله أجمعين (١٧٠) إلا عجوزا في الغابرين (١٧١) ثم دمرنا الآخرين﴾ [الشعراء: ١٧٠، ١٧٣]، قال ابن كثير ٤/ ١٧٤: والغرض أن الله تعالى أهلكهم عن آخرهم بتكذيبهم نبي الله لوطا -عليه السلام-. وذكر ابن عطية ١١/ ٤٢، وابن كثير ٦/ ١١٢، والبيضاوي ٢/ ١٤٢، أن اسم القرية: سدوم، بالشام. قال أبو حاتم في كتاب: المزال والمفسد: إنما هو سذوم، بالذال المعجمة، والدال خطأ. نقله الأزهري، في "تهذيب اللغة" ١٢/ ٣٧٤، وصححه. وعنه ياقوت في معجم البلدان ٣/ ٢٢٦ - واقتصر المراغي ١٩/ ١٨،

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٥/ ١٣٠

والألوسي ١٩/ ٢١، على ذكرها بالذال.
(١) "تفسير مقاتل" ص ٤٥ ب. وذكره البرسوي ٦/ ٢١٤، ولم ينسبه. وهي حجارة السجيل، المذكورة في قوله تعالى: ﴿وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود﴾ [هود: ٨٢]. ووصف مقاتل لها بأنها في العظم على قدر الإنسان يحتاج إلى إثبات؛ ووصفها بالإمطار يدل على أنها شبيهة بالمطر في الكثرة، والتتابع، ولا يلزم من ذلك كبرها وعظمها. والله أعلم.
(٢) "تفسير الثعلبي" ٨/ ٩٩ أ. و"تفسير الماوردي" ٤/ ١٤٦.
(٣) ذكره البغوي ٦/ ٨٥، ولم يخسجه. ونسبه القرطبي ١٣/ ٣٤، لابن عباس رضي الله عنهما.." [١]

"والعرب تجمع بين الحرفين إذا اتفق معناهما إذا كان لفظهما مختلف كقوله: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ [الحجر: ٣٠]. و (ما) في هذه الآية بمعنى (الذي) فلا يزاد معها (إن) لا يقال: ما إن قبضت ديناراك، بمعنى الذي قبضت ديناراك، ثم ذكر الله تعالى أنهم أعرضوا عن قبول الحجج والتفكر فيما يدلهم على التوحيد مع ما أعطاهم الله تعالى من الحواس التي بها تدرك الأدلة قال: ﴿وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة﴾ الآية، وفي هذا تخويف لأهل مكة، وضرب المثل لهم بحالة من قبلهم، فإنهم لما لم يستدلوا على توحيد الله ولم يقبلوا ممن دعاهم إليه لزمتهم الحجة ولم تغن عنهم مدارك الأدلة شيئا، فأهل مكة إن صنعوا كصنعهم استحقوا مثل عذابهم، ثم زاد في التخويف فقال:

٢٧ - ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى﴾ قال ابن قتيبة: يريد: باليمن والشام (١) ﴿وصرفنا الآيات﴾ بيناها ﴿لعلهم﴾ لعل أهل القرى ﴿يرجعون﴾، والمراد بالتصريف التقديم؛ لأنه كان قبل الإهلاك، وقال قوم: تقدير الكلام: وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلم يرجعوا ﴿فأهلكناهم﴾.
٢٨ - فلم ينصرهم منا ناصر وهو قوله تعالى: ﴿فلولا نصرهم الذين

---

(١) قول قتيبة هذا غير موجود في تأويل المشكل، وتفسير غريب القرآن، والذي ذكر الطبري، قال كحجر ثمود وأرض سدوم ومأرب ونحوها، انظر: "تفسيره" ١٣/ ٢/ ٢٩. وقال الثعلبي: كحجر ثمود وأرض سدوم ونحوها. انظر "تفسيره" ١٠/ ١١٦ أ.
وقال في "الوسيط": وأراد بالقرى المهلكة باليمن والشام، انظر: ٤/ ١١٤، وقال القرطبي: يريد حجر ثمود

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٠٩/١٦

وقرى لوط ونحوهما مما كان يجاور بلاد الحجاز، وكانت أخبارهم متواترة عندهم. انظر: "الجامع" ١٦/ ٢٠٩.." [1]

"لسؤاله على (١) طريق البيان.

٨٢ - خلط الإيمان بالظلم بالبدع والأهواء والفسق (٢).

٨٣ - ﴿وتلك:﴾ إشارة إلى محاجته عليه السلام (٣).

٨٤ - نصب ﴿إسحاق ويعقوب﴾ بـ (وهبنا)، ﴿ونوحا﴾ بـ ﴿هدينا،﴾ وكذا سائر الأسماء (٤).
﴿ومن ذريته:﴾ ذرية نوح (٥).
وإنما ذكر نوحا وهؤلاء ليبين أنه سنته تعالى مع كل محسن أوذي في سبيله قديما وحديثا.

٨٥ - ﴿وإلياس:﴾ رجل من سبط يوشع بن نون (٦) بعثه الله إلى بعلبك وملكهم أحاب (٧) وامرأته أزبيل (٨)، كان الملك إذا تغيب استخلفها على ملكه، وكانت بنت ملك صيد (٩)، وكانت قتالة للأنبياء، هي التي قتلت زكريا ويحيى وغيرهما، وتزوجها سبعة من ملوك بني إسرائيل، فلم يؤمن الملك هذا بإلياس ولا امرأته، فسأل الله تعالى (١٠٦ ظ) أن يؤخر مذاقه الموت ويرفعه إليه، فاستجاب دعوته وألبسه ريشا يطير مع الملائكة.

٨٦ - ﴿وإسماعيل:﴾ إسماعيل (١٠) بن إبراهيم، وقيل (11): أشمويل بن هلقانا.
﴿واليسع:﴾ رجل صحب إلياس عليه السلام وكان تلميذه، فلما رفع إلياس نبأه الله تعالى بمثل روح إلياس (١٢).
و (لوط) هو ابن هارون بن تارح. وهارون أخو (١٣) إبراهيم. درج هارون وآمن لوط بعمه إبراهيم وهاجر معه، ثم بعثه الله تعالى إلى المؤتفكات، ثم رجع إلى إبراهيم فكان معه إلى أن مضى لسبيله. وقيل: إن أبا لوط من مدينة سدوم، صاهر تارح وتزوج بابنته وهي أخت إبراهيم

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٠/١٩٧

(١) في ك: عن.

(٢) المراد بالظلم: الشرك، عند أكثر المفسرين، ينظر: تفسير الطبري ٧/ ٣٣١، والبغوي ٢/ ١١٢، والقرطبي ٧/ ٣٠.

(٣) ينظر: الكشاف ٢/ ٤٣، وتفسير القرطبي ٧/ ٣٠، والبحر المحيط ٤/ ١٧٦.

(٤) ينظر: مشكل إعراب القرآن ١/ ٢٥٩، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٣٢٩.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٤٢، وتفسير القرآن الكريم ٣/ ٢٨٠، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٢٥٩.

(٦) ينظر: تفسير القرآن الكريم ٣/ ٢٨١، وتفسير القرطبي ٧/ ٣٢.

(٧) النسخ الثلاث: أجاب.

(٨) في ك: أربيل.

(٩) ساقطة من ب، ولعل الصواب: صيدا.

(١٠) ليس في ع وب. وينظر: تفسير الطبري ٧/ ٣٤٠، والبغوي ٢/ ١١٣، ومجمع البيان ٤/ ١٠٤.

(١١) ينظر: البحر المحيط ٤/ ١٧٨.

(١٢) ينظر: تفسير القرآن الكريم ٣/ ٢٨١، وتفسير القرطبي ٧/ ٣٣.

(١٣) (نبأه الله. . . أخو) ليس في ب. وينظر: مجمع البيان ٤/ ١٠٤.." [(١)]

"فولدت لوطا (١)، ثم إن لوطا (٢) آمن بخاله إبراهيم وهاجر معه من بابل، ثم لحق (٣) بأهل بيته بمدينة سدوم، وهي ما بين الأردن إلى تخوم أرض العرب، ثم كان من أمره (٤) ما كان.

٨٧ - وهدينا جماعة من آبائهم (٥).

﴿واجتبيناهم:﴾ معطوف على ﴿هدينا﴾ (٦) [الأنعام:٨٤].

٨٩ - ﴿فإن يكفر بها هؤلاء:﴾ الهاء عائدة إلى (٧) ﴿الكتاب والحكم والنبوة،﴾ أو إلى (٨) القصة.

و (هؤلاء): إشارة إلى كفار مكة وأمثالهم (٩).

﴿وكلنا:﴾ قيضنا وألزمنا (١٠).

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٦١٩/١

﴿قوما،﴾ أي: المؤمنين إلى يوم القيامة (١١)، وعن ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي أنهم أهل المدينة (١٢)، وعن قتادة أيضا أنهم الأنبياء الذين سبق ذكرهم (١٣)، وعن أبي رجاء (١٤) أنهم الملائكة.

٩٠ - (الاقتداء): الائتمام (١٥) والاستنان.

ولزمنا شرائع من قبلنا بهذه الآية (١٦)، وقيل (١٧): وجب الاقتداء في الأصول دون الفروع.

و ﴿هو:﴾ ضمير يعود إلى القرآن (١٨).

---

(١) ينظر: مجمع البيان ٤/ ١٠٤.

(٢) (ثم إن لوطا) ليس في ب.

(٣) في ب: لحقه، والهاء مقحمة.

(٤) في ك وب: أبوه.

(٥) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ٣٤٢، ومجمع البيان ٤/ ١٠٤.

(٦) جعله أبو حيان معطوفا على (فضلنا) في البحر المحيط ٤/ ١٧٩، وتابعه السمين الحلبي في الدر المصون ٥/ ٣٠.

(٧) ساقطة من ب.

(٨) في ع: أول في، بدل (أو إلى). وينظر في عود الهاء: الكشاف ٢/ ٤٣، ومجمع البيان ٤/ ١٠٦، والبحر المحيط ٤/ ١٧٩.

(٩) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٤٢، وتفسير الطبري ٧/ ٣٤٣ - ٣٤٤، ومعاني القرآن الكريم ٢/ ٤٥٥.

(١٠) ينظر: مجمع البيان ٤/ ١٠٦.

(١١) ينظر: الكشاف ٢/ ٤٣، والتفسير الكبير ١٣/ ٦٨، والبحر المحيط ٤/ ١٧٩.

(١٢) وهو قول الفراء في معاني القرآن ١/ ٣٤٢، وينظر: تفسير الطبري ٧/ ٣٤٣ - ٣٤٤.

(١٣) ينظر: تفسير القرآن ٢/ ٢١٣، وتفسير الطبري ٧/ ٣٤٥، وتفسير القرآن الكريم ٣/ ٢٨٣.

(١٤) في ب: رحال. وينظر: تفسير الطبري ٧/ ٣٤٤، ومعاني القرآن الكريم ٢/ ٤٥٦، وتفسير البغوي ٢/ ١١٤.

(١٥) في ب: الاهتمام.

(١٦) ينظر: تفسير القرآن الكريم ٣/ ٢٨٣.

(١٧) ينظر: الكشاف ٢/ ٤٣، والبحر المحيط ٤/ ١٧٩ - ١٨٠.

(١٨) ينظر: تفسير القرآن الكريم ٣/ ٢٨٤، والوجيز ١/ ٣٦٤، والتفسير الكبير ١٣/ ٧٢.." [(١)]

"٧٨ - ﴿الرجفة:﴾ الحركة الشديدة، وهي الزلزلة في أرضهم والرعدة في أبدانهم عند الصيحة (١).

و (الجثوم) للناس والطير كالبروك للبعير والربوض للغنم (٢).

٧٩ - ﴿لا تحبون:﴾ خطاب لجنس الكفرة قاضيهم وتاليهم، أخبر عن عادتهم (٣).

٨٠ - ﴿ولوطا إذ قال لقومه﴾ (٤): وأرسلنا لوطا؛ لأن هذه الأقاصيص كلها منسوقة على قوله: ﴿لقد أرسلنا نوحا﴾ [الأعراف:٥٩] (٥).

وقوم لوط عليه السلام **هم سدوم وأدوما** وعمورا وصعورا وصابورا، يرجعون في النسب إلى بعض أولاد حام، أو من وقع في تلك الديار من العمالقة إن شاء الله. وهم أجهل خلق الله وأخبث الناس، كانوا كالأنعام بل هم أضل، ولهم أحكام وسير عجيبة لا تطرد على قضية (٦) وحي إلهي ولا عقل منطقي ولا عادة صالحة ولا شهوة طبيعية، منها ما زعموا أن غريبا دخل مدينتهم فرماه أحدهم ببندقة فشجه (٧)، (١١٩ و) ثم تعلق به (٨) يطالبه بدرهم، قال الغريب:

رميتني فشججتني ثم تطالبني بدرهم، قال: نعم هذا حكم الملك، وشهد له رجال منهم، فقال الغريب: حتى أرى الملك، فجروه (٩) إليه، فاحتال الغريب ليحصل ثلاث بنادق قبل أن أدخل على الملك، فلما أدخل عليه رماه بهن وشجه، فلم يجد بدا من (١٠) أن يعطيه ثلاثة دراهم إمضاء لحكمه، فأخذ الغريب الدراهم الثلاثة ودفع منها واحدا إلى خصمه، وأضمر الملك له حقدا وحاول عليه سبيلا ليقتله، فاستضافه على أجناس اللحمان، فلما جلس الغريب على المائدة بدأ (١١) بالسمك، فارتفعت الأصوات بوجوب القتل عليه، وأن له قبل القتل حاجة مقضية (١٢)، فقال الغريب: حاجتي أيها الملك أن تنادي في البلدان من شهد على غريب (١٣) بأكل السمكة

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٠٢، والتبيان في تفسير القرآن ٤/ ٤٥٤، وتفسير البغوي ٢/ ١٧٥.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ١/ ٦٢٠

(٢) ينظر: معاني القرآن الكريم ٣/ ٤٩، وزاد المسير ٣/ ١٥٤، والتفسير الكبير ١٤/ ١٦٦.

(٣) ينظر: التفسير الكبير ١٤/ ١٦٧.

(٤) بعدها في ك: وأرسلنا إذ قال لقومه، وهي مقحمة. وينظر قصة لوط عليه السلام في البدء والتاريخ ٣/ ٥٦ - ٦٠.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٣٥١، وإعراب القرآن ٢/ ١٣٧، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٢٩٦.

(٦) في ب: قصة.

(٧) في ك: شجه، والفاء ساقطة.

(٨) ساقطة من ع.

(٩) في ع: فجره.

(١٠) ساقطة من ب.

(١١) في ع: وبدأ.

(١٢) في ك وع: فقضيه.

(١٣) في ك: عرب.." [١]

"عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر، في غزوة تبوك، أمرهم أن لا يشربوا من بئر بها ولا يستقوا منها، فقالوا: قد عجنا منها واستقينا، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء" (١) . وقال نافع عن ابن عمر: فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهريقوا ما استقوا من آبارها وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة (٢) .

وروى أبو الزبير عن جابر قال: لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه: لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم، ثم قال: أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم، فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم ورودها، وأراهم مرتقى الفصيل من القارة، فعتوا عن أمر ربهم وعقروها، فأهلك الله تعالى من تحت أديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلا واحدا يقال له أبو رغال، وهو أبو ثقيف كان في حرم الله، فمنعه ١٣٣/ب حرم الله من عذاب الله، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب، وأراهم قبر أبي رغال، فنزل

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٦٧٥/١

القوم فابتدروا بأسيافهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن (٣) .

وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت، فلما دخلوها مات صالح فسمى حضرموت ثم بنى الأربعة آلاف مدينة يقال لها حاصوراء، قال قوم من أهل العلم توفي بمكة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وأقام في قومه عشرين سنة.

﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٨٠) إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون (٨١) ﴾

قوله تعالى: ﴿ولوطا﴾ أي: وأرسلنا لوطا. وقيل: معناه واذكر لوطا. وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن أخي إبراهيم، ﴿إذ قال لقومه﴾ وهم **أهل سدوم وذلك** أن لوطا شخص من أرض بابل [سافر] (٤) مع عمه إبراهيم عليه السلام مؤمنا به مهاجرا معه إلى الشام، فنزل إبراهيم فلسطين وأنزل

---

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله تعالى: "وإلى ثمود أخاهم صالحا": ٦ / ٣٧٨، ومسلم في الزهد، باب "لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم" برقم (٢٩٨١) : ٤ / ٢٢٨٦ بلفظ قريب.

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله تعالى: "وإلى ثمود أخاهم صالحا": ٦ / ٣٧٨.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير: ٨ / ٢٣٠ (طبع الحلبي) ، والإمام أحمد في المسند مختصرا: ٣ / ٢٩٦، وصححه الحاكم: ٢ / ٣٤٠-٣٤١، ووافقه الذهبي، وعزاه الهيثمي للطبراني في الأوسط والبزار وأحمد، وقال: رجال أحمد رجال الصحيح وعزاه أيضا ابن حجر لابن حبان. انظر: مجمع الزوائد: ٧ / ٣٧-٣٨، الكافي الشاف ص (٦٥) ، الدر المنثور: ٣ / ٤٩٢.

(٤) ساقط من "ب".." [1]

"لوطا الأردن، فأرسله الله عز وجل إلى **أهل سدوم فقال** لهم، ﴿أتأتون الفاحشة﴾ يعني: إتيان الذكران، ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ قال عمرو بن دينار ما يرى ذكر على ذكر في الدنيا إلا كان من قوم لوط.

﴿إنكم﴾ قرأ أهل المدينة وحفص (إنكم) بكسر الألف على الخبر، وقرأ الآخرون على الاستئناف، ﴿لتأتون الرجال﴾ في أدبارهم، ﴿شهوة من دون النساء﴾ فسر تلك الفاحشة يعني أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء، ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ مجاوزون الحلال إلى الحرام.

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٥٤/٣

قال محمد بن إسحاق: كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم الناس فآذوهم، فعرض لهم إبليس في صورة شيخ، فقال: إن فعلتم بهم كذا نجوتم، فأبوا فلما ألح عليهم الناس قصدوهم فأصابوهم غلمانا صباحا، فأخذوهم وقهروهم على أنفسهم فأخبثوا واستحكم ذلك فيهم. قال الحسن: كانوا لا ينكحون إلا الغرباء.

وقال الكلبي: إن أول من عمل عمل قوم لوط إبليس، لأن بلادهم أخصبت فانتجعها أهل البلدان، أي: فتمثل لهم إبليس في صورة شاب، ثم دعا إلى دبره، فنكح في دبره، فأمر الله تعالى السماء أن تحصبهم وأمر الأرض أن تخسف بهم.." [١]

"﴿قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين (٧١) لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون (٧٢) ﴾

﴿وجاء أهل المدينة﴾ **يعني سدوم** ﴿يستبشرون﴾ بأضياف لوط، أي: يبشر بعضهم بعضا، طمعا في ركوب الفاحشة منهم.

﴿قال﴾ لوط لقومه ﴿إن هؤلاء ضيفي﴾ وحق على الرجل إكرام ضيفه ﴿فلا تفضحون﴾ فيهم.

﴿واتقوا الله ولا تخزون﴾ ولا تخجلون.

﴿قالوا أولم ننهك عن العالمين﴾ أي: ألم ننهك عن أن تضيف أحدا من العالمين.

وقيل: ألم ننهك أن تدخل الغرباء المدينة، فإنا نركب منهم الفاحشة.

﴿قال هؤلاء بناتي﴾ أزوجهن إياكم إن أسلمتم (١) فأتوا الحلال ودعوا الحرام ﴿إن كنتم فاعلين﴾ ما آمركم به.

وقيل: أراد بالبنات نساء قومه لأن النبي كالوالد لأمته.

قال الله تعالى: ﴿لعمرك﴾ يا محمد أي وحياتك ﴿إنهم لفي سكرتهم﴾ حيرتهم وضلالتهم، ﴿يعمهون﴾ يترددون.

قال قتادة: يلعبون.

روي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما خلق الله نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم، وما أقسم الله تعالى بحياة أحد إلا بحياته (٢) .

---

(١) قال ابن عطية بعد أن ذكر الخلاف في تأويل قوله "بناتي" ... ويلزم من هذا التأويل أن يكون في

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٣/٢٥٥

شرعه جواز زواج الكافر للمؤمنة، وقد ورد أن المؤمنات به قليل جدا. وقال: ويحتمل أن يريد عليه السلام بقوله: "هؤلاء بناتي" بنات صلبه، ويكون ذلك على طريق المجاز، وهو لا يحقق في إباحة بناته، وهذا كما تقول لإنسان تراه يريد قتل آخر: اقتلني ولا تقتله، فإنما ذلك على جهة التشنيع عليه، والاستنزال من جهة ما، واستدعاء الحياء منه، وهذا كله من مبالغة القول الذي لا يدخله معنى الكذب، بل الغرض منه مفهوم، وعليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ولو كمفحص قطاة".. إلى غير هذا من الأمثلة. انظر: المحرر الوجيز: ٨ / ٣٣٧-٣٣٨.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير: ١٤ / ٤٤، والحارث بن أبي أسامة في مسنده، وأبو يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي في "الدلائل". وسكت عليه البوصيري. انظر: الدر المنثور: ٥ / ٨٩، المطالب العالية لابن حجر: ٣ / ٣٤٧.." (١)

"﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين (٣١) قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (٣٢) ﴾

﴿قال﴾ لوط: ﴿رب انصرني على القوم المفسدين﴾ بتحقيق قولي في العذاب.

﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ من الله بإسحاق ويعقوب، ﴿قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية﴾ يعني قوم لوط، والقرية سدوم، ﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾

﴿قال﴾ إبراهيم للرسل: ﴿إن فيها لوطا قالوا﴾ يعني: قالت الملائكة (١) ﴿نحن أعلم بمن فيها لننجينه﴾

---

(١) في "ب": الرسل، وهم الملائكة.." (٢)

"نصب يعني لا ترى أنت يا محمد إلا مساكنهم لأن السكان والأنعام بادت بالريح، فلم يبق إلا هود ومن آمن معه. ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ .

﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون (٢٦) ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون (٢٧) فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون (٢٨) ﴾

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٨٧/٤

(٢) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٤٠/٦

﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه﴾ يعني فيما لم نمكنكم فيه من قوة الأبدان وطول العمر وكثرة المال. قال المبرد: "ما" في قوله "فيما" بمنزلة الذي، و"إن" بمنزلة ما، وتقديره: ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه. ﴿وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ .

﴿ولقد أهلكنا ما حولكم﴾ يا أهل مكة، ﴿من القرى﴾ كحجر ثمود **وأرض سدوم ونحوهما**، ﴿وصرفنا الآيات﴾ الحجج والبينات، ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن كفرهم فلم يرجعوا، فأهلكناهم، يخوف مشركي مكة.

﴿فلولا﴾ فهلا ﴿نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة﴾ يعني الأوثان، اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله عز وجل، "القربان": كل ما يتقرب به إلى الله عز وجل، وجمعه: "قرابين"، كالرهبان والرهابين.

﴿بل ضلوا عنهم﴾ قال مقاتل: بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم، ﴿وذلك إفكهم﴾ أي كذبهم الذي كانوا يقولون إنها تقربهم إلى الله عز وجل وتشفع لهم، ﴿وما كانوا يفترون﴾ يكذبون أنها آلهة.." (١)

"بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته، من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم، ضجرا بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم. وقولهم إنهم أناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش، وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة، كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم: أبعدوا عنا هذا المتقشف «١» ، وأريحونا من هذا المتزهد وأهله ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين «٢» من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم، أى بقوا فهلكوا. والتذكير لتغليب الذكور على الإناث. وكانت كافرة موالية لأهل سدوم. وروى أنها التفتت فأصابها حجر فماتت. وقيل: كانت المؤتفكة خمس مدائن. وقيل: كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة، فأمطر الله عليهم الكبريت والنار. وقيل: خسف بالمقيمين منهم، وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم. وقيل: أمطر عليهم ثم خسف بهم. وروى أن تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه. فإن قلت:

أى فرق بين مطر وأمطر؟ قلت: يقال مطرتهم السماء وواد ممطور «٣» . وفي نوابغ الكلم: حرى غير ممطور. حرى أن يكون غير ممطور «٤» ومعنى مطرتهم: أصابتهم بالمطر، كقولهم. غاثتهم وو بلتهم وجادتهم ورهمتهم. ويقال: أمطرت عليهم كذا، بمعنى أرسلته عليهم إرسال المطر فأمطر علينا حجارة من السماء، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل. ومعنى وأمطرنا عليهم مطرا وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٦٤/٧

يعنى الحجارة. ألا ترى إلى قوله فساء مطر المنذرين.

---

(١) . قوله «أبعدوا عنا هذا المتقشف» المنقشف: هو الذي يتبلغ بالقوت وبالمرقع، من القشف: وهو التغير من الشمس أو الفقر اهـ. (ع)

(٢) . قوله «من ذويه أو من المؤمنين» يعنى أقاربه وامرأته. (ع)

(٣) . قال محمود: «يقال مطرتهم السماء وواد ممطور ... الخ» قال أحمد: مقصود المصنف الرد على من قول:

مطرت ١لسماء في الخير، وأمطرت في الشر. ويتوهم أنها تفرقة وضعية، فبين أن أمطرت: معناه أرسالات شيئا على نحو المطر وإن لم يكن ماء، حتى لو أرسل الله من السماء أتواعا من الخيرات والأرزاق مثلا كالمن والسلوى، لجاز أن يقال فيه: أمطرت السماء خيرات، أى أرسلتها إرسال المطر. فليس الشر خصوصية في هذه الصيغة الرباعية، ولكن اتفق أن السماء لم ترسل شيئا سوى المطر إلا وكان عذابا، فظن الواقع اتفاقا مقصودا في الوضع فنبه على تحقيق الأمر فيه وأحسن وأجمل.

(٤) . قوله «حرى غير ممطور حرى أن يكون غير ممطور» حرى الأول بمعنى ناحية وجانب. والثاني بمعنى جدير وحقيق. وممطور الأول بمعنى مصاب بالمطر. والثاني بمعنى مذهوب فيه. كذا يؤخذ من الصحاح. (ع)." [1]

"الأمر، فقال: إن دابر هؤلاء. وفي قراءة ابن مسعود: وقلنا إن دابر هؤلاء. ودابرهم: آخرهم، يعنى: يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٦٧ الى ٧٧]

وجاء أهل المدينة يستبشرون (٦٧) قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون (٦٨) واتقوا الله ولا تخزون (٦٩) قالوا أولم ننهك عن العالمين (٧٠) قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين (٧١)

لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون (٧٢) فأخذتهم الصيحة مشرقين (٧٣) فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (٧٤) إن في ذلك لآيات للمتوسمين (٧٥) وإنها لبسبيل مقيم (٧٦)

إن في ذلك لآية للمؤمنين (٧٧)

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٢٦/٢

أهل المدينة أهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور، مستبشرين بالملائكة فلا تفضحون بفضيحة ضيفي، لأن من أساء إلى ضيفه أو جاره فقد أساء إليه، كما أن من أكرم من يتصل به فقد أكرم ولا تخزون ولا تذلون بإذلال ضيفي، من الخزي وهو الهوان. أو ولا تشوروا «١» بى، من الخزاية وهي الحياء عن العالمين عن أن تجير منهم أحدا، أو تدفع عنهم، أو تمنع بيننا وبينهم، فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد، وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهى عن المنكر، والحجر بينهم وبين المتعرض له، فأوعدوه وقالوا: لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين. وقيل: عن ضيافة الناس وإنزالهم، وكانوا نهوه أن يضيف أحدا قط هؤلاء بناتي إشارة إلى النساء، لأن كل أمة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته، فكأنه قال لهم: هؤلاء بناتي فانكحوهن، وخلوا بنى فلا تتعرضوا لهم إن كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله، كأنه قال: إن فعلتم ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون. وقيل: إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم لعمرك على إرادة القول، أى قالت الملائكة للوط عليه السلام: لعمرك إنهم لفي سكرتهم أى غوايتهم التي أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطإ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم، من ترك البنين إلى البنات يعمهون

---

(١) . قوله «ولا تشوروا بى» في الصحاح «الشوار» فرج المرأة والرجل. ومنه قيل: شور به، أى كأنه أبدى عورته (ع)." [١]

"إليه من تكذيب الأنبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره. والتتبير: التفتيت والتكسير.

ومنه: التبر، وهو كسار الذهب والفضة والزجاج. وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا له الأمثال وهو: أنذرنا. أو: حذرنا. والثاني بتبرنا، لأنه فارغ له.

[سورة الفرقان (٢٥) : آية ٤٠]

ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا (٤٠)

أراد بالقرية «سدوم» من قرى قوم لوط، وكانت خمسا: أهلك الله تعالى أربعا بأهلها وبقيت واحدة. ومطر السوء: الحجارة، يعنى أن قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء أفلم يكونوا في مرار مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون بل كانوا قوما

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٥٨٥

كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة، فوضع الرجاء موضع التوقع، لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا، ومروا بها كما مرت ركابهم. أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم. أو لا يخافون، على اللغة التهامية.

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٤١ الى ٤٢]

وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا (٤١) إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا (٤٢)

إن الأولى نافية، والثانية مخففة من الثقيلة. واللام هي الفارقة بينهما. واتخذه هزوا:

في معنى استهزأ به، والأصل: اتخذه موضع هزؤ، أو مهزوءا به أهذا محكي بعد القول المضمر.

وهذا استصغار، وبعث الله رسولا وإخراجه في معرض التسليم والإقرار، وهم على غاية الجحود والإنكار سخرية واستهزاء، ولو لم يستهزءوا لقالوا: أهذا الذي زعم أو ادعى أنه مبعوث من عند الله رسولا. وقولهم إن كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم، وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم، مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام، لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم، ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى- لا من حيث الصنعة- مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدة الإمهال، ولا بد للوعيد أن يلحقهم فلا يغرنهم التأخير. وقوله من أضل سبيلا كالجواب." [1]

"وجدته في الإمام بحرف واحد بغير ياء، ورأيت الثاني بحرفين الياء والنون وقطع السبيل:

عمل قطاع الطريق، من قتل الأنفس وأخذ الأموال. وقيل: اعتراضهم السابلة بالفاحشة.

وعن الحسن: قطع النسل بإتيان ما ليس بحرث. والمنكر عن ابن عباس رضى الله عنهما هو الخذف بالحصى، والرمي بالبنادق، والفرقعة، ومضغ العلك، والسواك بين الناس، وحل الأزرار، والسباب، والفحش في المزاح. وعن عائشة رضى الله عنها: كانوا يتحابقون «١» .

وقيل السخرية بمن مر بهم. وقيل: المجاهرة في ناديهم بذلك العمل، وكل معصية فإظهارها أقبح من سترها، ولذلك جاء: من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له. ولا يقال للمجلس: ناد، إلا ما دام فيه أهله، فإذا قاموا عنه لم يبق ناديا إن كنت من الصادقين فيما تعدناه من نزول العذاب. كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢٨١/٣

كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولأنهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم، وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فأراد لوط عليه السلام أن يشتد غضب الله عليهم، فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه.

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٣١ الى ٣٢]

ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين (٣١) قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (٣٢)

بالبشرى هي البشارة بالولد. والنافلة: وهما إسحاق ويعقوب. وإضافة مهلكو إضافة تخفيف لا تعريف. والمعنى الاستقبال. **والقرية: سدوم التي** قيل فيها: أجور من **قاضى سدوم كانوا** ظالمين معناه أن الظلم قد استمر منهم إيجاده في الأيام السالفة، وهم عليه مصرون، وظلمهم: كفرهم وألوان معاصيهم إن فيها لوطا ليس إخبارا لهم بكونه فيها، وإنما هو جدال في شأنه، لأنهم لما عللوا إهلاك أهلها بظلمهم: اعترض عليهم بأن فيها من هو بريء من الظلم، وأراد بالجدال: إظهار الشفقة عليهم، وما يجب للمؤمن من التحزن لأخيه، والتشمر في نصرته وحياطته، والخوف من أن يمسه أذى أو يلحقه ضرر. قال قتادة: لا يرى المؤمن ألا يحوط المؤمن، ألا ترى إلى جوابهم بأنهم أعلم منه بمن فيها يعنون: نحن أعلم منك

---

(١) . قوله «كانوا يتحابقون» في الصحاح «الحبق» بالكسر: الردام. وفيه أيضا «الردام» بالضم: الحبق اه، وهو دور فلينظر حله، ثم رأيت فيه في مادة «ضرط» الضراط: الردام، وقد ضرط يضرط ضرطا بكسر الزاء، مثال: حبق يحبق حبقا اه فالتحابق: المضارطة، كما عبر النسفي. (ع)." [1]

"[سورة الأحقاف (٤٦) : آية ٢٧]

ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون (٢٧)

ما حولكم يا أهل مكة من القرى من نحو حجر ثمود **وقرية سدوم وغيرهما**. والمراد: أهل القرى. ولذلك قال لعلهم يرجعون

[سورة الأحقاف (٤٦) : آية ٢٨]

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٤٥٢

فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون (٢٨)
القربان: ما تقرب به إلى الله تعالى، أى: اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله، حيث قالوا:
هؤلاء شفعاؤنا عند الله. وأحد مفعولي اتخذ الراجع إلى الذين «١» المحذوف «٢» ، والثاني:
آلهة. وقربانا: حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى. وقرئ قربانا بضم الراء. والمعنى: فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم بل ضلوا عنهم أى غابوا عن نصرتهم وذلك إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم، أى: وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة، وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء. وقرئ:
إفكهم: والأفك والإفك: كالحذر والحذر. وقرئ: وذلك إفكهم، أى: وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق. وقرئ: أفكهم على التشديد للمبالغة. وآفكهم:
جعلهم آفكين. وآفكهم، أى: قولهم الآفك ذو الإفك، كما تقول قول كاذب، وذلك إفك مما كانوا يفترون، أى: بعض ما كانوا يفترون من الإفك.

[سورة الأحقاف (٤٦) : الآيات ٢٩ الى ٣٢]
وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين (٢٩) قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم (٣٠) يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم (٣١) ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين (٣٢)

---

(1) . قال محمود: «أحد مفعولي اتخذ الراجع إلى الموصول محذوف ... الخ» قال أحمد: لم يتبين وجه فساد المعنى على هذا الاعراب. ونحن نبينه فنقول: لو كان قربانا مفعولا ثانيا ومعناه متقربا بهم: لصار المعنى إلى أنهم وبخوا على ترك اتخاذ الله متقربا به، لأن السيد إذا ونخ عبده وقال: اتخذت فلانا سيدا دوني، فإنما معناه اللوم على نسبة السيادة إلى غيره، وليس هذا المقصد، فان الله تعالى يتقرب إليه ولا يتقرب به لغيره، فإنما وقع التوبيخ على نسبة الالهية إلى غير الله تعالى، فكان حق الكلام أن يكون آلهة

هو المفعول الثاني لا غير.

(٢) . قوله «اتخذ الراجع إلى الذين المحذوف» هو الذي أبرزه في قوله: أى اتخذوهم. (ع)." [١]

"ومنه «إرجاف» النفوس لكريه الأخبار أي تحريكها، وروي أن صيحة ثمود كان فيها من صوت كل شيء هائل الصوت، وكانت مفرطة شقت قلوبهم فجثوا على صدورهم والجاثم اللاطئ بالأرض على صدره مع قبض ساقيه كما يرقد الأرنب والطير، فإن جثومها على وجهها، ومنه قول جرير: [الوافر] .

عرفت المنتأى وعرفت منها ... مطايا القدر كالحدأ الجثوم

وقال بعض المفسرين معناه حمما محترقين كالرماد الجاثم.

قال القاضي أبو محمد: وحيث وجد الرماد الجاثم في شعر فإنما هو مستعار لهيئة الرماد قبل همود وتفرقه، وذهب صاحب هذا القول إلى أن الصيحة اقترن بها صواعق محرقة.

وأخبر الله عز وجل بفعل «صالح» في توليه عنهم وقت «عقرهم» الناقة وقولهم ائتنا بما تعدنا وذلك قبل نزول العذاب وكذلك روي أنه عليه السلام خرج من بين أظهرهم قبل نزول العذاب وهو الذي تقتضيه مخاطبته لهم، وأما لفظ الآية فيحتمل أن خاطبهم وهم موتى على جهة التفجع عليهم وذكر حالهم أو غير ذلك كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل قليب بدر، قال الطبري: وقيل لم تهلك أمة ونبيها معها، وروي أنه ارتحل بمن معه حتى جاء مكة فأقام بها حتى مات، ولفظة التولي تقتضي اليأس من خيرهم واليقين في إهلاكهم. وقوله: لا تحبون الناصحين عبارة عن تغليبهم الشهوات على الرأي، إذ كلام الناصح صعب مضاد لشهوة نفس الذي ينصح، ولذلك تقول العرب أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك.

قوله عز وجل:

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٨٠ الى ٨٤]

ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٨٠) إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون (٨١) وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون (٨٢) فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (٨٣) وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين (٨٤)

«لوط» عليه السلام بعثه الله إلى أمة تسمى سدوم وروي أنه ابن أخي إبراهيم عليه السلام، ونصبه إما

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٣١٠

أرسلنا المتقدم في الأنبياء وإما بفعل مضمر تقديره واذكر لوطا واستفهامه لهم هو على جهة التوقيف والتوبيخ والتشنيع، والفاحشة هنا إتيان الرجال في الأدبار، وروي أنه لم تكن هذه المعصية في أمم قبلهم.
قال القاضي أبو محمد: وإن كان لفظ الآية يقتضي هذا فقد كانت الآية تحتمل أن يراد بها ما سبقكم أحد إلى لزومها وتشهيرها وروي أنهم إن كانوا يأتي بعضهم بعضا، وروي أنهم إنما كانوا «يأتون» الغرباء قاله الحسن البصري، قال عمرو بن دينار ما زنا ذكر على ذكر قبل قوم «لوط» ، وحكى النقاش: أن إبليس كان أصل عملهم بأن دعاهم إلى نفسه، وقال بعض العلماء عامل اللواط كالزاني، وقال مالك رحمه الله." [1]

"التاء وضم الشين، وقول إبراهيم عليه السلام فبم تبشرون تقرير على جهة التعجب والاستبعاد لكبرهما، أو على جهة الاحتقار وقلة المبالاة بالمسرة الدنيوية لمضي العمر واستيلاء الكبر. قال مجاهد: عجب من كبره ومن كبر امرأته، وقد تقدم ذكر سنه وقت البشارة. وقولهم بشرناك بالحق فيه شدة ما، أي بشر بما بشرت به ودع غير ذلك، وقرأ جمهور الناس «القانطين» ، والقنوط: أتم اليأس، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وابن مصرف ورويت عن عمرو «القنطين» ، وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة، «ومن يقنط» بفتح النون في كل القرآن، وقرأ أبو عمرو والكسائي «ومن يقنط» بكسر النون، وكلهم قرأ من بعد ما قنطوا [الشورى: ٢٨] بفتح النون، ورد أبو عبيد قراءة أهل الحرمين وأنكر أن يقال قنط بكسر النون، وليس كما قال لأنهم لا يجمعون إلا على قوي في اللغة مروي عندهم، وهي قراءة فصيحة إذ يقال قنط يقنط وقنط يقنط مثل نقم ونقم، وقرأ الأعمش هنا «يقنط» بكسر النون، وقرأ من بعد ما قنطوا [الشورى: ٢٨] بكسر النون أيضا، فقرأ باللغتين، وقرأ الأشهب «يقنط» بضم النون وهي قراءة الحسن والأعمش أيضا وهي لغة تميم.
قوله عز وجل:

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٥٧ الى ٦٥]
قال فما خطبكم أيها المرسلون (٥٧) قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين (٥٨) إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين (٥٩) إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين (٦٠) فلما جاء آل لوط المرسلون (٦١)
قال إنكم قوم منكرون (٦٢) قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون (٦٣) وأتيناك بالحق وإنا لصادقون (٦٤) فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون (٦٥)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٢٤/٢

القائل هنا إبراهيم عليه السلام، وقوله: فما خطبكم سؤال فيه عنف، كما تقول لمن تنكر حاله: ما دهاك وما مصيبتك؟ وأنت إنما تريد استفهاما عن حاله فقط. لأن «الخطب» لفظة إنما تستعمل في الأمور الشداد، على أن قول إبراهيم عليه السلام أيها المرسلون وكونهم أيضا قد بشروه يقتضي أنه قد كان عرف أنهم ملائكة حين قال فما خطبكم، فيحتمل قوله فما خطبكم مع هذا أنه أضاف الخطب إليهم من حيث هم حملته إلى القوم المعذبين أي ما هذا الخطب الذي تتحملونه وإلى أي أمة. ول قوم مجرمين يراد به أهل مدينة سدوم الذين بعث فيهم لوط عليه السلام، والمجرم الذي يجر الجرائر ويرتكب المحظورات، وأصل جرم وأجرم كسب، ومنه قول الشاعر: [الوافر] جريمة ناهض في رأس نيق أي كسب عقاب في قنة شامخ، ولكن اللفظة خصت في عرفها بالشر، لا يقال لكاسب الأجر مجرم، وقولهم إلا آل استثناء منقطع، والأول القوم الذين يؤول أمرهم إلى المضاف إليه، كذا قال سيبويه، وهذا نص في أن لفظة آل ليست لفظة أهل كما قال النحاس، ويجوز على هذا إضافة آل إلى الضمير، وأما أهيل فتصغير أهل، واجتزوا به عن تصغير «آل» ، فرفضوا «أويلا» وقرأ جمهور السبعة." (١)

"شعيب عليه السلام، وقاله وهب بن منبه وقال علي رضي الله عنه في كتاب الثعلبي أصحاب الرس قوم عبدوا شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت، رسوا نبيهم في بير حفروه له في حديث طويل، والرس في اللغة كل محفور من بير أو قبر أو معدن ومنه قول الشاعر [النابغة الجعدي] : [المتقارب]

سبقت إلى فرط بأهل ... تنابلة يحفرون الرساسا

وروى عكرمة ومحمد بن كعب القرظي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الرس المشار إليهم في هذه الآية قوم أخذوا نبيهم فرسوه في بير وأطبقوا عليه صخرة، قال فكان عبد أسود قد آمن به يجيء بطعام إلى تلك البير فيعينه الله على تلك الصخرة إلى أن ضرب الله يوما على أذن ذلك الأسود بالنوم أربع عشرة سنة وأخرج أهل القرية نبيهم فآمنوا به في حديث طويل، قال الطبري فيمكن أنهم كفروا به بعد ذلك فذكرهم الله في هذه الآية، وقوله وقرونا بين ذلك كثيرا إبهام لا يعلم حقيقته إلا الله عز وجل وقد تقدم شرح القرن وكم هو، ومن هذا اللفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى، ويروى أن ابن عباس قاله، «كذب النسابون من فوق عدنان لأن الله تعالى أخبر عن كثير من الخلق والأمم ولم يحد» ، ثم قال تعالى إن كل هؤلاء «ضرب له الأمثال» ، ليهتدي فلم يهتد، «فتبره» الله أي أهلكه، والتبار الهلاك ومنه تبر الذهب أي المكسر المفتت، وكذلك يقال لفتات الرخام والزجاج تبر، وقال ابن جبير إن أصل الكلمة نبطي ولكن

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣/٣٦٦

العرب قد استعملته.

قوله عز وجل:

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٤٠ الى ٤٤]

ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا (٤٠) وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا (٤١) إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا (٤٢) أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٤٣) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (٤٤)

قال ابن عباس وابن جريج والجماعة الإشارة إلى مدينة قوم لوط **وهي سدوم بالشام**، ومطر السوء حجارة السجيل، وقرأ أبو السمال «السوء» بضم السين المشددة، ثم وقفهم على إعراضهم وتعرضهم لسخط الله بعد رؤيتهم العبرة من تلك القرية، ثم حكم عليهم أنهم إذا رأوا محمدا صلى الله عليه وسلم استهزؤوا به واستحقروه وأبعدوا أن يبعثه الله رسولا، فقالوا على جهة الاستهزاء أهذا الذي بعث الله رسولا وفي بعث ضمير يعود على الذي حذف اختصارا وحسن ذلك في الصلة، ثم أنس النبي صلى الله عليه وسلم عن كفرهم بقوله أرأيت من اتخذ إلهه هواه الآية، والمعنى لا تتأسف عليهم ودعهم لرأيهم ولا تحسب أنهم على ما يجب من التحصيل والعقل بل هم كالأنعام في الجهل بالمنافع وقلة التحسس للعواقب، ثم حكم بأنهم أضل سبيلا من حيث لهم الفهم وتركوه، و «الأنعام» لا سبيل لهم." (١)

"نأكل إلا ما أدينا ثمنه. فقال إبراهيم وأنا لا أبيحه لكم إلا بثمن. قالوا: وما هو؟ قال: أن تسموا الله تعالى عند الابتداء وتحمدوه عند الفراغ من الأكل. فقال بعضهم لبعض: بحق اتخذه الله خليلا. فلما استمروا على ترك الأكل أوجس منهم خيفة. والوجيس تحسيس النفس وخواطرها في الحذر. وذلك أن أكل الضيف أمنة ودليل على انبساط نفسه والطعام حرمة وذمام. والامتناع منه وحشة. فخشي إبراهيم عليه السلام أن امتناعهم من أكل طعامه إنما هو لشر يريدونه، فقالوا له: لا تخف وعرفوه أنهم ملائكة، وبشروه وبشروا سارة معه بغلام عليم. أي عالم في حال تكليفه وتحصيله، أي سيكون عليما و: عليم بناء مبالغة. وجمهور الناس على أن الغلام هنا إسحاق ابن سارة الذي ذكرت البشارة به في غير موضع. وقال مجاهد، وهذا الغلام هو إسماعيل. والأول أرجح، وهذا وهم. ويروى أنه إنما عرف كونهم ملائكة استدلالا من بشارتهم

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/ ٢١١

إياه بغيب.

وقوله تعالى: فأقبلت امرأته يحتمل أن يكون قربت إليهم من ناحية من نواحي المنزل، ويحتمل أن يكون هذا الإقبال كما تقول: أقبل فلان يشتمني، أو يفعل كذا إذا جد في ذلك وتلبس به، والصرة: الصيحة، كذا فسره ابن عباس ومجاهد وسفيان والضحاك، والمصطر الذي يصيح وقال قتادة معناه: في رقة. وقال الطبري قال بعضهم أوه بصياح وتعجب. قال النحاس: وقيل: في صرة في جماعة نسوة يتبادرن نظرا إلى الملائكة.

وقوله: فصكت وجهها، معناه: ضربت وجهها، قال ابن عباس: لطمت، وهذا مما يفعله الذي يرد عليه أمر يستهوله. وقال سفيان والسدي ومجاهد معناه: ضربت بكفها جبهتها وهذا مستعمل في الناس حتى الآن.

وقولها: عجوز عقيم، إما أن يكون تقديره: أنا عجوز عقيم فكيف ألد؟ وإما أن يكون التقدير: عجوز عقيم تكون منها ولادة، وقدره الطبري: أتلد عجوز عقيم. ويروى أنها كانت لم تلد قط. والعقيم من النساء التي لا تلد، ومن الرياح التي لا تلقح شجرا، فهي لا بركة فيها، وقولهم:

كذلك قال ربك أي كقولنا الذي أخبرناك قال ربك أن يكون. و: الحكيم ذو الحكمة.

و: العليم معناه بالمصالح وغير ذلك من العلومات ثم قال إبراهيم عليه السلام للملائكة: فما خطبكم والخطب: الأمر المهم، وقل ما يعبر به إلا عن الشدائد والمكاره حتى قالوا: خطوب الزمان ونحو هذا، فكأنه يقول لهم: ما هذه الطامة التي جئتم لها؟ فأخبروه حينئذ أنهم أرسلوا **إلى سدوم قرية** لوط بإهلاك أهلها الكفرة العاصين المجرمين. والمجرم: فاعل الجرائم، وهي صعاب المعاصي: كفر ونحوه واحدتها جريمة. وقولهم: لنرسل عليهم أي لنهلكهم بهذه الحجارة. ومتى اتصلت «أرسل» ب «على» : فهي بمعنى المبالغة في المباشرة والعذاب. ومتى اتصلت ب «إلى» ، فهي أخف. وانظر ذلك تجده مطردا.

وقوله تعالى: حجارة من طين بيان يخرج عن معتاد حجارة البرد التي هي من ماء. ويروى أنه طين طبخ في نار جهنم حتى صار حجارة كالآجر. و: مسومة نعت ل حجارة، وقيل معناه متروكة وسومها من الإهلاك والانصباب. وقيل معناه: معلمة بعلامتها من السيما والسومى وهي العلامة، أي إنها ليست من حجارة الدنيا، وقال الزهراوي والرماني، وقيل معناه: على كل حجر اسم المضروب به. وقال." (١)

"الرماني وقيل كان عليها أمثال الخواتم. وقال ابن عباس: تسويمها إن كان في الحجارة السود نقط بيض وفي البيض سود. ويحتمل أن يكون المعنى: أنها بجملتها معلومة عند ربك لهذا المعنى معلمة له.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٧٨/٥

لا أن كل واحد منها له علامة خاصة به. والمسرف: الذي يتعدى الطور، فإذا جاء مطابقا فهو لأبعد الغايات الكفر فما دونه.

ثم أخبر تعالى أنه أخرج بأمره من كان في قرية لوط من المؤمنين منجيا لهم. وأعاد الضمير على القرية. ولم يصرح لها قبل ذلك بذكر لشهرة أمرها. ولأن القوم المجرمين معلوم أنهم في قرية ولا بد. قال المفسرون: ولا فرق بين تقدم ذكر المؤمنين وتأخره، وإنما هما وصفان ذكرهم أولا بأحدهما ثم آخر بالثاني. قال الرماني: الآية دالة على أن الإيمان هو الإسلام.

قال القاضي أبو محمد: ويظهر إلي أن في المعنى زيادة تحسن التقديم للإيمان، وذلك أنه ذكره مع الإخراج من القرية، كأنه يقول: نفذ أمرنا بإخراج كل مؤمن، ولا يشترط فيه أن يكون عاملا بالطاعات. بل التصديق بالله فقط.

ثم لما ذكر حال الموحدين ذكرهم بالصفة التي كانوا عليها، وهي الكاملة التصديق والأعمال، والبيت من المسلمين: هو بيت لوط، وكان هو وابنتاه، وقيل وبنته. وفي كتاب الثعلبي: وقيل لوط وأهل بيته ثلاثة عشر، وهلكت امرأته فيمن هلك، وهذه القصة بجملتها ذكرت على جهة المثال لقريش. أي أنهم إذا كفروا وأصابهم مثل ما أصاب هؤلاء المذكورين.

قوله عز وجل:

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٣٧ الى ٤٤]

وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم (٣٧) وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين (٣٨) فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (٣٩) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم (٤٠) وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم (٤١)

ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم (٤٢) وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣) فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون (٤٤)

المعنى: وتركنا في القرية المذكورة، **وهي سدوم أثرا** من العذاب باقيا مؤرخا لا يفنى ذكره فهو: آية أي علامة على قدرة الله وانتقامه من الكفرة. ويحتمل أن يكون. والمعنى: وتركنا في أمرها كما قال: لقد كان في يوسف [يوسف: ٧] وقال ابن جريج: ترك فيها حجرا منضودا كثيرا جدا.

و: للذين يخافون العذاب هم العارفون بالله تعالى.

وقوله تعالى: وفي موسى يحتمل أن يكون عطفا على قوله فيها أي وتركنا في موسى وقصته أثرا أيضا هو

آية. ويحتمل أن يكون عطفا على قوله قيل: وفي الأرض آيات [الذاريات: ٢٠] ، وفي موسى. و: فرعون هو صاحب مصر. والسلطان في هذه الآية الحجة و: (تولى) معناه: فأعرض وأدبر عن أمر الله و: بركنه بسلطانه وجنده وشدة أمره. وهو الأمر الذي يركن فرعون إليه ويسند في." [1]

"لوط، فأتوها عشاء. وقال السدي عن أشياخه: أتوها نصف النهار، فلما بلغوا **نهر سدوم لقوا** بنت لوط تستقي الماء لأهلها، فقالوا لها: يا جارية، هل من منزل؟ قالت: نعم، مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم، فرقا عليهم من قومها فأتت أباها، فقالت: يا أبتاه، أدرك فتيانا على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم هي أحسن منهم، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجلا فجاء بهم، ولم يعلم بهم أحد إلا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها، فجاؤوا يهرعون إليه.

قوله تعالى: سيء بهم فيه قولان: أحدهما: ساء ظنه بقومه، قاله ابن عباس. والثاني: ساءه مجيء الرسل، لأنه لم يعرفهم، وأشفق عليهم من قومه، قاله ابن جرير. قال الزجاج: وأصل «سيء بهم» سوئ بهم، من السوء، إلا أن الواو أسكنت ونقلت كسرتها إلى السين.

قوله تعالى: وضاق بهم ذرعا قال ابن عباس: ضاق ذرعا بأضيافه. قال الفراء: الأصل فيه:

وضاق ذرعه بهم، فنقل الفعل عن الذرع إلى ضمير لوط، ونصب الذرع بتحول الفعل عنه، كما قال:

واشتعل الرأس شيبا «١» ومعناه: اشتعل شيب الرأس. قال الزجاج: يقال: ضاق فلان بأمره ذرعا:

إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر مخلصا. وذكر ابن الأنباري فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه:

وقع به مكروه عظيم لا يصل إلى دفعه عن نفسه فالذرع كناية عن هذا المعنى. والثاني: أن معناه:

ضاق صبره وعظم المكروه عليه وأصله من: ذرع فلانا القيء: إذا غلبه وسبقه. والثالث: أن المعنى:

ضاق بهم وسعه، فناب الذرع والذراع عن الوسع، لأن الذراع من اليد، والعرب تقول: ليس هذا في يدي، يعنون: ليس هذا في وسعي ويدل على صحة هذا أنهم يجعلون الذراع في موضع الذرع، فيقولون: ضقت بهذا الأمر ذراعا، قال الشاعر:

إليك إليك ضاق بهم ذراعا

فأما العصيب، فقال أبو عبيدة: العصيب: الشديد الذي يعصب الناس بالشر، وأنشد:

يوم عصيب يعصب الأبطالا ... عصب القوي السلم الطوالا

وقال أبو عبيد: يقال: يوم عصيب ويوم عصبصب: إذا كان شديدا.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٧٩/٥

قوله تعالى: يهرعون إليه قال ابن عباس، ومجاهد: «يهرعون» يسرعون. وقال الفراء، والكسائي: لا يكون الإهراع إلا إسراعا مع رعدة. قال ابن قتيبة: الإهراع شبيه بالرعدة، يقال: أهرع الرجل: إذا أسرع، على لفظ ما لم يسم فاعله، كما يقال: أرعد. قال ابن الأنباري: الإهراع فعل واقع بالقوم وهو لهم في المعنى، كما قالت العرب: قد أولع الرجل بالأمر، فجعلوه مفعولا، وهو صاحب الفعل، ومثله: أرعد زيد، وسهي عمرو من السهو، كل واحد من هذه الأفاعيل خرج الاسم معه مقدرا تقدير المفعول، وهو صاحب الفعل لا يعرف له فاعل غيره. قال: وقال بعض النحويين: لا يجوز للفعل أن يجعل فاعله مفعولا، وهذه الأفعال المذكورة فاعلوها محذوفون، وتأويل «أولع زيد» : أولعه طبعه وجبلته، و «أرعد الرجل» : أرعده غضبه، و «سهي عمرو» جعله ساهيا ماله أو جهله، و «أهرع» معناه: أهرعه خوفه ورعبه فلهذه العلة خرج هؤلاء الأسماء مخرج المفعول به. قال: وقال بعض

---

(١) سورة مريم: ٤.." (١)

"ذكرناها في سورة براءة «١» ، ونحن نشير إلى قصة هلاكهم ها هنا.

قال ابن عباس: أمر جبريل لوطا بالخروج، وقال: اخرج وأخرج غنمك وبقرك، فقال: كيف لي بذلك وقد أغلقت أبواب المدينة؟ فبسط جناحه، فحمله وبنتيه وما لهم من شيء، فأخرجهم من المدينة، وسأل جبريل ربه، فقال: يا رب ولني هلاك هؤلاء القوم، فأوحى الله إليه أن تول هلاكهم فلما أن بدا الصبح، غدا عليهم جبريل فاحتملها على جناحه، ثم صعد بها حتى خرج الطير في الهواء لا يدري أين يذهب، ثم كفأها عليهم، وسمعوا وجبة «٢» شديدة، فالتفتت امرأة لوط، فرماها جبريل بحجر فقتلها، ثم صعد حتى أشرف على الأرض، فجعل يتبع مسافرهم ورعاتهم ومن تحول عن القرية، فرماهم بالحجارة حتى قتلهم. وقال السدي: اقتلع جبريل الأرض من سبع أرضين، فاحتملها حتى بلغ بها إلى أهل السماء الدنيا، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم، ثم قلبها. وقال غيره: كانت خمس قرى، أعظمها سدوم، وكان القوم أربعة آلاف ألف. وقيل: كان في كل قرية مائة ألف مقاتل، فلما رفعها إلى السماء، لم ينكسر لهم إناء ولم يسقط حتى قلبها عليهم. وقيل: نجت من الخمس واحدة لم تكن تعمل مثل عملهم. وانفرد سعيد بن جبير، فقال: إن جبريل وميكائيل توليا قلبها.

قوله تعالى: وأمطرنا عليها في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرى. والثاني:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/٣٨٩

إلى الأمة. وفي السجيل سبعة أقوال «٣» :
أحدها: أنها بالفارسية سنك وكل، السنك: الحجر، والكل: الطين، هذا قول ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير. وقال مجاهد: أولها حجر، وآخرها طين. وقال الضحاك: يعني الآجر.
قال ابن قتيبة: من ذهب إلى هذا القول، اعتبره بقوله: حجارة من طين يعنى الآجر. وحكى الفراء أنه طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الرحاء «٤» . والثاني: أنه بحر معلق في الهواء بين السماء والأرض، ومنه نزلت الحجارة، قاله عكرمة. والثالث: أن السجيل: اسم السماء الدنيا، فالمعنى: حجارة من السماء الدنيا، قاله ابن زيد. والرابع: أنه الشديد من الحجارة الصلب، قاله أبو عبيدة، وأنشد لابن مقبل:
ضربا تواصت به الأبطال سجينا «٥» ورد هذا القول ابن قتيبة، فقال: هذا بالنون، وذاك باللام، وإنما هو في هذا البيت فعيل من سجنت، أي: حبست، كأنه يثبت صاحبه. والخامس: أن قوله: من سجيل كقولك: من سجل، أي: مما كتب لهم أن يعذبوا به، وهذا اختيار الزجاج. والسادس: أنه من أسجلته، أي: أرسلته، فكأنها مرسلة عليهم. والسابع: أنه من أسجلت: إذا أعطيت، حكى القولين الزجاج.

(١) الآية: ٧٠.
(٢) في «اللسان» الوجبة: صوت الشيء يسقط فيسمع له كالهدة.
(٣) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٩٣: والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله المفسرون، وهو أنها حجارة من طين، وبذلك وصفها الله في كتابه في موضع، وذلك قوله: لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين سورة الذاريات: ٣٣- ٣٤.
(٤) وقع في نسخة: «الأرحاء» ، وفي «اللسان» الرحاء من الرحا: الحجارة والصخرة العظيمة.
(٥) هو عجز بيت، وصدره في «اللسان» مادة «سجن» : ورجلة يضربون البيض عن عرض.." [1]
"[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٦٧ الى ٧١]
وجاء أهل المدينة يستبشرون (٦٧) قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون (٦٨) واتقوا الله ولا تخزون (٦٩) قالوا أولم ننهك عن العالمين (٧٠) قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين (٧١)
قوله تعالى: وجاء أهل المدينة وهي قرية لوط، **واسمها سدوم** «١» ، يستبشرون بأضياف لوط، طمعا في ركوب الفاحشة، فقال لهم لوط: إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون أي: بقصدكم إياهم بالسوء، يقال: فضحه

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/٣٩٣

يفضحه: إذا أبان من أمره ما يلزمه به العار. وقد أثبت يعقوب ياء «تفضحون» ، وياء «تخزون» في الوصل والوقف.

قوله تعالى: أولم ننهك عن العالمين أي: عن ضيافة العالمين.

قوله تعالى: بناتي إن كنتم حرك ياء «بناتي» نافع، وأبو جعفر.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٧٢ الى ٧٧]

لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون (٧٢) فأخذتهم الصيحة مشرقين (٧٣) فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (٧٤) إن في ذلك لآيات للمتوسمين (٧٥) وإنها لبسبيل مقيم (٧٦)

إن في ذلك لآية للمؤمنين (٧٧)

قوله تعالى: لعمرك فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: وحياتك يا محمد، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثاني: لعيشك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الأخفش، وهو يرجع إلى معنى الأول. والثالث: أن معناه: وحقك على أمتك، تقول العرب: لعمر الله لا أقوم، يعنون:

وحق الله، ذكره ابن الأنباري، قال: وفي العمر ثلاث لغات: عمر وعمر، وعمر، وهو عند العرب:

البقاء. وحكى الزجاج أن الخليل وسيبويه وجميع أهل اللغة قالوا: العمر والعمر في معنى واحد، فإذا استعمل في القسم، فتح لا غير، وإنما آثروا الفتح في القسم، لأن الفتح أخف عليهم، وهم يؤثرون القسم ب «لعمري» و «لعمرك» فلما كثر استعمالهم إياه، لزموا الأخف عليهم، قال: وقال النحويون:

ارتفع «لعمرك» بالابتداء، والخبر محذوف، والمعنى: لعمرك قسمي، ولعمرك ما أقسم به، وحذف الخبر، لأن في الكلام دليلا عليه. المعنى: أقسم إنهم لفي سكرتهم يعمهون وفي المراد بهذه السكرة قولان: أحدهما: أنها بمعنى الضلالة، قاله قتادة. والثاني: بمعنى الغفلة، قاله الأعمش، وقد شرحنا معنى العمه في سورة البقرة «٢» . وفي المشار إليهم بهذا قولان: أحدهما: أنهم قوم لوط، قاله الأكثرون. والثاني: قوم نبينا صلى الله عليه وسلم، قاله عطاء.

قوله تعالى: فأخذتهم الصيحة يعني: صيحة العذاب، وهي صيحة جبريل عليه السلام.

مشرقين قال الزجاج: يقال: أشرقنا، فنحن مشرقون: إذا صادفوا شروق الشمس وهو طلوعها، كما يقال: أصبحنا: إذا صادفوا الصبح، يقال: شرقت الشمس: إذا طلعت، وأشرقت: إذا أضاءت وصفت، هذا أكثر اللغة. وقد قيل: شرقت وأشرقت في معنى واحد، إلا أن «مشرقين» في معنى

(١) في «معجم البلدان» ٣/ ٢٠٠: «سدوم» هي «سرمين» بلدة من أعمال حلب معروفة عامرة عندهم.
(٢) عند الآية: ١٥.." [١]

"قدرته، فقال: إذن لا يقبل الله منك ما كنت على دينك، فقال: يا إبراهيم، لا أستطيع ترك ملكي، ولكن سوف أذبح له، فذبح القربان وكف عن إبراهيم.

قال المفسرون: ومعنى: «كوني بردا» أى: ذات برد، «وسلاما» أي: سلامة. وأرادوا به كيدا وهو التحريق بالنار فجعلناهم الأخسرين وهو أن الله تعالى سلط البعوض عليهم حتى أكل لحومهم وشرب دماءهم، ودخلت واحدة في دماغ نمرود حتى أهلكته، والمعنى: أنهم كادوه بسوء. فانقلب السوء عليهم. قوله تعالى: ونجيناه أي: من نمرود وكيده ولوطا وهو ابن أخي إبراهيم، وهو لوط بن هاران بن تارخ، وكان قد آمن به، فهاجرا من أرض العراق إلى الشام. وكانت سارة مع ابراهيم في قول وهب. وقال السدي: إنما هي إبنة ملك حران، لقيها إبراهيم فتزوجها على أن لا يغيرها، وكانت قد طعنت على قومها في دينهم.

فأما قوله تعالى: إلى الأرض التي باركنا فيها، ففيها قولان: أحدهما: أنها أرض الشام، وهذا قول الأكثرين. وبركتها: أن الله تعالى بعث أكثر الأنبياء منها، وأكثر فيها الخصب والثمار والأنهار.

والثاني: أنها مكة، رواه العوفي عن ابن عباس. والأول أصح.

قوله تعالى: ووهبنا له يعني: إبراهيم إسحاق ويعقوب نافلة. وفي معنى النافلة قولان:

أحدهما: أنها بمعنى الزيادة، والمراد بها: يعقوب خاصة، فكأنه سأل واحدا، فأعطي اثنين، وهذا مذهب ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، والفراء. والثاني: أن النافلة بمعنى العطية، والمراد بها: إسحاق ويعقوب، وهذا مذهب مجاهد، وعطاء. قوله تعالى: وكلا جعلنا صالحين يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، قال أبو عبيدة: «كل» يقع خبره على لفظ الواحد، لأن لفظه لفظ الواحد، ويقع خبره على لفظ الجميع، لأن معناه معنى الجميع.

قوله تعالى: وجعلناهم أئمة أي: رؤوسا يقتدى بهم في الخير يهدون بأمرنا أي: يدعون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم بذلك وأوحينا إليهم فعل الخيرات قال ابن عباس: شرائع النبوة. وقال مقاتل: الأعمال الصالحة، وإقام الصلاة قال الزجاج: حذف الهاء من إقامة الصلاة قليل في اللغة، تقول: أقام إقامة، والحذف جائز، لأن الإضافة عوض من الهاء.

---

(١) ز اد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٥٣٨/٢

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٧٤ الى ٧٥]

ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين (٧٤) وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين (٧٥)

قوله تعالى: ولوطا آتيناه حكما قال الزجاج: انتصب «لوط» بفعل مضمر، لأن قبله فعلا، فالمعنى: وأوحينا إليهم وآتينا لوطا. وذكر بعض النحويين أنه منصوب على «واذكر لوطا» ، وهذا جائز لأن ذكر إبراهيم قد جرى، فحمل لوط على معنى: واذكر. قال المفسرون: لما هاجر لوط مع إبراهيم، نزل إبراهيم أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة على مسيرة يوم وليلة أو نحو ذلك من إبراهيم، فبعثه الله نبيا. فأما «الحكم» ففيه قولان: أحدهما: أنه النبوة، قاله ابن عباس. والثاني: الفهم والعقل، قاله مقاتل، وقد ذكرنا فيه أقوالا في سورة يوسف «١» . وأما «القرية» ها هنا، فهي سدوم، والمراد أهلها،

---

(١) سورة يوسف: ٢٢.." (١)

"والثالث: أن وجهها وجه رجل، وسائر خلقها كخلق الطير، قاله وهب.

والرابع: أن لها أربع قوائم وزغبا وريشا وجناحين، قاله مقاتل.

وفي المكان الذي تخرج منه خمسة أقوال: أحدها: من الصفا.

(١٠٦٩) روى حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون، تضطرب الأرض تحتهم، وينشق الصفا مما يلي المسعى، وتخرج الدابة من الصفا، أول ما يبدو منها رأسها، ملمعة ذات وبر وريش، لن يدركها طالب، ولن يفوتها هارب» .

(١٠٧٠) وفي حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «طولها ستون ذراعا» ، وكذلك قال ابن مسعود:

تخرج من الصفا.

(١٠٧١) وقال ابن عمر: تخرج من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها.

وقال عبد الله بن عمر: تخرج الدابة فيمس رأسها السحاب ورجلاها في الأرض ما خرجتا.

(١٠٧٢) والثاني: أنها تخرج من شعب أجياد، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن ابن عمر مثله.

والثالث: تخرج من بعض أودية تهامة، قاله ابن عباس. والرابع: من بحر سدوم، قاله وهب بن منبه. والخامس:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٢٠١

أنها تخرج بتهامة بين الصفا والمروة، حكاه الزجاج.

(١٠٧٣) وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تخرج الدابة معها خاتم سليمان، وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتحطم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل البيت ليجتمعون، فيقول

ضعيف. أخرجه الطبري ٢٧١٠٠ من حديث حذيفة بن اليمان، وإسناده ضعيف لضعف رواد بن الجراح. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٤٦٤ عن هذا الحديث: لا يصح. وورد من حديث أبي طفيل عن أبي سريحة أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» ص ٤٠١ والطيالسي ١٠٦٩ والحاكم ٤/ ٤٨٤ ح ٨٤٩٠ وإسناده ضعيف لضعف طلحة بن عمرو الحضرمي كما قال الذهبي متعقبا للحاكم في تصحيحه للحديث. عزاه الحافظ في «تخريجه» ٣/ ٣٨٤ للثعلبي من حديث حذيفة اه. ولم يبين إسناده، وتفرد الثعلبي به دليل على وهنه، وهذا بالنسبة لصدر الحديث (أن طولها ستون ذراعا) وأما باقي لفظ حديث حذيفة فهو المتقدم.

وانظر تفاصيل ذلك في «الفتن» لنعيم بن حماد ص ٤٠١ و «الدر» ٥/ ٢١٧- ٢٢٠ وابن كثير ٣/ ٣٨٧ و «المستدرك» ٤/ ٤٨٤- ٤٨٦. وانظر «تفسير القرطبي» ١٣/ ٢١١ بتخريجنا.

موقوف ضعيف. أخرجه الطبري ٢٧٠٩٤ من حديث ابن عمر، وإسناده ضعيف لضعف عطية بن سعد العوفي. وأخرجه نعيم بن حماد ص ٤٠٣ من طريق فضيل بن مرزوق به لكن عن ابن عمرو، وهو أشبه فإن هذا الأثر متلقى عن أهل الكتاب، وابن عمر ما روى عن أهل الكتاب بخلاف ابن عمرو، والله أعلم.

ضعيف. مداره على رباح بن عبيد الله، وهو منكر الحديث. أخرجه ابن عدي ٣/ ٧٣ و ٧/ ١١٢ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٣٨٥ والذهبي في «الميزان» ٢/ ٣٧/ ٢٧٢٣ من طرق عن هشام بن يوسف عن رباح بن عبيد الله عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة.

أخرجه الترمذي ٣١٨٧ وابن ماجة ٤٠٦٦ وأحمد ٢/ ٢٩٥ والطبري ٢٧١٠١ والحاكم ٤/ ٤٨٥ ونعيم بن حماد في «الفتن» ص ٤٠٣ والحاكم ٤/ ٤٨٥ من طرق عن حماد بن سلمة به، سكت عليه الحاكم! وكذا الذهبي! وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد، فقد ضعفه غير واحد، روى مناكير كثيرة، وهذا منها.

- وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٨٥ من طريق حماد بن سلمة بهذا الإسناد موقوفا على أبي هريرة. وهو أصح من المرفوع، والله أعلم.." [١]

"المسألة الثامنة: التتبير التفتيت والتكسير، ومنه التبر وهو كسارة الذهب والفضة والزجاج.

[سورة الفرقان (٢٥) : آية ٤٠]

ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا (٤٠)

القصة الرابعة- قصة لوط عليه السلام

واعلم أنه تعالى أراد **بالقرية سدوم من** قرى قوم لوط عليه السلام وكانت خمسا أهلك الله تعالى أربعا بأهلها وبقيت واحدة، و (مطر السوء) الحجارة يعني أن قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم إلى الشأم على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء، أفلم يكونوا في [مرار] مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله تعالى ونكاله [ويذكررون] «١» بل كانوا قوما كفرة لا يرجون نشورا وذكروا في تفسير يرجون وجوها: أحدها: وهو الذي قاله القاضي وهو الأقوى أنه محمول على حقيقة الرجاء لأن الإنسان لا يتحمل متاعب التكاليف ومشاق النظر والاستدلال إلا لرجاء ثواب الآخرة فإذا لم يؤمن بالآخرة لم يرج ثوابها فلا يتحمل تلك المشاق والمتاعب وثانيها: معناه لا يتوقعون نشورا [وعاقبة] ، فوضع الرجاء موضع التوقع لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن، وثالثها: معناه لا يخافون على اللغة التهامية، وهو ضعيف والأول هو الحق.

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٤١ الى ٤٤]

وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا (٤١) إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا (٤٢) أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٤٣) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (٤٤)

اعلم أنه سبحانه لما بين مبالغة المشركين في إنكار نبوته وفي إيراد الشبهات في ذلك، بين بعد ذلك أنهم إدا رأوا الرسول اتخذوه هزوا فلم يقتصروا على ترك الإيمان به بل زادوا عليه بالاستهزاء والاستحقار، ويقول بعضهم لبعض أهذ، الذي بعث الله رسولا وفيه مسائل:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٣٧٠

المسألة الأولى: قال صاحب «الكشاف» (إن) الأولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينهما.

المسألة الثانية: جواب (إذا) هو ما أضمر من القول يعني وإذا رأوك مستهزئين قالوا أبعث الله هذا رسولا، وقوله: إن يتخذونك جملة اعترضت بين (إذا) وجوابها.

المسألة الثالثة: اتخذوه هزوا في معنى استهزؤا به والأصل اتخذوه موضع هزء أو مهزوءا به.

المسألة الرابعة: اعلم أن الله تعالى أخبر عن المشركين أنهم متى رأوا الرسول أتوا بنوعين من الأفعال

---

(١) زيادة من الكشاف.." [1]

"يأت أحد بهذا القبيح وهذا ظاهر، والثاني: أن قبلهم ربما أتى به واحد في الندرة لكنهم بالغوا فيه، فقال لهم ما سبقكم بها من أحد، كما يقال إن فلانا سبق البخلاء في البخل، وسبق اللئام في اللؤم إذا زاد عليهم، ثم قال تعالى: أإنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل بيانا لما ذكرنا، يعني تقضون الشهوة بالرجال مع قطع السبيل المعتاد مع النساء المشتمل على المصلحة التي هي بقاء النوع، حتى يظهر أنه قبيح لم يستر قبحه مصلحة، وحينئذ يصير هذا كقوله تعالى: لتأتون الرجال شهوة من دون النساء [الأعراف: ٨١] يعني إتيان النساء شهوة قبيحة مستترة بالمصلحة فلكم دافع لحاجتكم لا فاحشة فيه وتتركونه وتأتون الرجال شهوة مع الفاحشة وقوله:

وتأتون في ناديكم المنكر يعني ما كفاكم قبح فعلكم حتى تضمون إليه قبح الإظهار، وقوله: فما كان جواب قومه في التفسير، كقوله في قصة إبراهيم وما كان جواب قومه وفي الآية مسائل:

/ الأولى: قال قوم إبراهيم اقتلوه أو حرقوه [العنكبوت: ٢٤] وقال قوم لوط ائتنا بعذاب الله وما هددوه، مع أن إبراهيم كان أعظم من لوط، فإن لوطا كان من قومه، فنقول إن إبراهيم كان يقدح في دينهم ويشتم آلهتهم بتعديد صفات نقصهم بقوله: لا يسمع، ولا يبصر، ولا يغني والقدح في الدين صعب، فجعلوا جزاءه القتل والتحريق، ولوط كان ينكر عليهم فعلهم وينسبهم إلى ارتكاب المحرم وهم ما كانوا يقولون إن هذا واجب من الدين، فلم يصعب عليهم مثل ما صعب على قوم إبراهيم قول إبراهيم، فقالوا إنك تقول إن هذا حرام والله يعذب عليه ونحن نقول لا يعذب، فإن كنت صادقا فأتنا بالعذاب، فإن قيل إن الله تعالى قال في موضع أخر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم [النمل: ٥٦] وقال هاهنا فما كان

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٦١/٢٤

جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا فكيف الجمع؟ فنقول لوط كان ثابتا على الإرشاد مكررا عليهم التغيير والنهي والوعيد، فقالوا أولا ائتنا، ثم لما كثر منه ذلك ولم يسكت عنهم قالوا أخرجوا، ثم إن لوطا لما يئس منهم طلب النصرة من الله وذكرهم بما لا يحب الله فقال رب انصرني على القوم المفسدين فإن الله لا يحب المفسدين، حتى ينجز النصر.

واعلم أن نبيا من الأنبياء ما طلب هلاك قوم إلا إذا علم أن عدمهم خير من وجودهم، كما قال نوح: إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا [نوح: ٢٧] يعني المصلحة إما فيهم حالا أو بسببهم مآلا ولا مصلحة فيهم، فإنهم يضلون في الحال وفي المآل فإنهم يوصون الأولاد من صغرهم بالامتناع من الاتباع، فكذلك لوط لما رأى أنهم يفسدون في الحال واشتغلوا بما لا يرجى معه منهم ولد صالح يعبد الله، بطلت المصلحة حالا ومآلا، فعدمهم صار خيرا، فطلب العذاب. ثم قال تعالى:

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٣١ الى ٣٢]

ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين (٣١) قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (٣٢)

لما دعا لوط على قومه بقوله: رب انصرني استجاب الله دعاءه، وأمر ملائكته بإهلاكهم وأرسلهم مبشرين ومنذرين، فجاءوا إبراهيم وبشروه بذرية طيبة وقالوا: إنا مهلكوا أهل هذه القرية يعني أهل سدوم،." [1]

"فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره أن توليه عنهم كان بعد أن أبصرهم جاثمين، ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما

خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل قليب بدر وقال: «إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا» .

أو ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٨٠ الى ٨١]

ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٨٠) إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون (٨١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٥/٥٠

ولوطا أي وأرسلنا لوطا. إذ قال لقومه وقت قوله لهم أو واذكر لوطا وإذ بدل منه. أتأتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح. ما سبقكم بها من أحد من العالمين ما فعلها قبلكم أحد قط. والباء للتعدية ومن الأولى لتأكيد النفي والاستغراق، والثانية للتبعيض. والجملة استئناف مقرر للإنكار كأنه وبخهم أولا بإتيان الفاحشة ثم باختراعها فإنه أسوأ.

إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله: أتأتون الفاحشة وهو أبلغ في الإنكار والتوبيخ، وقرأ نافع وحفص «إنكم» على الإخبار المستأنف، وشهوة مفعول له أو مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة، وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع، لا قضاء الوطر. بل أنتم قوم مسرفون إضراب عن الإنكار إلى الإخبار عن حالهم التي أدت بهم إلى ارتكاب أمثالها وهي اعتياد الإسراف في كل شيء، أو عن الإنكار عليها إلى الذم على جميع معايبهم، أو عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل أنتم قوم عادتكم الإسراف.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٨٢ الى ٨٤]

وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون (٨٢) فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (٨٣) وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين (٨٤)

وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم أي ما جاءوا بما يكون جوابا عن كلامه، ولكنهم قابلوا نصحه بالأمر بإخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا: إنهم أناس يتطهرون أي من الفواحش.

فأنجيناه وأهله أي من آمن به. إلا امرأته استثناء من أهله فإنها كانت تسر الكفر. كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور.

وأمطرنا عليهم مطرا أي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله: وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل. فانظر كيف كان عاقبة المجرمين

روي: أن لوط بن هاران بن تارح لما هاجر مع عمه إبراهيم عليه السلام إلى الشام نزل بالأردن، فأرسله الله إلى **أهل سدوم ليدعوهم** إلى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة، فلم ينتهوا عنها فأمطر الله عليهم الحجارة فهلكوا.

وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم.

[سورة الأعراف (٧) : آية ٨٥]

وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين (٨٥)

وإلى مدين أخاهم شعيبا أي وأرسلنا إليهم، وهم أولاد مدين بن إبراهيم خليل الله شعيب بن ميكائيل." [١] "مقطوع

ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للآمر وتعظيم له. وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى: أنهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد. مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء، أو من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى. ف أن دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء.

وجاء أهل المدينة سدوم. يستبشرون بأضياف لوط طمعا فيهم.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٦٨ الى ٦٩]

قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون (٦٨) واتقوا الله ولا تخزون (٦٩)

قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فإن من أسيء إلى ضيفه فقد أسيء إليه.

واتقوا الله في ركوب الفاحشة. ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان، أو لا تخجلوني فيهم من الخزاية وهو الحياء.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٧٠ الى ٧١]

قالوا أولم ننهك عن العالمين (٧٠) قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين (٧١)

قالوا أولم ننهك عن العالمين على أن تجير منهم أحدا أو تمنع بيننا وبينهم، فإنهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه، أو عن ضيافة الناس وإنزالهم.

قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فإن نبي كل أمة بمنزلة أبيهم، وفيه وجوه ذكرت في سورة «هود» .

إن كنتم فاعلين قضاء الوطر أو ما أقول لكم.

[سورة الحجر (١٥) : آية ٧٢]

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢٢/٣

لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون (٧٢)

لعمرك قسم بحياة المخاطب والمخاطب في هذا القسم هو النبي عليه الصلاة والسلام وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك، والتقدير لعمرك قسمي، وهو لغة في العمر يختص به القسم لإيثار الأخف فيه لأنه كثير الدور على ألسنتهم. إنهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم أو شدة غلمتهم التي أزالت عقولهم وتمييزهم بين خطئهم والصواب الذي يشار به إليهم. يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك.

وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٧٣ الى ٧٤]

فأخذتهم الصيحة مشرقين (٧٣) فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (٧٤)

فأخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة. وقيل صيحة جبريل عليه السلام. مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس.

فجعلنا عاليها عالي المدينة أو عالي قراهم. سافلها وصارت منقلبة بهم. وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر أو طين عليه كتاب من السجل، وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة «هود» .

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٧٥ الى ٧٧]

إن في ذلك لآيات للمتوسمين (٧٥) وإنها لبسبيل مقيم (٧٦) إن في ذلك لآية للمؤمنين (٧٧)

إن في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته.

وإنها وإن المدينة أو القرى. لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها.

إن في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٧٨ الى ٧٩]

وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين (٧٨) فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين (٧٩)." [١]

"وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله إليهم فكذبوه فأهلكوا بالظلة، والأيكة الشجرة المتكاثفة.

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٣/٢١٥

فانتقمنا منهم بالإهلاك. وإنهما **يعني سدوم والأيكة**. وقيل الأيكة ومدين فإنه كان مبعوثا إليهما فكان ذكر إحداهما منبها على الأخرى. لبإمام مبين لبطريق واضح، والإمام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح لأنها مما يؤتم به.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٨٠ الى ٨١]

ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين (٨٠) وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين (٨١)

ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود، كذبوا صالحا، ومن كذب واحدا من الرسل فكأنما كذب الجميع، ويجوز أن يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين، والحجر واد بين المدينة والشأم يسكنونه.

وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم، أو معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها، أو ما نصب لهم من الأدلة.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٨٢ الى ٨٤]

وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين (٨٢) فأخذتهم الصيحة مصبحين (٨٣) فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٤)

وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الأعداء لوثاقتها، أو من العذاب لفرط غفلتهم أو حسبانهم أن الجبال تحميهم منه.

فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الأموال والعدد.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٨٥ الى ٨٦]

وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل (٨٥) إن ربك هو الخلاق العليم (٨٦)

وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق إلا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور، فلذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء وإزاحة فسادهم من الأرض. وإن الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك. فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم.

وقيل هو منسوخ بآية السيف.

إن ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده أمرك وأمرهم. العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بأن تكل ذلك إليه ليحكم بينكم، أو هو الذي خلقكم وعلم الأصلح لكم، وقد علم أن الصفح اليوم أصلح، وفي مصحف عثمان وأبي رضي الله عنهما «هو الخالق» ، وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير.

[سورة الحجر (١٥) : آية ٨٧]

ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٨٧)

ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة. وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها «الأنفال» و «التوبة» فإنهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية. وقيل «التوبة» وقيل «يونس» أو الحواميم السبع. وقيل سبع صحائف وهي الأسباع. من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية، أو الثناء فإن كل ذلك مثنى تكرر قراءته، أو ألفاظه أو قصصه ومواعظه أو مثني عليه بالبلاغة والاعجاز، أو مثن على الله بما هو أهله من صفاته." (١)

"روضة ولم يحترق منه إلا وثاقه، فاطلع عليه نمروذ من الصرح فقال إني مقرب إلى إلهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن إبراهيم عليه السلام. وكان إذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبا ليس ببدع غير أنه هكذا على خلاف المعتاد فهو إذن من معجزاته.

وقيل كانت النار بحالها لكنه سبحانه وتعالى دفع عنه أذاها كما ترى في السمندل ويشعر به قوله على إبراهيم.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٧٠ الى ٧١]

وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين (٧٠) ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين (٧١)

وأرادوا به كيدا مكرا في إضراره. فجعلناهم الأخسرين أخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على أنهم على الباطل وإبراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم أشد العذاب.

ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين أي من العراق إلى الشام وبركاته العامة أن أكثر الأنبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية. وقيل كثرة

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢١٦/٣

النعم والخصب الغالب.

روي أنه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٧٢ الى ٧٣]

ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين (٧٢) وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين (٧٣)

ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة عطية فهي حال منهما أو ولد ولد، أو زيادة على ما سأل وهو إسحاق فتختص بيعقوب ولا بأس به للقرينة. وكلا يعني الأربعة. جعلنا صالحين بأن وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين.

وجعلناهم أئمة يقتدى بهم. يهدون الناس إلى الحق. بأمرنا لهم بذلك وإرسالنا إياهم حتى صاروا مكملين. وأوحينا إليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليها فيتم كمالهم بانضمام العمل إلى العلم، وأصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله: وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل، وحذفت تاء الإقامة المعوضة من إحدى الألفين لقيام المضاف إليه مقامها.

وكانوا لنا عابدين موحدين في العبادة ولذلك قدم الصلة.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٧٤ الى ٧٥]

ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين (٧٤) وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين (٧٥)

ولوطا آتيناه حكما حكمة أو نبوة أو فصلا بين الخصوم. وعلما بما ينبغي علمه للأنبياء.

ونجيناه من القرية قرية سدوم. التي كانت تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها بصفة أهلها أو أسندها إليها على حذف المضاف وإقامتها مقامه ويدل عليه: إنهم كانوا قوم سوء فاسقين فإنه كالتعليل له.

وأدخلناه في رحمتنا في أهل رحمتنا أو جنتنا. إنه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٧٦ الى ٧٧]

ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم (٧٦) ونصرناه من القوم الذين كذبوا

بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين (٧٧)

ونوحا إذ نادى إذ دعا الله سبحانه على قومه بالهلاك. من قبل من قبل المذكورين. فاستجبنا." [١]

"فيها حبيبا النجار، وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون، وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ أو دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم إذا أعوزها الصيد، ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم أنهم قتلوه فأهلكوا.

وقيل هم قوم كذبوا نبيهم ورسوه أي دسوه في بئر. وقرونا وأهل أعصار قيل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون. بين ذلك إشارة إلى ما ذكر. كثيرا لا يعلمها إلا الله.

وكلا ضربنا له الأمثال بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين إنذارا وإعذارا فلما أصروا أهلكوا كما قال: وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة، وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا كأنذرنا والثاني ب تبرنا لأنه فارغ.

[سورة الفرقان (٢٥) : آية ٤٠]

ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا (٤٠)

ولقد أتوا يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم إلى الشام. على القرية التي أمطرت مطر السوء **يعني سدوم عظمى** قرى قوم لوط أمطرت عليها الحجارة. أفلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم فيتعظوا بما يرون فيها من آثار عذاب الله. بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم، أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب، أو لا يخافونه على اللغة التهامية.

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٤١ الى ٤٢]

وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا (٤١) إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا (٤٢)

وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا ما يتخذونك إلا موضع هزء أو مهزوءا به. أهذا الذي بعث الله رسولا

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٤/٥٦

محكي بعد قول مضمر والإشارة للاستحقار، وإخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم يجعله صلة وهم على غاية الإنكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا أهذا الذي زعم أنه بعثه الله رسولا.

إن إنه كاد ليضلنا عن آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء إلى التوحيد وكثرة ما يوردها مما يسبق إلى الذهن بأنها حجج ومعجزات. لولا أن صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ. وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا كالجواب لقولهم إن كاد ليضلنا فإنه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له، وفيه وعيد ودلالة على أنه لا يهملهم وإن أمهلهم.

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٤٣ الى ٤٤]

أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٤٣) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (٤٤)

أرأيت من اتخذ إلهه هواه بأن أطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلا، وإنما قدم المفعول الثاني للعناية به. أفأنت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الأول للتقرير والتعجيب والثاني للإنكار.

أم تحسب بل أتحسب. أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون فتجدي لهم الآيات أو الحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في إيمانهم، وهو أشد مذمة مما قبله حتى حق بالإضراب عنه إليه، وتخصيص الأكثر لأنه كان." (١)

"الذي لا يأمرني إلا بما فيه صلاحي.

روي أنه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه إلى حران، ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم.

ووهبنا له إسحاق ويعقوب ولدا ونافلة حين أيس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر إسماعيل. وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الأنبياء. والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب الأربعة.

وآتيناه أجره على هجرته إلينا. في الدنيا بإعطاء الولد في غير أوانه، والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملل إليه والثناء والصلاة عليه إلى آخر الدهر. وإنه في الآخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٢٥/٤

الصلاح.

[سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٢٨]
ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٢٨)
ولوطا عطف على إبراهيم أو على ما عطف عليه. إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح، وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام وأجمعوا على الاستفهام في الثاني. ما سبقكم بها من أحد من العالمين استئناف مقرر لفاحشتها من حيث إنها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى أقدموا عليها لخبث طينتهم.

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٢٩ الى ٣٠]
أإنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين (٢٩) قال رب انصرني على القوم المفسدين (٣٠)
أإنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة بالقتل وأخذ المال أو بالفاحشة حتى انقطعت الطرق، أو تقطعون سبيل النسل بالإعراض عن الحرث وإتيان ما ليس بحرث. وتأتون في ناديكم في مجالسكم الغاصة بأهلها ولا يقال للندى إلا لما فيه أهله. المنكر كالجماع والضراط وحل الإزار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها. وقيل الخذف ورمي البنادق. فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين في استقباح ذلك أو في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ.
قال رب انصرني بإنزال العذاب. على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم، وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب وإشعارا بأنهم أحقاء بأن يعجل لهم العذاب.

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٣١ الى ٣٢]
ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين (٣١) قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (٣٢)
ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة. قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية **قرية سدوم والإضافة** لفظية لأن المعنى على الاستقبال. إن أهلها كانوا ظالمين تعليل لإهلاكهم لهم بإصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وأنواع المعاصي.

قال إن فيها لوطا اعتراض عليهم بأن فيها من لم يظلم، أو معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين أظهرهم. قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وأنهم ما كانوا غافلين عنه، وجواب عنه بتخصيص الأهل بمن عداه وأهله أو تأقيت الإهلاك بإخراجهم منها، وفيه تأخير." (١)

"نظم سائر القصص ولا قوله:

إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين إذ الظاهر أن الضمير لإلياس.

[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ١٣٣ الى ١٣٨]

وإن لوطا لمن المرسلين (١٣٣) إذ نجيناه وأهله أجمعين (١٣٤) إلا عجوزا في الغابرين (١٣٥) ثم دمرنا الآخرين (١٣٦) وإنكم لتمرون عليهم مصبحين (١٣٧)

وبالليل أفلا تعقلون (١٣٨)

وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين

سبق بيانه.

وإنكم

يا أهل مكة. لتمرون عليهم

على منازلهم في متاجركم إلى الشام **فإن سدوم في** طريقه.

مصبحين

داخلين في الصباح.

وبالليل

أي ومساء أو نهارا وليلا، ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء. أفلا تعقلون

أفليس فيكم عقل تعتبرون به.

[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ١٣٩ الى ١٤٤]

وإن يونس لمن المرسلين (١٣٩) إذ أبق إلى الفلك المشحون (١٤٠) فساهم فكان من المدحضين (١٤١)

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٩٣/٤

فالتقمه الحوت وهو مليم (١٤٢) فلولا أنه كان من المسبحين (١٤٣)
للبث في بطنه إلى يوم يبعثون (١٤٤)
وإن يونس لمن المرسلين
وقرئ بكسر النون.
إذ أبق
هرب، وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن إطلاقه عليه.
إلى الفلك المشحون
المملوء.
فساهم
فقارع أهله. فكان من المدحضين
فصار من المغلوبين بالقرعة، وأصله المزلق عن مقام الظفر.
روي أنه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله، فركب السفينة فوقفت فقالوا: ها هنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه، فقال أنا الآبق ورمى بنفسه في الماء.
فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة. وهو مليم داخل في الملامة، أو آت بما يلام عليها أو مليم نفسه، وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب.
فلولا أنه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره، أو في بطن الحوت وهو قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقيل من المصلين.
للبث في بطنه إلى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا، وفيه حث على إكثار الذكر وتعظيم لشأنه، ومن أقبل عليه في السراء أخذ بيده عند الضراء.

[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ١٤٥ الى ١٤٨]
فنبذناه بالعراء وهو سقيم (١٤٥) وأنبتنا عليه شجرة من يقطين (١٤٦) وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون (١٤٧) فآمنوا فمتعناهم إلى حين (١٤٨)
فنبذناه بأن حملنا الحوت على لفظه. بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت.
روي أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا إلى البر فلفظه
، واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة، وقيل عشرون وقيل أربعون. وهو سقيم

مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد.

وأنبتنا عليه أي فوقه مظلة عليه. شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه الأرض ولا يقوم." (١)

"فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (٨٣)

﴿فأنجيناه وأهله﴾ ومن يختص به من دونه من المؤمنين ﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ من الباقين في العذاب والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة موالية **لأهل سدوم وروة** أنها التفتت فاصبها حجر فماتت." (٢)

"وجاء أهل المدينة يستبشرون (٦٧)

﴿وجآء أهل **المدينة﴾ سدوم التي** ضرب بقاضيها المثل في الجور ﴿يستبشرون﴾ بالملائكة طمعا منهم في ركوب الفاحشة." (٣)

"ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين (٧٤)

﴿ولوطا﴾ انتصب بفعل يفسره ﴿آتيناه حكما﴾ حكمة وهي ما يجب فعله من العمل

الأنبياء (٧٩ - ٧٤)

أو فصلا بين الخصوم أو نبوة ﴿وعلما﴾ فقها ﴿ونجيناه من القرية﴾ من أهلها **وهي سدوم ﴿**التي كانت تعمل الخبائث﴾ اللواطة والضراطة وحذف المارة بالحصى وغيرها ﴿إنهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ خارجين عن طاعة الله." (٤)

"ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا (٤٠)

﴿ولقد أتوا﴾ يعني أهل مكة ﴿على **القرية﴾ سدوم وهي** أعظم قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله أربعا مع أهلها وبقيت واحدة ﴿التي أمطرت مطر السوء﴾ أي أمطر الله عليها الحجارة يعني أن قريشا مروا كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء ومطر السوء مفعول ثان والأصل أمطرت القرية مطرا أو مصدر محذوف الزوائد أي إمطار السوء ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ أما شاهدوا ذلك

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٨/٥

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٥٨٤/١

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١٩٥/٢

(٤) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٤١٣/٢

بأبصارهم عند سفرهم الشام فيتفكروا فيؤمنوا ﴿بل كانوا لا يرجون نشورا﴾ بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يخافون بعثا فلا يؤمنون أو." [1]

"ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين (٣١) ﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ بالبشارة لإبراهيم بالولد والنافلة يعني إسحق ويعقوب ﴿قالوا إنآ مهلكو أهل هذه القرية﴾ إضافة مهلكوا لم تفد تعريفا لأنها بمعنى الاستقبال **والقرية سدوم التي** قيل فيها أجور من **قاضي سدوم وهذه** القرية تشعر بأنها قريبة من موضع إبراهيم عليه السلام قالوا إنها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع إبراهيم عليه السلام ﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾ أي الظلم قد استمر منهم في الأيام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وأنواع معاصيهم." [2]

"ويعلفوا الإبل العجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة «وللبخاري» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من آبارهم ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا منها واستقينا فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء. وفي بعض الأحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآيات فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم ورودها وأراهم مرتقى الفصيل من القارة فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فأهلك الله من تحت أديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلا واحدا يقال له أبو وغال وهو أبو ثقيف، كان في حرم الله فمنعه حرم الله تعالى من عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم رسول الله صلى اللہ عليه وسلم قبر أبي رغال فنزل القوم وابتدروه بأسيافهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن» وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت فلما دخلوها مات صالح فسمي حضرموت ثم بنوا أربعة آلاف مدينة وسموها حضوراء وقال قوم من أهل العلم: توفي صالح عليه الصلاة السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأقام في قومه عشرين سنة.

[سورة الأعراف (٧): الآيات ٨٠ الى ٨١]

ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٨٠) إنكم لتأتون الرجال شهوة

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/ ٥٣٨

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/ ٦٧٤

من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون (٨١)

قوله تعالى: ولوطا يعني وأرسلنا لوطا وقيل: معناه واذكر يا محمد لوطا وهو لوط بن هاران بن تارخ وهو ابن أخي إبراهيم وإبراهيم عمه إذ قال لقومه يعني **أهل سدوم وإليهم** كان قد أرسل وذلك أن لوطا عليه الصلاة والسلام لما هاجر مع عمه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام إلى الشام فنزل إبراهيم عليه الصلاة والسلام أرض فلسطين ونزل لوط الأردن أرسله الله تعالى إلى **أهل سدوم يدعوهم** إلى الله تعالى وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله تعالى: أتأتون الفاحشة يعني أتفعلون الفعلة الخسيسة التي هي غاية في القبح وكانت فاحشتهم إتيان الذكران في أدبارهم ما سبقكم بها من أحد من العالمين من الأولى زائدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض، والمعنى: ما سبقكم أيها القوم بهذه الفعلة الفاحشة أحد من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام توبيخ لهم وتقريع على فعلهم تلك الفاحشة. قال عمرو بن دينار: ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا إلا كان من قوم لوط إنكم لتأتون الرجال يعني في أدبارهم شهوة من دون النساء يعني في أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء بل أنتم يعني أيها القوم قوم مسرفون أي مجاوزون الحلال إلى الحرام وإنما ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لأن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا للشهوة وموضع النسل فإذا تركهن الإنسان وعدل عنهن إلى غيرهن من الرجال فكأنما قد أسرف وجاوز واعتدى لأنه وضع الشيء في غير محله وموضعه الذي خلق له لأن أدبار الرجال ليست محلا للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الإنسان وكانت قصة قوم لوط، على ما ذكره محمد بن إسحاق وغيره من أهل الأخبار والسير أنه كانت قرى قوم لوط مخصبة ذات زروع وثمار لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم الناس فآذوهم وضيقوا عليهم فعرض لهم إبليس في صورة شيخ وقال لهم إذا فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فأبوا فلما أحل الناس عليهم قصدوهم فأصابوا غلمانا حسانا صباحا فأخبثوا واستحكم ذلك فيهم. قال الحسن: كانوا لا ينكحون إلا الغرباء، وقيل: استحكم ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا. وقال الكلبي: إن أول من عمل به عمل قوم لوط إبليس وذلك لأن بلادهم أخصبت فقصدها أهل البلدان فتمثل لهم إبليس في صورة شاب أمرد فدعا إلى نفسه فكان أول من نكح في دبره فأمر الله تعالى السماء أن تحصبهم والأرض أن تخسف بهم.." (١)

"[سورة هود (١١): الآيات ٨١ الى ٨٢]

قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/٢٢٥

مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب (٨١) فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود (٨٢)

قالوا يا لوط ركنك شديد إنا رسل ربك لن يصلوا إليك يعني بمكروه فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه عز وجل في عقوبتهم فأذن له فتحول إلى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك مثل المرجان كأنه كالثلج بياضا وقدماه إلى الخضرة فضرب بجناحيه وجوههم فطمس أعينهم وأعمالهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء في بيت لوط أسحر قوم في الأرض قد سحرونا وجعلوا يقولون يا لوط كما أنت حتى تصبح وسترى ما تلقى منا غدا يوعدونه بذلك فأسر بأهلك يعني ببيتك بقطع من الليل قال ابن عباس: بطائفة من الليل، وقال الضحاك: لبقية من الليل، وقال قتادة: بعد مضي أوله وقيل أنه السحر الأول ولا يلتفت منكم أحد يعني ولا يلتفت منكم أحد إلى ورائه ولا ينظر إلى خلفه إلا امرأتك فإنها من الملتفتات فتهلك مع من هلك من قومها وهو قوله سبحانه وتعالى: إنه مصيبها ما أصابهم فقال لوط: متى يكون هذا العذاب قالوا إن موعدهم الصبح قال لوط إنه بعيد أريد أسرع من ذلك فقالوا له أليس الصبح بقريب فلما خرج لوط من قريته أخذ أهله معه وأمرهم ألا يلتفت منهم أحد فقبلوا منه إلا امرأته فإنها لما سمعت هذه العذاب وهو نازل بهم التفتت وصاحت وا قوماه فأخذتها حجارة فأهلكتها معهم فلما جاء أمرنا يعني أمرنا بالعذاب جعلنا عاليها سافلها وذلك أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قرى قوم لوط وهي خمس مدائن **أكبرها سدوم وهي** المؤتفكات المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها أربعمائة ألف وقيل أربعة آلاف ألف فرفع جبريل المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفأ لهم إناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأمطرنا عليها يعني على شذاذها ومن كان خارجا عنها من مسافريها وقيل بعد ما قلبها أمطر عليهم حجارة من سجيل قال ابن عباس وسعيد بن جبير: معناه سنك كل فارسي معرب لأن العرب تكلمت بشيء من الفارسي صارت لغة للعرب ولا يضاف إلى الفارسي مثل قوله سندس وإستبرق ونحو ذلك فكل هذه ألفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها في ألفاظهم فصارت عربية، قال قتادة وعكرمة: السجيل الطين دليله قوله في موضع آخر حجارة من طين. وقال مجاهد: أولها حجر وآخرها طين، وقال الحسن: أصل الحجارة طين فشدت، وقال الضحاك: يعني الآجر وقيل: السجيل اسم سماء الدنيا، وقيل:

هو جبل في سماء الدنيا منضود قال ابن عباس: متتابع يتبع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع

الشيء بعضه فوق بعض.

[سورة هود (١١): الآيات ٨٣ الى ٨٥]

مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد (٨٣) وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط (٨٤) ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٨٥)

مسومة عند ربك صفة للحجارة يعني معلمة قال ابن جريج: عليها سيما لا تشاكل حجارة الأرض، وقال قتادة وعكرمة: عليها خطوط حمر على هيئة الجزع وقال الحسن والسدي: كانت مختومة عليها أمثال الخواتيم، وقيل: كان مكتوبا عليها أي على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى به وما هي يعني تلك الحجارة من الظالمين يعني مشركي مكة ببعيد قال قتادة وعكرمة: يعني ظالمي هذه الآمة والله ما أجار الله منها ظالما بعد وفي بعض الآثار ما من ظالم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة، وقيل: إن الحجارة." (١)

"دليل على أن إبراهيم عليه السلام لم يكن من القانطين، ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة أن به قنوطا فنفى ذلك عن نفسه، وأخبر أن القانط من رحمة الله تعالى من الضالين لأن القنوط من رحمة الله كبيرة، كالأمن من مكر الله ولا يحصل إلا عند من يجهل كون الله تعالى قادرا على ما يريد، ومن يجهل كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه الأمور سبب للضلالة قال يعني إبراهيم فما خطبكم يعني فما شأنكم وما الأمر الذي جئتم فيه أيها المرسلون والمعنى ما الأمر الذي جئتم به سوى ما بشرتموني به من الولد قالوا يعني الملائكة إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين يعني لهلاك قوم مجرمين إلا آل لوط يعني أشياعه وأتباعه من أهل دينه إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته يعني امرأة لوط قدرنا يعني قضينا وإنما أسند الملائكة القدر إلى أنفسهم وإن كان ذلك لله عز وجل، لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك نحن أمرنا، ونحن فعلنا وإن كان قد فعلوه بأمر الملك إنها لمن الغابرين يعني لمن الباقين في العذاب والاستثناء من النفي إثبات، ومن الإثبات نفي فاستثناء امرأة لوط من الناجين يلحقها بالهالكين.

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤٩٧/٢

[سورة الحجر (١٥): الآيات ٦١ الى ٧٠]

فلما جاء آل لوط المرسلون (٦١) قال إنكم قوم منكرون (٦٢) قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون (٦٣) وأتيناك بالحق وإنا لصادقون (٦٤) فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون (٦٥)

وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين (٦٦) وجاء أهل المدينة يستبشرون (٦٧) قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون (٦٨) واتقوا الله ولا تخزون (٦٩) قالوا أولم ننهك عن العالمين (٧٠)

فلما جاء آل لوط المرسلون وذلك أن الملائكة عليهم السلام لما بشروا إبراهيم بالولد، وعرفوه بما أرسلوا به ساروا إلى لوط وقومه فلما دخلوا على لوط قال إنكم قوم منكرون وإنما قال هذه المقالة لوط لأنهم دخلوا عليه وهم في زي شبان مردان حسان الوجوه، فخاف أن يهجم عليهم قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة. وقيل: إن النكرة ضد المعرفة فقوله: إنكم قوم منكرون يعني لا أعرفكم ولا أعرف من أي الأقوام أنتم، ولا لأي غرض دخلتم فعند ذلك قالوا يعني الملائكة بل جئناك بما كانوا فيه يمترون يعني جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه وأتيناك بالحق يعني باليقين الذي لا شك فيه وإنا لصادقون يعني فيما أخبرناك به من إهلاكهم فأسر بأهلك بقطع من الليل يعني آخر الليل، والقطع القطعة من الشيء وبعضه واتبع أدبارهم يعني واتبع آثار أهلك وسر خلفهم ولا يلتفت منكم أحد يعني حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك، وقيل: المراد الإسراع في السير وترك الالتفات إلى ورائه، والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشأنك ولا تعرج على شيء وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط، ولئلا يتخلف أحد منهم فيناله العذاب وامضوا حيث تؤمرون قال ابن عباس: يعني إلى الشام وقيل: الأردن، وقيل إلى حيث يأمركم جبريل وذلك أن جبريل أمرهم أن يسيروا إلى قرية معينة، ما عمل أهلها عمل قوم لوط وقضينا إليه ذلك الأمر يعني وأوحينا إلى لوط ذلك الأمر الذي حكمنا به على قومه، وفرغنا منه ثم إنه سبحانه وتعالى فسر ذلك الأمر الذي قضاه بقوله أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين يعني أن هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وإنما أبهم الأمر الذي قضاه عليهم أولا، وفسر ثانيا تفخيما له وتعظيما لشأنه وجاء أهل المدينة يعني **مدينة سدوم وهي** مدينة قوم لوط يستبشرون يعني يبشر بعضهم بعضا بأضياف لوط والاستبشار: إظهار الفرح والسرور، وذلك أن الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر أمرهم في المدينة، وقيل إن امرأته أخبرتهم

بذلك، وكانوا شبانا مردا في غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط إلى داره طمعا منهم في ركوب الفاحشة قال يعني." (١)

"تعالى أعطى إبراهيم إسحاق بدعائه حيث قال: رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد وكلا جعلنا صالحين يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب وجعلناهم أئمة يعني قدوة يهتدى بهم في الخير يهدون بأمرنا يعني يدعون الناس إلى ديننا بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات يعنى العمل بالشرائع وإقام الصلاة يعني المحافظة عليها وإيتاء الزكاة يعني الواجبة وخصهما لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة أفضل العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله وكانوا لنا عابدين يعني موحدين قوله عز وجل ولوطا آتيناه حكما أي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل أراد الحكمة والنبوة وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث يعني **قرية سدوم وأراد** أهلها وأراد بالخبائث إتيان الذكور في أدبارهم، وكانوا يتضارطون في مجالسهم مع أشياء أخرى كانوا يعلمونها من المنكرات إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا قيل: أراد بالرحمة النبوة وقيل أراد بها الثواب إنه من الصالحين أي الأنبياء.

قوله تعالى: ونوحا إذ نادى من قبل أي من قبل إبراهيم ولوط فاستجبنا له أي أجبنا دعاءه فنجيناه وأهله من الكرب العظيم قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه له، وقيل: إنه كان أطول الأنبياء عمرا وأشدهم بلاء. والكرب أشد الغم ونصرناه أي منعناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا من أن يصلوا إليه بسوء وقيل من بمعنى على إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين. قوله عز وجل وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث قال ابن عباس وأكثر المفسرين: كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده وقيل كان زرعا وهو أشبه بالعرف إذ نفشت فيه غنم القوم أي رعته ليلا فأفسدته وكان بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا علمه. وفيه دليل لمن يقول بأن أقل الجمع اثنان لقوله وكنا لحكمهم والمراد به داود وسليمان قال ابن عباس وغيره. إن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع إن غنم هذا دخلت زرعي ليلا فوقعت فيه فأفسدته فلم تبق منه شيئا فأعطاه رقاب الغنم بالزرع، فخرجا فمرا على سليمان فقال: كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان: لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا وروي أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين، فأخبر بذلك داود فدعاه وقال: كيف تقضي ويروى أنه قال له بحق النبوة والأبوة إلا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين؟ قال أدفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٥٩

وصوفها ومنافعها، ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه، فإذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع إلى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود: القضاء ما قضيت وحكم بذلك، فقيل: كان لسليمان يوم حكم بذلك من العمر إحدى عشر سنة.

وحكم الإسلام في هذه المسألة أن ما أفسدته الماشية المرسلة من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربها وما أفسدته بالليل ضمنه ربها لأن في عرف الناس أن أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل إلى المراح. ويدل على هذه المسألة ما روى حرام بن سعد بن محيصة أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا لرجل من الأنصار فأفسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل وزاد في رواية: وإن على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل، أخرجه أبو داود مرسلا. وذهب أصحاب الرأي أن المالك إذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان عليه فيما أتلفت ليلا كان أو نهارا، فذلك قوله تعالى: ففهمناها سليمان أي علمناه وألهمناه حكم القضية وكلا أي داود وسليمان آتينا حكما وعلما أي بوجوه الاجتهاد وطرق الأحكام قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده.

واختلف العلماء في أن حكم داود كان باجتهاده أم بنص، وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم: حكما." (١)

"قال رب انصرني على القوم المفسدين أي بتحقيق قولي إن العذاب نازل بهم. قوله عز وجل ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى أي من الله بإسحاق ويعقوب قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية أي قوم لوط والقرية سدوم إن أهلها كانوا ظالمين قال يعني إبراهيم إشفاقا على لوط وليعلم حاله إن فيها لوطا قالوا أي قالت الملائكة نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين أي من الباقين في العذاب ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم أي ظنهم من الإنس فخاف عليهم ومعناه أنه جاءه ما ساءه وضاق بهم ذرعا أي عجز عن تدبير أمرهم فحزن لذلك وقالوا لا تخف أي من قومك ولا تحزن علينا إنا منجوك وأهلك أي إنا مهلكوهم ومنجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا أي عذابا من السماء قيل هو الخسف والحصب بالحجارة بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها أي من قريات لوط آية بينة أي عبرة ظاهرة لقوم يعقلون يعني أفلا يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول قال ابن عباس الآية البينة آثار منازلهم الخربة وقيل هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الأمة. وقيل

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٣٢/٣

هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض. قوله تعالى وإلى مدين أي وأرسلنا إلى مدين ومدين اسم رجل وقيل اسم المدينة فعلى القول الأول يكون المعنى وأرسلنا إلى ذرية مدين وأولاده وعلى القول الثاني وأرسلنا إلى أهل مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر أي افعلوا فعل من يرجوا اليوم الآخر وقيل معناه اخشوا اليوم الآخر وخافوه ولا تعثوا في الأرض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة أي الزلزلة وذلك أن جبريل صاح فرجفت الأرض رجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين أي باركين على الركب ميتين وعادا وثمود أي وأهلكنا عادا وثمود وقد تبين لكم يا أهل مكة من مساكنهم أي منازلهم بالحجر واليمن وزين لهم الشيطان أعمالهم أي عبادتهم لغير الله فصدهم عن السبيل أي عن سبيل الحق وكانوا مستبصرين أي عقلاء ذوي بصائر. وقيل كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون أنهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين وقارون وفرعون وهامان أي أهلكنا هؤلاء ولقد جاءهم موسى بالبينات أي بالدلالات الواضحات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين أي فائتين من عذابنا فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط رموا بالحصباء وهي الحصى الصغار ومنهم من أخذته الصيحة يعني ثمود ومنهم من خسفنا به الأرض يعني قارون وأصحابه ومنهم من أغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم أي بالهلاك ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي بالإشراك. قوله تعالى:

[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٤١ الى ٤٥]

مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون (٤١) إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم (٤٢) وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (٤٣) خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين (٤٤) اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون (٤٥)." [١]

"النونين، وبالفتح وهو نون الجمع

قالوا بشرناك بالحق أي باليقين الثابت فلا تستبعده ولا تشك فيه ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون دليل على تحريم القنوط، وقرئ يقنط بفتح النون وكسرها «١» وهما لغتان قال فما خطبكم أي ما شأنكم وبأي شي جئتم إلى قوم مجرمين يعنون قوم لوط إلا آل لوط أن يكون استثناء من قوم لوط فيكون منقطعا لوصف

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٣٨٠

القوم بالاجرام، ولم يكن آل لوط مجرمين ويحتمل أن يكون استثناء من الضمير في المجرمين، فيكون متصلا كأنه قال إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط فلم يجرموا إلا امرأته استثناء من آل لوط، فهو استثناء من استثناء. وقال الزمخشري: إنما هو استثناء من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم، وذلك هو الذي يقتضيه المعنى قدرنا إنها لمن الغابرين الغابر يقال: بمعنى الباقي، وبمعنى الذاهب، وإنما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم، وهو لله وحده لما لهم من القرب والاختصاص بالله، لا سيما في هذه القضية، كما تقول خاصة الملك للملك: دبرنا كذا ويحتمل أن يكون حكاية عن الله قوم منكرون أي لا نعرفهم قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون أي جئناك بالعذاب لقومك ومعنى يمترون يشكون فيه واتبع أدبارهم أي: كن خلفهم أي في ساقتهم حتى لا يبقى منهم أحد وليكونوا قدامه، فلا يشتغل قلبه بهم لو كانوا وراءه لخوفه عليهم ولا يلتفت منكم أحد تقدم في هود وامضوا حيث تؤمرون قيل: هي مصر وقيل: حيث هنا للزمان إذ لم يذكر مكانا وقضينا إليه ذلك الأمر هو من القضاء والقدر، وإنما تعدى بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا وقيل: معناه أعلمناه بذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع هذا تفسير لذلك الأمر، ودابر القوم أصلهم، والإشارة إلى قوم لوط مصبحين في الموضعين أي إذا أصبحوا ودخلوا في الصباح وجاء أهل المدينة يستبشرون المدينة هي سدوم، واستبشار أهلها بالأضياف، طمعا أن ينالوا منهم الفاحشة قالوا أولم ننهك عن العالمين كانوا قد نهوه أن يضيف أحدا

قال هؤلاء بناتي دعاهم إلى تزويج بناته ليقي بذلك

---

(١) . قرأ أبو عمرو والكسائي: يقنط والباقون: يقنط.." [١]

"حكمة من القرية هي سدوم من أرض الشام وأدخلناه في رحمتنا أي في الجنة أو في أهل رحمتنا نادى من قبل أي دعا قبل إبراهيم ولوط من الكرب يعني من الغرق ونصرناه من القوم تعدى نصرناه بمن لأنه مطاوع انتصر المتعدى بمن، أو تضمن معنى نجيناه أو أجرناه وداود وسليمان كان داود نبيا ملكا، وكان ابنه سليمان ابن أحد عشر عاما في الحرث قيل: زرع، وقيل: كرم، والحرث يقال فيهما إذ نفشت رعت فيه بالليل لحكمهم الضمير لداود وسليمان والمتخاصمين، وقيل لداود وسليمان خاصة، على أن يكون أقل الجمع اثنان

ففهمناها سليمان تخاصم إلى داود رجلان دخلت غنم أحدهما على زرع الآخر بالليل فأفسدته فقضى داود

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٤١٩/١

بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم، ووجه هذا الحكم أن قيمة الزرع كانت مثل قيمة الغنم، فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب، فأخبراه بما حكم به أبوه، فدخل عليه فقال: يا نبي الله لو حكمت بغير هذا كان أرفق للجميع، قال وما هو؟ قال يأخذ صاحب الغنم الأرض ليصلحها حتى يعود زرعها كما كان، ويأخذ صاحب الزرع الغنم وينتفع بألبانها وصوفها ونسلها، فإذا أكمل الزرع ردت الغنم إلى صاحبها، والأرض بزرعها إلى ربها، فقال له داود: وفقت يا بني، وقضى بينهما بذلك، ووجه حكم سليمان أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الزرع، وواجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان، ويحتمل أن يكون ذلك إصلاحا لا حكما.

واختلف الناس هل كان حكمهما بوحي أو اجتهاد؟ فمن قال كان باجتهاد أجاز الاجتهاد للأنبياء، وروي أن داود رجع عن حكمه لما تبين له أن الصواب خلافه، وقد اختلف في جواز الاجتهاد في حق الأنبياء، وعلى القول بالجواز اختلف، هل وقع أم لا؟

وظاهر قوله: ففهمناها سليمان: أنه كان باجتهاد فخص الله به سليمان ففهم القضية، ومن قال: كان بوحي، جعل حكم سليمان ناسخا لحكم داود.

وأما حكم إفساد المواشي الزرع في شرعنا، فقال مالك والشافعي: يضمن أرباب المواشي ما أفسدت بالليل دون النهار للحديث الوارد في ذلك، وعلى هذا يدل حكم داود وسليمان، لأن النفش لا يكون إلا بالليل، وقال أبو حنيفة: لا يضمن ما أفسدت بالليل ولا بالنهار، لقوله صلى الله عليه وسلم: العجماء جرحها جبار «١» وكلا آتينا حكما وعلما قيل: يعني في

---

(١) . الحديث ورد في مسند أحمد من حديث أبي هريرة ج ٢ ص ٢٣٩.." (١)

"تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم»

وفي الحديث أنه مر بقبر فقال أتعرفون ما هذا؟ قالوا لا قال «هذا قبر أبي رغال الذي هو أبو ثقيف كان من ثمود فأصاب قومه البلاء وهو بالحرم فسلم فلما خرج من الحرم أصابه فدفن هنا وجعل معه غصن من ذهب» قال فابتدر القوم بأسيافهم فحفروا حتى أخرجوا الغصن.

ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين هو لوط بن هارون أخي إبراهيم عليه السلام وناحور وهم بنو تارح بن ناحور وتقدم رفع نسبه وقوله هم **أهل سدوم وسائر** القرى المؤتفكة

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢٦/٢

بعثه الله تعالى إليهم، وقال ابن عطية بعثه الله إلى أمة **تسمى سدوم وانتصب** لوطا بإضمار وأرسلنا عطفا على الأنبياء قبله وإذ معمولة لأرسلنا وجوز الزمخشري وابن عطية: نصبه بواذكر مضمرة زاد الزمخشري أن إذ بدل من لوط أي واذكر وقت قال لقومه، وقد تقدم الكلام علي كون إذ تكون مفعولا بها صريحا لاذكر وأن ذلك تصرف فيها والاستفهام هو على جهة الإنكار والتوبيخ والتشنيع والتوقيف على هذا الفعل القبيح والفاحشة هنا إتيان ذكران الآدميين في الأدبار ولما كان هذا بالفعل معهودا قبحه ومركوزا في العقول فحشه أتى معرفا بالألف واللام أو تكون أل فيه للجنس على سبيل المبالغة كأنه لشدة قبحه جعل جميع الفواحش ولبعد العرب عن ذلك البعد التام وذلك بخلاف الزنا فإنه قال فيه: ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة «١» فأتى به منكرا أي فاحشة من الفواحش وكان كثير من العرب يفعله ولا يستنكرون من فعله ولا ذكره في أشعارهم والجملة المنفية تدل على أنهم هم أول من فعل هذه الفعلة القبيحة وأنهم مبتكروها والمبالغة في من أحد حيث زيدت لتأكيد نفي الجنس وفي الإتيان بعموم العالمين جمعا.

قال عمر بن دينار: ما رئي ذكر على ذكر قبل قوم لوط روي أنهم كان يأتي بعضهم بعضا، وقال الحسن: كانوا يأتون الغرباء كانت بلادهم الأردن تؤتى من كل جانب لخصبها فقال لهم إبليس هو في صورة غلام إن أردتم دفع الغرباء فافعلوا بهم هكذا فمكنهم من نفسه تعليما ثم فشا واستحلوا ما استحلوا وأبعد من ذهب إلى أن المراد من عالمي زمانهم ومن ذهب إلى أن المعنى ما سبقكم إلى لزومها ويشهدها وفي تسمية هذا الفعل بالفاحشة دليل على أنه يجري مجرى الزنا يرجم من أحصن ويجلد من لم يحصن وفعله

---

(١) سورة الإسراء: ١٧/ ٣٢.." [1]

"عن النساء، وقال الحوفي: من دون النساء متعلق بشهوة وبل هنا للخروج من قصة إلى قصة تنبىء بأنهم متجاوزو الحد في الاعتداء، وقيل إضراب عن تقريرهم وتوبيخهم والإنكار أو عن الإخبار عنهم بهذه المعصية الشنيعة إلى الحكم عليهم بالحال التي تنشأ عنها القبائح وتدعو إلى اتباع الشهوات وهي الإسراف وهو الزيادة المفسدة لما كانت عادتهم الإسراف أسرفوا حتى في باب قضاء الشهوة وتجاوزوا المعتاد إلى غيره ونحوه بل أنتم قوم عادون «١» ، وقيل إضراب عن محذوف تقديره ما عدلتم بل أنتم، وقال الكرماني بل رد لجواب زعموا أن يكون لهم عذر أي لا عذر لكم ولا حجة بل أنتم وجاء هنا مسرفون باسم الفاعل ليدل على الثبوت ولموافقة ما سبق من رؤوس الآي في ختمها بالأسماء وجاء في النمل تجهلون «٢»

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥/٩٩

بالمضارع لتجدد الجهل فيهم ولموافقة ما سبق من رؤوس الآي في ختمها بالأفعال.

وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم الضمير في أخرجوهم عائد على لوط ومن آمن به ولما تأخر نزول هذه السورة عن سورة النمل أضمر ما فسره الظاهر في النمل من قوله أخرجوا آل لوط من قريتكم «٣» وآل لوط ابنتاه وهما رغواء وريفاء ومن تبعه من المؤمنين، وقيل: لم يكن معه إلا ابنتاه كما قال تعالى:

فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين «٤» وقال ابن عطية: والضمير عائد على آل لوط وأهله وإن كان لم يجر لهم ذكر فإن المعنى يقتضيهم، وقرأ الحسن جواب بالرفع انتهى وهنا جاء العطف بالواو والمراد بها أحد محاملها الثلاث من التعقيب المعني في النمل في قوله تجهلون فما وفي العنكبوت وتأتون في ناديكم المنكر «٥» فما وكان التعقيب مبالغة في الرد حيث لم يمهلوا في الجواب زمانا بل أعجلوه بالجواب سرعة وعدم البراءة بما يجاوبون به ولم يطابق الجواب قوله لأنه لما أنكر عليهم الفاحشة وعظم أمرها ونسبهم إلى الإسراف بادروا بشيء لا تعلق له بكلامه وهو الأمر بالإخراج ونظيره جواب قوم إبراهيم بأن قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم «٦» حتى قبح عليهم بقوله أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون «٧» فأتوا بجواب لا يطابق كلامه والقرية **هي سدوم سميت** باسم

---

(١) سورة الشعراء: ٢٦/ ١٦٦.

(٢) سورة النمل: ٢٧/ ٥٥.

(٣) سورة النمل: ٢٧/ ٥٦.

(٤) سورة الذاريات: ٥١/ ٣٦.

(٥) سورة العنكبوت: ٢٩/ ٢٩.

(٦) سورة الأنبياء: ٢١/ ٦٨.

(٧) سورة الأنبياء: ٢١/ ٦٧.." [١]

"سدوم بن باقيم الذي يضرب المثل في الحكومات هاجر لوط مع عمه إبراهيم من أرض بابل فنزل إبراهيم أرض فلسطين وأنزل لوطا الأردن.

إنهم أناس يتطهرون قال ابن عباس ومجاهد يتقذرون عن إتيان أدبار الرجال والنساء، وقيل يأتون النساء في

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٠١/٥

الأطهار، وقال ابن بحر: يرتقبون أطهار النساء فيجامعونهن فيها، وقيل: يتنزهون عن فعلنا وهو معنى قول ابن عباس ومجاهد، وقيل: يغتسلون من الجنابة ويتطهرون بالماء عيروهم بذلك ويسمى هذا النوع في علم البيان التعريض بما يوهم الذم وهو مدح كقوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

ولذلك قال ابن عباس: عابوهم بما يمدح به، والظاهر أن قوله إنهم تعليل للإخراج أي لأنهم لا يوافقوننا على ما نحن عليه ومن لا يوافقنا وجب أن نخرجه، وقال الزمخشري: وقولهم إنهم أناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشيطان من الفسقة لبعض الصلحاء إذ وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد.

فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين أي فأنجيناه وأهله من العذاب الذي حل بقومه وأهله هم المؤمنون معه أو ابنتاه على الخلاف الذي سبق واستثنى من أهله امرأته فلم تنج واسمها واهلة كانت منافقة تسر الكفر موالية **لأهل سدوم ومعنى** من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا وعلى هذا يكون قوله كانت من الغابرين تفسيرا وتوكيدا لما تضمنه الاستثناء من كونها لم ينجها الله تعالى. وقال أبو عبيدة: إلا امرأته اكتفى به في أنها لم تنج ثم ابتدأ وصفها بعد ذلك بصفة لا تتعلق بها النجاة ولا الهلكة وهي أنها كانت ممن أسن وبقي من عصره إلى عصر غيره فكانت غابرة أي متقدمة في السن كما قال: إلا عجوزا في الغابرين إلى أن هلكت مع قومها انتهى، وجاء من الغابرين تغليبا للذكور على الإناث، وقال الزجاج: من الغائبين عن النجاة فيكون توكيدا لما تضمنه الاستثناء انتهى، وكانت بمعنى صارت أو كانت في علم الله أو باقية على ظاهرها من تقييد غبورها بالزمان الماضي أقوال.

وأمطرنا عليهم مطرا ضمن أمطرنا معنى أرسلنا فلذلك عداه بعلى كقوله فأمطرنا عليهم حجارة من السماء والمطر هنا هي حجارة وقد ذكرت في غير آية خسف بهم." (١)

"ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد. قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد. قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد:

خرجت الملائكة من قرية إبراهيم إلى قرية لوط وبينهما قيل: ثمانية أميال. وقيل: أربعة فراسخ، فأتوها عشاء.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٠٢/٥

وقيل: نصف النهار، ووجدوا لوطا في حرث له. وقيل: وجدوا ابنته تستقي ماء في نهر سدوم، وهي أكبر حواضر قوم لوط، فسألوها الدلالة على من يضيفهم، ورأت هيئتهم فخافت عليهم من قوم لوط وقالت لهم: مكانكم، وذهبت إلى أبيها فأخبرته، فخرج إليهم فقالوا: إنا نريد أن تضيفنا الليلة فقال لهم: أو ما سمعتم بعمل هؤلاء القوم؟ فقالوا:

وما عملهم؟ فقال: أشهد بالله أنهم شر قوم في الأرض. وقد كان ا الله قال للملائكة:

لا تعذبوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات، فلما قال هذه قال جبريل: هذه واحدة، وتردد القول منهم حتى كرر لوط الشهادة أربع مرات، ثم دخل لوط المدينة فحينئذ سيء بهم أي: لحقه سوء بسببهم، وضاق ذرعه بهم، وقال: هذا يوم عصيب أي شديد، لما كان يتخوفه من تعدي قومه على أضيافه. وجاءه قومه يهرعون إليه، لما جاء لوط بضيفه لم يعلم بذلك أحد إلا أهل بيته، فخرجت امرأته حتى أتت مجالس قومها فقالت: إن لوطا قد أضاف الليلة فتية ما رؤي مثلهم جمالا وكذا وكذا، فحينئذ جاؤوا يهرعون أي: يسرعون، كما يدفعون دفعا فعل الطامع الخائف فوت ما يطلبه.

وقرأ الجمهور: يهرعون مبنيا للمفعول من أهرع أي يهرعهم الطمع. وقرأت فرقة: يهرعون بفتح الياء من هرع. وقال مهلهل:

فجاؤوا يهرعون وهم أسارى ... يقودهم على رغم الأنوف

ومن قبل كانوا يعملون السيئات أي: كان ذلك ديدنهم وعادتهم، أصروا على ذلك ومرنوا عليه، فليس ذلك بأول إنشاء هذه المعصية، جاؤا يهرعون لا يكفهم حياء لضراوتهم عليها، والتقدير في ومن قبل أي: من قبل مجيئهم إلى هؤلاء الأضياف وطلبهم إياهم. وقيل:

ومن قبل بعث لوط رسولا إليهم. وجمعت السيئات وإن كان المراد بها معصية إتيان الذكور، إما باعتبار فاعليها، أو باعتبار تكررها. وقيل: كانت سيآت كثيرة باختلاف أنواعها، منها إتيان الذكور، وإتيان النساء في غير المأتي، وحذف الحصا، والحيق في المجالس والأسواق، والمكاء، والصفير، واللعب بالحمام، والقمار، والاستهزاء بالناس في." (١)

"كبره وكبر امرأته، وتقدم ذكر سنه وقت البشارة. وبالحق أي باليقين الذي لا لبس فيه، أو بالطريقة التي هي حق، وهي قول الله ووعده وأنه قادر على أن يوجد ولدا من غير أبوين، فكيف من شيخ فان، وعجوز عاقر. وقرأ ابن وثاب، وطلحة، والأعمش، ورويت عن أبي عمرو: من القنطين، من قنط يقنط. وقرأ

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٨٦/٦

النحويان والأعمش: ومن يقنط، وفي الروم والزمر بكسر النون، وباقي السبعة بفتحها، وزيد بن علي والأشهب بضمها. وهو استفهام في ضمنه النفي، ولذلك دخلت إلا في قوله: إلا الضالون وقولهم له: فلا تكن من القانطين نهي، والنهي عن الشيء لا يدل على تلبس المنهي عنه به ولا بمقارنته. وقوله: ومن يقنط رد عليهم، وأن المحاورة في البشارة لا تدل على القنوط، بل ذلك على سبيل الاستبعاد لما جرت به العادة. وفي ذلك إشارة إلى أن هبة الولد على الكبر من رحمة الله، إذ يشد عضد والده به ويؤازره حالة كونه لا يستقل ويرث منه علمه ودينه.

قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وإنا لصادقون فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين: لما بشروه بالولد راجعوه في ذلك، علم أنهم ملائكة الله ورسله، فاستفهم بقوله: فما خطبكم؟ الخطب لا يكاد يقال ألا في الأمر الشديد، فأضافه إليهم من حيث إنهم حاملوه إلى أولئك القوم المعذبين. ونكر قوما وصفتهم تقليلا لهم واستهانة بهم، وهم قوم لوط أهل **مدينة سدوم والمعنى**: أرسلنا بالهلاك. وإلا آل لوط: يحتمل أن يكون استثناء من الضمير المستكن في مجرمين والتقدير: أجرموا كلهم إلا آل لوط، فيكون استثناء متصلا، والمعنى: إلا آل لوط فإنهم لم يجرموا. ويكون قوله: إنا لمنجوهم أجمعين، استئناف إخبار عن نجاتهم، وذلك لكونهم لم يجرموا، ويكون حكم الإرسال منسحبا على قوم مجرمين وعلى آل لوط لإهلاك هؤلاء، وإنجاء هؤلاء. والظاهر أنه استثناء منقطع، لأن آل لوط لم يندرج في قوله: قوم مجرمين، لا على عموم البدل، لأن وصف الإجرام منتف عن آل لوط، ولا على عموم الشمول لتنكير قوم مجرمين، ولانتفاء وصف الإجرام عن آل لوط. وإذا كان استثناء منقطعا فهو مما يجب فيه النصب، لأنه من الاستثناء الذي لا يمكن بوجه العامل على المستثنى فيه، لأنهم لم يرسلوا إليهم أصلا، وإنما أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة. ويكون قوله: إنا لمنجوهم." (١)

"تفسير مثله في قوله: فقطع دابر القوم الذين ظلموا «١» ومصبحين داخلين في الصباح، وهو حال من الضمير المستكن في مقطوع على المعنى، ولذلك جمعه وقدره الفراء وأبو عبيد: إذا كانوا مصبحين، كما تقول: أنت راكبا أحسن منك ماشيا، فإن كان تفسير معنى فصحيح، وإن أراد الإعراب فلا ضرورة

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤٨٦/٦

تدعو إلى هذا التقدير. وقرأ الأعمش وزيد بن علي: أن دابر بكسر الهمزة لما ضمن قضينا معنى أوحينا، فكان المعنى: أعلمنا، علق الفعل فكسر إن أو لما كان القضاء بمعنى الإيحاء معناه القول كسران، ويؤيده قراءة عبد الله. وقلنا: إن دابر وهي قراءة تفسير لا قرآن، لمخالفتها السواد. والمدينة: سدوم، وهي التي ضرب بقاضيها المثل في الجور.

وجاء أهل المدينة يستبشرون قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل إن في ذلك لآيات للمتوسمين وإنها لبسبيل مقيم إن في ذلك لآية للمؤمنين: استبشارهم: فرحهم بالأضياف الذين وردوا على لوط عليه السلام. والظاهر أن هذا المجيء ومحاورته مع قومه في حق أضيافه، وعرضه بناته عليهم، كان ذلك كله قبل إعلامه بهلاك قومه وعلمه بأنهم رسل الله، ولذلك سماهم ضيفان خوف الفضيحة، لأجل تعاطيهم ما لا يجوز من الفعل القبيح. وقد جاء ذلك مرتبا هكذا في هود، والواو لا ترتب.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون المجيء والمحاورة بعد علمه بهلاكهم، وخاور تلك المحاورة على جهة التكتم عنهم، والإملاء لهم، والتربص بهم انتهى. ونهاهم عن فضحهم إياه لأن من أساء إلى ضيفه أو جاره فقد أساء إليه. ولا تخزون من الخزي وهو الإذلال، أو من الخزاية وهو الاستحياء. وفي قولهم: أو لم ننهك دليل على تقدم نهيهم إياه عن أن يضيف، أو يجبر أحدا، أو يدفع عنه، أو يمنع بينهم وبينه، فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد. وكان هو صلى الله على نبينا وعليه يقوم بالنهي عن المنكر، والحجز بينهم وبين من تعرضوا له، فأوعدوه بأنه إن لم ينته أخرجوه. وتقدم الكلام في قوله: بناتي، ومعنى الإضافة في هود. وإن كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله: كأنه قال إن فعلتم ما أقول، ولكم ما أظنكم تفعلون. وقيل: إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم.

واللام في لعمرك لام الابتداء، والكاف خطاب للوط عليه السلام، والتقدير: قالت

---

(١) سورة الأنعام: ٦/ ٤٥.." (١)

"المعنى إلى ظاهر محذوف يشمل الموحى إليهم وغيرهم، أي فعل المكلفين الخيرات، ويجوز أن يكون ذلك مضافا إلى الموحى إليهم أي أن يفعلوا الخيرات ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، وإذا كانوا قد أوحي

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٦/٤٨٩

إليهم ذلك فأتباعهم جارون مجراهم في ذلك ولا يلزم اختصاصهم به ثم اعتقاد بناء المصدر للمفعول الذي لم يسم فاعله مختلف فيه أجاز ذلك الأخفش والصحيح منعه، فليس ما اختاره الزمخشري مختارا.

وقال ابن عطية: والإقام مصدر وفي هذا نظر انتهى. وأي نظر في هذا وقد نص سيبويه على أنه مصدر بمعنى الإقامة، وإن كان الأكثر الإقامة بالتاء وهو المقيس في مصدر أفعل إذا اعتلت عينه وحسن ذلك هنا أنه قابل وإيتاء وهو بغير تاء فتقع الموازنة بين قوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وقال الزجاج: فحذفت الهاء من إقامة لأن الإضافة عوض عنها انتهى. وهذا قول الفراء زعم أن تاء التأنيث قد تحذف للإضافة وهو مذهب مرجوح.

ولما ذكر تعالى ما أنعم به على إبراهيم ذكر ما أنعم به على من هاجر معه فارا بدينه وهو لوط ابن أخيه وانتصب ولوطا على الاشتغال والحكم الذي أوتيه النبوة. وقيل: حسن الفصل بين الخصوم في القضاء. وقيل: حفظ صحف إبراهيم، ولما ذكر الحكم ذكر ما يكون به وهو العلم **والقرية سدوم وكانت** قراهم سبعا وعبر عنها بالواحدة لاتفاق أهلها على الفاحشة، وكانت من كورة فلسطين إلى حد السراة إلى حد نجد بالحجاز، قلب منها تعالى ستا وأبقى منها زغر لأنها كانت محل لوط وأهله ومن آمن به أي ونجيناه من أهل القرية أي خلصناه منهم أو من العذاب الذي حل بهم، ونسب عمل الخبائث إلى القرية مجازا وهو لأهلها وانتصب الخبائث على معنى تعمل الأعمال أو الفعلات الخبيثة وهي ما ذكره تعالى في غير هذه السورة مضافا إلى كفرهم بالله وتكذيبهم نبيه، وقوله إنهم يدل على أن التقدير من أهل القرية وأدخلناه في رحمتنا أي في أهل رحمتنا أو في الجنة، سماها رحمة إذ كانت أثر الرحمة.

ولما ذكر تعالى قصة إبراهيم وهو أبو العرب وتنجيته من أعدائه ذكر قصة أبي العالم الإنسي كلهم وهو الأب الثاني لآدم لأنه ليس أحد من نسله من سام وحام ويافث، وانتصب نوحا على إضمار اذكر أي واذكر نوحا أي قصته إذ نادى ومعنى نادى دعا مجملا بقوله أني مغلوب «١» فانتصر مفصلا بقوله رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا «٢» والكرب أقصى الغم والأخذ بالنفس، وهو هنا الغرق عبر عنه بأول أحوال ما يأخذ

---

(١) سورة القمر: ٥٤/ ١٠.

(٢) سورة نوح: ٧١/ ٢٦.." [١]

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٧/٤٥٣

"وهذا من واضح الإعراب. ومعنى ضرب الأمثال أي بين لهم القصص العجيبة من قصص الأولين ووصفنا لهم ما أدى إليه تكذيبهم بأنبيائهم من عذاب الله وتدميره إياهم ليهتدوا بضرب الأمثال فلم يهتدوا وأبعد من جعل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: والمعنى وكل الأمثال ضربنا للرسول وعلى هذا وكلا منصوب بضربنا والأمثال بدل من كلا. والضمير في ولقد أتوا لقريش كانوا يمرون **على سدوم من** قرى قوم لوط في متاجرهم إلى الشام، وكانت قرى خمسة أهلك الله منها أربعا وبقيت واحدة وهي زغر لم يكن أهلها يعملون ذلك العمل قاله ابن عباس ومطر السوء الحجارة التي أمطرت عليهم من السماء فهلكوا.

وكان إبراهيم عليه السلام ينادي نصيحة لكم: **يا سدوم يوم** لكم من الله عز وجل أنهاكم أن تتعرضوا للعقوبة من الله

، ومعنى أتوا مروا فلذلك عداه بعلى. وأفرد لفظ القرية وإن كانت قرى **لأن سدوم هي** أم تلك القرى وأعظمها.

وقال مكي: الضمير في أتوا عائد على الذين اتخذوا القرآن مهجورا انتهى. وهم قريش وانتصب مطر على أنه مفعول ثان لأمطرت على معنى أوليت، أو على أنه مصدر محذوف الزوائد أي إمطار السوء. أفلم يكونوا يرونها أي ينظرون إلى ما فيها من العبر والآثار الدالة على ما حل بها من النقم كما قال وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل

«١» . وقال وإنهما لبإمام مبين «٢» وهو استفهام معناه التعجب ومع ذلك فلم يعتبروا برؤيتها أن يحل بهم في الدنيا ما حل بأولئك، بل كانوا كفرة لا يؤمنون بالبعث فلم يتوقعوا عذاب الآخرة وضع الرجاء موضع التوقع لأنه إنما بتوقع العاقبة من يؤمن، فمن ثم لم ينظروا ولم يتفكروا ومروا بها كما مرت ركابهم، أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم إلى ثواب أعمالهم أو لا يخافون على اللغة التهامية. وقرأ زيد بن علي مصرت ثلاثي مبنيا للمفعول ومطر متعد. قال الشاعر:

كمن بواديه بعد المحل ممطور وقرأ أبو السماك مطر السوء بضم السين.

وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا لم يقتصر المشركون على إنكار نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام وترك الإيمان به، بل زادوا على ذلك بالاستهزاء والاحتقار. حتى يقول بعضهم لبعض أهذا الذي بعث الله رسولا وإن نافية جواب إذا وانفردت إذا

---

(١) سورة الصافات: ٣٧/ ١٣٧.

(٢) سورة الحجر: ١٥/ ٧٩.." [(١)]

"وقيل: إلى حيث لا أمنع عبادة ربي. وقيل: مهاجرا من خالفني من قومي، متقربا إلى ربي. ونزل إبراهيم قرية من أرض فلسطين، وترك لوطا في سدوم، وهي المؤتفكة، على مسيرة يوم وليلة من قرية إبراهيم عليهما السلام. إنه هو العزيز الذي لا يذل من عبده، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها. والضمير في ذريته عائد على إبراهيم.

النبوة: إسحاق، ويعقوب، وأنبياء بني إسرائيل، وإسماعيل، ومحمد خاتمهم، صلى الله وسلم عليهم أجمعين. والكتاب: اسم جنس يدخل فيه التوراة، والزبور، والإنجيل، والفرقان.

وآتيناه أجره في الدنيا: أي في حياته قال مجاهد: نجاته من النار، ومن الملك الجبار، والعمل الصالح: والثناء الحسن، بحيث يتولاه كل أمة وقال ابن جريج: والولد الذي قرت به عينه، قاله الحسن. وقال السدي: إنه رأى مكانه من الجنة. وقال ابن أبي بردة: ما وفق له من عمل الآخرة. وقال الماوردي: بقاء ضيافته عند قبره، وليس ذلك لنبي غيره. وقيل: النبوة والحكمة. وقيل: الصلاة عليه إلى آخر الدهر. وانتصب لوطا بإضمار اذكر، أو بالعطف على إبراهيم، أو بالعطف على ما عطف عليه إبراهيم. والجمهور: على الاستفهام في أئنكم معا. وقرىء: أنكم على الخبر، والثاني على الاستفهام. وقال أبو عبيد: وجدته في الإمام بحرف واحد بغير ياء، ورأيت الثاني بحرفين، الياء والنون. ولم يأت في قصة لوط أنه دعا قومه إلى عبادة الله، كما جاء في قصة إبراهيم وقصة شعيب، لأن لوطا كان من قوم إبراهيم وفي زمانه، وسبقه إبراهيم إلى الدعاء لعبادة الله وتوحيده، واشتهر أمره بذلك عند الخلق، فذكر لوط ما اختص به من المنع من الفحشاء وغيرها. وأما إبراهيم وشعيب فجاءا بعد انقراض من كان يعبد الله، فلذلك دعوا إلى عبادة الله.

قال الزمخشري: ما سبقكم بها جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة، كأن قائلا قال: لم كانت فاحشة؟ فقيل: لأن أحدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لإفراط قبحها، حتى قدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم، قالوا: لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط. انتهى. ويظهر أن ما سبقكم بها جملة حالية، كأنه قال: أتأتون الفاحشة مبتدعين لها غير مسبوقين بها؟ واستفهم أولا وثانيا استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع، وبين ما تلك الفاحشة المبهمة في قوله: إنكم لتأتون الفاحشة، وإن كانت معينة أنها إتيان الذكور في الأدبار

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٠٨/٨

بقوله: ما سبقكم بها، فقال: أإنكم لتأتون الرجال: يعني في الأدبار، وتقطعون السبيل: الولد، بتعطيل الفرج ووطء أدبار الرجال، أو بإمساك الغرباء." [١]

"على قومه وإهلاكهم، والقرية: سدوم، وفيها قيل: أجور من قاضي سدوم. كانوا ظالمين: أي قد سبق منهم الظلم. واستمر على الأيام السالفة وهم مصرون، وظلمهم:

كفرهم وأنواع معاصيهم. ولما ذكروا لإبراهيم: إنا مهلكوا أهل هذه القرية، أشفق على لوط فقال: إن فيها لوطا. ولما عللوا الإهلاك بالظلم، قال لهم: فيها من هو بريء من الظلم، قالوا نحن أعلم بمن فيها: أي منك، وأخبر بحاله. ثم أخبروه بإنجائهم إياه وأهله إلا امرأته. وقرأ حمزة، والكسائي: لننجينه، مضارع أنجى وباقي السبعة:

مضارع نجى والجمهور: بشد النون وفرقة: بتخفيفها.

ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا: تقدم الكلام على مثل هذه الجملة، إلا أن هنا زيدت، أن بعد لما، وهو قياس مطرد. وقال الزمخشري أن صلة أكدت وجود الفعلين مترتبا أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما، كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان، كأنه قيل: لما أحس بمجيئهم، فاجأت المساءة من غير وقت خيفة عليهم من قومه. انتهى. وهذا الذي ذكره في الترتيب هو مذهب سيبويه، إذ مذهبه. أن لما: حرف لا ظرف، خلافا للفارسي، وهذا مذكور في علم النحو. وقرأ العربيان، ونافع، وحفص: منجوك، مشددا وباقي السبعة: مخففا، والكاف في مذهب سيبويه في موضع جر. وأهلك: منصوب على إضمار فعل، أي وننجي أهلك.

ومن راعى هذا الموضع، عطفه على موضع الكاف، والكاف على مذهب الأخفش وهشام في موضع نصب، وأهلك معطوف عليه، لأن هذه النون كالتنوين، وهما على مذهبهما يحذفان للطافة الضمير وشدة طلبه الاتصال بما قبله. وقرأ الجمهور: سيء، بكسر السين وضمها نافع وابن عامر والكسائي. وقرأ عيسى، وطلحة: سوء، بضمها، وهي لغة بني هذيل. وبني وبير يقولون في قيل وبيع ونحوهما: قول وبوع. وقرىء: منزلون، مخففا ومشددا وابن محيصن: رجزا، بضم الراء وأبو حيوة والأعمش: بكسر سين يفسقون.

والظاهر أن الضمير في منها عائد على القرية، فقال ابن عباس: منازلهم الخربة. وحكى أبو سليمان الدمشقي أن الآية في قريتهم، إلا أن أساسها أعلاها، وسقوفها أسفلها إلى الآن. وقال الفراء: المعنى تركناها آية، يقول: إن في السماء لآية، يريد أنها آية. انتهى، وهذا لا يتجه إلا على زيادة من في الواجب، نحو قوله:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣٥٣/٨

أمهرت منها جبة وتيسا، يريد:

أمهرتها وكذلك: ولقد تركناها آية، وقيل: الهاء في منها عائدة على الفعلة التي فعلت بهم، فقيل: الآية: الحجارة التي أدركتها أوائل هذه الأمة، قاله قتادة وقيل: الماء الأسود." (١)

"وإبائهم عن قبول الحق، وإعراضهم عن الهدى إلى العمى -قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم تقريعا وتوبيخا وهم يسمعون ذلك، كما ثبت في الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على أهل بدر، أقام هناك ثلاثا، ثم أمر براحلته فشدت بعد ثلاث من آخر الليل فركبها (١) ثم سار حتى وقف على القليب، قليب بدر، فجعل يقول: "يا أبا جهل بن هشام، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، ويا فلان بن فلان: هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا". فقال له عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أقوام قد جيفوا؟ فقال: "والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون". وفي السيرة أنه، عليه السلام (٢) قال لهم: "بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس، فبئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم". (٣)

وهكذا صالح، عليه السلام، قال لقومه: ﴿لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم﴾ أي: فلم تنتفعوا بذلك، لأنكم لا تحبون (٤) الحق ولا تتبعون ناصحا؛ ولهذا قال: ﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾

وقد ذكر بعض المفسرين أن كل نبي هلكت أمته، كان يذهب فيقيم في الحرم، حرم مكة، فالله أعلم.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي عسفان حين حج قال: "يا أبا بكر، أي وادي هذا؟ " قال: هذا وادي عسفان. قال: "لقد مر به هود وصالح، عليهما السلام، على بكرات حمر خطمها الليف، أزرهم العباء، وأرديتهم النمار، يلبون يحجون البيت العتيق".

هذا حديث غريب من هذا الوجه، لم يخرجه أحد منهم (٥)

﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٨٠) إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون (٨١) ﴾

يقول تعالى: ﴿و﴾ قد أرسلنا ﴿لوطا﴾ أو تقديره: ﴿و﴾ اذكر ﴿لوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾

ولوط هو ابن هاران بن آزر، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل، عليهما (٦) السلام، وكان قد آمن مع إبراهيم،

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣٥٥/٨

عليه السلام، وهاجر معه إلى أرض الشام، فبعثه الله [تعالى] (٧) إلى أهل "سدوم" وما

---

(١) في ك: "ثم ركبها".

(٢) في أ: "صلى الله عليه وسلم".

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (١/٦٣٩) .

(٤) في أ: "تتبعون".

(٥) المسند (١/٢٣٢) وقال الهيثمي في المجمع (٣/٢٢٠) : "فيه زمعة بن صالح وفيه كلام وقد وثق".

(٦) في ك، أ: "عليه".

(٧) زيادة من أ.." [1]

"حولها من القرى، يدعوهم إلى الله، عز وجل، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها، لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم، وهو إتيان الذكور. وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، ولا يخطر ببالهم، حتى صنع ذلك أهل "سدوم" عليهم لعائن الله.

قال عمرو بن دينار: قوله: ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ قال: ما نزا ذكر على ذكر، حتى كان قوم لوط.

وقال الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي، باني جامع دمشق: لولا أن الله، عز وجل، قص علينا خبر لوط، ما ظننت أن ذكرا يعلو ذكرا.

ولهذا قال لهم لوط، عليه السلام: ﴿أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين * إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء﴾ أي: عدلتم (١) عن النساء، وما خلق لكم ربكم منهن إلى الرجال، وهذا إسراف منكم وجهل؛ لأنه وضع الشيء في غير محله؛ ولهذا قال لهم في الآية الأخرى: ﴿ [قال] (٢) هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾ [الحجر:٧١] فأرشدهم إلى نسائهم، فاعتذروا إليه بأنهم لا يشتهونهن، ﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد﴾ [هود:٧٩] أي: لقد علمت أنه لا أرب لنا في النساء، ولا إرادة، وإنك لتعلم مرادنا من أضيافك.

وذكر المفسرون أن الرجال كانوا قد استغنى (٣) بعضهم ببعض، وكذلك نساؤهم كن قد استغنى (٤)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣/٤٤٤

بعضهن ببعض أيضا.

---

(١) في د، م: "أعدلتم".

(٢) زيادة من أ.

(٣) في ك، م: "اغتني".

(٤) في ك: "استغنين".." (١)

"وهذا الحديث له شاهد في الصحيح (١)

﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٧٠) ﴾

يقول تعالى واعظا لهؤلاء المنافقين المكذبين للرسل: ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم﴾ أي: ألم تخبروا خبر من كان قبلكم من الأمم المكذبة للرسل ﴿قوم نوح﴾ وما أصابهم من الغرق العام لجميع أهل الأرض، إلا من آمن بعبده ورسوله نوح، عليه السلام، ﴿وعاد﴾ كيف أهلكوا بالريح العقيم، لما كذبوا هودا، عليه السلام، ﴿وثمود﴾ كيف أخذتهم الصيحة لما كذبوا صالحا، عليه السلام، وعقروا الناقة، ﴿وقوم إبراهيم﴾ كيف نصره الله عليهم وأيده بالمعجزات الظاهرة عليهم، وأهلك ملكهم النمروذ بن كنعان بن كوش الكنعاني لعنه الله، ﴿وأصحاب مدين﴾ وهم قوم شعيب، عليه السلام، وكيف أصابتهم (٢) الرجفة والصيحة وعذاب يوم (٣) الظلة، ﴿والمؤتفكات﴾ قوم لوط، وقد كانوا يسكنون في مدائن، وقال في الآية الأخرى: ﴿والمؤتفكة أهوى﴾ [النجم: ٥٣،] أي: الأمة المؤتفكة، وقيل: أم قراهم، وهي "سدوم". والغرض: أن الله تعالى أهلكهم عن آخرهم بتكذيبهم نبي الله لوطا، عليه السلام، وإتيانهم الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين.

﴿أتتهم رسلهم بالبينات﴾ أي: بالحجج والدلائل القاطعات، ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ أي: بإهلاكه إياهم؛ لأنه أقام عليهم الحجة بإرسال الرسل وإزاحة العلل ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ أي: بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم الحق، فصاروا إلى ما صاروا إليه من العذاب والدمار.

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم (٧١) ﴾

لما ذكر [الله] (٤) تعالى صفات المنافقين الذميمة، عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة، فقال:

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٤٥/٣

﴿بعضهم أولياء بعض﴾ أي: يتناصرون ويتعاضدون، كما جاء في الصحيح: "المؤمن للمؤمن كالبنان يشد بعضه (٥) بعضا" وشبك بين أصابعه (٦) وفي الصحيح أيضا: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر" (٧)

---

(١) في صحيح البخاري برقم (٧٣١٩) من طريق محمد بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في ت، أ: "أصابهم".

(٣) في ت، أ: "تلك".

(٤) زيادة من ك.

(٥) في ت: "بعضهم".

(٦) صحيح البخاري برقم (٤٨١) وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٧) صحيح البخاري برقم (٦٠١١) وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.." [1]

"﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود (٨٢) مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد (٨٣) ﴾

يقول تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا﴾ وكان ذلك عند طلوع الشمس، ﴿جعلنا عاليها﴾ وهي [قريتهم العظيمة وهي] (١) **سدوم [**ومعاملتها] (٢) ﴿سافلها﴾ كقوله (٣) ﴿ [والمؤتفكة أهوى] فغشاها ما غشى﴾ [النجم:٥٣، ٥٤] (٤) أي: أمطرنا (٥) عليها حجارة من "سجيل" وهي بالفارسية: حجارة من طين، قاله ابن عباس وغيره.

وقال بعضهم: أي من "سنك" وهو الحجر، و"كل" (٦) وهو الطين، وقد قال في الآية الأخرى: ﴿حجارة من طين﴾ [الذاريات:٣٣] أي: مستحجرة قوية شديدة. وقال بعضهم: مشوية، [وقال بعضهم: مطبوخة قوية صلبة] (٧) وقال البخاري. "سجيل": الشديد الكبير. سجيل وسجين واحد، اللام والنون أختان، وقال تميم بن مقبل:

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٧٤/٤

ورجلة يضربون البيض ضاحية ... ضربا تواصت به الأبطال (٨) سجينا (٩)

وقوله: ﴿منضود﴾ قال بعضهم: منضودة في السماء، أي: معدة لذلك.

وقال آخرون: ﴿منضود﴾ أي: يتبع بعضها بعضا في نزولها عليهم.

وقوله: ﴿مسومة﴾ أي معلمة مختومة، عليها أسماء أصحابها، كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه.

---

(١) زيادة من ت، أ.

(٢) زيادة من ت، أ.

(٣) في ت: "كما قال تعالى".

(٤) زيادة من ت، أ.

(٥) في ت، أ: "أمطر".

(٦) في ت: "وحل"، وفي أ: "وجيل".

(٧) زيادة من ت، أ.

(٨) في أ: "الأباطيل".

(٩) صحيح البخاري (٨/٣٥٢) "فتح".." [١]

"وقال قتادة وعكرمة: ﴿مسومة﴾ [أي] (١) مطوقة، بها نضح من حمرة.

وذكروا أنها نزلت على أهل البلد، وعلى المتفرقين في القرى مما حولها، فبينا أحدهم يكون عند (٢) الناس يتحدث، إذ جاءه حجر من السماء فسقط عليه من بين الناس، فدمره، فتتبعهم (٣) الحجارة من سائر البلاد، حتى أهلكتهم عن آخرهم فلم يبق منهم أحد.

وقال مجاهد: أخذ جبريل قوم لوط من سرحهم ودورهم، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم، ورفعهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم أكفأهم (٤) [وقال] (٥) وكان حملهم على خوافي (٦) جناحه الأيمن. قال: ولما قلبها كان أول ما سقط منها شذانها (٧) .

وقال قتادة: بلغنا أن جبريل أخذ بعروة (٨) القرية الوسطى، ثم ألوى بها إلى جو السماء، حتى سمع أهل السماء (٩) ضواغي كلابهم، ثم دمر بعضها على بعض، ثم أتبع شذاذ القوم سخرا (١٠) -قال: وذكر لنا أنهم كانوا أربع قرى، في كل قرية مائة ألف -وفي رواية: [كانوا] (١١) ثلاث قرى، الكبرى منها سدوم.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤/٣٤٠

قال: وبلغنا أن إبراهيم، عليه السلام، كان يشرف على سدوم، ويقول: سدوم، يوم، ما لك؟.
وفي رواية عن قتادة وغيره: بلغنا أن جبريل عليه السلام، لما أصبح نشر جناحه، فانتسف به أرضهم بما فيها من قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها، وجميع ما فيها، فضمها في جناحه، فحواها وطواها في جوف جناحه، ثم صعد بها إلى السماء الدنيا، حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب، وكانوا أربعة آلاف ألف، ثم قلبها، فأرسلها إلى الأرض منكوسة، ودمدم بعضها على بعض، فجعل عاليها سافلها، ثم أتبعها حجارة من سجيل.
وقال محمد بن كعب القرظي: كانت قرى قوم لوط خمس قريات: "سدوم"، وهي العظمى، و"صعبة" (١٢) و"صعوة" و"عثرة" (١٣) و"دوما"، احتملها جبريل بجناحه، ثم صعد بها، حتى إن أهل السماء الدنيا ليسمعون نابحة كلابها، وأصوات دجاجها، ثم كفأها على وجهها، ثم أتبعها الله بالحجارة، يقول الله تعالى: ﴿جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل﴾ (١٤) فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات.
وقال السدي: لما أصبح قوم لوط، نزل جبريل فاقتلع الأرض من سبع أرضين، فحملها حتى بلغ بها السماء، حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح كلابهم، وأصوات ديوكهم، ثم قلبها فقتلهم، فذلك

---

(١) زيادة من ت، أ.
(٢) في ت، أ: "بين".
(٣) في ت: "فيتبعهم".
(٤) في ت، أ: "أكفأها".
(٥) زيادة من ت.
(٦) في ت، أ: "حوافي".
(٧) في ت: "شرفاتها".
(٨) في ت: "بعزوة".
(٩) في ت، أ: "سمع الملائكة".
(١٠) في ت، أ: "صخرا".
(١١) زيادة من ت، أ.

(١٢) في ت، أ: "صبعة".

(١٣) في ت، أ: "وعمرة".

(١٤) في ت، أ: "فجعلنا".." [(١)]

"يعرفون الناس بالتوسم" (١)

ورواه الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا سهل بن بحر، حدثنا سعيد بن محمد الجرمي، حدثنا أبو بشر -يقال له: ابن المزلق، قال: وكان ثقة -عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم" (٢)

وقوله: ﴿وإنها لبسبيل مقيم﴾ أي: وإن **قرية سدوم التي** أصابها ما أصابها من القلب الصوري والمعنوي، والقذف بالحجارة، حتى صارت بحيرة (٣) منتنة خبيثة لبطريق مهيع مسالكه (٤) مستمرة إلى اليوم، كما قال تعالى: ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨]

وقال مجاهد، والضحاك: ﴿وإنها لبسبيل مقيم﴾ قال: معلم. وقال قتادة: بطريق واضح. وقال قتادة أيضا: بصقع من الأرض واحد.

وقال السدي: بكتاب مبين، يعني كقوله: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ [يس: ١٢] ولكن ليس المعنى على ما قال هاهنا، والله أعلم.

وقوله: ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ أي: إن الذي صنعنا بقوم لوط من الهلاك والدمار وإنجائنا لوطا وأهله، لدلالة واضحة جلية (٥) للمؤمنين بالله ورسله.

﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين (٧٨) فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين (٧٩) ﴾

أصحاب الأيكة: هم قوم شعيب.

قال الضحاك، وقتادة، وغيرهما: الأيكة: الشجر الملتف.

وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم الطريق، ونقصهم المكيال والميزان. فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة، وقد كانوا قريبا من قوم لوط، بعدهم في الزمان، ومسامتين لهم في المكان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وإنهما لبإمام مبين﴾ أي: طريق مبين.

قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك: طريق ظاهر؛ ولهذا لما أنذر شعيب قومه قال في نذارته إياهم: ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٤١/٤

﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين (٨٠) وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين (٨١) وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين (٨٢) فأخذتهم الصيحة مصبحين (٨٣) فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٤) ﴾

---

(١) تفسير الطبري (٣٢/١٤) ورواه القضاعي في مسند الشهاب برقم (١٠٠٥) والطبراني في المعجم الأوسط برقم (٥٠٠٤) "مجمع البحرين" من طريق أبي بشر المزلق به، وقال الهيثمي في المجمع (٢٦٨/١٠) : "إسناده حسن". وقال الذهبي في ترجمة أبي بشر المزلق: "روى خبرا منكرا فذكره" وهذا أقرب.

(٢) مسند البزار برقم (٣٦٣٢) "كشف الأستار" وقال: "لا نعلم رواه عن ثابت، عن أنس إلا أبو بشر".

(٣) في ت: "بخرة"، وفي أ: "بخرة".

(٤) في ت، أ: "سالكة".

(٥) في أ: "جليلة".." [1]

"وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: سأل واحدا فقال: ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ [الصافات:١٠٠] ، فأعطاه الله إسحاق وزاده يعقوب نافلة.

﴿وكلا جعلنا صالحين﴾ أي: الجميع أهل خير وصلاح، ﴿وجعلناهم أئمة﴾ أي: يقتدى بهم، ﴿يهدون بأمرنا﴾ أي: يدعون إلى الله بإذنه؛ ولهذا قال: ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ من باب عطف الخاص على العام، ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ أي: فاعلين لما يأمرون الناس به.

ثم عطف بذكر لوط -وهو لوط بن هاران بن آزر-كان قد آمن بإبراهيم، واتبعه، وهاجر معه، كما قال تعالى: ﴿فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي﴾ [العنكبوت:٢٦] ، فآتاه الله حكما وعلما، وأوحى إليه، وجعله نبيا، وبعثه **إلى سدوم وأعمالها**، فخالفوه وكذبوه، فأهلكهم الله ودمر عليهم، كما قص خبرهم في غير موضع من كتابه العزيز؛ ولهذا قال: ﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين * وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين﴾ .

﴿ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم (٧٦) ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين (٧٧) ﴾ .

يخبر تعالى عن استجابته لعبده ورسوله نوح، عليه السلام، حين دعا على قومه لما كذبوه: ﴿فدعا ربه أني

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥٤٤/٤

مغلوب فانتصر﴾ [القمر:١٠] ، ﴿وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا. إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا﴾ [نوح:٢٦، ٢٧] ، ولهذا قال هاهنا: ﴿إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه (١) وأهله﴾ أي: الذين آمنوا به كما قال: ﴿وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾ [هود:٤٠] .

وقوله: ﴿من الكرب العظيم﴾ أي: من الشدة والتكذيب والأذى، فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله عز وجل، فلم يؤمن به منهم إلا القليل، وكانوا يقصدون لأذاه (٢) ويتواصون قرنا بعد قرن، وجيلا بعد جيل على خلافه.

وقوله: ﴿ونصرناه من القوم﴾ أي: ونجيناه وخلصناه منتصرا من القوم ﴿الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين﴾ أي: أهلكهم الله بعامة، ولم يبق على وجه الأرض منهم أحدا؛ إذ (٣) دعا عليهم نبيهم.

---

(١) في ف، أ: "ونجيناه".

(٢) في ف: أذاه".

(٣) في ف: "كما".." [١]

"فكان نبيهم يسألهم عن ذلك الأسود: ما فعل؟ فيقولون له: لا ندري. حتى قبض الله النبي، وأهب الأسود من نومته بعد ذلك". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن ذلك الأسود لأول من يدخل الجنة".

وهكذا رواه ابن جرير (١) عن ابن حميد، عن سلمة عن ابن إسحاق، عن محمد بن كعب مرسلا. وفيه غرابة ونكارة، ولعل فيه إدراجا، والله أعلم. وأما ابن جرير فقال: لا يجوز أن يحمل هؤلاء على أنهم أصحاب الرس الذين ذكروا في القرآن؛ لأن الله أخبر عنهم أنه أهلكهم، وهؤلاء قد بدا لهم فآمنوا بنبيهم، اللهم إلا أن يكون حدث لهم أحداث، آمنوا بالنبي بعد هلاك آبائهم، والله أعلم.

واختار ابن جرير أن المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الأخدود، الذين ذكروا في سورة البروج، فالله أعلم.

وقوله: ﴿وقرونا بين ذلك كثيرا﴾ أي: وأمما بين أضعاف من ذكر أهلكناهم كثيرة؛ ولهذا قال: ﴿وكلا ضربنا له الأمثال﴾ أي: بينا لهم الحجج، ووضحنا لهم الأدلة -كما قال قتادة: أزحنا (٢) عنهم الأعذار -

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٥٤/٥

﴿وكلا تبرنا تتبيرا﴾ أي: أهلكنا إهلاكا، كقوله: ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾ [الإسراء: ١٧] .
والقرن: هو الأمة من الناس، كقوله: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين﴾ [المؤمنون: ٣١] وحده بعضهم (٣) بمائة وعشرين سنة. وقيل: بمائة سنة. وقيل: بثمانين سنة. وقيل: أربعين. وقيل غير ذلك. والأظهر: أن القرن هم الأمة المتعاصرون في الزمن الواحد؛ فإذا ذهبوا وخلفهم جيل آخر فهم قرن ثان، كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" الحديث.

وقوله: ﴿ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ يعني: قوم لوط، **وهي سدوم ومعاملتها** التي أهلكها الله بالقلب، وبالمطر الحجارة من سجيل، كما قال تعالى: ﴿وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين﴾ [الشعراء: ١٧٣] وقال ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون﴾ [الصافات: ١٣٧ - ١٣٨] وقال تعالى: ﴿وإنها لبسبيل مقيم﴾ [الحجر:٧٦] وقال ﴿وإنهما لبإمام مبين﴾ [الحجر: ٧٩] ؛ ولهذا قال: ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ أي: فيعتبروا بما حل بأهلها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم بالرسول ومخالفتهم أوامر الله.

وقوله: ﴿بل كانوا لا يرجون نشورا﴾ يعني: المارين بها من الكفار لا يعتبرون لأنهم لا يرجون نشورا، أي: معادا يوم القيامة.

﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا (٤١) إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا (٤٢) أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٤٣) ﴾

---

(١) تفسير الطبري: ١٩/١٠.

(٢) في أ: "وأزحنا".

(٣) في ف، أ: "بعض المفسرين".." (١)

"﴿كذبت قوم لوط المرسلين (١٦٠) إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون (١٦١) إني لكم رسول أمين (١٦٢) فاتقوا الله وأطيعون (١٦٣) وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٦٤) ﴾

.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١١٢/٦

يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله لوط، عليه السلام، وهو: لوط بن هاران بن آزر، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل، وكان الله تعالى قد بعثه إلى أمة عظيمة في حياة إبراهيم، وكانوا يسكنون "سدوم" وأعمالها التي أهلكها الله بها، وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة، وهي مشهورة ببلاد الغور، متاخمة لجبال البيت (١) المقدس، بينها وبين بلاد الكرك والشوبك، فدعاهم إلى الله، عز وجل، أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم، ونهاهم عن معصية الله، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم، مما لم يسبقهم الخلائق إلى فعله، من إتيان الذكران دون الإناث؛ ولهذا قال تعالى:

﴿أتأتون الذكران من العالمين (١٦٥) وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون (١٦٦) قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين (١٦٧) قال إني لعملكم من القالين (١٦٨) رب نجني وأهلي مما يعملون (١٦٩) فنجيناه وأهله أجمعين (١٧٠) إلا عجوزا في الغابرين (١٧١) ثم دمرنا الآخرين (١٧٢) وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين (١٧٣) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٧٤) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٧٥)﴾ .

---

(١) في ف، أ: "بيت".." (١)

"إسناده ابن البيلمان (١) .

وعن وهب بن منبه: أنه حكى من كلام عزير، عليه السلام، أنه قال: وتخرج من **تحت سدوم دابة** تكلم الناس كل يسمعها، وتضع الحبالى قبل التمام، ويعود الماء العذب أجاجا، ويتعادى الأخلاء، وتحرق الحكمة، ويرفع العلم، وتكلم الأرض التي تليها. وفي ذلك الزمان يرجو الناس ما لا يبلغون، ويتعبون فيما لا ينالون، ويعملون فيما لا يأكلون. رواه ابن أبي حاتم، عنه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح -كاتب الليث -حدثني معاوية بن صالح، عن أبي مريم: أنه سمع أبا هريرة، رضي الله عنه، يقول: إن الدابة فيها من كل لون، ما بين قرنيها فرسخ (٢) للراكب.

وقال ابن عباس: هي مثل الحربة الضخمة.

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه قال: إنها دابة لها ريش وزغب وحافر، وما لها ذنب، ولها لحية، وإنها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثا، وما خرج ثلثها (٣) . ورواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن جريج، عن ابن الزبير أنه وصف الدابة فقال: رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل،

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٥٧/٦

وقرنها قرن أيل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا [عشر] (٤) ذراعا، تخرج معها عصا موسى، وخاتم سليمان، فلا يبقى مؤمن إلا نكتت في وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء، فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه، ولا يبقى كافر إلا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان، فتفشو تلك النكتة حتى يسود لها وجهه، حتى إن الناس يتبايعون في الأسواق: بكم ذا يا مؤمن، بكم ذا يا كافر؟ وحتى إن أهل البيت يجلسون على مائدتهم، فيعرفون مؤمنهم من كافرهم، ثم تقول لهم الدابة: يا فلان، أبشر، أنت من أهل الجنة، ويا فلان، أنت من أهل النار. فذلك قول الله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ (٥) .

---

(١) في ف: "البيلماني".

(٢) في أ: "فرح".

(٣) في ف، أ: "ثلثاها".

(٤) زيادة من ف، أ.

(٥) وهذا من الإسرائيليات مما لا فائدة من ذكره، وأوصاف الدابة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.." [١]

"الأرض زوجان على الإسلام غيري وغيرك، فإن لوطا عليه السلام، آمن به من قومه، وهاجر معه إلى بلاد الشام، ثم أرسل في حياة الخليل إلى أهل "سدوم" وإقليمها، وكان من أمرهم (١) ما تقدم وما سيأتي.

وقوله: ﴿وقال إني مهاجر إلى ربي﴾ يحتمل عود الضمير في قوله: ﴿وقال﴾ ، على لوط، لأنه (٢) أقرب المذكورين، ويحتمل عوده إلى إبراهيم -قال (٣) ابن عباس، والضحاك: وهو المكنى عنه بقوله: ﴿فآمن له لوط﴾ أي: من قومه.

ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم، ابتغاء إظهار الدين والتمكن من ذلك؛ ولهذا قال: ﴿إنه هو العزيز﴾ أي: له العزة ولرسوله وللمؤمنين به، ﴿الحكيم﴾ في أقواله وأفعاله وأحكامه القدرية والشرعية.

وقال قتادة: هاجرا جميعا من "كوثى"، وهي من سواد (٤) الكوفة إلى الشام. قال: وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنها ستكون هجرة بعد هجرة، ينحاز أهل الأرض إلى مهاجر إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها، حتى تلفظهم أرضهم وتقذرهم روح الله، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢١٤/٦

معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل ما سقط منهم".
وقد أسند الإمام أحمد هذا الحديث، فرواه مطولا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال (٥) : حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة، عن شهر بن حوشب قال: لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية، قدمت الشام فأخبرت بمقام يقومه نوف البكالي، فجئته؛ إذ جاء رجل، فانتبذ الناس وعليه خميصة، وإذا (٦) هو عبد الله بن عمرو بن العاص. فلما رآه نوف أمسك عن الحديث، فقال عبد الله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنها ستكون هجرة بعد هجرة، فينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، فتلفظهم (٧) أرضوهم، تقذرهم نفس الرحمن، تحشرهم النار مع القردة والخنازير فتبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل من هم من تخلف". قال: وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "سيخرج أناس (٨) من أمتي من قبل المشرق، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج منهم قرن قطع، كلما خرج منهم قرن قطع" حتى عدها زيادة على عشرين مرة "كلما خرج منهم قرن قطع، حتى يخرج الدجال في بقيتهم" (٩) .
ورواه أحمد عن أبي داود، وعبد الصمد، كلاهما عن هشام الدستوائي، عن قتادة، به (١٠)
وقد رواه أبو داود في سننه، فقال في كتاب الجهاد، باب ما جاء في سكنى الشام:
حدثنا عبيد الله بن عمر، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني [أبي] (١١) ، عن قتادة، عن شهر بن

---

(١) في ت: "إبراهيم".

(٢) في ت، ف: "الذي هو".

(٣) في أ: "قاله".

(٤) في ف، أ: "من أرض سواد".

(٥) في أ: "فقال".

(٦) في ف: "فإذا".

(٧) في ف: "تلفظهم".

(٨) في ت: "ناس".

(٩) المسند (١٩٨/٢) .

(١٠) المسند (٢/٢٠٩) .

(١١) زيادة من سنن أبي داود.." [1]

"﴿كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود (١٢) وعاد وفرعون وإخوان لوط (١٣) وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد (١٤) أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد (١٥) ﴾

يقول تعالى متهددا لكفار قريش بما أحله بأشباههم ونظرائهم وأمثالهم من المكذبين قبلهم، من النقمات والعذاب الأليم في الدنيا، كقوم نوح وما عذبهم الله به من الغرق العام (١) لجميع أهل الأرض، وأصحاب الرس وقد تقدمت قصتهم في سورة "الفرقان" (٢) ﴿وثمود. وعاد وفرعون وإخوان لوط﴾ ، وهم أمته الذين بعث إليهم من **أهل سدوم ومعاملتها** من الغور، وكيف خسف الله بهم الأرض، وأحال أرضهم بحيرة منتنة خبيثة؛ بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق.

﴿وأصحاب الأيكة﴾ وهم قوم شعيب عليه السلام، ﴿وقوم تبع﴾ وهو اليماني. وقد ذكرنا من شأنه في سورة الدخان ما أغنى عن إعادته هاهنا ولله الحمد.

﴿كل كذب الرسل﴾ أي: كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذب رسوله (٣) ، ومن كذب رسولا (٤) فكأنما كذب جميع الرسل، كقوله: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ [الشعراء: ١٠٥] ، وإنما جاءهم رسول واحد، فهم في نفس الأمر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم، ﴿فحق وعيد﴾ أي: فحق عليهم ما أوعدهم الله، على التكذيب من العذاب والنكال فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم فإنهم قد كذبوا رسولهم كما كذب أولئك.

وقوله: ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ أي: أفأعجزنا (٥) ابتداء الخلق حتى هم في شك من الإعادة، ﴿بل هم في لبس من خلق جديد﴾ والمعنى: أن ابتداء الخلق لم يعجزنا والإعادة أسهل منه، كما قال تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ [الروم: ٢٧] ، وقال الله تعالى: ﴿وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ [يس: ٧٨-٧٩] ، وقد تقدم في الصحيح: "يقول الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يقول: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته" (٦) .

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦/٢٧٣

(١) في م: "العظيم".

(٢) تقدم ذلك في سورة الفرقان عند الآية رقم (٣٨) .

(٣) في أ: "رسولهم".

(٤) في م: "برسول".

(٥) في م: "فأعجزنا".

(٦) صحيح البخاري برقم (٤٩٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.." [1]

"تعدي إليها الفعل من غير واسطة، على أنه قد جاء في الشعر تعديته إليها ب «في» كقوله: [الطويل]

٣٢٨١ - فأصبح في حيث التقينا شردهم ... طليق ومكتوف اليدين ومزعف

وزعم بعضهم أنها هنا ظرف زمان، مستدلا بقوله: ﴿بقطع من الليل﴾ ثم قال ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ أي: في ذلك الزمان.

وهو ضعيف، ولو كان كما قال، لكان التركيب وأمضوا حيث أمرتهم على أنه لو جاء التركيب كذا لم يكن فيه دلالة.

قوله: ﴿وقضينآ إليه﴾ ضمن القضاء معنى الإيجاء؛ فلذلك تعدى تعيدته «إلى» ، ومثله ﴿وقضينآ إلى بني إسرائيل﴾ [الإسراء: ٤] .

و «ذلك الأمر» «ذلك» مفعول القضاء، والإشارة به إلى ما وعد من إهلاك قومه، و «الأمر» إما بدل منه، أو عطف بيان له.

قوله: ﴿أن دابر هؤلآء﴾ العامة على فتح «أن» وفيها أوجه:

أحدها: أنها بدل من «ذلك» إذا قلنا: «الأمر» عطف بيان.

الثاني: أنها بدل من «الأمر» سواء قلنا: إنه بيان أو بدل مما قبله.

الثالث: أنه على حذف الجار، أي: بأن دابر، ففيه الخلاف المشهور.

وقرأ زيد بن علي، والأعمش بكسرها؛ لأنه بمعنى القول.

وعلله أبو حيان: بأنه لما علق ما هو بمعنى العلم؛ كسر.

وفيه النظر المتقدم.

ويؤيد إضمار القول قراءة ابن مسعود: وقلنا إن دابر هؤلاء.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٩٧/٧

ودابرهم: آخرهم «مقطوع» مستأصل، يعني مستأصلون عن آخرهم؛ حتى لا يبقى منهم أحد «مصبحين» ، أي في حال ظهور الصبح، فهو حال من الضمير المستتر في: «مقطوع» ، وإنما جمع حملا على المعنى، وجعله الفراء، وأبو عبيدة خبرا لكان المضمرة، قالا: تقديره: إذا كانوا مصبحين، نحو «أنت ماشيا أحسن منك راكبا» .

وهو تكلف، و «مصبحين» داخلين في الصباح.

قوله: ﴿وجآء أهل المدينة﴾ ، أي: مدينة لوط، يعني: «سدوم» «يستبشرون» حال، أي: يستبشرون بأضياف لوط، يبشر بعضهم بعضا في ركوب الفاحشة منهم.." [1]

"قوله (تعالى) : ﴿ولما جآءت رسلنآ إبراهيم بالبشرى﴾ من الله بإسحاق ويعقوب ﴿قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية﴾ يعني قوم لوط ﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾ . «قال» إبراهيم ﴿إن فيها لوطا﴾ ، قالت الملائكة: ﴿نحن أعلم بمن فيها﴾ ويأتي بقية الكلام على ذلك.

قوله: ﴿ولمآ أن جآءت﴾ تقدم نظيرها إلا أن هنا زيدت «أن» وهو مطرد تأكيدا.

اعلم أنه لما دعا لوط على قومه بقوله: «رب انصرني» استجاب الله دعاءه، وأمره ملائكته بإهلاكهم وأرلهم مبشرين ومنذرين فجاءوا إبراهيم وبشروه بذرية طيبة وقالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية يعني أهل سدوم.

«إحداهما» : أن الله جعلهم مبشرين ومنذرين لكن البشارة إثر الرحمة والإنذار بالهلاك إثر الغضب، ورحمته سبقت غضبه فقدم البشارة على الإنذار، وقال: ﴿جآءت رسلنآ إبراهيم بالبشرى﴾ ثم قال: «إنا مهلكوا» ، «والثانية» : حين ذكروا البشرى ما هلكوا وقالوا: إنا نبشرك بأنك رسول، أو رأنك مؤمن أو لأنك عادل، وحين ذكروا الإهلاك هلكوا، وقالوا: إن أهلها كانوا ظالمين لأن ذا الفضل لا يكون فضله بعوض، والعادل لا يكون عذابه إلا على جرم.

فإن قيل: قال في قوم نوح: ﴿فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ [العنكبوت: ١٤] (وقيل: إن ذلك إشارة إلى أنهم كانوا على ظلمهم حين أخذهم ولم يقل: وهم ظالمون) .

فالجواب: لا فرق في الموضعين في كونهما مهلكين وهم مصرون على الظلم لكن هناك الإخبار من الله عن الماضي حيث قال: «فأخذهم» وهم عند الوقوع في العذاب." [2]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٧٦/١١

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٤٧/١٥

"شيء؟ فزاد «من» في الواجب، وهو لا يجوز على الصحيح.

قال شهاب الدين: قالوا يجوز زيادتها في غير الموجب. وفسروا غير الموجب بالنفي والنهي والاستفهام وهذا استفهام.

قوله: ﴿إذ كانوا﴾ معمول ل «أغنى» وهي مشربة معنى التعليل، أي لأنهم كانوا يجحدون فهو كقوله ضربته إذ أساء، أي ضربته لأنه أساء. وفي هذه الآية تخويف لأهل مكة. ثم قال: ﴿وحاق به ما كانوا به يستهزئون﴾ يعني أنهم كانوا يطلبون نزول العذاب على سبل الاستهزاء.

قوله تعالى: ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى﴾ يا كفار مكة كحجر ثمود وعاد باليمن **وأرض سدوم ونحوها** بالشام ﴿وصرفنا الآيات﴾ الحجج بيناها لهم لعل أهل القرى يرجعون. قال الجبائي: قوله: ﴿لعلهم يرجعون﴾ معناه لكي يرجعوا عن كفرهم وذلك يدل على أنه تعالى أراد رجوعهم ولم يرد إصرارهم وأجيب: بأنه فصل ما لو فعله غيره لكان ذلك لأجل الإرادة المذكورة وإنما ذهبنا إلى هذا التأويل للدلائل الدالة على أنه تعالى مريد لجميع الكائنات.

قوله تعالى: ﴿فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة﴾ القربان ما تقرب به إلى الله.

أي اتخذوها شفعاء وقالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونآ إلى الله زلفى﴾ [الزمر: ٣] .

قوله: ﴿قربانا﴾ فيه أربعة أوجه:

أظهرها: أن المفعول الأول ل «اتخذ» محذوف، هو عائد ... . . «قربانا» نصب على الحال، و «آلهة» هو المفعول الثاني للاتخاذ، والتقدير ... . . نصرهم الذين اتخذوهم متقربا بهم آلهة.." (١)

"والثاني: أن العامل فيها مقدر تقديره: «واذكر رسالة لوط إذ قال» ف «إذ» مصوبة ب «رسالة» . قاله أبو البقاء، والبدل حينئذ بدل اشتمال.

وصرف نوح ولوط لخفته، فإنه ساكن الوسط، مركب من ثلاثة أحرف.

، لطت الحوض إذا ملسته بالطين، وهذا غلط؛ لأن الأسماء الأعجمية لا تشتق كإسحاق، فلا يقال: إنه من السحق وهو البعد؛ وإنما صرف لخفته؛ لأنه على ثلاثة أحرف ساكن الوسط، فأما لطت الحوض، وهذا أليط فصحيح، ولكن الاسم أعجمي كإبراهيم وإسحاق.

وهو: لوط بن هاران بن تارخ ابن أخير إبراهيم، كان في أرض بابل مع عمه إبراهيم،، فهاجر إلى الشام، فنزل إبراهيم إلى فلسطين، وأنزل لوطا الأردن، فأرسله الله عز وجل إلى أهل **سدوم**.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤١١/١٧

قوله: «أتأتون الفاحشة» أتفعلون السيئة المتناهية في القبح، وذكرها باسم الفاحشة ليبين أنها زنا لقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة﴾ [الإسراء: ٣٢] .

﴿ما سبقكم بها من أحد من الءالمين﴾ في هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أنها مستأنفة لا محل لها من الإعراب، وعلى الاستئناف يحتمل أن تكون جوابا لسؤال وألا تكون جوابا.." (١)

"على صدره، ف جاثمين: معناه: باركين قد صعق بهم، وهو تشبيه بجثوم الطير، وجثوم الرماد، وقال بعض المفسرين: معناه: حميما محترقين كالرماد الجاثم، وذهب صاحب هذا القول إلى أن الصيحة اقترن بها صواعق محرقة، وروي أن الصيحة أصابت كل من كان منهم في شرق الأرض وغربها إلا رجلا كان في الحرم، فمنعه الحرم ثم هلك بعد خروجه من الحرم ففي «مصنف أبي داود» ، قيل: يا رسول الله من ذلك الرجل؟ قال: أبو رغال «١» ، وذكره الطبري أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الخبر يرد ما في السير من أن أبا رغال هو دليل الفيل، وقوله: فتولى عنهم، أي: تولى عنهم وقت عقر الناقة، وذلك قبل نزول العذاب وكذلك روي أنه عليه السلام خرج من بين أظهرهم قبل نزول العذاب، وهو الذي تقتضيه مخاطبته لهم، ويحتمل أن يكون خطابه لهم وهم موتى على جهة التفجع عليهم، وذكر حالهم أو غير ذلك كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم أهل قليب بدر. قال الطبري وقيل: إنه لم تهلك أمة، ونبيها «٢» معها، وروي أنه ارتحل بمن معه حتى جاء مكة، فأقام بها حتى مات، ولفظ التولي يقتضي اليأس من خيرهم، واليقين في إهلاكهم، وقوله:

ولكن لا تحبون الناصحين: عبارة عن تغليبهم الشهوات على الرأي السديد إذ كلام الناصح صعب مضاد لشهوة الذي ينصح، ولذلك تقول العرب: أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٨٠ الى ٨٤]

ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٨٠) إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون (٨١) وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون (٨٢) فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (٨٣) وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين (٨٤)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٠٣/٩

وقوله سبحانه: ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين.
لوط عليه عليه السلام بعثه الله سبحانه إلى أمة تسمى «سدوم» وروي أنه ابن أخي

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ١٩٨) كتاب «الإمارة» باب: نبش القبور العادية يكون فيها المال، حديث (٣٠٨٨) ، والبيهقي (٤/ ١٥٦) ، وفي «الدلائل» (٧/ ٢٩٧) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٢) ذكره الطبري (٥/ ٥٣٩) ، وابن عطية (٢/ ٤٢٤) ، وابن كثير (٢/ ٢٣٠) ، والسيوطي بنحوه (٣/ ١٨٥) .." [1]

"قد قدرها وقدر نزوله فيها، وأن هؤلاء الكفرة لا يجيئون بمثل يضربونه على جهة المعارضة منهم إلا جاء القرآن بالحق في ذلك والجلية، ثم هو أحسن تفسيرا، وأفصح بيانا، وباقي الآية بين تقدم تفسير نظيره، والجمهور: أن هذا المشي على الوجوه حقيقة، وقد جاء ٤٤ أكذلك في الحديث، وقد تقدم، ولفظ البخاري عن أنس [رضي الله عنه] : / أن رجلا قال:
يا نبي الله، أيحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة» «١» قال قتادة: بلى وعزة ربنا، انتهى.

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٣٥ الى ٤٤]

ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا (٣٥) فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا (٣٦) وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما (٣٧) وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا (٣٨) وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا (٣٩) ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا (٤٠) وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا (٤١) إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا (٤٢) أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٤٣) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (٤٤)

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥٢/٣

وقوله تعالى: ولقد آتينا موسى الكتاب ... الآيات تنبيه لكفار قريش، وتوعد أن يحل بهم ما حل بهؤلاء المعذبين قال قتادة «٢» : أصحاب الرس، وأصحاب الأيكة: قومان أرسل إليهما شعيب، وقاله وهب «٣» بن منبه، وقيل غير هذا.

وقوله تعالى: وقرونا بين ذلك كثيرا إبهام لا يعلم حقيقته إلا الله عز وجل، والتبار: الهلاك، والقرية التي أمطرت مطر السوء هي: «سدوم» مدينة قوم لوط، وما لم نذكر تفسيره قد تقدم بيانه للفاهم المتيقظ، ثم ذكر سبحانه أنهم إذا رأوا محمدا عليه السلام قالوا على جهة الاستهزاء: أهذا الذي بعث الله رسولا.

قال ص: إن يتخذونك [إن] «٤» نافية، جواب «إذا» ، انتهى، ثم آنس الله تعالى نبيه بقوله: أرأيت من اتخذ إلهه هواه ... الآية، المعنى: لا تتأسف عليهم،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٢١٠) ، والسيوطي (٥/ ١٢٩) ، وعزاه لابن عساكر.

(٣) ذكره ابن عطية (٤/ ٢١١) .

(٤) سقط في ج.." [(١)]

"وقوله: وتركنا فيها أي: في القرية، **وهي سدوم آية**، قال أبو حيان «١» :

وفي موسى، أي: وفي قصة موسى، [انتهى] .

وقوله سبحانه في فرعون: فتولى بركنه أي: أعرض عن أمر الله، وركنه: هو سلطانه وجنده وشدة أمره، وقول فرعون في موسى: ساحر أو مجنون هو تقسيم، ظن أن موسى لا بد أن يكون أحد هذين القسمين، وقال أبو عبيدة: «أو» هنا بمعنى الواو، وهذا ضعيف لا داعية إليه في هذا الموضع.

وقوله: ما تذر من شيء أتت عليه أي: ما تدع من شيء أتت عليه مما أذن لها في إهلاكه إلا جعلته كالرميم: وهو الفاني المتقطع يبسا أو قدما من الأشجار/ والورق والعظام، وروي في حديث: أن تلك الريح كانت تهب على الناس فيهم العادي وغيره، فتنتزع العادي من بين الناس وتذهب به.

وقوله سبحانه: وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا أي: إذ قيل لهم في أول بعث صالح، وهذا قول الحسن «٢» ، ويحتمل: إذ قيل لهم بعد عقر الناقة: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام وهو قول الفراء «٣» .

وقوله: فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون أي: يبصرون بعيونهم، وهذا قول الطبري، ويحتمل أن يريد وهم

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/ ٢١٠

ينتظرون في تلك الأيام الثلاثة، وهذا قول مجاهد «٤» .

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٤٥ الى ٤٨]

فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين (٤٥) وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين (٤٦) والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون (٤٧) والأرض فرشناها فنعم الماهدون (٤٨)

فما استطاعوا من قيام أي: من مصارعهم قاله بعض المفسرين، وقال قتادة وغيره «٥» : معناه من قيام بالأمر النازل بهم ولا دفعه عنهم.

وقوم نوح بالنصب، وهو عطف إما على الضمير في قوله: فأخذتهم، إذ هو بمنزلة أهلكتهم، وإما على الضمير في قوله: نبذناهم.

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١٣٩) .

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ١٨٠) .

(٣) ينظر: المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧٠) برقم: (٣٢٢٤٠) ، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٠) .

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧١) برقم: (٣٢٢٤٢) ، وذكره البغوي (٤/ ٢٣٤) ، وابن عطية (٥/ ١٨١) .." [١]

"(فلما جاء آل لوط المرسلون قال) لوط لهم: (إنكم قوم منكرون) لا أعرفكم أو تنكركم نفسي وتنفر منكم مخافة شركم، (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي: ما جئناك لتعرفنا أو ما جئناك لشرك، بل جئناك بما يسرك وهو ما أوعدت به أعداءك من العذاب، فيشكون فيه ولا يصدقونك، (وأتيناك بالحق) باليقين من عذابهم، (وإنا لصادقون فأسر بأهلك) اذهب بهم في الليل، (بقطع) في طائفة، (من الليل واتبع أدبارهم) سر خلفهم لتطلع على حالهم حتى لا يتخلف منهم أحد، (ولا يلتفت منكم أحد) إلى ما وراءه إذا سمعتم الصيحة بالقوم وذروهم، (وامضوا حيث تؤمرون) إلى حيث أمركم الله، (وقضينا) أوحينا، (إليه) مقضيا، (ذلك الأمر) مبهم مفسر بقوله: (أن دابر هؤلاء مقطوع) ودابرهم آخرهم، أي: يستأصلون عن آخرهم، وهو بدل من ذلك الأمر، (مصبحين) داخلين في الصبح، (وجاء أهل المدينة) أي سدوم، قرية قوم

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣٠٤/٥

لوط، (يستبشرون) يفرحون بأضياف لوط طمعا في ركوب الفاحشة منهم، (قال) لوط، (إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) بفضيحة ضيفي، (واتقوا الله) في تلك الفاحشة، (ولا تخزون) لا تخجلوني فيهم، من الخزاية وهي الحياء، (قالوا." (١)

"ينبع في العالم فأصله من الشام، أو المراد مكة، (ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة) أي: عطية حال منهما، أو النافلة ولد الولد، أو هو طلب ولدا فأعطي إسحاق وزاده يعقوب نافلة، فيكون حالا من يعقوب للقرينة، (وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة): يقتدى بهم، (يهدون): الناس بالحق، (بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات) لأن يحثوا عليه، (وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) من عطف الخاص على العام للتفضيل، (وكانوا لنا عابدين): موحدين مخلصين.

(ولوطا آتيناه حكما) الفصل بالحق بين الخصوم، (ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث) وهي قرية سدوم، كان عمل أهلها اللواط، (إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا): في أهل رحمتنا أو في جنتنا، (إنه من الصالحين).

* * *

(ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم (٧٦) ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين (٧٧) وداوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين (٧٨) ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين (٧٩) وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون (٨٠) ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا." (٢)

"منها إلى الشام ومعه لوط وامرأته سارة (إنه هو العزيز الحكيم) فيمنعني من الأعداء، ويوفقني بما هو صلاحي (ووهبنا له إسحاق ويعقوب) وهو ولد إسحاق ولد في حياة إبراهيم (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) أي: جنسه وكل نبي بعده كان من ذريته (وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين) جمع له بين السعادتين سعادة الدنيا أي: الرزق الواسع، والمنزل الرحب، والزوجة الحسنة، والثناء الجميل إلى يوم القيامة، وسعادة الآخرة وهي لا يعرفها إلا الله (ولوطا) عطف على نوحا (إذ قال لقومه) أرسل في حياة خليل الله إلى **أهل سدوم** (إنكم لتأتون الفاحشة) الفعلة القبيحة (ما سبقكم بها من أحد من العالمين)

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣١٨/٢

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٧/٣

استئناف مقرر لغاية قباحتها (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) فإنهم كانوا يقتلون المارين وينهبون أموالهم، وقيل: يقطعون سبيل النسل (وتأتون في ناديكم) مجلسكم الغاصة (المنكر) وفي الحديث " هو خذف أهل الطريق بالحصى والاستهزاء بهم "، أو الصفير ولعب الحمام [وحل أزرار القباء] ومضغ العلك وتطريف الأصابع بالحنا، أو الضراط والضحك والفحش في المزاح (فما كان." [1]

"بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٤٠) مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون (٤١) إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم (٤٢) وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (٤٣) خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين (٤٤)

* * *

(ولما جاءت رسلنا) الملائكة (إبراهيم بالبشرى) من الله بإسحاق وولده جاءوا على طريقة أضياف (قالوا إنا مهلكو أهل هذه **القرية) سدوم** (إن أهلها كانوا ظالمين) مستمرون على الكفر والفسق (قال) إبراهيم (إن فيها) في القرية (لوطا) وهو في غير ظالم (قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين) الباقين في العذاب (ولما أن جاءت) أن صلة زيدت لاتصال الفعلين، وتأكيدهما (رسلنا لوطا) بعدما ساروا من عند إبراهيم في صورة أمارد حسان (سيء بهم) جاءته المساءة والغم بسببهم (وضاق بهم ذرعا) أي: عجز وضاق بسببهم وتدبير أمرهم طاقته فإنه خاف عليهم من قومه (وقالوا) لما رأوا غمه." [2]

"﴿ولوطا﴾ منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسل إليهم مقدما على المنصوب حسبما وقع فيما سبق وما لحق قد مر بيانه في قصة هود عليه السلام وهو لوط بن هاران بن تارخ بن أخي إبراهيم كان من أرض بابل من العراق مع عمه إبراهيم فهاجر إلى الشأم فنزل فلسطين وأنزل لوطا الأردن وهي كورة بالشام فأرسله الله تعالى إلى **أهل سدوم وهي** بلد بحمص وقوله تعالى ﴿إذ قال لقومه﴾ ظرف للمضمر المذكور أي أرسلنا لوطا إلى قومه وقت قوله لهم الخ ولعل تقييد إرساله عليه السلام بذلك لما أن إرساله إليهم لم يكمن في أول وصوله إليهم وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على أن

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٧٧/٣

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٧٩/٣

انتصابه باذكر أي اذكر وقت قوله عليه السلام لقومه ﴿أتأتون الفاحشة﴾ بطريق الإنكار التوبيخي التقريعي أي أتفعلون تلك الفعلة المتناهية في القبح المتمادية في." [١]

"(وجآء أهل المدينة) شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الأضياف من الفعل والقول وما ترتب عليه معد ما أشير إلى ذلك إجمالا حسبما نبه عليه أي جاء **أهل سدوم منزل** لوط عليه الصلاة والسلام (يستبشرون) أي مستبشرين بأضيافه عليه الصلاة والسلام طمعا فيهم." [٢]

"(فانتقمنا منهم) بالعذاب روي إن الله سلط عليهم الحر سبعة أيام ثم بعث سحابة فالتجئوا إليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فأحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة (وإنهما) **يعني سدوم والأيكة** وقيل الايكة ومدين فإنه عليه الصلاة والسلام كان مبعوثا إليهما فذكر أحدهما منبه على الآخر (لبإمام مبين) لبطريق واضح والإمام اسم ما يؤتم به سمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لأنها مما يؤتم به." [٣]

"﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ أي بالبشارة بالولد والنافلة ﴿قالوا﴾ أي لإبراهيم عليه السلام في تضاعيف الكلام حسبما فصل في سورة هود وسورة الحجر ﴿إنا مهلكو أهل هذه القرية﴾ أي **قرية سدوم والإضافة** لفظية لأن المعنى على الاستقبال ﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾ تعليل للإهلاك بإصرارهم على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وأنواع المعاصي." [٤]

"﴿وإنكم﴾ يا أهل مكة ﴿لتمرون عليهم﴾ على منازلهم في متاجركم إلى الشأم وتشاهدون آثار هلاكهم **فإن سدوم في** طريق الشأم ﴿مصبحين﴾ داخلين في الصباح." [٥]

"روي أن لوط بن هاران بن تارح لما هاجر عمه إبراهيم إلى الشام، ونزل بالأردن، وكان هاجر هو معه، أرسله الله تعالى إلى أهل **سدوم**، ليدعوهم إلى الله، وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة، فلم ينتهوا عنها، فقلع جبريل مدينتهم، وجعل عاليها سافلها، وأمطر الحجارة على ما قربهم من القرى، وسيأتي في سورة هود بقية قصتهم، إن شاء الله. والله تعالى أعلم.

---

(١)<تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٤٤/٣

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٨٥/٥

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٨٧/٥

(٤) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣٨/٧

(٥) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٠٥/٧

الإشارة: إنما أهلك الله قوم لوط حيث آثروا شهوة نفوسهم على عبودية ربهم، وغلبهم الطبع البهيمي على مقتضى العقل الصافي، وقد تقدم قول الغزالي: إن الشره إلى الوقاع من جملة المهلكات. فعلى المريد أن يصفي قصده، ولا ينزل إلى أرض الحظوظ إلا بالإذن والتمكين والرسوخ في اليقين، ولا ينزل بالشهوة والمتعة. وقد قال عليه السلام:

«المؤمن يأكل بشهوة أهله» «١» فلا يأتي ما أحل الله له من متعة النساء إلا قياما بحق الغير وطلبا للنسل. وبالله التوفيق.

ثم ذكر قصة شعيب عليه السلام فقال:

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٨٥ الى ٩٣]

وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين (٨٥) ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين (٨٦) وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين (٨٧) قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين (٨٨) قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين (٨٩)

وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون (٩٠) فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين (٩١) الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين (٩٢) فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين (٩٣)

---

(١) أخرجه الديلمي فى الفردوس (ح ٦٥٤٧) من حديث أبى أمامة الباهلي، بلفظ «المؤمن يأكل بشهوة عياله، والمنافق يأكل أهله بشهوته» .." [1]

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٢٣٧

"قلت: وقضينا إليه ذلك الأمر، القضاء هنا بمعنى القدر السابق، وضمنه معنى أوحينا، فعداه بإلى.

و (أن دابر) : بدل من الأمر، وفي ذلك تفخيم الأمر وتعظيم له، ومصبحين: حال من «هؤلاء» ، أو من ضمير مقطوع، وجمعه للحمل على المعنى لأن دابر بمعنى دوابر، أي: قطعنا دوابرهم حال كونهم داخلين في وقت الصباح.

ولعمرك: مبتدأ، والخبر محذوف، أي: قسمي، قال ابن عزيز: عمر وعمر واحد، ولا يقال في القسم إلا مفتوحا، وإنما فتح في القسم فقط لكثرة الاستعمال.

يقول الحق جل جلاله: فلما جاء آل لوط المرسلون، وهم أضياف إبراهيم، فلما دخلوا عليه ولم يعرفهم، قال إنكم قوم منكرون لا نعرفكم. أو تنكركم نفسي مخافة أن تطرقوني بشيء، قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون أي: ما جئناك بما تنكرنا لأجله، بل جئناك بما يسرك، وهو: قطع الفاحشة من بلدك، وإتيان العذاب لعدوك الذي توعدناهم، فكانوا يمترون فيه ويشكون في إتيانه، وأتيناك بالحق باليقين الثابت، وهو إتيان العذاب لا محالة، وإنا لصادقون فيما أخبرناك به.

فأسر بأهلك: فاذهب بهم بقطع من الليل أي: فاخرج بهم في طائفة من الليل، قيل: آخره، واتبع أدبارهم أي: كن خلفهم في ساقتهم، حتى لا يبقى منهم أحد، أو: أمره بالتأخر عنهم ليكونوا قدامه، فلا يشتغل قلبه بهم لو كانوا خلفه لخوفه عليهم، أي: ليسرع بهم، ويطلع على أحوالهم. ولا يلتفت منكم أحد خلفه، لينظر ما وراءه، فيرى من الهول ما لا يطيقه، أو: ولا ينصرف أحد منكم، ولا يتخلف لغرض فيصيبه ما أصابهم. وقيل: نهوا عن الالتفات ليوطنوا أنفسهم على الهجرة. وامضوا حيث تؤمرون أي: إلى حيث أمركم الله، وهو الشام أو مصر، وقال بعضهم: «ما من نبي هلك إلا لحق بمكة، وجاور بها حتى مات» .

وقضينا: أوحينا إليه ذلك الأمر، وهو هلاك قومه، ذكره مبهما ثم فسره بقوله: أن دابر هؤلاء مقطوع وهو كناية عن استئصالهم، والمعنى: أنهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد، حال كونهم وقت العذاب مصبحين: داخلين في الصباح.

وجاء أهل المدينة، وهي سدوم، يستبشرون بأضياف لوط طمعا فيهم في فعل الفاحشة، والظاهر: أن هذا المجيء إليه، وما جرى له معهم من المحاورة، كان قبل الإعلام بهلاكهم، كما تقدم في هود. وانظر ابن عطية. فلما جاءوه يراودونه عن ضيفه قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بهتك حرمة ضيفي، فإن." [١]

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٩٧/٣

"فى معايشهم، فبعث الله لهم شعيبا عليه السلام فكفروا به، فسلط الله عليهم الحر سبعة أيام، ثم رأوا سحابة فخرجوا فاستظلوا تحتها، فاضطرمت عليهم نارا، فاحترقوا. قال تعالى: فانتقمنا منهم بالهلاك بالحر، وإنهما، **يعني: سدوم مدينة** قوم لوط، والأيكة قرية شعيب. وقيل: الأيكة ومدين لأن شعيبا عليه السلام كان مبعوثا إليهما، وكان ذكر أحدهما مغن عن الآخر، لبإمام مبين: لبطريق واضح يسلك منه إلى الشام، فيعتبر كل من وقف بآثارهم. والإمام: ما يؤتم به، ويوصل إلى المقصود من طريق أو غيره. وقيل: وإنهما أي: لوط وشعيب، على طريق من الشرع واضح. والله تعالى أعلم.

الإشارة: ما أهلك الله قوما إلا كانوا عبرة لمن بعدهم، فالعاقل يبحث عن سبب هلاكهم، فيعمل جهده في التحرز منه، والغافل منهمك في غفلته، لا يلقى لذلك بالا، حتى يأتيه ما يوعد. وبالله التوفيق.

ثم ذكر قصة صالح عليه السلام، فقال:

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٨٠ الى ٨٤]

ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين (٨٠) وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين (٨١) وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين (٨٢) فأخذتهم الصيحة مصبحين (٨٣) فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٤)

قلت: (بيوتا) : مفعول (ينحتون) ، بمعنى يتخذون، أو يصنعون. و (آمنين) : حال من فاعل (ينحتون) .

يقول الحق جل جلاله: ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين هم قوم ثمود، والحجر: واديهم الذي يسكنونه، وهو بين المدينة والشام. كذبوا صالحا عليه السلام، ومن كذب واحدا من الرسل فكأنما كذب الجميع لأنهم جاءوا بأمر متفق عليه، وهو التوحيد، أو يراد به الجنس، كما تقول: فلان يركب الخيل، وإنما يركب فرسا واحدا، أو يراد به صالح ومن معه من المؤمنين لموافقتهم له فيما يدعو إليه. وآتيناهم آياتنا يعني: الناقة، وما كان فيها من العجائب، كسقيها وشربها ودرها، أو ما نزل على نبيهم من الكتب، أو ما نصب لهم من الأدلة. فكانوا عنها معرضين: لم ينظروا فيها، ولم يعتنوا بأمرها.

وكانوا ينحتون: يصنعون، والنحت: النقر بالمعاول في الحجر والعود وشبهه، فكانوا يتخذون من الجبال بالنقر فيها، بيوتا يسكنونها آمنين من الانهدام، ونقب اللصوص، وتخريب الأعداء لوثوقها.

أو من العذاب لفرط غفلتهم، أو حسبانهم أن الجبال تحميهم منه. فأخذتهم الصيحة مصبحين: داخلين في وقت الصباح، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة، واستكثار الأموال والعدد.." (١)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٠٠/٣

"قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن أول الناس ممن يدخل الجنة عبد أسود، وذلك إن الله تعالى بعث نبيا إلى قرية، فلم يؤمن به إلا ذلك الأسود، فحفر أهل القرية بئرا وألقوا فيها نبيهم، وأطبقوا عليها بحجر ضخم، فكان العبد يحتطب على ظهره، ويبيعه، ويأتيه بطعامه، فيعينه الله تعالى على رفع تلك الصخرة حتى يدليه إليه. فبينما هو يحتطب ذات يوم إذ نام، فضرب على أذنه سبع سنين، ثم جاء بطعامه إلى البئر فلم يجده. وكان قومه قد بدا لهم فاستخرجوه وآمنوا به، ومات ذلك النبي، فقال- عليه الصلاة والسلام: «إن ذلك الأسود لأول من يدخل الجنة» «١» ، يعني: من قومه. هـ. وهؤلاء آمنوا فلا يصح حمل الآية عليها، إلا أن يكونوا أحدثوا شيئا بعد نبيهم، فدمرهم الله.

وقال جعفر بن محمد عن أبيه: أن أصحاب الرس: السحاقات، قال أنس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن من أشراط الساعة أن يستكفي الرجال بالرجال، والنساء بالنساء» «٢» ، وذلك السحاق، ويقال له أيضا: المساحقة، وهو حرام بالإجماع. وسبب ظهوره: أن قوما أحدثوا فاحشة اللواط، حتى استغنوا عن النساء، فبقيت النساء معطلة، فجاءتهن شيطانة في صورة إمرأة، وهي الولهات بنت إبليس، فشهت إلى النساء ركوب بعضهن بعضا، وعلمتهن كيف يصنعن ذلك، فسلط عليهم صاعقة من أول الليل، وخسفا من آخر الليل، وصيحة مع الشمس، فلم يبق منهم بقية. هـ.

وقرونا أي: دمرنا أهل قرون. والقرن: سبعون سنة، وقيل: أقل، وقيل: أكثر، بين ذلك أي: بين ذلك المذكور من الأمم والطوائف، كثيرا، لا يعلم عددها إلا العليم الخبير، وكلا من الأمم المذكورين قد ضربنا له الأمثال أي: بينا له القصص العجيبة، الزاجرة عماهم عليه من الكفر والمعاصي، بواسطة الرسل. وقيل: المراد: تبيين ما وقع لهم، ووصف ما أدى إليه تكذيبهم لأنبيائهم، من عذاب الله وتدميره إياهم، ليكون عبرة لمن بعدهم، وكلا أي: وكل واحد منهم تبرنا تتبيرا أي: أهلكنا إهلاكا عجيبا. والتتبير:

التفتيت. قال الزجاج: كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته.

ثم بين بعض آثار الأمم المتبرة، فقال: ولقد أتوا يعني: أهل مكة على القرية، وهي سدوم، وهي أعظم قرى قوم لوط، وكانت خمسا، أهلك الله أربعا، وبقيت واحدة، كان أهلها لا يعملون الخبيث، وأما البواقي فأهلكها بالحجارة، وإليه أشار بقوله: التي أمطرت مطر السوء أي: أمطر الله عليها الحجارة. والمعنى: والله لقد أتى قريش في متاجرهم إلى الشام على القرية التي أهلكها الله، وبقي آثارها خاربة، أفلم يكونوا يرونها

(١) أخرجه الطبري فى التفسير (١٩١/ ١٤) عن محمد بن كعب القرطبي، وانظر تفسير ابن كثير (٣/

. (٣١٨

(٢) أخرجه الطبراني فى المعجم الكبير (١٠/ ٢٨٢ ح ١٠٥٥٦) مطولا من حديث ابن مسعود رضى الله عنه وفيه: «يا ابن مسعود إن أعلام الساعة وأشراطها..» الحديث. قال فى مجمع الزو ائد ٧/ ٣٢٣. رواه الطبراني فى الأوسط. وفيه: سيف بن مسكين، وهو ضعيف.." [١]

"للمجلس: ناد، إلا مادام فيه أهله، المنكر فعلهم الفاحشة بالرجال، أو: المضارطة، أو: السباب والفحش في المزاح، أو: الحذف بالحصى، أو: مضغ العلك، أو الفرقعة.

وعن أم هانئ- رضى الله عنها- أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله: وتأتون في ناديكم المنكر؟ فقال: «كانوا يحذفون من يمر بهم الطريق، ويسخرون منهم» »

. وقال معاوية: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن قوم لوط كانوا يجلسون في مجالسهم، وعندكل رجل قصعة من الحصى، فإذا مر بهم عابر قذفوه، فأيهم أصابه كان أولى به» «٢» .

فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب، أو في دعوى النبوة، المفهومة من التوبيخ، قال رب انصرني بإنزال العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وحمل الناس عليها، وسنها لمن بعدهم. وصفهم بذلك مبالغة فى استنزال العذاب، وإشعارا بأنهم أحقاء بأن يعجل لهم العذاب.

ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى، جاءت الملائكة بالبشارة لإبراهيم بالولد، والنافلة إسحاق، ويعقوب، أي: مروا عليه، حين كانوا قاصدين قوم لوط، قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية سدوم، والإشارة بهذه القرية تشعر بأنها قريبة من موضع إبراهيم عليه السلام، قالوا: إنها كانت على مسيرة يوم وليلة من موضع إبراهيم، قاله النسفي. إن أهلها كانوا ظالمين، تعليل للإهلاك، أي: إن الظلم قد استمر منهم في الأيام السالفة، وهم عليه مصرون، وهو كفرهم وأنواع معاصيهم. قال إبراهيم: إن فيها لوطا أي: أتهلكونهم وفيهم من هو بريء من الظلم، أو: وفيهم نبي بين أظهرهم؟ قالوا أي: الملائكة: نحن أعلم منك بمن فيها، لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين الباقين في العذاب.

ثم أخبر عن مسير الملائكة إلى لوط بعد مفارقتهم إبراهيم، فقال: ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم أي: ساءه مجيئهم وغمه، مخافة أن يقصدهم قومه بسوء. و «أن» : صلة لتأكيد الفعلين، وترتيب أحدهما على الآخر، كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان، كأنه قيل: لما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٠١/٤

ترتيب.

وضاق بهم ذرعا أي: ضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه وطاقته، وقد جعلوا ضيق الذرع والذراع عبارة عن

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٦/ ٣٤١) ، والترمذي وحسنه فى (التفسير، سورة العنكبوت، ٥/ ٣١٩، ح ٣١٩٠) ، وصححه الحاكم (٢/ ٤٠٩) ، ووافقه الذهبي. وأخرجه الطبري (٢٠/ ١٤٥) ، والبغوي فى التفسير (٦/ ٢٣٩) .

(٢) انظر تفسير البغوي (٦/ ٢٤٠) .." [١]

"باقية وهي الألف الباقية، وأن التاء عوض عن ألف الإفعال.

قوله تعالى: ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين.

قوله: ولوطا [٢١] منصوب بفعل مضمر وجوبا يفسره آتيناه كما قال في الخلاصة:

فالسابق انصبه بفعل أضمرا حتما موافق لما قد أظهرا قال القرطبي في تفسير هذه الآية: الحكم: النبوة. والعلم: المعرفة بأمر الدين، وما يقع به الحكم بين الخصوم. وقيل: علما: فهما. وقال الزمخشري: حكما: حكمة، وهو ما يجب فعله، أو فصلا بين الخصوم، وقيل: هو النبوة.

قال مقيده - عفا الله عنه -: أصل الحكم في اللغة: المنع كما هو معروف. فمعنى الآيات أن الله آتاه من النبوة والعلم ما يمنع أقواله وأفعاله من أن يعتريها الخلل. والقرية التي كانت تعمل الخبائث **هي سدوم وأعمالها**، والخبائث التي كانت تعملها جاءت موضحة في آيات من كتاب الله:

منها: اللواط، وأنهم هم أول من فعله من الناس، كما قال تعالى: أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين [٧ \ ٨٠] وقال: أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون [٢٦ \ ١٦٥ - ١٦٦] ومن الخبائث المذكورة إتيانهم المنكر في ناديهم، وقطعهم الطريق، كما قال تعالى: أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر الآية [٢٩ \ ٢٩] . ومن أعظم خبائثهم: تكذيب نبي الله لوط، وتهديدهم له بالإخراج من الوطن كما قال تعالى عنهم: قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين [٢٦ \ ١٦٧] وقال تعالى: فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٩٩/٤

لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون [٢٧ \ ٥٦] إلى غير ذلك من الآيات. وقد بين الله في مواضع متعددة من كتابه أنه أهلكهم فقلب بهم بلدهم، وأمطر عليهم حجارة من سجيل، كما قال تعالى: فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل [١٥] والآيات بنحو ذلك كثيرة. والخبائث: جمع خبيثة، وهي الفعلة السيئة، كالكفر واللواط، وما جرى مجرى ذلك.." (١)

"قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا) قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ عِنْدَ الْفَرَّاءِ وَالنَّحَّاسِ، أَيْ خَالِيَةً عَنْ أَهْلِهَا خَرَابًا لَيْسَ بِهَا سَاكِنٌ. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ:" خَاوِيَةً" نُصِبَ عَلَى الْقَطْعِ، مَجَازُهُ: فَتِلْكَ بُيُوتُهُمُ الْخَاوِيَةُ، فَلَمَّا قُطِعَ مِنْهَا الْأَلِفُ وَاللَّامُ نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، كَقَوْلِهِ:" وَلَهُ الدِّينُ واصِباً". وَقَرَأَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ وَنَصْرُ بْنُ عَاصِمٍ وَالْجَحْدَرِيُّ: بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهَا خَبَرٌ عَنْ" تِلْكَ" وَ" بُيُوتُهُمْ" بَدَلٌ مِنْ" تِلْكَ". وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ" بُيُوتُهُمْ" عَطْفُ بَيَانٍ وَ" خاوِيَةً" خَبَرٌ عَنْ" تِلْكَ". وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رُفِعُ" خاوِيَةً" عَلَى أَنَّهَا خَبَرُ ابْتِدَاءٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ هِيَ خَاوِيَةٌ، أَوْ بَدَلٌ مِنْ" بُيُوتُهُمْ" لِأَنَّ النَّكِرَةَ تُبْدَلُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ. (إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) بِصَالِحٍ (وَكانُوا يَتَّقُونَ) اللَّهَ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ. قِيلَ: آمَنَ بِصَالِحٍ قَدْرُ أَرْبَعَةِ آلَافِ رَجُلٍ. وَالْبَاقُونَ خَرَجَ بِأَبْدَانِهِمْ- فِي قَوْلِ مُقَاتِلٍ وَغَيْرِهِ- خُرَّاجٌ مِثْلَ الْحِمَّصِ، وَكَانَ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ أَحْمَرَ، ثُمَّ صَارَ مِنَ الْغَدِ أَصْفَرَ، ثُمَّ صَارَ فِي الثَّالِثِ أَسْوَدَ. وَكَانَ عَقْرُ النَّاقَةِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، وَهَلَاكُهُمْ يَوْمَ الْأَحَدِ. قَالَ مُقَاتِلٌ: فُقِعَتْ تِلْكَ الْخُرَّاجَاتُ، وَصَاحَ جِبْرِيلُ بِهِمْ خِلَالَ ذَلِكَ صَيْحَةً فَخَمَدُوا، وَكَانَ ذَلِكَ ضَحْوَةً. وَخَرَجَ صَالِحٌ بِمَنْ آمَنَ مَعَهُ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، فَلَمَّا دَخَلَهَا مَاتَ صَالِحٌ، فَسُمِّيَتْ حَضْرَمَوْتُ. قَالَ الضَّحَّاكُ: ثُمَّ بَنَى الْأَرْبَعَةُ الْآلَافِ مَدِينَةً يُقَالُ لَهَا حَاضُورًا، عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي قِصَّةِ أصحاب الرس.

[سورة النمل (٢٧): الآيات ٥٤ الى ٦١]

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤/١٦٨

قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَجَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَجَعَلَ لَها رَواسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١)." (١)

"قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ) أَيْ وَأَرْسَلْنَا لُوطًا، أَوِ اذْكُرْ لُوطًا." إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ" وهم أهل سدوم. وقال لقومه: (أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ) الْفَعْلَةَ الْقَبِيحَةَ الشَّنِيعَةَ. (وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) أَنَّهَا فَاحِشَةٌ، وَذَلِكَ أَعْظَمُ لِذُنُوبِكُمْ. وَقِيلَ: يَأْتِي بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ. وَكَانُوا لَا يستترون عتوا منهم وتمردا. (**أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّساءِ) أَعَادَ ذكرها لفرط قبحها وشنعتها. (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) إِمَّا أَمْرَ التَّحْرِيمِ أَوِ الْعُقُوبَةَ. وَاخْتِيَارُ الْخَلِيلِ وَسِيبَوَيْهِ تَخْفِيفُ الْهَمْزَةِ الثانية من" أإنكم" فَأَمَّا الْخَطُّ فَالسَّبِيلُ فِيهِ أَنْ يُكْتَبَ بِأَلِفَيْنِ عَلَى الْوُجُوهِ كُلِّهَا، لِأَنَّهَا همزة مُبْتَدَأَةٌ دَخَلَتْ عَلَيْهَا أَلِفُ الِاسْتِفْهَامِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ) أَيْ عَنْ أَدْبَارِ الرِّجَالِ. يَقُولُونَ ذَلِكَ اسْتِهْزَاءً مِنْهُمْ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ. وَقَالَ قَتَادَةُ: عَابُوهُمْ وَاللَّهِ بِغَيْرِ عَيْبٍ بِأَنَّهُمْ يَتَطَهَّرُونَ مِنْ أَعْمَالِ السُّوءِ. (فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ) وَقَرَأَ عَاصِمٌ:" قَدَرْنَا" مُخَفَّفًا وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ. يُقَالُ قَدْ قَدَرْتُ الشَّيْءَ قَدْرًا وَقَدَرًا وَقَدَّرْتُهُ. (وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ) أَيْ مَنْ أُنْذِرَ فَلَمْ يَقْبَلِ الْإِنْذَارَ. وَقَدْ مَضَى بَيَانُ هَذَا في" الأعراف" «١» و" هود2» "».

---

(١). راجع ج ٧ ص ٢٤٧ طبعه أولى أو ثانية.

(٢). راجع ج ٩ ص ٨١ وما بعدها طبعه أولى أو ثانية.." (٢)

"امْرَأَتَهُ عَلَى حِمَارٍ مِنْ هَذِهِ الدَّبَّابَةِ «١» وَهُوَ يَسُوقُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" صَحِبَهُمَا اللَّهُ إِنَّ عُثْمَانَ لَأَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ بَعْدَ لُوطٍ" قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: هَذَا فِي الْهِجْرَةِ الْأُولَى، وَأَمَّا الْهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ إِلَى الْحَبَشَةِ فَهِيَ فِيمَا زَعَمَ الْوَاقِدِيُّ سَنَةَ خَمْسٍ مِنْ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ." إِلى رَبِّي" أَيْ إِلَى رِضَا رَبِّي وَإِلَى حَيْثُ أَمَرَنِي. (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) تَقَدَّمَ. وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي الْهِجْرَةِ فِي" النِّسَاءِ" «٢» وغيرها. قوله تعالى: (وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ) أَيْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْأَوْلَادِ فَوَهَبَ لَهُ إِسْحَاقَ وَلَدًا وَيَعْقُوبَ وَلَدَ وَلَدٍ. وَإِنَّمَا وَهَبَ لَهُ إِسْحَاقَ مِنْ بَعْدِ إِسْمَاعِيلَ وَيَعْقُوبَ مِنْ إِسْحَاقَ. (وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ) فَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ صُلْبِهِ. وَوَحَّدَ الْكِتَابَ، لِأَنَّهُ أَرَادَ الْمَصْدَرَ كَالنُّبُوَّةِ، وَالْمُرَادُ

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢١٨/١٣

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢١٩/١٣

التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ [وَالْفُرْقَانُ]. فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْجَمْعِ. فَالتَّوْرَاةُ أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ، وَالْإِنْجِيلُ عَلَى عِيسَى مِنْ وَلَدِهِ، وَالْفُرْقَانُ عَلَى مُحَمَّدٍ مِنْ وَلَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. (وَآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا) يَعْنِي اجْتِمَاعَ أَهْلِ الْمِلَلِ عَلَيْهِ، قَالَهُ عِكْرِمَةُ. وروى سفيان عن حميد ابن قَيْسٍ قَالَ: أَمَرَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ إِنْسَانًا أَنْ يَسْأَلَ عِكْرِمَةَ عَنْ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ" وَآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا" فَقَالَ عِكْرِمَةُ: أَهْلُ الْمِلَلِ كُلِّهَا تَدَّعِيهِ وَتَقُولَ هُوَ مِنَّا، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: صَدَقَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ" وَآتَيْناهُ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً" أَيْ عَاقِبَةً وَعَمَلًا صَالِحًا وَثَنَاءً حَسَنًا. وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ كُلِّ دِينٍ يَتَوَلَّوْنَهُ. وَقِيلَ:" آتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا" أَنَّ أَكْثَرَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ وَلَدِهِ. (وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) لَيْسَ" فِي الْآخِرَةِ" دَاخِلًا فِي الصِّلَةِ وَإِنَّمَا هُوَ تَبْيِينٌ. وَقَدْ مَضَى فِي" الْبَقَرَةِ" «٣» بَيَانُهُ. وَكُلُّ هَذَا حَثٌّ عَلَى الِاقْتِدَاءِ بِإِبْرَاهِيمَ فِي الصَّبْرِ عَلَى الدين الحق.

[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٢٨ الى ٣٥]

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٢٨) **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ (٣١) قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٣٢)

وَلَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلى أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)

---

(١). أي الضعاف التي في المشي ولا تسرع.

(٢). راجع ج ٥ ص ٣٤٩ وما بعدها طبعه أولى أو ثانية.

(٣). راجع ج ٢ ص ١٣٣ طبعه ثانية.." [١]

"يَجِبُ، وَإِنْ لَمْ يَثْبُتْ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَثِيرًا، وَإِنْ عَزَّرَهُ الْحَاكِمُ كَانَ حَسَنًا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ قَتْلَ الْبَهِيمَةِ لِئَلَّا تُلْقِي خَلْقًا مُشَوَّهًا، فَيَكُونُ قَتْلُهَا مَصْلَحَةً لِهَذَا الْمَعْنَى مَعَ مَا جَاءَ مِنَ السُّنَّةِ.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/٣٤٠

وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَيْسَ عَلَى الَّذِي زَنَى بِالْبَهِيمَةِ حَدٌّ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَكَذَا قَالَ عَطَاءٌ. وَقَالَ الْحَكَمُ: أَرَى أَنْ يُجْلَدَ وَلَا يُبْلَغَ بِهِ الْحَدُّ. وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ بِمَنْزِلَةِ الزَّانِي. وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: يُجْلَدُ مِائَةً أَحْصَنَ أَوْ لَمْ يُحْصِنْ. وَقَالَ مَالِكٌ وَالثَّوْرِيُّ وَأَحْمَدُ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ يُعَزَّرُ. وَرُوِيَ عَنْ عَطَاءٍ وَالنَّخَعِيِّ وَالْحَكَمِ. وَاخْتَلَفَتِ الرِّوَايَةُ «١» عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَهَذَا أَشْبَهُ عَلَى مَذْهَبِهِ فِي هَذَا الْبَابِ. وَقَالَ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ: يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْبَهِيمَةُ لَهُ. الرَّابِعَةُ- قَوْلُهُ تَعَالَى: (مَا سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ) " مِنْ" لِاسْتِغْرَاقِ الْجِنْسِ، أَيْ لَمْ يَكُنِ اللِّوَاطُ فِي أُمَّةٍ قَبْلَ «٢» قَوْمِ لُوطٍ. وَالْمُلْحِدُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَهُمْ. وَالصِّدْقُ مَا وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ. وَحَكَى النَّقَّاشُ أَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ أَصْلَ عَمَلِهِمْ بِأَنْ دَعَاهُمْ إِلَى نَفْسِهِ لَعَنَهُ اللَّهُ، فَكَانَ يَنْكِحُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. قَالَ الْحَسَنُ: كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِالْغُرَبَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ يَفْعَلُهُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ. وَرَوَى ابْنُ مَاجَهْ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ). وَقَالَ مُحَمَّدُ بن سيرين: ليس شي مِنَ الدَّوَابِّ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ إِلَّا الخنزير والحمار.

[سورة الأعراف (٧): آية ٨١]

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١)

قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّكُمْ) قَرَأَ نَافِعٌ وَحَفْصٌ عَلَى الْخَبَرِ بِهَمْزَةٍ وَاحِدَةٍ مَكْسُورَةٍ، تَفْسِيرًا لِلْفَاحِشَةِ الْمَذْكُورَةِ، فَلَمْ يَحْسُنْ إِدْخَالُ الِاسْتِفْهَامِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ يَقْطَعُ مَا بَعْدَهُ مِمَّا قَبْلَهُ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِهَمْزَتَيْنِ عَلَى لَفْظِ الِاسْتِفْهَامِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّوْبِيخُ وَحَسُنَ ذَلِكَ لِأَنَّ ما قبله وبعده «٣» كَلَامٌ مُسْتَقِلٌّ. وَاخْتَارَ الْأَوَّلَ أَبُو عُبَيْدٍ وَالنَّسَائِيُّ وغيرهما، واحتجوا بقوله عز وجل:

---

(١). في ب وج وز وك: الروايات.

(٢). في ج: غير.

(٣). كذا في الأصول والعبارة غير واضحة. [.....]." [1]

"قوله تعالى: (مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ).

قال الزمخشري: هذه جملة مستأنفة.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٧/٢٤٥

قال الطيبي: أراد أن هذا ابتداء كلام وليس المراد حقيقة الاستئناف.

ابن عرفة: لأن الاستئناف عند البيانيين هو الواقع جوابا لسؤال مقدر ويبعد أن يكون حالا؛ لأنه تعبير للكلام جملة واحدة، وجعله جملة أبلغ في التأكيد والإطناب.

قوله تعالى: (مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ).

قال الزمخشري: من الأولى زائدة لتأكيد النفي، والثانية للتبيين.

قال الطيبي: والثاني بدل من الأول، ورده ابن عرفة. بأن (مِنْ أَحَدٍ) فاعل لـ سبقكم و (مِنَ الْعَالَمِينَ) لَا يصح أن يكون فاعلا؛ لأنه لتبيين نكرة، ولا يكون الاسم الواقع بعد النفي في موضع الفاعل إلا إذا كان نكرة قد دخلت عليه من نحو ما جاء من رجل، أو من أحد.

قال بعض الطلبة: ما قاله أيضا باطل من جهة أن المعنى ما سبقكم بها بعض العالمين؛ فدل بالمفهوم أن فريقا آخر من العالمين سبقهم بها إلا أن يجعل البعض عاما.

وأجاب ابن عرفة بأن المنطقيين، قالوا: إن السالبة الجزئية لها ثلاثة صور: ليس بعض، وبعض ليس، وليس كل، وفرقوا بين بعض ليس وليس بعض. بأن ليس بعض على نوعين: فنقول: ليس بعض إلا ليس عالما؛ فيكون خصوصا حقيقة، وتقول: ليس بعض [الأشياء*] بحجم فيكون خصوصية عاما؛ فانظر هل هذا مما خصوصه عموما أم لَا؟ والظاهر أن خصوصه باق على حقيقته فيلزم المفهوم فلا يصح ما قاله الطيبي.

قوله تعالى: ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً ... (٨١)﴾

الزمخشري: مفعول من أجله أو حال.

ابن عرفة: هو عندي بعد الفريضة فيجري فيه الأوجه الثلاثة، إما مصدر للأول، أو نعت لمصدر من لفظ الأول، أو مصدر لفعل مقدر من لفظه بعد الفرق بين كونه مفعولا من أجله وكونه حالا، فالفرق بين كل شيء علة كاملة، وبين كونه صفة الفاعل، كما يفرق بين الصاحب الغريب وبين من يمتثل أمرك، تقول: فلان يضجر السفهاء، وفلان يمتثل أمر السفهاء؛ فالذم بهذا الثاني أشد؛ فجعله مفعولا من أجله أبلغ من الذم، معناه أنتم ممتثلون أمر شهوتكم وطابعون عليها.." (١)

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٢٣٤/٢

"(إنكم لتأتون الرجال) في أدبارهم هذا توبيخ آخر أشنع مما سبق لتأكيده بأن وباللام واسمية الجملة (شهوة) أي تشتهونهم شهوة أو لأجل الاشتهاء أو مشتهين، يقال شهى يشهى شهوة وشها يشهو شهوة، قال ابن عباس: إنما كان." (١)

"وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١)." (٢)

"الاستبعاد، وفي هذا الاستفهام المكرر اختلف القراء اختلافاً منتشراً وهو في أحد عشر موضعاً في تسع سور من القرآن ولا بدّ من تعيينها.

فأولها هنا.

والثاني والثالث في الإسراء بلفظ واحد (أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً).

والرابع: في المؤمنون (أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون).

والخامس: في النمل (أئذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون).

والسادس: في العنكبوت (أئنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين) (أئنكم لتأتون الرجال).

والسابع: في ألم السجدة (أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد).

والثامن والتاسع: في الصافات (أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون) وأئنا لمدينون.

والعاشر: في الواقعة مثل الصافات.

والحادي عشر: في النازعات (أئنا لمردودون في الحافرة * أئذا كنا عظاماً نخرة). فهذه هي المواضع المختلف فيها ثم الوجه في قراءة م ن استفهم في الأول والثاني المبالغة في الإنكار فأتى به في الجملة الأولى وأعاد في الثانية تأكيداً له، والوجه في قراءة من أتى به مرة واحدة حصول المقصود، لأن كل جملة مرتبطة بالأخرى فإذا أنكر في إحداهما حصل الإنكار في الأخرى، ذكره السمين، وتقديم الظرف في قوله (لفي خلق) لتأكيد الإنكار بالبعث.

وكذلك تكرير الهمزة في قوله أئنا، والمعنى أي نعاد خلقاً جديداً بعد." (٣)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٠٢/٤

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٠٢/٤

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٩/٧

"وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (٥٧)." [١]

"(أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ)؟ فيه تكرير للتوبيخ مع التصريح، بأن تلك الفاحشة هي اللواطة التي أبهمها أولا، وفيه إشارة إلى أن فعلتهم هذه مما يعي الواصف، ولا يبلغ كنه قبحها، ولا يصدق ذو عقل أن أحداً يفعلها، ثم علل ذلك بقوله:

(شهوة) تنزيلاً لهم إلى رتبة البهائم التي ليس فيها قصد ولد. ولا عفاف، والتقدير للشهوة أو إتياناً شهوة؛ أو مشتهين لهم.

(من دون النساء) أي متجاوزين النساء اللاتي هن محل لذلك، وفيه إشارة إلى أنهم أساءوا من الطرفين في الفعل والترك.

(بل أنتم قوم تجهلون) التحريم، أو عاقبة فعلكم، والعقوبة على هذه المعصية، قيل: أراد بالجهل السفاهة التي كانوا عليها، أو تفعلون فعل الجاهلين بقبحه، وقد اجتمع الخطاب والغيبة هنا، وفي قوله: بل أنتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على الغيبة لأنه أقوى وأرسخ إذ الأصل أن يكون الكلام بين الحاضرين.." [٢]

"**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠)." [٣]

"(أئنكم لتأتون الرجال) أي: تلوطون بهم (وتقطعون السبيل) قيل: إنهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين، فلما فعلوا ذلك ترك الناس المرور بهم، فقطعوا السبيل بهذا السبب، قال الفراء: كانوا يعترضون الناس في الطرق بعملهم الخبيث. وقيل: كانوا يقطعون الطريق على المارة: بقتلهم ونهبهم، والظاهر أنهم كانوا يفعلون ما يكون سبباً لقطع الطريق، من غير تقييد بسبب خاص، وقيل: إن معنى قطع الطريق قطع النسل بالعدول عن النساء إلى الرجال.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٥٤/١٠

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن ، صديق حسن خان ٥٦/١٠

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٨٦/١٠

(وتأتون في ناديكم المنكر) النادي والندى والمنتدى مجلس القوم ومتحللهم، ولا يقال للمجلس ناد إلا ما دام فيه أهله، واختلف في المنكر الذي كانوا يأتونه فيه، فقيل: كانوا يحذفون الناس بالحصباء ويستخفون بالغريب.

وعن أم هاني بنت أبي طالب قالت: سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن هذه الآية قال: " كانوا يجلسون بالطريق، فيخذفون أبناء السبيل، ويسخرون منهم ". أخرجه أحمد، والترمذي وحسنه، وقال: لا نعرفه إلا من حديث حاتم بن أبي صغيرة عن سماك.

وأخرج ابن مردويه عن جابر أن النبي – صلى الله عليه وسلم –: " نهى عن الخذف "، وهو قول الله سبحانه (وتأتون في ناديكم المنكر) وعن ابن عمر قال: في." (١)

"وقد ذكر الله عن أنبيائه وعباده الصالحين من ذكر الفاحشة / وعلائقها على وجه الذم ما فيه عبرة، قال تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٠] ، إلى آخر القصة في مواضع من كتابه . فهذا لوط خاطب أهل الفاحشة ـ وهو رسول الله ـ بتقريعهم بها بقوله : ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ﴾ وهذا استفهام إنكار ونهي، إنكار ذم، ونهي، كالرجل يقول للرجل : أتفعل كذا وكذا ؟ أما تتقي الله ؟ ثم قال : ﴿ أ **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِّن دُونِ النِّسَاء ﴾ [النمل : ٥٥] ، وهذا استفهام ثان فيه من الذم والتوبيخ ما فيه، وليس هذا من باب القذف واللمز .

وكذلك قوله : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٦٠] ، إلى آخر القصة، فقد واجههم بذمهم وتوبيخهم على فعل الفاحشة، ثم إن أهل الفاحشة توعدوهم وتهددوهم بإخراجهم من القرية، وهذا حال أهل الفجور إذا كان بينهم من ينهاهم طلبوا نفيه وإخراجه، وقد عاقب الله أهل الفاحشة اللوطية بما أرادوا أن يقصدوا به أهل التقوي؛ حيث أمر بنفي الزاني ونفي المخنث، فمضت سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم بنفي هذا وهذا، وهو ـ سبحانه ـ أخرج المتقين من بينهم عند نزول العذاب .

وكذلك ما ذكره تعالى في قصة يوسف : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [يوسف : ٣٢ـ ٣٤] ، وما ذكره بعد ذلك فمن كلام يوسف من قوله : ﴿ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف : ٥٠] ، وهذا من باب الاعتبار الذي يوجب انتهار النفوس عن معصية الله والتمسك بالتقوي، وكذلك ما بينه في آخر السورة بقوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٨٦/١٠

عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ [يوسف : ١١١] .
." (١)

"وأما أهل الفواحش الذين لا يغضون أبصارهم ولا يحفظون فروجهم، فقد وصفهم الله بضد ذلك : من السكرة، والعمه، والجهالة، وعدم العقل، وعدم الرشد، والبغض، وطمس الأبصار، هذا مع ما وصفهم به من الخبث، والفسوق، والعدوان، والإسراف، والسوء ، والفحش ، والفساد، والإجرام ، فقال عن قوم لوط : ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [النمل : ٥٥] ، فوصفهم بالجهل، وقال ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر : ٧٢] ، وقال : ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [هود : ٧٨] ، وقال : ﴿ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ [القمر : ٣٧] ، وقال : ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [الأعراف : ٨١] ، وقال : ﴿ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [النمل : ٦٩] ، وقال : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٤] ، وقال : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَر ﴾ إلى قوله : ﴿ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [العنكبوت : ٢٩ . ٣٤] ، وقوله : ﴿ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الذاريات : ٣٤] .

فَصْل

." (٢)

"وقوله: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ تفسيره مثل تفسير قوله في قصة نوح عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ [لأعراف: ٦٢]. واللام في "لقد" لام القسم، وتقدم نظيره عند قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً﴾ [الأعراف: ٥٩].

والاستدراك بـ"لكن" ناشئ عن قوله: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ لأنه مستعمل في التبرؤ من التقصير في معالجة كفرهم، سواء كان بحيث هم يسمعونه أم كان قاله في نفسه، فذلك التبرؤ يؤذن بدفع توهم تقصير في الإبلاغ والنصيحة لانعدام ظهور فائدة الإبلاغ والنصيحة، فاستدرك بقوله: ﴿وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ ، أي تكرهون الناصحين فلا تطيعونهم في نصحهم. لأن المحب لمن يحب مطيع، فأراد بذلك الكناية عن رفضهم النصيحة.

واستعمال المضارع في قوله: ﴿لا تُحِبُّونَ﴾ إن كان في حال سماعهم قوله فهو للدلالة على التجديد

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤٨٧/٣

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٥٤/٤

والتكرير، أي لم يزل هذا دأبكم فيكون ذلك آخر علاج لإقلاعهم إن كانت فيهم بقية للإقلاع عما هم فيه، وإن كان بعد انقضاء سماعهم فالمضارع لحكاية الحال الماضية مثلها في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً﴾ [فاطر: ٩].

[٨١,٨٠] ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾.

عطف ﴿وَلُوطاً﴾ على ﴿نُوحاً﴾ في قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً﴾ [الأعراف: ٥٩] فالتقدير: وأرسلنا لوطا، وتغيير الأسلوب في ابتداء قصة لوط وقومه إذ ابتدئت بذكر "لوطا" كما ابتدئت قصة بذكر نوح لأنه لم يكن لقوم لوط اسم يعرفون به كما لم يكن لقوم نوح اسم يعرفون به. و"إذ" ظرف متعلق بـ"أرسلنا" المقدر يعني أرسلناه وقت قال لقومه، وجعل وقت القول ظرفا للإرسال لإفادة مبادرته بدعوة قومه إلى ما أرسله الله به، والمقارنة التي تقتضيها الظرفية بين وقت الإرسال ووقت قوله، مقارنة عرفية بمعنى شدة القرب بأقصى ما يستطاع من مبادة التبليغ.

وقوم لوط كانوا خليطا من الكنعانيين وممن نزل حولهم. ولذلك لم يوصف بأنه أخوهم إذ لم يكن من قبائلهم، وإنما نزل فيهم واستوطن ديارهم. ولوط عليه السلام هو ابن أخي إبراهيم عليه السلام كما تقدم في سورة الأنعام، وطان لوط عليه السلام قد نزل." (١)

"وجملة: ﴿إِنَّكُم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ مبينة لجملة ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ ، والتأكيد بإن واللام كناية عن التوبيخ لأنه مبني على تنزيلهم منزلة من ينكر ذلك لكونهم مسترسلون عليه غير سامعين لنهي الناهي. والإتيان كناية عن عمل الفاحشة.

وقرأ نافع، والكسائي، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر: ﴿إِنَّكُمْ﴾ بهمزة واحدة مكسورة بصيغة الخبر، فالبيان راجع إلى الشيء المنكر بهمزة الإنكار في ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ ، وبه يعرف بيان الإنكار، ويجوز اعتباره خبرا مستعملا في التوبيخ، ويجوز تقدير همزة استفهام حذفت للتخفيف ولدلالة ما قبلها. وقرأه البقية: ﴿أَإِنَّكُمْ﴾ بهمزتين على صيغة الاستفهام فالبيان للإنكار، وبه يعرف بيان المنكر، فالقراءتان مستويتان.

والشهوة: الرغبة في تحصيل شيء مرغول، وهي مصدر شهي كرضى، جاء على صيغة الفعلة وليس مرادا به المرة.

وانتصب ﴿شَهْوَةً﴾ على المفعول لأجله. والمقصود من هذا المفعول تفظيع الفاحشة وفاعليها بأنهم يشتهون

---

(١) التحرير والتنوير، ١٧٧/٨

ما هو حقيق بأن يكره ويستفظع.

وقوله: ﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ زيادة في التفظيع وقطع للعذر في فعل هذه الفاحشة، وليس قيدا للإنكار، فليس إتيان الرجال مع إتيان النساء بأقل من الآخر فظاعة، ولكن المراد أن إتيان الرجال كله واقع في حالة من حقها إتيان النساء، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ [الشعراء: ١٦٦].

و ﴿بَلْ﴾ للإضراب الانتقالي، للانتقال من غرض الإنكار إلى غرض الذم والتحقير والتنبيه إلى حقيقة حالهم. والإسراف مجاوزة العمل مقدار أمثاله في نوعه، أي المسرفون في الباطل والجرم، وقد تقدم عند قوله تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً﴾ في سورة النساء [٦] وعند قوله تعالى: ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ في سورة الأنعام [١٤١].

ووصفهم بالإسراف بطريق الجملة الاسمية الدالة على الثبات، أي أنتم قوم تمكن منهم الإسراف في الشهوات فلذلك اشتهوا شهوة غريبة لما سئموا الشهوات المعتادة. وهذه شنشنة الاسترسال في الشهوات حتى يصبح المرء لا يشفي شهوته شيء، ونحوه قوله عنهم في آية أخرى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦].." (١)

"[٥٤، ٥٥] ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ .

عطف ﴿لُوطاً﴾ على ﴿صَالِحاً﴾ في قوله السابق ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾ [النمل: ٤٥]. ولا يمنع من العطف أن العامل في المعطوف تعلق به قوله ﴿إِلَى ثَمُودَ﴾ لأن المجرور ليس قيدا لمتعلقه، ولكنه كواحد من المفاعيل فلا ارتباط له بالمعطوف على مفعول آخر. فإن الإتباع في الإعراب يميز المعطوف عليه من غيره. وقد سبق نظير هذا في سورة الأعراف. ولم يذكر المرسل إليهم هنا كما ذكر في قصة ثمود لعدم تمام المشابهة بين قوم لوط وبين قريش فيما عدا التكذيب والشرك. ويجوز أن ينصب ﴿وَلُوطاً﴾ بفعل مقدر تقديره: واذكر لوطا، لأن وجود ﴿إِذْ﴾ بعده يقربه من نحو ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ﴾ .

وتعقيب قصة ثمود بقصة قوم لوط جار على معتاد القرآن في ترتيب قصص هذه الأمم فإن قوم لوط كانوا متأخرين في الزمن عن ثمود.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٧٩/٨

وإنما الذي يستشير سؤالا هنا هو. الاقتصار على قصة قوم لوط دون قصة عاد وقصة مدين. وقد بينته آنفا أنه لمناسبة مجاورة ديار قوم لوط لمملكة سليمان ووقوعها بين ديار ثمود وبين فلسطين وكانت ديارهم ممر قريش إلى بلاد الشام قال تعالى ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾ [الحجر: ٧٦] وقال ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧ - ١٣٨].

وظرف ﴿إِذْ﴾ يتعلق بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أو بـ"اذكر" المقدرين. والاستفهام في ﴿أَتَأْتُونَ﴾ إنكاري.

وجملة ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ حال زيادة التشنيع، أي تفعلون ذلك علنا يبصر بعضكم بعضا، فإن التجاهر بالمعصية معصية لأنه يدل على استحسانها وذلك استخفاف بالنواهي.

وقوله ﴿أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾ تقدم في [الأعراف: ٨١] ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾ ، فهنا جيء بالاستفهام الإنكاري وما في الأعراف جاء لخبر المستعمل في الإنكار، فيجوز أن يكون اختلاف الحكاية لاختلاف المحكي بأن يكون لوط قد قال لهم المقالتين في مقامين." (١)

"فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾

هذا الكلام عقبت به قصة إبراهيم تبيانا لفضله إذ لا علاقة له بالقصة. والظاهر أن يكون المراد بـ ﴿وهبنا، وجعلنا﴾ الإعلام بذلك فيكون من تمام القصة كما في سورة هود. وتقدم نظير هذه الآية في الأنعام في ذكر فضائل إبراهيم. والكتاب مراد به الجنس فالتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن كتب نزلت في ذرية إبراهيم.

[٢٧] ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

جمع الله له أجرين: أجرا في الدنيا بنصره على أعدائه وبحسن السمعة وبث التوحيد ووفرة النسل، وأجرا في الآخرة وهو كونه في زمرة الصالحين، والتعريف للكمال، أي من كمل الصالحين.

[٢٨-٣٠] ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾

الانتقال من رسالة إبراهيم إلى قومه إلى رسالة لوط لمناسبة أنه شابه إبراهيم في أن أنجاه الله من عذاب الرجز. والقول في صدر هذه الآية كالقول في آية ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ المتقدم آنفا. وتقدم نظيرها في سورة النمل وفي سورة الشعراء.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٧٩/١٩

وما بين الآيات من تفاوت هو تفنن في حكاية القصة للغرض الذي ذكرته في المقدمة السابعة، إلا قوله هنا ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ فإنه لم يقع له نظير فيما مضى.
وقوم لوط من الكنعانيين وتقدم ذكرهم في سورة الأعراف.
وتوكيد الجملة بـ(إن) واللام توكيد لتعلق النسبة بالمفعول لا تأكيد للنسبة، فالمقصود." (١)

"تحقيق أن الذي يفعلونه فاحشة، أي عمل قبيح بالغ الغاية في القبح، لأن الفحش بلوغ الغاية في شيء قبيح لأنهم كانوا غير شاعرين بشناعة عملهم وقبحه.
وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم وأبو جعفر ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ بهمزة واحدة على الإخبار المستعمل في التوبيخ. وقرأه أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ويعقوب وخلف بهمزتين: همزة الاستفهام وهمزة (إن). وقرأ الجميع ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ بهمزتين. وفي الكشاف: قال أبو عبيد وجدت الأول ﴿أي إنكم لتأتون الفاحشة﴾ في الإمام بحرف واحد بغير ياء، أي بغير الياء التي تكتب الهمزة المكسورة على صورتها ورأيت الثاني (أي ﴿أينكم لتأتون الرجال﴾) بحرفي الياء والنون اه. يعني الياء بعد همزة الاستفهام والنون نون إن . ولعله يعني بالإمام مصحف البصرة أو الكوفة فتكون قراءة قرائهما رواية مخالفة لصورة الرسم.
وجملة ﴿أينكم لتأتون الرجال﴾ الخ بدل اشتمال من مضمون جملة ﴿لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ ، باعتبار ما عطف على جملة ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ من قوله ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ الخ لأن قطع السبيل وإتيان المنكر في ناديهم مما يشتمل عليه إتيان الفاحشة.
وأدخل استفهام الإنكار على جميع التفصيل وأعيد حرف التأكيد لتتطابق جملة البدل مع الجملة المبدل منها لأنها الجزء الأول من هذه الجملة المبدلة عند قطع النظر عما عطف عليها تكون من الجملة المبدل منها بمنزلة البدل المطابق.
وقطع السبيل: قطع الطريق، أي التصدي للمارين فيه بأخذ أموالهم أو قتل أنفسهم أو إكراههم على الفاحشة. وكان قوم لوط يقعدون بالطرق ليأخذوا من المارة من يختارونه.
فقطع السبيل فساد في ذاته وهو أفسد في هذا المقصد. وأما إتيان المنكر في ناديهم فإنهم جعلوا ناديهم للحديث في ذكر هذه الفاحشة والاستعداد لها ومقدماتها كالتغازل برمي الحصى اقتراعا بينهم على من يرمونه، والتظاهر بتزيين الفاحشة زيادة في فسادها وقبحها لأنه معين على نبذ التستر منها ومعين على

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦١/٢٠

شيوعها في الناس.

وفي قوله ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ تشديد في الإنكار عليهم في أنهم الذين سنوا هذه الفاحشة السيئة للناس وكانت لا تخطر لأحد ببال، وإن كثيرا من المفاسد تكون الناس في غفلة عن ارتكابها لعدم الاعتياد بها حتى إذا أقدم أحد على فعلها وشوهد." (١)

"والباء في " بها " فيها وجهان : أظهرهما أنها حالية ، أي : ما سبقكم أحد مصاحبا لها أي : ملتبسا بها.

والثاني : أنها للتعدية.

قال الزمخشري : الباء للتعدية من قولك : " سبقته بالكرة " إذا ضربتها قبله.

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : " سبقك بها عكاشة ".

قال أبو حيان : " والتعدية هنا قلقة جدا ؛ لأن " الباء " المعدية في الفعل المتعدي لواحد [هي] بجعل المفعول الأول يفعل ذلك الفعل بما دخلت عليه الباء فهي كالهمزة ، وبيان ذلك أنك إذا قلت : " صككت الحجر بالحجر "كان معناه : أصككت الحجر بالحجر أي : جعلت الحجر يصك الحجر ، فكذلك : دفعت زيدا بعمرو عن خالد ، معناه : أدفعت زيدا عمرا عن خالد أي جعلت زيدا يدفع عمرا عن خالد فللمفعول الأول تأثير في الثاني ولا يصح هذا المعنى هنا ؛ إذ لا يصح أن يقدر : أسبقت زيدا الكرة أي : جعلت زيدا يسبق الكرة غلا بمجاز متكلف ، وهو أن تجعل ضربك ىلكرة أول جعل ضربة قد سقبها أي : تقدمها في الزمان فلم يجتمعا ".

و " من " الأولى لتأكيد استغراق النفي والثانية للتبعيض.

والوجه الثاني من وجهي الجملة : أنها حال ، وفي صاحبها وجهان : أحدهما : هو الفاعل أي : أتأتون مبتدئين بها.

والثاني : هو المفعول أي : أتأتونها مبتدأ بها غير مسبوقة من غيركم.

قال عمرو بن دينار : " ما يراد ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط ".

قوله : " أإنكم " قرأ نافع وحفص عن عاصم : " إنكم " على الخبر المستأنف ، وهو بيان تلك الفاحشة ، وقرأ الباقون بالاستفهام المقتضي للتوبيخ ، فقرأ ابن كثير بهمزة غير

٢٠٤

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦٢/٢٠

ممدودة وتليين الثانية ، وقرأ أبوا عمرو بهمزة ممدودة للتخفيف وتليين الثانية ، والباقون بهمزتين على الأصل.
قال الواحدي : "كان هذا استفهاما معناه الإنكار لقوله تعالى : " أتأتون الفاحشة " ، وكل واحد من الاستفهامين جملة مستقلة غير محتاجة في تمامها إلى شيء آخر ".
قوله : ﴿لتأتون الرجال شهوة﴾ قيل : نصب " شهوة " على أنه مفعول من أجله ، أي : لأجل الاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة لا غير.
وقيل : إنها مصدر واقع موقع الحال ، أي : مشتهين أو باق على مصدريته ، ناصبة " أتأتون " ؛ لأنه بمعنى أتشتهون.
ويقال : شهي يشهى شهوة ، [وشها يشهو شهوة] قال الشاعر : [الطويل] ٢٥١٢ - وأشعث يشهى النوم قلت له : ارتحل
إذا ما النجوم أعرضت واسبكرت
جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢٠٢
وقد تقدم ذلك في آل عمران.
قوله : ﴿من دون النسآء﴾ فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنه متعلق بمحذوف ، لأنه حال من " الرجال " أي : أتأتونهم منفردين عن النساء.
والثاني : أنه متعلق بـ " شهوة " ، قاله الحوفي.
وليس بظاهر أن تقول : " اشتهيت من كذا " ، إلا بمعنى غير لائق هنا.
والثالث : أن يكون صفة لـ " شهوة " أي : شهوة كائنة من دونهن.
قوله : ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ " بل " للإضراب ، والمشهور أنه إضراب انتقال من قصة إلى قصة ، فقيل : عن مذكور ، وهو الإخبار بتجاوزهم عن الحد في هذه الفاحشة ، أو عن توبيخهم وتقريرهم ، والإنكار عليهم.
وقيل : بل للإضراب عن شيء محذوف.
واختف فيه : فقال أبو البقاء : " تقديره : ما عدلتم بل أنتم ".
وقال الكرماني : " بل " رد لجواب زعموا أن يكون لهم عذرا أي : " لا عذر لكم بل ".
وجاء هان بصفة القوم اسم الفاعل وهو " مسرفون " ؛ لأنه أدل على الثبوت ولموافقة رءوس الآي ؛ فإنهأ أسماء.

٢٠٥
وجاء في النمل [٥٥] ﴿تجهلون﴾ دلالة على أن جهلهم يتجدد كل وقت ولموافقة رءوس الآي فإنها أفعال.
فصل في الإسراف معنى " مسرفون " أي : يتجاوزون الحلال إلى الحرام.
قال الحسن : "كانوا لا ينكحون إلا الغرباء ".
وقال الكلبي : " إن أول من عمل عمل قوم لوط إبليس ؛ لأن بلادهم أخصبت فانتجعها أهل البلدان ، فتمثل لهم إبليس في صورة شاب ، ثم دعى إلى دبره فنكح في دبره ، فأمر الله – تعالى – السماء أن تحصبهم ، والأرض أن تخسف بهم.
جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢٠٢
." (١)

"قوله : ﴿وإن تعجب فعجب قولهم﴾ الآية لما ذكر الدليل على معرفة المبدأ ذكر بعده ما يدل على المعاد.
قال ابن عباس . رضي الله عهما. : " إن تعجب من تكذيبهم إياك بعد ما حكموا عتليك بأنك من الصادقين ، فهذا عجب ".
وقيل : إن تعجب يا محمد من عبادتهم ما لا يملك لهم ضرا ، ولا نفعا بعد ما عرفوا الدلائل الدالة على التوحيد ، فهذا عجب.
وقيل : تقدير الكلام : وإن تعجب يا محمد صلوات الله عليه فقد تعجبت في موضع العجب ، لأنهم لما اعترفوا بأنه . تعالى . مدبر السموات ، والأرضيين ، وخالق الخلق أجمعين ، وأنه هو الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ، وأنه الذي سخر الشمس ، والقمر على وفق مصالح العباد ، وهو الذي أظهر في العالم أنواع العجائب ، والغرائب ، فمن كانت قدرته وافية بهذه الأشياء العظيمة ، كيف لا تكون وافية بأعادة الإنسان بعد موته ؛ لأن القادر على الأقوى يكون قادرا على الأضعف بطريق الأولى ، وهذا تقرير موضع التعجب.
قوله : ﴿فعجب قولهم﴾ يجوز فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنه خبر مقدم ، و " قولهم " مبتدأ مؤخرن ولا بد من حذف [صفة] لتتم الفائدة ، أي : فعجب أي عجب ، أو غريب ، ونحوه.
الثاني : أنه مبتدأ ، وسوغ الابتداء ما ذكر من الوصف المقدر ، ولا يضر حنيئذ كون خبره معرفة ، هذا

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢٣٨٣

كما أعرب سيبويه : كم مالك وخير من أقصد رجلا خير منه أبوه مبتدأين لمسوغ الابتداء بهما ، وخبرهما معرفة ، قاله أبو حيان.

وللنزاع فيه مجال ؛ على أن هناك علة لا تتأتى هنا ، وهي : أن الذي حمل سيبويه على ذلك من المسألتين أن أكثر ما تقع موقع "كم " ، وخبر " ما " هو مبتدأ ؛ فلذلك حكم عليهما بحكم الغالب بخلاف ما نحن فيه.

الثالث : أن " عجب " مبتدأ بمعنى معجب ، و " قولهم " فاعل به ، قاله أبو البقاء.

٢٤٩

ورد عليه أبو حيان : بأنهم نصوا على أن " فعلا وفعلة وفعلا " ينوب عن " مفعول " في المعنى ، ولا يعمل عمله ، فلا تقول : " مررت برجل [ذبح] كبشه ولا غرف ماءه ولا قبض ماله ، وأيضا فإن الصفات لا تعمل إلا إذا اعتمدت على أشياء مخصوصة وليس منها هنا شيء.

والعجب : تغير النشفس برؤية المستبعد في العادة.

وقال القرطبي : العجب تغير النفس بما يخفى أسبابه.

قوله تعالى : ﴿أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد﴾ يجوز في هذه الجملة الاستفهامية وجهان : أظهرهما : أنها منصوبة المحل لحكايتها بالقول.

والثاني : أنها ، وما في حيزها في محل رفع بدلا من : " قولهم " وبه بدأ الزمخشري وعلى هذا فقولهم بمعنى مقولهم ويكون بدل كل ؛ لأن هذا هو نفس " قولهم " ، و " إذا " هنا ظرف محض ، وليس فيها معنى الشرط ، والعامل فيها مقدر يفسره ﴿لفي خلق جديد﴾ تقديره : أئذا كنا ترابا نبعث ، أو نحشر ، ولا يعمل فيها : ﴿خلق جديد﴾ ؛ لا ، ما بعد " إذا " لا يعمل فيما قبلها ، ولا يعمل فيها "كنا " لأضافتها إليها.

واختلف القراء في هذا الاستفهام المكرر اختلافا منتشرا ، وهو في أحد عشر موضعا في تسع سور من القرآن ولا بد من تعيينها ، [وبيان] مراتب القراء فيها ، فإن ضبطها عسر ليسهل ذلك بعون الله ـ تعالى ..

فأولها : ما في هذه السورة.

والثاني ، والثالث : الإسراء وهما : ﴿أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ [الإسراء : ٤٩] موضعان.

الرابع في المؤمنون : ﴿أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون﴾ [المؤمنون : ٨٢].

الخامس في النمل : ﴿أإذا كنا ترابا وآبآؤنآ أإنا لمخرجون﴾ [النمل : ٦٧].

السادس في العنكبوت : ﴿لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال﴾ [العنكبوت : ٢٨ ، ٢٩].

السابع في " الم " السجدة : ﴿أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد﴾ [السجدة : ١٠].

الثامن ، والتاسع في الصافات موضعان [الصافات : ١٦].

العاشر : في الواقعة : ﴿أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون﴾ [الواقعة : ٤٧].

الحادي عشر في النازعات : ﴿أإنا لمردودون في الحافرة أإذا كنا عظاما نخرة﴾ [النازعات : ١٠ ، ١١].

٢٥٠

(١) ".

"أن تكون استئنافية جوابا لمن سأل عن ذلك وأن تكون حالية أي مبتدعين لها.

فإن قيل : قال إبراهيم لقومه : " اعبدو الله " ، وقال لوط لقومه هاهنا : ﴿أئنكم لتأتون الفاحشة﴾ ولم يأمرهم بالتوحيد ، فما الحكمة ؟ فالجواب : انه لما ذكر الله لوطا عند ذكر إبراهيم كان لوط في زمن إبراهيم فلم يذكر عن لوط أنه أمر قومه بالتوحيد مع الرسول لا بد أن يقول ذلك فحكاية لوط وغيرها هاهنا ذكرها الله على سبيل الاختصار فاقتصر على ما اختص به لوط وهو المنع من الفاحشة ، ولم يذكر عنه الأمر بالتوحيد ، وإن كان قاله في موضع آخر حيث قال : ﴿اعبدوا الله ما لكم من إلاه غيره﴾ [هود : ٦١] ؛ لأن ذلك قدأتى به إبراهيم ، وسبقه فصار كالمختص به ، وأما المنع من علم قوم " لوط " فكان مختصا " بلوط " فذكر كل واحد بما اختص به ، وسبق به غيره.

فصل دلت الآية على وجوب الحد في اللواطة ، لأنه سماها فاحشة ، وقد ثبت أن إتيان الفاحشة يوجب الحد ، وأيضا أن الله تعالى جعل عذاب من أتاها إمطار الحجارة عليهم عاجلا وهو الرجم.

وتقدم الككلام على قوله : ﴿ما سبقكم بها من أحد﴾.

قوله : ﴿أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل﴾ ، قيل : كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم ، وقيل : يقطعون سبيل النسل بإتيان الرجال ، كقوله : ﴿إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النسآء﴾ [الأعراف : ٨١][النمل : ٥٥] ، ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ قال أبو العباس المقري.

ورد لفظ النادي في القرآن بإزاء معنيين : الأول : النادي مجلس القوم المحدد فيه لهذه الآية.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٣٠٤٧

والثاني : بمعنى الناصر ، كقوله تعالى : ﴿فليدع ناديه﴾ [العلق : ١٧] ، أي ناصره يعني أبا جهل.
٣٤٤
واعلم أن النادي (والندي) والمنتدى مجلس القوم ومتحدثهم ، روى أبو صالح مولى أم هانىء بنت أبي طالب " قالت : سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن قوله : ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ قلت : ما المنكر الذي كانوا يأتون ؟ قال : كانوا يخذفون أهل الطرق ، ويسخرون منهم.
> " وروي أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى ، فإذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه كان أولى به.
وقيل : إنه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ، ولهم قاضي بذلك ، وقال القاسم بن محمد : كانوا يتضارطون في مجالسهم.
وقال مجاهد : كان يجامع بعضهم بعضا في مجالسهم.
وعن عبد الله بن سلام : يبزق بعضهم على بعض.
وعن مكحول قال : من أخلاق قوم لوط مضغ العلك ، وتطريق الأصابع بالحناء ، وحل الإزار ، والصفير ، والخذف ، واللوطية.
(قوله) : ﴿فما كان جواب قومه﴾ ، لما أنكر عليهم " لوط " ما يأتون به من القبائح
٣٤٥
." (١)

"٨٧١٥- حَدَّثَنَا موسى بْنُ أَبِي موسى الْخَطْمِيُّ، ثنا هَارُونُ بْنُ حَاتِمٍ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَمَّادٍ، عَنْ أَسْبَاطِ، عَنِ السُّدِّيِّ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، قَوْلُهُ : " " فِي دَارِهِمْ " : يَعْنِي الْمُعَسْكَرَ كُلَّهُ".
قَوْلُهُ تَعَالَى : " جَاثِمِينَ "
٨٧١٦- أَخْبَرَنَا أَبُو يَزِيدَ الْقَرَاطِيسِيُّ، فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ، ثنا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، فِي قَوْلِهِ : " " فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ " ، قَالَ : مَيِّتِينَ".
قَوْلُهُ تَعَالَى : " فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي "
٨٧١٧- حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا صَفْوَانُ، ثنا الْوَلِيدُ، ثنا سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِ اللَّهِ : " " فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ " ، قَالَ : إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَالِحًا أَسْمَعَ قَوْمَهُ كَمَا وَاللَّهِ

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٠٤٤

أَسْمَعَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ".

قال تعالى:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى : " وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ " ." (١)

"٨٧٢٢- حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ، أَنْبَأَ بِشْرُ بْنُ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ : " " أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ " ، قَالَ : يَعْنِي الأَدْبَارَ".

قَوْلُهُ تَعَالَى : " مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ "

٨٧٢٣- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْهِسِنْجَانِيُّ، ثنا مُسَدَّدٌ، ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلَيْهِ، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي نَجِيحٍ، يَقُولُ : " " أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ " ، قَالَ : قَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ : مَا نَزَلُوا ذَكَرَ عَلَى ذَكَرٍ حَتَّى كَانَ قَوْمُ لُوطٍ".

قَوْلُهُ تَعَالَى : " إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ "

٨٧٢٤- ثنا أَبِي، ثنا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّنَافِسِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ أَبِي صَخْرَةَ، قَالَ : "كَانَتِ اللُّوطِيَّةُ فِي قَوْمِ لُوطٍ فِي النِّسَاءِ، قَبْلَ أَنْ تَكُونَ فِي الرِّجَالِ، بِأَرْبَعِينَ سَنَةً".

٨٧٢٥- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ الطِّهْرَانِيُّ، فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ، ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ، قَالَ : سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ، يَقُولُ : "كَانَ سَدُومُ الَّذِينَ فِيهِمْ لُوطٌ قَوْمٌ سُوءٌ قَدِ اسْتَغْنَوْا عَنِ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ".

قَوْلُهُ تَعَالَى : " وَمَا كَانَ جَوَابُ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ " ." (٢)

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠٣/٦

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠٥/٦

"١٧٢٤٤- أَخْبَرَنَا أَبُو يَزِيدَ الْقَرَاطِيسِيُّ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ، أَنْبَأَ أَصْبَغُ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ: " وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ " ، قَالُوا:"زَعَمَ صَالِحٌ أَنَّهُ يَفْرُغُ مِنَّا إِلَى ثَلاثٍ، فَنَحْنُ نَفْرُغُ مِنْهُ وَأَهْلِهِ قَبْلَ ثَلاثٍ، وَكَانَ مَسْجِدٌ لَهُ فِي الْحِجْرِ فِي شِعْبٍ ثُمَّ يُصَلِّي فِيهِ، فَخَرَجُوا إِلَى كَهْفٍ، فَقَالُوا: إِذَا جَاءَ يُصَلِّي قَتَلْنَاهُ، ثُمَّ رَجَعْنَا إِذَا فَرَغْنَا مِنْهُ إِلَى أَهْلِهِ، فَفَرَغْنَا مِنْهُمْ، فَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: " تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا " الآيَةَ كُلَّهَا، قَالَ: فَبَعَثَ اللَّهُ صَخْرًا مِنَ الْهَضَبِ حِيَالَهُمْ تِلْكَ فَخَشُوا أَنْ يَشْتَدِخَهُمْ، فَبَادِرُوا الْغَارِ، فَطَفِقَتِ الصَّخْرَةُ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ الْغَارِ، فَلا يَدْرِي قَوْمُهُمْ أَيْنَ هُمْ، وَلا يَدْرُونَ مَا فُعِلَ بِقَوْمِهِمْ فَعَذَّبَ اللَّهُ هَؤُلاءِ هَاهُنَا وَهَؤُلاءِ هَاهُنَا، وَأَنْجَى اللَّهُ صَالِحًا وَمَنْ مَعَهُ، وَقَرَأَ: " فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا " ، وَقَرَأَ: " وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ " ".

قال تعالى:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: " أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ " ." (١)

"١٧٢٤٥- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الأَحْمَسِيُّ، ثنا وَكِيعٌ، ثنا الصَّلْتُ بْنُ بَهْرَامَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَسْعُودٍ الْعَبْدِيِّ، عَنْ أَبِي الْمُتْعَمِرِ، أَوْ عَنْ أَبِي الْجُوَيْرِيَةِ شَكَّ الصَّلْتُ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ عَلَى الْمِنْبَرِ:"سَلُوا"، فَقَالَ ابْنُ الْكَوَّاءِ: تُؤْتِي النِّسَاءُ فِي أَعْجَازِهِنَّ؟، فَقَالَ عَلِيٌّ:"سَفِلْتَ سَفَلَ اللَّهُ بِكَ أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ: " أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ " ".

١٧٢٤٦- حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا مِنْجَابٌ، أَنْبَأَ بِشْرٌ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: " أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ " ، يَعْنِي:"الأَدْبَارَ".

قَوْلُهُ تَعَالَى: " **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أنتم قوم تجهلون "

١٧٢٤٧- حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُصَفَّى، ثنا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْعَانِيُّ، عَنِ الأَوْزَاعِيِّ، عَنْ وَاصِلٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ:"إِنَّمَا تَعَلَّمَ قَوْمُ لُوطٍ اللُّوطِيَّةَ مِنْ قِبَلِ نِسَائِهِمْ".

قال تعالى:." (٢)

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١١/١٦٩

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١١/١٧٠

"﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ * وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ * قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: " فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ "

١٨٠٩٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْوَلِيدِ، ثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدًا، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: " فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ " ، أَيْ:"صَدَّقَهُ لُوطٌ".

١٨٠٩١- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى، ثنا سَلَمَةُ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ:"ثُمَّ إِنَّ نُمْرُودَ كَفَّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنَعَهُ اللَّهُ مِنْهُ وَاسْتَجَابَ لإِبْرَاهِيمَ رِجَالٌ مِنْ قَوْمِهِ حَيْثُ رَأَوْا مَا صَنَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ نُمْرُودَ مَلائِهِمْ، فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَكَانَ ابْنَ أَخِيهِ، وَآمَنَتْ بِهِ سَارَةُ وَكَانَتْ بِنْتَ عَمِّهِ".." (١)

"١٨١١٣- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الأَحْمَسِيُّ، ثنا وَكِيعٌ، حَدَّثَنِي الصَّلْتُ بْنُ بَهْرَامَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَسْعُودٍ الْعَبْدِيِّ، عَنْ أَبِي الْمُعْتَمِرِ، أَوْ عَنْ أَبِي الْجُوَيْرِيَةِ الصَّلْتِ، قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ:"سَلُوا، فَقَالَ ابْنُ الْكَوَّاءِ: تُؤْتَى النِّسَاءُ فِي أَعْجَازِهِنَّ؟، فَقَالَ عَلِيٌّ: سَفِلْتَ، سَفِلَ اللَّهُ بِكَ، أَلا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِهِ:" " أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ " ".

١٨١١٤- حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ، ثنا بِشْرُ بْنُ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: " أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ " ، قَالَ:"دِبَارُهُ".

قَوْلُهُ تَعَالَى: " مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ "

١٨١١٥- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْهِسِنْجَانِيُّ، ثنا مُسَدَّدٌ، ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُلَيَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي نَجِيحٍ، يَقُولُ:" " أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ " ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: مَا نَزَا ذَكَرٌ حَتَّى كَانَ قَوْمُ لُوطٍ".

قَوْلُه تَعَالَى: " **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ " تقدم تفسيره.

١٨١١٦- أَخْبَرَنَا أَبُو يَزِيدَ الْقَرَاطِيسِيُّ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ، ثنا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بن زيد

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١١/٤١٨

بْنَ أَسْلَمَ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: " وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ " ، قَالَ:"السَّبِيلُ: الطَّرِيقُ الْمُسَافِرُ إِذَا مَرَّ بِهِمْ، وَهُوَ ابْنُ السَّبِيلِ قَطَعُوا بِهِ وَعَمِلُوا بِذَلِكَ الْعَمَلِ الْخَبِيثِ"..." (١)

"– قوله تعالى : ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقا يختصمون * قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئه قبل الحسنه لولا تستغفرون الله اعلكم ترحمون * قالوا إطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون * وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون * قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون * ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون * فانظركيف كان عاقبة مكرهم إنا دمرناهم وقومهم أجمعين * فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا

إن في ذلك لآية لقوم يعلمون * وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون * ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون * **أإنكم لتأتون الرجال شهوة** من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون * فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون * فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين * وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين.

أخرج الفريابي ، وَابن أبي شيبه ، وعَبد بن حُمَيد ، وَابن جَرِير ، وَابن المنذر ، وَابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله ﴿فإذا هم فريقان يختصمون﴾ قال : مؤمن وكافر قولهم صالح مرسل من ربه ، وقولهم ليس بمرسل ، وفي قوله ﴿لم تستعجلون بالسيئة﴾ قال : العذاب ﴿قبل الحسنة﴾ قال : الرحمة ، وفي قوله ﴿قالوا اطيرنا بك﴾ قال : تشاءمنا ، وفي قوله ﴿وكان في المدينة تسعة رهط﴾ قال : من قوم صالح ، وفي قوله ﴿تقاسموا بالله﴾ قال : تحالفوا على هلاكه فلم يصلوا إليه حتى أهلكوا وقومهم أجمعين.

وأخرج عبد الرزاق ، وعَبد بن حُمَيد ، وَابن المنذر ، وَابن أبي حاتم عن قتادة في قوله ﴿فإذا هم فريقان يختصمون﴾ قال : ان القوم بين مصدق ومكذب ، مصدق بالحق ونازل عنده ومكذب بالحق تاركه ، في ذلك كانت خصومة القوم ﴿قالوا اطيرنا بك﴾ قال : قالوا : ما أصبنا من شر فإنما هو من قبلك ومن قبل من معك ﴿قال طائركم عند الله﴾ يقول : علم أعمالكم عند الله ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ قال : تبتلون بطاعة الله ومعصيته !." (٢)

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٤٢٤/١١

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٣٨٦/١١

"– قوله تعالى : ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين * أإنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا إئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين * قال رب انصرني على القوم المفسدين * ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين * قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين * ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين * إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون * ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون.

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد رضي الله عنهما في قوله ﴿وتقطعون السبيل﴾ قال : الطريق اذا مر بهم المسافر وهو ابن السبيل قطعوا به وعملوا به ذلك العمل الخبيث.

وأخرج ابن جرير ، وَابن المنذر ، وَابن أبي حاتم في قوله ﴿وتأتون في ناديكم﴾ قال : مجلسكم.

وأخرج الفريابي وأحمد ، وعَبد بن حُمَيد والترمذي وحسنه ، وَابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ، وَابن جَرِير ، وَابن المنذر ، وَابن أبي حاتم والشاشي في مسنده والطبراني والحاكم وصححه ، وَابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان ، وَابن عساكر عن أم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى

﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ قال كانوا يجلسون بالطريق فيخذفون ابن السبيل ويسخرون منهم.

". (١)

" صفحة رقم ٦١

الذين يعز عليّ ما يؤذيهم) لقد ابلغكم (ولعله وحد قوله : (رسالة بي (لكون آتيه واحدة) ونصحت (وقصر الفعل وعداه باللام فقال : (لكم (دلالة على أنه خاص بهم ، روي أنه خرج عنهم في مائة وعشرة من المسلمين وهويبكي ، وكان قومه ألفاً وخمسمائه دار ، وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولما كان التقدير : ففعلت معكم ماهو مقتض لأن تحبوني لأجله ، عطف عليه قوله : (ولكن (لم تحبوني ، هكذا كان الصل ولكنه عبر بما يفهم أن هذا كان دأبهم وخلقاً لهم مع كل ناصح فقال : (لا تحبون) أي حاكياً لحالهم الماضية) الناصحين) أي كل من فعل فعلي من النصح التام

الأعراف : (٨٠ – ٨٥) ولوطا إذ قال. .. . .

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٥٤٣/١١

) وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِّن دُونِ النِّسَآءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ (( )

ولما أتم سبحانه ما وفى بمقصد هذه السورة في هذا السياق من قصتهم ، اتبعه من بعده ممن تعرفه العرب كما فعل فيما فقال : (ولوطاًإذ قال (ولما كانت رسالته مدن شتى ، وكأنهم كانوا قبائل شتى ، قيل : كانوا خمسة وهي الؤتفكات ، وقيل : كانوا أبعة آلاف بين الشام والمدينة الشريفة ، قال : (لقومه (وقد جوزوا ان يكون العامل فيه) أرسلنا (و) اذكر (ولا يلزم من تقدير) أرسلنا (ان يكون إرساله في وقت تفوهه لهم بهذا القول غير سابق عليه ، لأنه كما أن ذلك الزمن – المنطق على أول قوله وآخره – وقت له فكذلك اليوم – الذي وقع فيه القول – وقت له ، بل وذلك الشهر وتلك السنة وذلك القرن ، فإن من شأن العرب تسمية الأيام المشتركة في الفعل الواحد يوماً ، قالوا : يوم القادسية ، وهو أربعة ايام إن اعتبرنا مدة القتال فقط ، وعدة شهور إن اعتبرنا بالاجتماع له ، وكذا يوم صفين ، وقال تعالى في قصة بدر) وإذ يعدكم الله إحدى الطائفين أنهاكم (إلى ان قال : (إذ تستغيثون ربكم (إلى أن قال : (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه ( )) إذ يوحي إلى الملائكة ( ) [الأنفال : ٧] وكلها إبدال من قوله :." (١)

" صفحة رقم ٦٣

منكراً موبخاً عليها ؟ قال : (ما سبقكم بها (وأغرق في النفي بقوله : (من أحد (وعظم ذلك بتعميمه في قوله : (من العالمين (فقد اختراعهم شيئاً لا يكون مثل فحشه لتذكروا أسوا ذكر ، كما أن ذوي الهمم العوال والفضل والكمال يستنبطون من المحاسن والمنافع ما يبقى لهم ذكره وينفعهم أجره ، وفي ذلك اعظم إشارة إلى تقبيح البدع والتشنيع على فاعليها ، لأن العقول بمعرفة المحاسن ، ولما ابهم الفاحشة ليحصل التشوف إلى معرفتها ، عينها في استفهام آخر كالأول في إنكاره وتوبيخه ليكون أدل على تناهي الزجر عنها فقال : (**أئتكم لتأتون الرجال**) أي تغشونهم غشاء النساء ؛ ولما أبقى للتشوق مجالاً ، عين بقوله : (شهوة) أي مشتهين ، أو لأجل الشهوة ، لا حامل لكم على ذلك إلا الشهوة كالبهائم التي لا داعي لها من جهة العقل ، وصرح بقوله : (من دون النساء (فلما لم يدع لبساً ، وكان هذا ربما أوهم إقامة عذر لهم

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٦١/٣

وجدان النساء أو عدم كفايتهم لهم ، أضرب عنه بقوله : (بل أنتم قوم (ولما كان المقصود هذه السورة الإنذار كان الأليق به افسراف الذي هو غاية الجهل المذكور في سورة النمل فقال) مسرفون) أي لم يحملكم على ذلك ضرورة لشهوة تدعونها ، بل اعتياد المجاوز للحدود ، ولم يسم قوم لوط في سورة من السور كما سميت عاد وثمود وغيرهم صوناً للكلام عن تسميتهم ، واما قوم نوح فإنما لم يسموا لعدم تفرق القبائل إذ ذاك ، فكانوا لذلك جميع أهل الأرض ولذا عمهم الغرق - الله اعلم ولما كان كانه قيل : هذا التقريع يوجب غاية الاستحياء ، بل إنه يذهب كل من سمعه منهم إلى كمان لا يعرف فيه ستراً لحاله ، فيما ليت شعري ما كان حالهم عنده فقيل : كان كانهم أجابوه بوقاحة عظيمه وفجور زائد على الحد ، فما كان جوابهم إلا أذى لوط عليه السلام وآله بما استحقوا منهم به الإنذار الذي هو مقصود السورة ، عطف عليه قوله : (وما كان جواب قومه) أي الذين هم أخل قوة شديدة وعزم عظيم وقدرة على القيام بما يحاولونه) إلا أن قالوا (ولما كان المقصود بيان أنهم اسرعوا إجابته بما ينكيه اضمر ما لا يشكل بالإضمار ، أو أنه لما كان السياق لبيان الخبيث بين أنه لا اخبيث من هؤلاء الذين بلغ من رذالتهم أنهم عدوا الطاهرين المتطهرين مما يصان اللسان عن ذكره فقال تعالى مشيراً ذلك في حكاية قولهم : (أخرجوهم (اي المحدث عنهم ، وهم لوط ومن انضم إليه) من قريتكم (والمراد ببيان الإسراع في هذا تسلية النبي (صلى الله عليه وسلم) من رد قومه لكلامه لئلا." (١)

" صفحة رقم ٤٣٣

صالح عليه السلام فضلاً عن أن نكون شهدنا مهلك صالح أو باشرنا قتله ولا موضع إهلاكهم .

ولما كانت الفجيعة من وليه بهلاكه - عليه السلام - أكثر منالفجيعة بهلاك أهله وأعظم ، كان في السياق بالإسناد إلى الولي - على تقدير كون الضمير لصالح عليه السلام - أتم إرشاد إلى أن التقدير : ولا مهلكه .

ولما كانوا قد صمموا على هذا الأمر ، وظنوا أنفسهم على المبالغة في الحلف والاجتراء على الكذب فقالو : (وإنا) أي ونقول في جملة القسم تأكيداً للقسم ، إيهاماً لتحقق الصدق : وإنا) لصادقون (فيا للعجب من قوم إذا عقدوا اليمين فزعوا إلى الله العظيم ، ثم نفروا عنه نفور الظليم ، إلى أوثان أنفع منها الهشيم .

النمل : (٥٠ - ٥٨) ومكروا مكرا ومكرنا. .. . .

) وَمَكَرُواْ مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٣/٣

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُواْ إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِّن دُونِ النِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُواْ آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَآءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ( )

ولما كان هذا منهم عمل من لا يظن أن الله عالم به ، قال تعالى محذراً أمثالهم عن أمثال ذلك : (ومكروا مكراً) أي ستروا عظيماً أرادوا به الشر بهذه المساومة على المقاسمة ، فكان مكرهم الذي اجتهدوا في ستره لدينا مكشوفاً وفي حضرتنا معروفاً وموصوفاً ، فشعرنا بل علمنا به فأبطلناه) ومكرنا مكراً) أي وجزينانهم على فعلهم بما لنا من العظمة شيئاً هو المكر في الحقيقة فإنه لا يعلمه أحد من الخليقة ، ولذلك قال : (وهم) أي مع اعتنائهم بالفحص عن الأمور .

والتحرز من عظائم المقدور) لا يشعرون) أي لا يتجدد لهم شعور بما قدرناه عليهم بوجه ما ، فكيف بغيرهم ، وذلك أنا جعلنا تدميرهم في تدبيرهم ، فلم يقدروا على إبطاله ، فأدخلناهم في خبر كان ، لم يفلت منهم إنسان ، وأهلكنا جميع الكفرة من قومهم في أماكنهم مساكنهم أو غير مساكنهم ، وأما مكرهم فكانوا على اجتهادهم في إتقانه وإحكام شأنه ، قد جوزوا فيه سلامة بعض من يقصدونه بالإهلاك ، فشتان بين المكرين ، وهيهات هيهات لما بين الأمرين ، وقد ظهر أن الآية إما احتباك أو شبيهة بهك عدم الشعور دال على حذف عدم الإبطال من الثاني ، وعلى حذف الشعور والإبطال الذي هو نتيجة من الأول .." (١)

" صفحة رقم ٥٥٣

ولما كان التقدير : فأعززناه كما ظن بنا إعزازاً أحكمناه حتى استمر في عقبه إلى القيامة ، عطف عليه قوله : (ووهبنا له) أي بجليل قدرتنا شكراً على هجرته) إسحاق (من زوجته سارة عليها السلام التي جمعت إلى العقم في شبابها اليأس بكبرها ، وعطفه لهبته له بالواو دليل على ماسيأتي إن شاء الله تعالى في الصافات من أن الذبيح إسماعيل عليه الصلاةوالسلام لتعقيبه للهبة هناك على الهجرة بالفاء) ويعقوب (منولده إسحاق عليهما الصلاة والسلام .

ولما كان السياق في هذه السورة للامتحان ، وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد ابتلي في إسماعيل عليه الصلاة والسلام بفراقه مع امه رضي الله عنهما ووضعهما في قضيعة من الأرض لا أنيس بها ، لم يذكره

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٣٣/٥

تصريحاً في سياق الامتنان ، وأفرد إسحاق عليه الصلاة والسلام لأنه لم يبتل فيه بشيء من ذلك ، ولأن المنة به – لكون أمه عجوزاً وعقيماً – أكبر وأعظم لأنها أعجب ، وذكر إسماعيل عليه الصلاة والسلام تلويحاً في قوله : (وجعلنا (اي بعزتنا وحكمتنا) في ذريته (من ولد إسحاق وإسماعيل عليهما الصلاةوالسلام) النبوة (فلم يكن بعده نبي أجنبي عنه ، ومتى صحت هذه المناسبة لزم قطعاً ن يكون الذبيح إسماعيل عليه الصلاة والسلام فإنه أعرى ذكر هذه السورة منه ، ويكون كأنه قيل : إنا بشرناه بما يسرّ به من إسحاق بعد أن أمرناه بما يضر من إسماعيل عليهما السلام فصبر في محنة الضراء ، وشكر في محنة السراء) والكتاب (فلم ينزل كتاب إلا على أولاده ، وأفرد ليدل – مع تناوله بالجنسية الكتب الأربعة – على أنه لا شيء يستحق أن يكتب إلا ما أنزل فيها ، أو كان راجعاً إليه ، ولو جمع لم يفد عليه هذا المعنى) وآتيناه أجره (على هجرته) في الدنيا (بما خصصناه به مما لا يقدر عليه غيرنا من سعة الرزقن ورغد العيشن وكثرة الخدم ، والولد في الشيخوخة ، وكثرة النسل ، والثناء الحسنن والمحبة من جميع الخلق ، وغير ذلك .

ولما كان الكافر يعتقد – لإنكاره البعث – أنه نكد حياته بالهجرة نكداً لا تدارك له ، اقتضى الحال التأكيد في قوله : (وإنه في الآخرة) أي التي هي الدار وموضع الاستقرار) لمن الصالحين (الذين خصصناهم بالسعادة وجعلنا لهم الحسنى وزيادة .

العنكبوت : (٢٨ – ٣٢) ولوطا إذ قال. .. . .

) وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ وَلَمَّا جَآءَتْ." [1]

" صفحة رقم ٥٥٤

رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَالِمِينَ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) ٧٣

( ) ٧١

ولما كان – كما مضى – السياق للابتلاء ، خص بالبسط في القص من لم يكن له ناصر من قومه ، أو كان غريباً منها ، ولذلك أتبع الخليل عليه الصلاة والسلام ابن أخيه الذي أرسله الله إلى أهل سدوم : ناس

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٥٣/٥

لا قرابة له فيهم ولا عشيرة ، فقال : (ولوطاً) أي أرسلناه ، وأشار إلى إسراعه في الامتثال بقوله : (إذ (اي وأرسناه حين) قال لقومه (أهل سدوم الذين سكن فيهم وصاهرهم وانقطع إليهم فصاروا قومه ، حين فارق عمه إبراهيم الخليل عليهما السلام ، منكراً ما رأى من حالهم ، وقبيح فعالهم ، مؤكداً له إشارة إلى أنه – مع كونه يرونه من أعرف المعارف – جدير بأن ينكر : (إنكم لتأتون الفاحشة) أي المجاوزة للحد في القبح ، فكأنها لذلك لا فاحشة غيرها .

ثم علل كونها فاحشة استئنافاً بقولهك) ما سبقكم (أو هي حال مبنية لعظيم جرأتهم على المنكر ، أي غير مسبوقين) بها (وأعرق في النفي بقوله : (من أحد (وزاد بقولهك) من العالمين) أي كلهم فضلاً عن خصوص الناسح ثم كرر الإنكار تأكيداً لتجاوز قبحها الذي ينكرونه فقال : (أئنكم لتأتون الرجال (إتيان الشهوة ، وعطف عليها ما ضموه إليها من المناكر ، بياناً لاستحقاق الذم من وجوه ، فأوجب حالهم ظن أنهم وصلوا من الخبث إلى حد لا مطمع في الرجوع عنه مع ملازمته لدعائهم من غير ملل ولا ضجر ، فقال) وتقطعون السبيل) أي بأذى الجلابين والمارة .

ولما خص هذين الفسادين ، عم دالاً على المجاهرة فقال : (وتأتون في ناديكم) أي المكان الذي تجلسون فيه للتحدث بحيث يسمع بعضكم نداء بعض من مجلس المؤانسة ، وهو ناد ما دام القوم فيه ، فإذا قاموا عنه لم يسم بذلك) المنكر) أي هذا الجنس ، وهو ما تنكره الشرائع والمروءات والعقول ، ولا تتحاشون عن شيء منه في المجتمع الذي يتحاشى فيه الإنسان من فعل خلاف الأولى ، من غير أن يستحي بعضكم من بعض ؛ ودل على عنادهم بقوله مسبباً عن هذه النصائح بالنهي عن تلك الفضائح : (فما كان جواب قومه) أي الذين فيهم قوة ونجدة بحيث يخشى شرهم ، ويتقي أذاهم وضرهم ، لما أنكر عليهم ما أنكر) إلا أن قالوا (عناداً وجهلاً واستهزاء : (ائتنا بعذاب الله (وعبروا بالاسم الأعظم زيادة في الجرأة .

ولما كان الإنكار ملزوماً للوعيد بأمر ضار قالوا : (إن كنت) أي كوناً متمكناً) من الصادقين) أي في وعيدك وإرسالك ، إلهاباً وتهييجاً .." (١)

"﴿ ٨٠ – ٨٤ ﴾ ﴿ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ .إلى آخر القصة (١) .

أي: ﴿ و ﴾ اذكر عبدنا ﴿ لوطا ﴾ عليه الصلاة والسلام، إذ أرسلناه إلى قومه يأمرهم بعبادة الله وحده،

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٥٥٤

وينهاهم عن الفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين، فقال: ﴿ أتأتون الفاحشة ﴾ أي: الخصلة التي بلغت – في العظم والشناعة – إلى أن استغرقت أنواع الفحش، ﴿ ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ فكونها فاحشة من أشنع الأشياء، وكونهم ابتدعوها وابتكروها، وسنوها لمن بعدهم، من أشنع ما يكون أيضا.
ثم بينها بقوله: ﴿ **إنكم لتأتون الرجال شهوة** من دون النساء ﴾ أي: كيف تذرون النساء اللاتي خلقهن الله لكم، وفيهن المستمتع الموافق للشهوة والفطرة، وتقبلون على أدبار الرجال، التي هي غاية ما يكون في الشناعة والخبث، ومحل تخرج منه الأنتان والأخباث، التي يستحيي من ذكرها فضلا عن ملامستها وقربها، ﴿ بل أنتم قوم مسرفون ﴾ أي: متجاوزون لما حده الله متجرئون على محارمه.

---

(١) في ب: أورد الآيات كاملة.." (١)

"﴿ ٤٥ – ٥٣ ﴾ ﴿ ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون ﴾ إلى آخر القصة.

يخبر تعالى أنه أرسل إلى ثمود القبيلة المعروفة أخاهم في النسب صالحا وأنه أمرهم أن يعبدوا الله وحده ويتركوا الأنداد والأوثان، ﴿ فإذا هم فريقان يختصمون ﴾ منهم المؤمن ومنهم الكافر وهم معظمهم.
﴿ قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ﴾ أي: لم تبادرون فعل السيئات وتحرصون عليها قبل فعل الحسنات التي بها تحسن أحوالكم وتصلح أموركم الدينية والدنيوية؟ والحال أنه لا موجب لكم إلى الذهاب لفعل السيئات؟. ﴿ لولا تستغفرون الله ﴾ بأن تتوبوا من شرككم وعصيانكم وتدعوه أن يغفر لكم، ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ فإن رحمة الله تعالى قريب من المحسنين والتائب من الذنوب هو من المحسنين.
﴿ قالوا ﴾ لنبيهم صالح مكذبين ومعارضين: ﴿ اطيرنا بك وبمن معك ﴾ زعموا –قبحهم الله– أنهم لم يروا على وجه صالح خيرا وأنه هو ومن معه من المؤمنين صاروا سببا لمنع بعض مطالبهم الدنيوية، فقال لهم صالح: ﴿ طائركم عند الله ﴾ أي: ما أصابكم إلا بذنوبكم، ﴿ بل أنتم قوم تفتنون ﴾ بالسراء والضراء والخير والشر لينظر هل تقلعون وتتوبون أم لا؟ فهذا دأبهم في تكذيب نبيهم وما قابلوه به.
﴿ وكان في المدينة ﴾ التي فيها صالح الجامعة لمعظم قومه ﴿ تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ أي: وصفهم الإفساد في الأرض، ولا لهم قصد ولا فعل بالإصلاح قد استعدوا لمعاداة صالح والطعن في دينه ودعوة قومهم إلى ذلك كما قال تعالى: ﴿ فاتقوا الله وأطيعون * ولا تطيعوا أمر المسرفين * الذين

---

(١) تفسير السعدي، ص/٢٩٦

يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾

فلم يزالوا بهذه الحال الشنيعة حتى إنهم من عداوتهم ﴿ تقاسموا ﴾ فيما بينهم كل واحد أقسم للآخر ﴿ لنبيتنه وأهله ﴾ أي نأتيه ليلا هو وأهله فلنقتلنهم ﴿ ثم لنقولن لوليه ﴾ إذا قام علينا وادعى علينا أنا قتلناه ننكر ذلك وننفيه ونحلف ﴿ إنا لصادقون ﴾ فتواطئوا على ذلك

﴿ ومكروا مكرا ﴾ دبروا أمرهم على قتل صالح وأهله على وجه الخفية حتى من قومهم خوفا من أوليائه ﴿ ومكرنا مكرا ﴾ بنصر نبينا صالح عليه السلام وتيسير أمره وإهلاك قومه المكذبين ﴿ وهم لا يشعرون ﴾

﴿ فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ﴾ هل حصل مقصودهم؟ وأدركوا بذلك المكر مطلوبهم أم انتقض عليهم الأمر ولهذا قال ﴿ أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ﴾ أهلكناهم واستأصلنا شأفتهم فجاءتهم صيحة عذاب فأهلكوا عن آخرهم

﴿ فتلك بيوتهم خاوية ﴾ قد تهدمت جدرانها على سقوفها وأوحشت من ساكنيها وعطلت من نازليها ﴿ بما ظلموا ﴾ أي هذا عاقبة ظلمهم وشركهم بالله وبغيهم في الأرض

﴿ إن في ذلك لآية لقوم يعلمون ﴾ الحقائق ويتدبرون وقائع الله في أوليائه وأعدائه فيعتبرون بذلك ويعلمون أن عاقبة الظلم الدمار والهلاك وأن عاقبة الإيمان والعدل النجاة والفوز

ولهذا قال ﴿ وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ أي أنجينا المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وكانوا يتقون الشرك بالله والمعاصي ويعملون بطاعته وطاعة رسله

﴿ ٥٤ - ٥٨ ﴾ ﴿ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون ﴾ إلى آخر القصة.

أي: واذكر عبدنا ورسولنا لوطا ونبأه الفاضل حين قال [ص ٦٠٧] لقومه -داعيا إلى الله وناصحا-: ﴿ أتأتون الفاحشة ﴾ أي: الفعلة الشنعاء التي تستفحشها العقول والفطر وتستقبحها الشرائع ﴿ وأنتم تبصرون ﴾ ذلك وتعلمون قبحه فعاندتم وارتكبتم ذلك ظلما منكم وجرأة على الله.

ثم فسر تلك الفاحشة فقال: ﴿ **أئنكم لتأتون الرجال شهوة** من دون النساء ﴾ أي: كيف توصلتم إلى هذه الحال، صارت شهوتكم للرجال، وأدبارهم محل الغائط والنجو والخبث، وتركتم ما خلق الله لكم من النساء من المحال الطيبة التي جبلت النفوس إلى الميل إليها وأنتم انقلب عليكم الأمر فاستحسنتم القبيح واستقبحتم الحسن ﴿ بل أنتم قوم تجهلون ﴾ (١) متجاوزون لحدود الله متجرئون على محارمه.

(١) سبق قلم الشيخ –رحمه الله–فذهب إلى آية الأعراف فكتب: (بل أنتم قوم مسرفون) وفسرها على هذا، فصححت الآية، وأبقيت التفسير كما هو.." (١)

"﴿ ٢٨-٣٥ ﴾ ﴿ ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين * **أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون** السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين * قال رب انصرني على القوم المفسدين ﴾ إلى آخر القصة .

تقدم أن لوطا عليه السلام آمن لإبراهيم، وصار من المهتدين به، وقد ذكروا أنه ليس من ذرية إبراهيم، وإنما هو ابن أخي إبراهيم.

فقوله تعالى: ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ وإن كان عاما، فلا يناقض كون لوط نبيا رسولا وهو ليس من ذريته، لأن الآية جيء بها لسياق المدح والثناء على الخليل، وقد أخبر أن لوطا اهتدى على يديه، ومن اهتدى على يديه أكمل ممن اهتدى من ذريته بالنسبة إلى فضيلة الهادي، والله أعلم.

فأرسل الله لوطا إلى قومه، وكانوا مع شركهم، قد جمعوا بين فعل الفاحشة في الذكور، وتقطيع السبيل، وفشو المنكرات في مجالسهم، فنصحهم لوط عن هذه الأمور، وبين لهم قبائحها في نفسها، وما تئول إليه من العقوبة البليغة، فلم يرعووا ولم يذكروا. ﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين ﴾

فأيس منهم نبيهم، وعلم استحقاقهم العذاب، وجزع من شدة تكذيبهم له، فدعا عليهم و ﴿ قال رب انصرني على القوم المفسدين ﴾ فاستجاب الله دعاءه، فأرسل الملائكة لإهلاكهم.." (٢)

" صفحة رقم ٢٣٧

(الأعراف : (٧٩ – ٨٢) فتولى عنهم وقال . . . . .

" فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين **إنكم لتأتون الرجال شهوة** من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون " (قوله عز وجل :) . . . إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَّهَّرُونَ (فيه وجهان :

أحدهما : من إتيان الأدبار .

---

(١) تفسير السعدي، ص/٦٠٦

(٢) تفسير السعدي، ص/٦٣٠

والثاني : يتطهرون بإتيان النساء في الأطهار ، قال الشاعر :
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا سَدُّوا مَآزِرَهُم
دَونَ النِّسَاءِ وَلَو بَانَتْ بِأَطْهَارِ
(الأعراف : (٨٣ - ٨٤) فأنجيناه وأهله إلا . . . . .
" فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين " ( )
فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ (فيه وجهان :
أحدها : فخلصناه .
والثاني : على نجوة من الأرض ، وقيل : إن أهله ابنتاه واسمهما زينا ورميا .) مِنَ الْغَابِرِينَ (فيه ثلاثة أوجه :
أحدها : من الباقين في الهلكى ، والغابر الباقي ، ومنه قول الراجز :
فَمَا وَنَى مُحَمَّدٌ مُذْ أَنْ غَفَر
لَهُ الإِلَهُ مَا مَضَى وَمَا غَبَر." (١)
" صفحة رقم ٢٢٠
الثالث : يفسدون بالمعاصي ولا يصلحون بالطاعة .
الرابع : يفسدون بكسر الدراهم والدنانير ولا يصلحون بتركها صحاحاً ، قاله ابن المسيب ، قاله عطاء .
الخامس : أنهم كانوا يتتبعون عورات النساء ولا يسترون عليهن .
قوله :) قَالُواْ تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ (أي تحالفواْ بالله .
) لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ (أي لنقتلنه وأهله ليلاً ، والبيات قتل الليل
.) ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ (أي لرهط صالح
.) مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ (أي قتله ، وقتل أهله ، ولا علمنا ذلك
.) وَإِنَّا لَصّادِقُونَ (في إنكارنا لقتله
.) وَمَكَرُواْ مَكْراً (وهو ما همّوا به من قتل صالح
.) وَمَكَرْنَا مَكْراً (وهو أن رماهم الله بصخرة فأهلكهم
.) وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ (أي لا يعلمون بمكرنا وقد علمنا بمكرهم

---

(١) النكت والعيون . موافق للمطبوع، ٢٣٧/٢

. وفي مكرهم ومكر الله تعالى بهم قولان :

أحدهما : قاله الكلبي ، وهم لا يشعرون بالملائكة الذين أنزل الله على صالح ليحفظوه من قومه حين دخلوا عليه ليقتلوه ، فرموا كل رجل منهم بحجر حتى قتلوهم جميعاً ، وسَلِمَ صالح من مكرهم .

الثاني : قاله الضحاك ، أنهم مكروا بأن أظهروا سفراً وخرجوا فاستتروا في غار ليعودوا في الليل فيقتلوهُ ، فألقى الله صخرة على باب الغار حتى سدّه وكان هذا مكر الله بهم .

(النمل : (٥٤ - ٥٨) ولوطا إذ قال . . . . .

" ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون **أئنكم لتأتون الرجال شهوة** من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين " (.")[١]

" صفحة رقم ٢٨١

قوله تعالى :) فَئَامَنَ لَهُ لُوطٌ (قال ابن إسحاق : آمن لوط بإبراهيم وكان ابن أخيه وآمنت به سارة وكانت بنت عمه .

) وَقَالَ إِنّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبّي (يعني مهاجر عن الظالمين

. وفيما هاجر إليه قولان :

أحدهما : أنه هاجر إلى حرّان ، قاله كعب الأحبار .

الثاني : أنه هاجر من كوثي وهو من سواد الكوفة إلى أرض الشام ، قاله قتادة .

قوله تعالى :) وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا (فيه ستة أقاويل :

أحدها : الذكر الحسن ، قاله ابن عباس .

الثاني : رضا أهل الأديان ، قاله قتادة .

الثالث : النية الصالحة التي اكتسب بها الأجر في الآخرة ، قاله الحسن .

الرابع : لسان صدق ، قاله عكرمة .

الخامس : ما أوتي في الدنيا من الأجر ، رواه ابن برزة .

السادس : الولد الصالح ، حكاه ابن عيسى وقاله الكلبي حتى أن أكثر الأنبياء من ولده .

ويحتمل سابعاً : أنه بقاء الصلاة عند قبره وليس ذلك لغيره من الأنبياء .

---

(١) النكت والعيون . موافق للمطبوع، ٤/٢٢٠

(العنكبوت : (٢٨ - ٣٠) ولوطا إذ قال . . . . .

" ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين **أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون** السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين " (قوله تعالى :) **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ** (أي تنكحون الرجال .

) وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ (فيه ثلاثة أوجه :." [١]

"المستكن في بينكم. وأجاز أبو البقاء أن يتعلق ﴿وَقَالَ إِنَّمَا﴾ . باتخذتم على جعل ما كافة ونصب مودة ، لا على جعل ما موصولة بمعنى الذي ، أو مصدرية ورفع موده ، لئلا يؤدي إلى الفصل بين الموصول وما في الصلة بالخبر. وأجاز قوم منهم ابن عطية أن يتعلق ﴿وَقَالَ إِنَّمَا﴾ بمودة ، وأن يكون ﴿بَيْنِكُمْ﴾ صفة لمودة ، وهو لا يجوز ، لأن المصدر إذا وصف قبل أخذ متعلقاته لا يعمل ، وشبهتهم في هذا أنه يتسع في الظرف ، بخلاف المفعول به. وأجاز أبو البقاء أن يتعلق بنفس بينكم ، قال : لأن معناه : اجتماعكم أو وصلكم. وأجاز أيضاً أن يجعله حالاً من بينكم ، قال : لتعرفه بالإضافة. انتهى ، وهما إعرابان لا يتعقلان.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣٨

﴿فَـاَامَنَ لَه لُوطٌ﴾ : لم يؤمن بإبراهيم أحد من قومه إلا لوط عليه السلام ، حين رأى النار لم تحرقه ، وكان ابن أخي سارة ، أو كانت بنت عمه. والضمير في ﴿وَقَا لَ﴾ عائد على إبراهيم ، وهو الظاهر ، ليتناسق مع قوله : ﴿وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ ، وهو قول قتادة والنخعي. وقالت فرقة : يعود على لوط ، وهاجر ، وإبراهيم ، عليهم السلام ، من قريتهما كوني ، وهي في سواد العراق ، من أرض بابل ، إلى فلسطين من أرض الشأم. وكان إبراهيم ابن خمس وسبعين سنة ، وهو أول من هاجر في الله. وقال ابن جريج : هاجر إلى حران ، ثم إلى الشام ، وفي هجرته هذه كانت معه سارة. والمهاجر : الفارغ عن الشيء ، وهو في عرف الشريعة : من ترك وطنه رغبة في رضا الله. وعرف بهذا الاسم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، المهاجرون ، قبل فتح مكة. ﴿إِلَى رَبِّى ﴾ ، أي إلى الجهة التي أمرني ربي بالهجرة إليها. وقيل : إلى حيث لا أمنع عبادة ربي. وقيل : مهاجراً من خالفني من قومي ، متقرباً إلى ربي. ونزل إبراهيم قرية من أرض فلسطين ، وترك لوطاً في سدوم ، وهي المؤتفكة ، على مسىِرة يوم وليلة من قرية إبراهيم عليهما

---

(١) النكت والعيون . موافق للمطبوع، ٤/٢٨١

السلام. ﴿إِنَّه هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يذل من عبده ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها. والضمير في ﴿ذُرِّيَّتَهُا﴾ عائد على إبراهيم. ﴿النُّبُوَّةَ﴾ : إسحاق ، ويعقوب ، وأنبياء بني إسرائل ، وإسماعيل ، ومحمد خاتمهم ، صلى الله وسلم عليهم أجمعين. ﴿وَالْكِتَابِ﴾ : اسم جنس يدخل فيه التوراة ، والزبور ، والإنجيل ، والفرقان.

﴿وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ : أي في حياته قال مجاهد : نجاته من النار ، ومن الملك الجبار ، والعمل الصالح : والثناء الحسن ، بحيث يتولاه كل أمة وقال ابن جريج : والولد الذي قرت به عينه ، قاله الحسن. وقال السدي : إنه رأى مكانه من الجنة. وقال ابن أبي بردة : ما وفق له من عمل الآخرة. وقال الماوردي : بقاء ضيافته عند قبره ، وليس ذلك لنبي غيره. وقيل : النبوة والحكمة. وقيل : الصلاة عليه إلى آخر الدهر. وانتصب لوطاً بإضمار اذكر ، أو بالعطف على إبراهيم ، أو بالعطف على ما عطف عليه إبراهيم. والجمهور : على الاستفهام في أئنكم معاً. وقرىء : أنكم على الخبر ، والثاني على الاستفهام. وقال أبو عبيد : وجدته في الإمام بحرف واحد بغير ياء ، ورأيت الثاني بحرفين ، الياء والنون. ولم يأت في قصة لوط أنه دعا قومه إلى عبادة الله ، كما جاء في قصة إبراهيم وقصة شعيب ، لأن لوطاً كان من قوم إبراهيم وفي زمانه ، وسبقه إبراهيم إلى الدعاء لعبادة الله وتوحيده ، واشتهر أمره بذلك عند الخلق ، فذكر لوط ما اختص به من المنع من الفحشاء وغيرها. وأما أبراهيم وشعيب فجاآ بعد انقراض من كان يعبد الله ، فلذلك دعوا إلى عبادة الله.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣٨

قال الزمخشري : ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾ جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة ، كأن قائلاً قال : لم كانت فاحشة ؟ فقيل : لأن أحداً قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازاً منها في طباعهم لإفراط قبحها ، حتى قدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم ، قالوا : لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط. انتهى. ويظهر أن ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾ جملة حالية ، كأنه قال : أتأتون الفاحشة مبتدعين لها غير مسبوقين بها ؟ واستفهم أولاً وثانياً استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع ، وبين ما تلك الفاحشة المبهمة في قوله : ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ ، وإن كانت معينة أنها إتيان الذكور

١٤٩

في الأدبار بقوله : ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾ ، فقال : ﴿أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ : يعني في الأدبار ، ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ : الولد ، بتعطيل الفرج ووطء أدبار الرجال ، أو بإمساك الغرباء لذلك الفعل حتى انقطعت الطرق

، أو بالقتل وأخذ المال ، أو بقبح الأحدوثة حتى تنقطع سبل الناس في التجارات. ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾ : أي في مجلسكم الذي تجتمعون فيه ، وهو اسم جنس ، إذ أن د يتهم في مدائنهم كثيرة ، ولا يسمى نادياً إلاّ ما دام فيه أهله ، فإذا قاموا عنه ، لم يطلق عليه ناد إلاّ مجازاً.
." (١)

"قال عمر بن دينار : ما رئي ذكر على ذكر قبل قوم لوط روي أنهم كان يأتي بعضهم بعضاً ، وقال الحسن : كانوا يتون الغرباء كانت بلادهم الأردن تؤتى من كل جانب لخصبها فقال لهم إبليس هو في صورة غلام إن أردتم دفع الغرباء فافعلوا بهم هكذا فمكنهم من نفسه تعليماً ثم فشا واستحلوا ما استحلوا وأبعد من ذهب إلى أنّ المراد من عالمي زمانهم ومن ذهب إلى أن المعنى ﴿مَا سَبَقَكُم﴾ إلى لزومها ويشهدها وفي تسمية هذا الفعل بالفاحشة دليل على أنه يجري مجرى الزنا يرجم من أحصن ويجلد من لم يحصن وفعله عبد الله بن الزبير أتى بسبعة منهم فرجم ربعة أحصنوا وجلد ثلاثة وعنده ابن عمر وابن عباس ولم ينكروا وبه قال الشافعي ، وقال مالك : يرجم أحصن أو لم يحصن وكذا المفعول به إن كان محتلماً وعنده يرجم المحصن ويؤدّب ويحبس غير المحصن وهو مذهب عطية وابن المسيب والنخعي وغيرهم وعن مالك أيضاً يعزر أو لم يحصن وهو مذهب أبي حنيفة وحرق خالد بن الوليد رجلاً يقال له الفجاء عمل ذلك العمل وذلك برأي أبي بكر وعليّ وأنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم أجمع رأيهم عليه وفيهم عليّ بن أبي طالب ، وروي أنّ ابن الزبير أحرقهم في زمانه وخالد القشيري بالعراق وهشام.
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣١٤
﴿مَا سَبَقَكُم﴾ جملة حالية من الفاعل أو من ﴿الْفَاحِشَةُ﴾ لأنّ في ﴿سَبَقَكُم بِهَا﴾ ضميرهم وضميرها ، وقال الزمخشري : هي جملة مستأنفة أنكر عليهم أولاً بقوله ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ ثم وبّخهم عليها فقال : أنتم أول من عملها أو على أنه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال : ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ﴾ فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به ، وقال الزمخشري : والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة إذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام "سبقك بها عكاشة" انتهى ، ومعنى التعدية هنا قلق جداً لأنّ الباء المعدية في الفعل المتعدي إلى واحد هي بجعل المفعول الأول
٣٣٣
يفعل ذلك الفعل بما دخلت عليه الباء فهي كالهمزة وبيان ذلك أنك إذا قلت صككت الحجر بالحجر

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، /

فمعناه أصككت الحجر الحجر أي جعلت الحجر يصك الحجر وكذلك دفعت زيداً بعمرو عن خالد معناه أدفعت زيداً عمراً عن خالد أي جعلت زيداً يدفع عمراً عن خالد فللمفعول الأوّل تأثير في الثاني ولا يتأتّى هذا المعنى هنا إذ لا يصحّ أن يقدّر أسبقت زيداً الكرة أي جعلت زيداً يسبق الكرة إلا بمجاز متكلّف وهو أن تجعل ضربك للكرة أول جعل ضربة قد سبقها أي تقدّمها في الزمان فلم يجتمعا.

﴿**إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِّن دُونِ النِّسَآءِا بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ هذا بيان لقوله ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ وأتى هنا من قوله أتى المرأة غشيها وهو استفهام على جهة التوبيخ والإنكار ، وقرأ نافع وحفص ﴿إِنَّكُمْ﴾ على الخبر المستأنف و﴿شَهْوَةً﴾ مصدر في موضع الحال قاله الحوفي وابن عطية ، وجوّزه الزمخشري وأبو البقاء أي مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين لقبحها أو مفعول من أجله قاله الزمخشري ، وبدأ به البقاء أي للاشتهاء لا حامل لكم على ذلك إلا مجرد الشهوة ولا ذم أعظم منه لأنه وصف لهم باليهيمة وأنهم لا داعي لهم من جهة العقل كطلب النسل ونحوه و﴿مِّن دُونِ النِّسَآءِ﴾ في موضع الحال أي منفردين عن النساء ، وقال الحوفي : ﴿مِّن دُونِ النِّسَآءِ﴾ متعلّق بشهوة و﴿بَلِ﴾ هنا للخروج من قصة إلى قصة تنبىء بأنهم متجاوزو الحد في الاعتداء ، وقيل إضراب عن تقريرهم وتوبيخهم والإنكار أو عن الإخبار عنهم بهذه المعصية الشنيعة إلى الحكم عليهم بالحال التي تنشأ عنها القبائح وتدعوا إلى اتّباع الشهوات وهي الإسراف وهو الزيادة المفسدة لما كانت عادتهم الإسراف أسرفوا حتى في باب قضاء الشهوة وتجاوزوا المعتاد إلى غيره ونحوه ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ ، وقيل إضراب عن محذوف تقديره ما عدلتم بل أنتم ، وقال الكرماني بل ردّ لجواب زعموا أن يكون لهم عذر أي لا عذر لكم ولا حجّة ﴿بَلْ أَنتُم﴾ وجاء هنا ﴿مُّسْرِفُونَ﴾ باسم الفاعل ليدلّ على الثبوت ولموافقة ما سبق من رؤوس الآي في ختمها بالأسماء وجاء في النمل ﴿تَجْهَلُونَ﴾ بالمضارع لتجدد الجهل فيهم ولموافقة ما سبق من رؤوس الآي في ختمها بالأفعال.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣١٤

". (١)

"ومكرهم : ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله. ومكر الله : إهلاكهم من حيث لا يشعرون ، شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة ، ومكرهم : أنبائهم أنهم مسافرون واختفاؤهم في غار. قيل : أو شعب ، أو عزمهم على قتله وقتل أهله ، وحلفهم أنهم ما حضروا ذلك. ومكر الله بهم : إطباق صخرة على فم الغار والشعب وإهلاكهم فيه ، أو رمي الملائكة إياهم بالحجارة ، يرونها ولا يرون الرامي حين شهروا

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٢٧١/٤

أسيافهم بالليل ليقتلوه ، قولان. وقيل : إن الله أخبر صالحاً بمكرهم فيخرج عنه ، فذلك مكر الله في حقهم. وروي أن صالحاً ، بعد عقر الناقة ، أخبرهم بمجيء العذاب بعد ثلاثة أيام ، فاتفق هؤلاء التسعة على قتل صالح وأهله ليلاً وقالوا : إن كان كاذباً في وعيده ، كنا قد أوقعنا به ما يستحق ؛ وإن كان صادقاً ، كنا قد عجلناه قبلنا وشفينا نفوسنا. واختفوا في غار ، وأهلكم الله ، كما تقدم ذكره ، وأهلك قومهم ، ولم يشعر كل فريق بهلاك الآخر. والظاهر أن كيف خبر كان ، وعاقبة الاسم ، والجملة في موضع نصب بانظر ، وهي معلقة ، وقرأ

٨٥

الجمهور : إنا ، بكسر الهمزة على الاستئناف. وقرأ الحسن ، وابن أبي إسحاق ، والكوفيون : بفتحها ، فأنا بدل من عاقبة ، أو خبر لكان ، ويكون في موضع الحال ، أو خبر مبتدأ محذوف ، أي هي ، أي العاقبة تدميرهم. أو يكون التقدير : لأنا وحذف حرف الجر. وعلى كلتا القراءتين يجوز أن يكون ﴿كَانَ﴾ تامة و﴿عَاقِبَةُ﴾ فاعل بها ، وأن تكون زائدة وعاقبة مبتدأ خبره ﴿كَيْفَ﴾ . وقرأ أبي : أن دمّرناهم ، وهي أن التي من شأنها أن تنصب المضارع ، ويجوز فيها الأوجه الجائزة في أنا ، بفتح الهمزة. وحكى أبو البقاء : أن بعضهم أجاز في ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ في قراءة من فتح الهمزة أن تكون بدلاً من كيف ، قال : وقال آخرون : لا يجوز ، لأن البدل من الاستفهام يلزم فيه إعادة حرفه ، كقوله : كيف زيد ، أصحيح أم مريض ؟

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٨٠

ولما أمر تعالى بالنظر فيما جرى لهم من الهلاك في أنفسهم ، بين ذلك بالإشارة إلى منازلهم وكيف خلت منهم ، وخراب البيوت وخلوها من أهلها ، حتى لا يبقى منهم أحد مما يعاقب به الظلمة ، إذ يدل ذلك على استئصالهم. وفي التوراة : ابن آدم لا تظلم يخرب بيتك ، وهو إشارة إلى هلاك الظالم ، إذ خراب بيته متعقب هلاكه ، وهذه البيوت هي التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلّم لأصحابه ، عام تبوك : "لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين" ، الحديث. وقرأ الجمهور : خاوية ، بالنصب على الحال. قال الزمخشري : عمل فيها ما دل عليه تلك. وقرأ عيسى بن عمر : خاوية ، بالرفع. قال الزمخشري : على خبر المبتدأ المحذوف ، وقاله ابن عطية ، أي هي خاوية ، قال : أو على الخبر عن تلك ، وبيوتهم بدل ، أو على خبر ثان ، وخاوية خبرية بسبب ظلمهم ، وهو الكفر ، وهو من خلو البطن. وقال ابن عباس : خاوية ، أي ساقط أعلاها على أسفلها. ﴿إِنَّ فِى ذَالِكَ﴾ : أي في فعلنا بثمود ، وهو استئصالنا لهم بالتدمير ، وخلاء مساكنهم منهم ، وبيوتهم هي بوادي القرى بين المدينة والشام.

﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ، أي بصالح من العذاب الذي حل بالكفار ، وكان الذين آمنوا به أربعة آلاف ، خرج بهم صالح إلى حضرموت ، وسميت حضرموت لأن صالحاً عليه السلام لما دخلها مات بها ، وبنى المؤمنون بها مدينة يقال لها : حاضورا. وأما الهالكون فخرج بأبدانهم خراج مثل الحمص ، احمر في اليوم الأول ، ثم اصفر في الثاني ، ثم اسود في الثالث ، وكان عقر الناقة يوم الأربعاء ، وهلكوا يوم الأحد. قال مقاتل : تفتقت تلك الخراجات ، وصاح جبريل عليه السلام بهم صيحة فحمدوا.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِا أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِّن دُونِ النِّسَآءِا بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِا إِلا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُم إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُا إِلا امْرَأَتَه قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ .

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٨٠

". (١)

"﴿وَلُوطًا﴾ : عطف على ﴿صَالِحًا﴾ ، أي وأرسلنا لوطاً ، أو على ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، أي وأنجينا لوطاً ، أو باذكر مضمرة ، وإذ بدل منه ، أقوال. و﴿أَتَأْتُونَ﴾ : استفهام إنكار وتوبيخ ، وأبهم أولاً في قوله : ﴿الْفَاحِشَةَ﴾ ، ثم عينها في قوله : ﴿أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ ، وقوله : ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ : أي تعلمون قبح هذا الفعل المنكر الذي أحدثتموه ، وأنه من أعظم الخطايا ، والعلم بقبح الشيء مع إتيانه أعظم في الذنب ، أو آثار العصاة قبلكم ، أو ينظر بعضكم إلى بعض لا يستتر ولا يتحاشى من إظهار ذلك مجانة وعدم اكتراث بالمعصية الشنعاء ، أقوال ثلاثة. وانتصب ﴿شَهْوَةً﴾ على أنه مفعول من أجله ، و﴿تَجْهَلُونَ﴾ غلب فيه الخطاب ، كما غلب في ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ . ومعنى : ﴿تَجْهَلُونَ﴾ ، أي عاقبة ما أنتم عليه ، أو تفعلون فعل السفهاء المجان ، أو فعل من جهل أنها معصية عظيمة مع العلم أقوال. ولما أنكر عليهم ونسب إلى الجهل ، ولم تكن لهم حجة فيما يأتونه من الفاحشة ، عدلوا إلى المغالبة والإيذاء ، وتقدم معنى يتطهرون في الأعراف. وقرأ الجمهور : ﴿جَوَابَ﴾ بالنصب ؛ والحسن ، وابن أبي إسحاق : بالرفع ، والجمهور : ﴿قَدَّرْنَاهَا﴾ ، بتشديد الدال ؛ وأبو بكر بتخفيفها ،

٨٦

وباقي الآية تقدم تفسير نظيره في الأعراف. وساء : بمعنى بئس ، والمخصوص بالذم محذوف ، أي مطرهم.

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٦٣/٧

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ا ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالارْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنابَتْنَا بِهِا حَدَآاِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنابِتُوا ﴾ .

٨٧

لما فرغ من قصص هذه السورة ، أمر رسوله صلى الله عليه وسلّم بحمده تعالى والسلام على المصطفين ، وأخذ في مباينة واجب الوجود ، الله تعالى ، ومباينة الأصنام والأديان التي أشركوها مع الله وعبدوها. وابتدأ في هذا التقرير لقريش وغيرهم بالحمدلة ، وكأنها صدر خطبة لما يلقى من البراهين الدالة على الوحدانية والعلم والقدرة. وقد اقتدى بذلك المسلمون في تصانيف كتبهم وخطبهم ووعظهم ، فافتتحوا بتحميد الله ، والصلاة على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وتبعهم المترسلون في أوائل كتب الفتوح والتهاني والحوادث التي لها شأن. وقيل : هو متصل بما قبله ، وأمر الرسول عليه السلام بتحميد الله على هلاك الهالكين من كفار الأمم ، والسلام على الأنبياء وأتباعهم الناجين.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٨٠

وقيل : ﴿قُلِ﴾ ، خطاب للوط عليه السلام أن يحمد الله على هلاك كفار قومه ، ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ا﴾ . وعزا هذا القول ابن عطية للفراء ، وقال : هذه عجمة من الفراء. وقرأ أبو ا لسمال : ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ، وكذا : قل الحمد لله سيريكم ، بفتح اللام ، وعباده المصطفون ، يعم الأنبياء وأتباعهم. وقال ابن عباس : العباد المسلم عليهم هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، اصطفاهم لنبيه ، وفي اختصاصهم بذلك توبيخ للمعاصرين من الكفار. وقال أبو عبد الله الرازي : لما ذكر تعالى أحوال الأنبياء ، وأن من كذبهم استؤصل بالعذاب ، وأن ذلك مرتفع عن أمة الرسول ، أمره تعالى بحمده على ما خصه من هذه النعمة ، وتسليمه على الأنبياء الذين صبروا على مشاق الرسالة. انتهى ، وفيه تلخيص.

وقوله : ﴿اللَّهُ خَيْرٌ﴾ : استفهام فيه تبكيت وتوبيخ وتهكم بحالهم ، وتنبيه على موضع التباين بين الله تعالى وبين الأوثان ، إذ معلوم عند من له عقل أنه لا شركة في الخيرية بين الله تعالى وبينهم ، وكثيراً ما يجيء هذا النوع من أفعل التفضيل حيث يعلم ويتحقق أنه لا شركه فيها وإنما يذكر على سبيل إلزام الخصم وتنبيهه على خطا مرتكبه. والظاهر أن هذا الاستفهام هو عن خبرية الذوات ، فقيل : جاء على اعتقاد المشركين حيث اعتقدوا في آلهتهم خيراً بوجه مّا ، وقيل : في الكلام حذف في موضعين ، التقدير : أتوحيد الله خير أم عبادة ما يشركون ؟ فيما في أم ما بمعنى الذي. وقيل : ما مصدرية ، والحذف من الأول ، أي أتوحيد الله خير أم شرككم ؟ وقيل : خير ليست للتفضيل ، فهي كما تقول : الصلاة خير ، يعني خيراً من الخيور.

وقيل : التقدير ذو خير. والظاهر أن خيراً أفعل التفضيل ، وأن الاستفهام في نحو هذا يجيء لبيان فساد ما عليه الخصم ، وتنبيهه على خطئه ، وإلزامه الإقرار بحصر التفضيل في جانب واحد ، وانتفائه عن الآخر ، وقرأ الجمهور : تشركون ، بتاء الخطاب ؛ والحسن ،

٨٨

وقتادة ، وعاصم ، وأبو عمرو : بياء الغيبة. وأم في أم ما متصلة ، لأن المعنى : أيهما خير ؟ وفي ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ وما بعده منفصلة. ولما ذكر الله خيراً ، عدّد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله ، كما عدّدها في غير موضع من كتابه ، توقيفاً لهم على ما أبدع من المخلوقات ، وأنهم لا يجدون بداً من الإقرار بذلك لله تعالى.

." (١)

"

٥٤٥

" وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا " يعني بما تخوفنا به من العذاب " إن كنت من المرسلين " يعني إن كنت رسول رب العالمين " فأخذتهم الرجفة " يعني الزلزلة ويقال صيحة جبريل كما قال " فأخذتهم الصيحة مصبحين " الحجر ٨٣ وقيل الزلزلة ثم أخذتهم الصيحة بعد ويقال النار " فأصبحوا في دارهم جاثمين " يعني صاروا في مدينتهم ومنازلهم ميتين لا يتحركون وأصله من الجثوم ويقال أصابهم العذاب بكورة يوم الأحد

قوله تعالى " فتولى عنهم " فيه تقديم وتأخير يعني حين كذبوه خرج من بين أظهرهم " وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم " يعني دعوتكم إلى التوبة وحذرتكم بالعذاب " ولكن لا تحبون الناصحين " يعني لا تطيعون الداعين ويقال إنما قال ذلك بعد هلاكهم على وجه الحزن أي قد بلغتكم الرسالة وروي عن ابن عباس أنه قال إن الله تعالى لم يهلك قوما ما دام الرسول فيهم فإذا خرج من بين ظهرانيهم أتاهم ما أوعد لهم وقال في رواية الكلبي لما هلك قوم صالح رجع صالح ومن معه من المؤمنين فسكنوا ديارهم وقال في رواية الضحاك خرج صالح إلى مكة فكان هناك حتى قبضه الله تعالى

سورة الأعراف ٨٠ - ٨٤

قوله تعالى " ولوطا إذ قال لقومه " يعني وأرسلنا لوطا إلى قومه ويقال معناه واذكروا لوطا " إذ قال لقومه

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٦٤/٧

أتأتون الفاحشة " يعني اللواطة " ما سبقكم بها " يعني لم يعمل مثل عملكم " من أحد من العالمين " قبلكم " **إنكم لتأتون الرجال شهوة** من دون النساء " يعني تجامعون الرجال من دون النساء يعني إن إتيان الرجال أشهى عندكم من إتيان النساء وقرأ أبو عمرو " آينكم " بالمد بغير همز وقرأ ابن كثير ونافع " إنكم " بهمزة واحدة بغير مد وقرأ الباقون بهمزتين بغير مد ومعنى ذلك كله واحد وهو الاستفهام

ثم قال " بل أنتم قوم مسرفون " يعني معتدين من الحلال إلى الحرام

قوله تعالى " وما كان جواب قومه " وإنما صار الجواب نصبا لأنه خبر كان والاسم هو ما بعده " إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون " يعني يتقذرون منا ويتنزهون عن فعلنا " فأنجيناه وأهله " يعني ابنتيه زعوراء وريثا " إلا امرأته " وهي واعلة " كانت من الغابرين " يعني من الباقين في الهلاك فيمن أهلكوا " وأمطرنا عليهم مطرا " يعني الحجارة ويقال أمطر للعذاب ومطر للرحمة ويقال أمطر ومطر بمعنى واحد " فانظر كيف كان عاقبة

". (١)

"٥٨٨

ثمود) ويقال معناه واذكر لوطا " إذ قال لقومه " يعني حين قال لقومه " أتأتون الفاحشة " يعني أتعملون المعصية وهي اللواطة " وأنتم تبصرون " يعني تعلمون أنها فاحشة ومعصية هو وأعظم لذنوبكم

قوله عز وجل " **أئنكم لتأتون الرجال شهوة** " يعني تجامعون الرجال شهوة منكم " من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون " أي جاهلون " فما كان جواب قومه " وإنما نصب الجواب لأنه خبر كان وإسمه " إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون " يعني يتنزهون ويقذروننا بهذا الفعل وإنا لا نحب أن يكون بين أظهرنا من ينهانا عن أعمالنا

قال الله تعالى " فأنجيناه وأهله " يعني إبنتيه ريثا وزعورا " إلا إمرأته " لم ننجها من العذاب " قدرناها من الغابرين " أي تركناها من الباقين في العذاب ويقال قضينا عليها أنها من الباقين في العذاب " وأمطرنا عليهم مطرا " يعني على شذاذهم أي الخارجين المنفردين منهم ومن كان منهم في الأسفار " مطرا " يعني الحجارة " فساء مطر المنذرين " يعني بئس مطر من أنذرتهم الرسل فلم يؤمنوا

ثم قال عز وجل " قل الحمد لله " قال بعضهم معناه قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم " قل الحمد لله " وقال بعضهم معناه الحمد لله على هلاك كفار الأمم الماضية يعني ما ذكر في هذه السورة من هلاك

---

(١) بحر العلوم . موافق للمطبوع، ١/٥٤٥

فرعون وقومه وثمود وقوم لوط ويقال قال الحمد لله الذي علمك وبين لك هذا الأمر ويقال إن هذا كان للوط حين أنجاه أمره بأن يحمد الله تعالى

ثم قال " وسلام على عباده " يعني المرسلين " الذين إصطفى " يعني إختارهم الله تعالى للرسالة والنبوة وروي عن مجاهد أنه قال هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك قال مقاتل وقال سفيان الثوري هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال " آلله خير أما يشركون " يعني الله تعالى أفضل أم الآلهة التي تعبدونها اللفظ لفظ الإستفهام والمراد به التقرير يعني الله تعالى خير لهم مما يشركون فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ هذه الآية قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم ويقال معناه أعبادة الله خير أم عبادة ما يشركون به من الأوثان وقال القتبي " الله خيرا أما يشركون " يعني أم من تشركون فتكون " ما " مكان من كما قال " والسماء وما بناها " [الشمس : ٥] يعني ومن بناها " وما خلق الذكر والأنثى " [الليل : ٣] يعني ومن خلق

سورة النمل ٦٠ - ٦٤." (١)

"٦٣١

حكيم حكم أن من لم يقدر في بلدة على طاعة الله عز وجل فليخرج إلى بلدة أخرى

قوله عز وجل " ووهبنا له إسحاق ويعقوب " يعني لما هاجر إلى طاعة الله عز وجل أكرمه الله في الدنيا وأعطاه ذرية طيبة وهو ولده إسحاق وولد ولده يعقوب عليهم السلام ووهب له أربعة أولاد إسحاق من سارة وإسماعيل من هاجر ومدين ومداين من غيرهما " وجعلنا في ذريته " يعني من ذرية إبراهيم " النبوة والكتاب " يعني أكرم الله عز وجل ذريته بالنبوة وأعطاهم الصحف ويقال أخرج من ذريته ألف نبي عليهم السلام " والكتاب " يعني الزبور والتوراة والإنجيل والفرقان " وآتيناه أجره في الدنيا " يعني أعطيناه في الدنيا الثناء الحسن " وإنه في الآخرة لمن الصالحين " يعني مع النبيين في الجنة

قوله عز وجل " ولوطا " يعني وأرسلنا لوطا " إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة " قرأ إبن كثير ونافع وإبن عامر وعاصم في رواية حفص " إنكم " على معنى الخبر وقرأ أبو عمرو " آئنكم " بالمد على معنى الإستفهام " لتأتون الفاحشة " يعني المعصية " ما سبقكم بها من أحد من العالمين "

ثم قال " **أئنكم لتأتون الرجال** " واتفقوا في هذا الحرف على لفظ الإستفهام واختلفوا في الأول فقرأ الذين سميناهم على وجه الإخبار عنهم إنكم تفعلون وتكون على وجه التعيير وقرأ الباقون الأول على وجه الإستفهام

---

(١) بحر العلوم ـ موافق للمطبوع، ٢/٥٨٨

فيكون اللفظ لفظ الإستفهام والمعنى فيه التوبيخ والتقريع

ثم قال " وتقطعون السبيل " يعني تعترضون الطريق لمن مر بكم بعملكم الخبيث ويقال " وتقطعون السبيل " يعني تأخذون أموالهم كانوا يفعلون ذلك لكيلا يدخلوا في بلدهم ويتناولوا من ثمارهم ويقال " تقطعون السبيل " يعني النسل " وتأتون في ناديكم المنكر " يعني تعملون في مجالسكم المنكر وقال بعضهم يعني به اللواطة كانوا يفعلون ذلك في المجالس بالعلانية ويقال أراد به المعاصي وهي الرمي بالبندق والصفير والحذف ومضغ العلك وحل إزار القباء واللعب بالحمام وشرب الخمر وضرب العود والمزامير وغير ذلك من المعاصي وروت أم هانيء عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله " وتأتون في ناديكم المنكر " قال كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم " فما كان جواب قومه إلا أن قالوا إئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين " بالعذاب وإن العذاب نازل بنا " قال رب إنصرني " يعني أعني " على القوم المفسدين " يعني المشركين

سورة العنكبوت ٣١ - ٣٥." (١)

"" صفحة رقم ١١٨ "

هلكوا ، وكانوا ألفاً وخمسمائة دار . وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم . فإن قلت : كيف صحّ خطاب الموتى وقوله :) وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (؟ قلت : قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه حياً فلم يسمع منه حتى يالقى بنفسه في التهلكة : يا أخي ، كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني ؟ وقوله :) وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (حكاية حال ماضية .

) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِّن دُونِ النِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ((

الأعراف : (٨٠) ولوطا إذ قال . . . . .

وَلُوطًا (وأرسلنا لوطاً . و) إِذْ (ظرف لأرسلنا . واذكر لوطاً ، وإذ بدل منه ، بمعنى : واذكر وقت :) قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ (أتفعلون السيئة المتمادية في القبح) مَا سَبَقَكُمْ بِهَا (ما عملها قبلكم ، والباء للتعدية من قولك : سبقته بالكرة ، إذا ضربتها قبله . ومنه قوله عليه السلام :

---

(١) بحر العلوم ـ موافق للمطبوع، ٦٣١/٢

(٣٩٦) (سبقك بها عكاشة)) مِنْ أَحَدٍ مّن الْعَالَمِينَ ((من) الأولى زائدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق ، والثانية للتبعيض . فإن قلت : ما موقع هذه الجملة ؟ قلت : هي جملة مستأنفة ، أنكر عليهم أوّلاً بقوله :) أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ (ثم وبخهم عليها فقال : أنتم أوّل من عملها . أو على أنه جواب لسؤال مقدّر ، كأنهم قالوا : لما لا تأتيها ؟ فقال : ما سبقكم بها أحد ، فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ (بيان لقوله : أتأتون الفاحشة . والهمزة مثلها في) أَتَأْتُونَ (للإنكار والتعظيم . وقرىء : (إنكم) على الإخبار المستأنف لتأتون الرجال ، من أتى المرأة إذا غشيها) شَهْوَةً (مفعول له ، أي للاشتهاء لا." (١)

"" صفحة رقم ٣٧٨ "

ومن معه . وقيل : جاءوا بالليل شاهري سيوفهم ، وقد أرسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة : يرون الحجارة ولا يرون رامياً) أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ (استئناف . ومن قرأ بالفتح رفعه بدلاً من العاقبة ، أو خبر مبتدإ محذوف تقديره : هي تدميرهم . أو نصبه على معنى : لأنا . أو على أنه خبر كان ، أي : كان عاقبة مكرهم الدمار) خَاوِيَةٍ (حال عمل فيها ما دل عليه تلك . وقرأ عيسى بن عمر : (خاوية) بالرفع على خبر المبتدإ المحذوف .

) وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ أَءِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مّن دُونِ النّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (

النمل : (٥٤ – ٥٥) ولوطا إذ قال . . . . . .

) و (اذكر) رُسُلَنَا لُوطاً (أو أرسلنا لوطاً لدلالة (ولقد أرسلنا) عليه . و) إِذَا (بدل على الأول ظرف على الثاني .) وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (من بصر القلب ، أي : تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها ، وأن الله إنما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر الذكر ، ولا الأنثى للأنثى ، فهي مضادّة لله في حكمته وحكمه ، وعلمكم بذلك أعظم لذنوبكم وأدخل في القبح والسماجة . وفيه دليل على أن القبيح من الله أقبح منه من عبادة ؛ لأنه أعلم العالمين وأحكم الحاكمين . أو تبصرونها بعضكم من بعض ، لأنهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها ، لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة ، وإنهماكاً في المعصية ، وكأن أبا نواس بني على مذهبهم قوله : وَبُحْ بِاسْمِ مَا تَأْتِي وَذَرْنِي مِنَ الْكُنَى

فَلاَ خَيْرَ فِي اللَّذَّاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ

---

(١) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ٢/١١٨

أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم . فإن قلت : فسرت تبصرون بالعلم وبعده) بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (فكيف يكونون علماء وجهلاء ؟ قلت : أراد : تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك . أو تجهلون العاقبة . أو أراد بالجهل . السفاهة والمجانة التي كانوا عليها فإن قلت :) تَجْهَلُونَ (صفة لقوم ، والموصوف لفظه لفظ الغائب ، فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرىء بالياء دون التاء ؟ وكذلك بل أنتم قوم تفتنون ؟ قلت : اجتمعت الغيبة والمخاطبة ، فغلبت المخاطبة ، لأنها أقوى وأرسخ أصلاً من الغيبة .

) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُواْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً." (١)

"" صفحة رقم ٤٥٥ "

مودودة ، أو سبب مودّة . وعن عاصم : مودّة بينكم : بفتح بينكم مع الإضافة ، كما قرىء :) لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ((الأنعام : ٩٤) ففتح وهو فاعل . وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه : أوثاناً إنما مودّة بينكم في الحياة الدنيا ، أي : إنما تتوادّون عليها ، أو تودّونها في الحياة الدنيا) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي : يتلاعن العبدة . ويتلاعن العبدة والأصنام ، كقوله تعالى :) وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً ((مريم : ٨٢) .

) فَأامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنّى مُهَاجِرٌ إِلَى رَبّى إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (

العنكبوت : (٢٦) فآمن له لوط . . . . .

كان لوط ابن أخت إبراهيم عليهما السلام ، وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه) وَقَالَ (يعني إبراهيم) إِنّى مُهَاجِرٌ (من (كوثى) وهي من سواد الكوفة إلى (حرّان) ثم منها إلى فلسطين ، ومن ثمة قالوا : لكل نبي هجرة ولإبراهيم هجرتان ، وكان معه في هجرته : لوط ، وامرأته سارة ، وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة) إِلَى رَبّى (إلى حيث أمرني بالهجرة إليه) إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ (الذي يمنعني من أعدائي) الْحَكِيمُ (الذي لا يأمرني إلا بما هو مصلحتي .

) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِى الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِى لأٌّ خِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (

العنكبوت : (٢٧) ووهبنا له إسحاق . . . . .

) أَجْرُهُ (الثناء الحسن ، والصلاة عليه آخر الدهر والدرية الطيبة والنبوّة ، وأن أهل الملل كلهم يتولونه . فإن

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، ٣٧٨/٣

قلت : ما بال إسماعيل عليه السلام لم يذكر ، وذكر إسحق وعقبه ؟ قلت : قد دلّ عليه في قوله :) وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ (وكفى الدليل لشهرة أمره وعلوّ قدره . فإن قلت : ما المراد بالكتاب ؟ قلت : قصد به جنس الكتاب ، حتى دخل تحته ما نزل على ذريّته من الكتب الأربعة : التي هي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن ؟

) وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (

العنكبوت : (٢٨) ولوطا إذ قال . . . . . .

) وَلُوطاً (معطوف على إبراهيم ، أو على ما عطف عليه . و) الْفَاحِشَةُ (الفعلة البالغة في القبح . و) مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مّن الْعَالَمِينَ (جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة ، كأن قائلاً قال : لم كانت فاحشة ؟ فقيل له : لأن أحداً قبلهم لم يقدم." (١)

"ﷺالْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١] يُخْبِرُ بِذَلِكَ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَنْ لُوطٍ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ، تَوْبِيخًا مِنْهُ لَهُمْ عَلَى فِعْلِهِمْ: ﴿إِنَّكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] أَيُّهَا الْقَوْمُ ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ [الأعراف: ٨١] فِي أَدْبَارِهِمْ، ﴿شَهْوَةً﴾ [الأعراف: ٨١] مِنْكُمْ لِذَلِكَ، ﴿مِنْ دُونِ﴾ [البقرة: ٢٣] الَّذِي أَبَاحَهُ اللَّهُ لَكُمْ وَأَحَلَّهُ مِنَ ﴿النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١] ، يَقُولُ: إِنَّكُمْ لَقَوْمٌ تَأْتُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَتَعْصَوْنَهُ بِفِعْلِكُمْ هَذَا، وَذَلِكَ هُوَ الْإِسْرَافُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ. وَالشَّهْوَةُ: الْفَعْلَةُ، وَهِيَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: شَهَيْتُ هَذَا الشَّيْءَ أَشْهَاهُ شَهْوَةً، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

[البحر الطويل]

وَأَشْعَثَ يَشْهَى النَّوْمَ قُلْتُ لَهُ ارْتَحِلْ ... إِذَا مَا النُّجُومُ أَعْرَضَتْ وَاسْبَطَرَّتِ." (٢)

"ﷺالْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ. **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَأَرْسَلْنَا لُوطًا إِلَى

---

(١) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ٣/٤٥٥

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٠/٣٠٥

قَوْمِهِ، إِذْ قَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: ٥٤] أَنَّهَا فَاحِشَةٌ، لِعِلْمِكُمْ بِأَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْكُمْ إِلَى مَا تَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ.." (١)

"ﷺوَقَوْلُهُ: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ [النمل: ٥٥] مِنْكُمْ بِذَلِكَ مِنْ دُونِ فُرُوجِ النِّسَاءِ الَّتِي أَبَاحَهَا اللَّهُ لَكُمْ بِالنِّكَاحِ.." (٢)

"ﷺالْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ لُوطٍ لِقَوْمِهِ ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩] أَيُّهَا الْقَوْمُ ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ [الأعراف: ٨١] فِي أَدْبَارِهِمْ ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] يَقُولُ: وَتَقْطَعُونَ الْمُسَافِرِينَ عَلَيْكُمْ بِفِعْلِكُمُ الْخَبِيثِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ فِيمَا ذُكِرَ عَنْهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِمَنْ مَرَّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُسَافِرِينَ، وَمَنْ وَرَدَ بِلَادَهُمْ مِنَ الْغُرَبَاءِ.." (٣)

"فلمّا خرج أصابه ما أصاب قومه [فدفن هاهنا] ودفن معه غصن من ذهب وأراهم قبر أبي رغال فول القوم فابتدروه بأسيافهم وبحثوا عليه فاستخرجوا ذلك الغصن، ثمّ قبع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وأسرع السير حتّى جاز الوادي «١» .

قال أهل العلم: توفي صالح (عليه السلام) بمكّة وهو ابن ثمان وخمسين [سنة فلبث] في قومه عشرين سنة.

عن الضحاك بن مزاحم قال: قال رسول الله (عليه السلام) : «يا عليّ أتدري من أشقى الأوّلين؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «عاقر الناقة» .

قال: «أتدري من أشقى الآخرين؟» قال: الله ورسوله أعلم.

قال: «قاتلك» [١٩١] «٢» .

وَلُوطاً يعني وأرسلنا لوطا وقيل معناه: واذكر لوطا. وهو لوط بن [هاران] بن تارخ أخي إبراهيم (عليه السلام) إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ وهم أهل سدوم، وذلك أنّ لوطا شخص من أرض بابل مع عمّه إبراهيم (عليه السلام) مؤمنا به مهاجرا معه إلى الشام فنزل إبر اهيم (عليه السلام) فلسطين وأنزل ابن أخيه لوطا الأردن فأرسل الله إلى

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٩٦/١٨

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٩٦/١٨

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٨٨/١٨

أهل سدوم فقال لهم: أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ يعني إتيان الذكران ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ قال عمرو بن دينار: ما كان يزني ذكر على ذكر في الدنيا حتّى كان قوم لوط **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ** [في أدبارهم] شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ يعني أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ مشركون [تبدّلون] الحلال إلى الحرام.

---

(١) بطوله في تفسير الطبري: ١٢/ ٨٥ وتاريخ الطبري: ١/ ١٥٩ مع تفاوت

. (٢) الطبقات الكبرى: ٣/ ٣٥، وتاريخ بغداد: ١/ ١٤٦، وشواهد التنزيل: ٢/ ٤٤٤ ح ١١٠٨ [.....]

.." (١)

"[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٥٤ الى ٥٩]

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩)

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وهي الفعلة القبيحة الشنيعة وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أنّها فاحشة، وقيل: يرى بعضكم بعضا. كانوا لا يتستّرون عتوّا منهم وتمرّدا **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ من أدبار الرجال، يقولونه استهزاء منهم بهم فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ وأهله قَدَّرْناها قضينا عليها أنها مِنَ الْغابِرِينَ أي الباقين في العذاب وقال أهل المعاني: معنى قَدَّرْناها جعلناها مِنَ الْغابِرِينَ وإنّما قال ذلك لأنّ جرمها على مقدار جرمهم، فلمّا كان تقديرها كتقديرهم في الشرك والرضى بأفعالهم القبيحة، جرت مجراهم في إنزال العذاب بها وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ أي على شذّادها «١» مَطَراً وهو الحجارة فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ قال الفرّاء: قيل للوط: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ على هلاك كفار قومي.

وقال الباقون: الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلّم، يعني وقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ على هلاك كفّار الأمم الخالية، وقال مقاتل: على ما علّمك هذا الأمر. الآخرون: على جميع نعمه.

وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى لرسالاته وهم الأنبياء (عليهم السلام) ، عن مقاتل دليله قوله: وَسَلامٌ عَلَى

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٥٨/٤

الْمُرْسَلِينَ «٢» وأخبرني عبد الله بن حامد قال: أخبرنا السدّي. قال: حدّثنا أحمد بن نجدة. قال: حدّثنا الحماني. قال: حدّثنا الحكم بن طهر، عن السدّي، عن أبي مالك، عن ابن عباس وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى قال: أصحاب محمّد (عليه السلام) .

وأخبرني عبد الرحيم بن إبراهيم بن محمّد العدل بقراءتي عليه، قال: أخبرني عبد الله بن محمّد بن مسلم، فيما أجازه لي أنّ محمّد بن إدريس حدّثهم، قال: حدّثنا الحميدي. قال: سمعت سفيان سئل عن عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى قال: هم أصحاب محمّد.

وقال الكلبي: هم أمّة محمّد اصطفاهم الله لمعرفته وطاعته، ثمّ قال إلزاما للحجّة:

آللَّهُ القراءة بهمزة ممدودة وكذلك كلّ استفهام فيه ألف وصل، مثل قوله: (آلذين وآلآن) جعلت المدّة علما بين الاستفهام والخبر، ومعنى الآية: الله الذي صنع هذه الأشياء خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ من الأصنام، وقرأ عاصم وأهل البصرة (بالياء) ، الباقون (بالتاء) ،

وكان النبي (عليه

---

(١) هكذا في المخطوط. [.....]

(٢) سورة الصافّات: ١٨١.." [(١)]

"إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ وَآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ.

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٢٨ الى ٣٥]

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٢٨) **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ (٣١) قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٣٢)

وَلَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٧/٢١٨

امْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلى أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)

وَلُوطاً فأذكر لوطا إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ مجلسكم الْمُنْكَرَ.

حدثنا أبو العباس سهل بن محمد بن سعيد المروزي، قال: حدثنا جدي لأمّي أبو الحسن المحمودي، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة: أنّ بشر بن معاذ العمقدي حدثهم قال: حدثنا يزيد بن زريع «١» قال: حدثنا حاتم بن أبي صغيرة، وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا عمير بن مرداس الدونقي، قال: حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي، قال:

حدثنا يحيى بن أبي الحجاج أبو أيوب البصري قال: حدثنا أبو يونس حاتم بن أبي صغيرة، عن سماك بن حرب، عن أبي مولى أم هانئ، عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن قوله سبحانه: وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ قلت: ما المنكر الذي كانوا يأتون؟

قال: «كانوا يخذفون أهل الطرق ويسخرون بهم» [١٤٤] «٢» .

وأخبرني الحسين بن محمد بن الحسين، قال: حدثنا موسى بن محمد، قال: حدثنا الحسن بن علوية، قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى، قال: حدثنا المسيب، قال: سمعت زياد بن أبي زياد يحدّث عن معاوية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «إنّ قوم لوط كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كلّ رجل منهم قصعة فيها حصى، فإذا مر بهم عابر سبيل قذفوه، فأيهم أصابه كان أولى به»

[١٤٥] «٣» وذلك قول الله سبحانه: وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «إيّاكم

---

(١) في نسخة أصفهان: برنع.

(٢) مسند أحمد: ٦/ ٣٤١.

(٣) تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٤٢.." (١)

"قوله: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ [أَتَأْتُونَ الفاحشة]﴾، إلى: ﴿المجرمين﴾.

نصب ﴿لُوطاً﴾ على " وأرسلنا لوطاً "، أي على معنى: واذكروا لوطاً.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٧٧/٧

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفاحشة﴾. أي: أتأتون الذكران.

﴿مَا سَبَقَكُمْ﴾، لفعل هذا أحد ﴿مِّن العالمين﴾.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرجال شَهْوَةً﴾ هذا توبيخ لهم وتقريع.

وقوله: ﴿شَهْوَةً﴾: مصدر، أي تشتهون ذلك شهوة.." (١)

"شئت، وأرسلنا لوطاً: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفاحشة﴾ يعني نكاح الرجال في أدبارهم. ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، أي تبصرون أنها فاحشة، إذ قد علمتم أنه لم يسبقكم إلى من تفعلون أحد. ﴿أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرجال﴾، أي في أدبارهم شهوة منكم لذلك، من دون فروج النساء التي أباح الله لكم بالنكاح ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، أي تجهلون حق الله عليكم فخالفتم أمره.

قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قالوا أخرجوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾، أي فلم يكن جواب قوم لوط له لما نهاهم عن نكاح الرجال، إلا قول بعضهم لبعض: ﴿أخرجوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾، عما نفعله نحن من إتيان الذكران. قال ابن عباس: أي يتطهرون من إتيان النساء والرجال في أدبارهم. وقاله مجاهد.

قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امرأته قَدَّرْنَاهَا﴾، يعني أنجاهم من العذاب. ﴿إِلاَّ امرأته قَدَّرْنَاهَا﴾، أي جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ الغابرين﴾، أي من الباقين في العذاب. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً﴾، أي حجارة من السماء، أي." (٢)

"الصالحين في الآخرة.

وقال قتادة: أجره في الدنيا عافية وعمل صالح وثناء حسن، فلست تلقى أحداً من الملل إلاّ يرضى إبراهيم ويتولاه.

وقيل: أجره في الدنيا أن الله لم يبعث نبياً بعد إبراهيم A إلاّ من ذريته، وليس من أهل دين إلاّ (وهم) يتحلون حب إبراهيم A يدعون دينه، وذلك كله لا ينقصه من ثوابه في الآخرة، فلذلك قال: ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخرة لَمِنَ الصالحين﴾ أي: إن له في الآخرة منازل الصالحين. ومثله قوله تعالى:

﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدار * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ المصطفين الأخيار﴾ [ص: ٤٦ - ٤٧]. يعني في الآخرة لم ينقصهم ما تفضل به عليهم في الدنيا من أجرهم في الآخرة شيئاً.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢٤٣٧/٤

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٤٥٠/٨

ثم قال تعالى: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفاحشة﴾ أي: واذكر لوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة، وهي إتيان الذكور.

﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ العالمين﴾ أي: لم يتقدمكم أحد إلى إتيان الذكور.

قوله تعالى ذكره: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرجال وَتَقْطَعُونَ السبيل﴾ إلى قوله: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾.

أي: تأتون الرجال في أدبارهم، وتقطعون الطريق على المسافرين.

روي أنهم كانوا يفعلون ذلك بمن يمر بهم من المسافرين، ومن يرِدُ ديارهم من." (١)

"وقال أبو عبيدة: الحسيس والحس والجَرْس واحد، وهو الصوت الخفي الذي لا (رحمه الله١) يحس (رحمه الله٢).

وقال ابن عباس: لا يسمعون حسيسها كما يسمع أهلها حسيسها من مسيرة خمسمائة عام.

والظاهر أن هذا مطلق لا يسمعون حسيسها أبداً.

وقال بعض المفسرين: يعني إذا نزلوا منازلهم من الجنة (رحمه الله٣).

وعلى هذا كأنهم قبل دخول الجنة يسمعون حسّ النار.

﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد في الجنة. ومعنى الشهوة والاشتهاء ذكرنا فيما تقدم (رحمه الله٤).

١٠٣ - قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ قال سعيد بن

رحمه الله________________

= والبيت من غير نسبة أيضًا في "لسان العرب" ٢/ ٤٢٨ (جنح)، ٦/ ٥٠ "حسس"، "تاج العروس" للزبيدي ٦/ ٣٥٠ (جنح)، ١٥/ ٤٥٣٦ (حسس).

(رحمه الله١) لا: ساقطة من (أ).

(رحمه الله٢) في "مجاز القرآن" ٢/ ٤٢: أي: صوتها، والحس والحسيس واحد.

لكن قال البخاري في "صحيحه" ٨/ ٤٣٥ (فتح) في أول تفسير سورة الأنبياء: .. وقال غيره: .. الحسيس والحس والجرس والهمس واحد. وهو الصوت الخفي. قال ابن حجر في "فتح الباري" ٨/ ٤٣٦ شارحًا لقول البخاري "وقال غيره": كذا لهم -يريد ابن حجر لرواة الصحيح- وللنسفي -وهو أحد رواه الصحيح-

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٦٢٠/٩

"وقال معمر"، ومعمر هذا بالسكون هو أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوي، وقد أكثر البخاري نقل كلامه، فتارة يصرّح باسمه وتارة يبهمه.

(﵀٣) قال الطبري والثعلبي. انظر: "الطبري" ١٧/ ٩٨ و"الكشف والبيان" للثعلبي ٣/ ٤٤ ب.

(﵀٤) انظر: "البسيط" عند قوله تعالي: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١].." [1]

"اشتقاق هذا الاسم، وأنكر عليه ذلك أبو إسحاق وقال: (الاسم الأعجمي لا يقال إنه مشتق كإسحاق، لا يقال إنه مشتق من السُّحق، وكتاب الله لا ينبغي أن يُقدم على تأويله إلا برواية صحيحه أو حجة واضحة) (﵀١).

وقال النحويون: (إنما صرف لوط لخفته بأنه على ثلاثة أحرف ساكن الأوسط) (﵀٢).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾، يعني: إتيان الذكران، في قول جميع المفسرين (﵀٣)، ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، قالوا: (ما نزا (﵀٤) ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط)، قال الزجاج: (وفي هذه الآية دليل على أن فاحشة اللواط لم يفعلها أحد قبل قوم لوط) (﵀٥).

٨١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ الآية كلهم قرءوا: ﴿إِنَّكُمْ﴾ بالاستفهام، إلا نافعًا فإنه رأ: ﴿إِنَّكُمْ﴾ بغير

﵀__________

(﵀١) "معاني الزجاج" ٢/ ٣٥١ - ٣٥٢.

(﵀٢ انظر: "العين" ٧/ ٤٥٢، و"تهذيب اللغة" ٤/ ٣٢١٩، و"اللسان" ٧/ ٤٠٩٩ (لوط). وفي "الكتاب" ٣/ ٢٣٥. قال سيبويه: (وأما لوط فينصرف على كل حال لخفته) اهـ، وقال الجوهري في "الصحاح" ٣/ ١١٥٨ لوط: (لوط: اسم ينصرف من المعجمة والتعريف، وإنما لزم الصرف، لأن الاسم على ثلاثة أحرف أوسطه ساكن وهو على غاية الخفة فقاومت خفته أحد السببين) اهـ.

(﵀٣) انظر: "تفسير الطبري" ٨/ ٢٣٤، و"معاني النحاس" ٣/ ٥٠، و"تفسير السمرقندي" ١/ ٥٥٣، والبغوي ٣/ ٢٥٥، وابن عطية ٥/ ٥٦٩.

---

[1] التفسير البسيط الواحدي ١٥/٢١٥

(﵀٤) في (ب): (ما يرى).

(﵀٥) "معاني الزجاج" ٢/ ٣٥٢.." [١]

"وانتصابها على المصدر؛ لأن قوله: ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ معناه: أتشهونهم شهوة، وإن [شئت] (﵀١) قلت: إنها مصدر (﵀٢) وقع موقع الحال (﵀٣).

قال الحسن: (كانوا ينكحون الرجال في أدبارهم، وكانوا لا ينكحون إلا الغرباء) (﵀٤). وقال عطاء عن ابن عباس: (استحكم ذلك فيهم حتى فعل بعضهم ببعض) (﵀٥).

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾. معنى ﴿بَلْ﴾ هاهنا إضطراب عن الأول إلى جميع المعايب من عبادة الأوثان، وإتيان الذكران، وترك ما قام به البرهان (﵀٦). وعلى هذا المعنى دل (﵀٧) كلام ابن عباس حيث قال: (يريد جمعتم مع الشرك معصية لم يفعلها خلق قبلكم) (﵀٨).

٨٢ - قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ (﵀٩). يعني: لوطًا واتباعه؛ لأنه قال في غير هذه السورة: ﴿أَخْرِجُوا

﵀______________

(﵀١) لفظ: (شئت) ساقط من (ب).

(﵀٢) في (أ): (مصادر)، وهو تصحيف.

(﵀٣) شهوة مفعول من أجله أي لأجل الاشتهاء أو مصدر في موضع الحال أي مشتهين أو باقٍ على مصدريته ناصبه: ﴿لَتَأْتُونَ﴾ لأنه بمعنى أتشتهون. انظر: "التبيان" ص ٣٨٢، و"الفريد" ٢/ ٣٣٠، و"الدر المصون" ٥/ ٣٧٢.

(﵀٤) ذكره هود الهواري في "تفسيره" ٢/ ٢٩، والثعلبي ١٩٤ أ، والبغوي ٣/ ٢٥٥، وابن عطية ٥/ ٥٧٠، والقرطبي ٧/ ١٤٥.

(﵀٥) ذكره الرازي في "تفسيره" ١٤/ ١٦٨.

(﵀٦) انظر: "التبيان" ص ٣٨٢، و"البحر" ٤/ ٣٣٤، و"الدر المصون" ٥/ ٣٧٢.

(﵀٧) لفظ: (دل) ساقط من (ب).

(﵀٨) "تنوير المقباس" ٢/ ١٠٨، وذكر السيوطي في "الدر" ٣/ ١٨٦ نحوه.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٩/٢١٨

(ﷺ٩) في "النسخ": ﴿فَمَا كَانَ﴾، وهو تحريف، وقد جاء بالفاء في الآية: ٥٦ من (النمل) والآية: ٢٤ و٢٩ من (العنكبوت).." [١]

"مِنْ هَذَا الْفَجِّ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، فَعَقَرُوهَا، فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ، فَأَهْمَدَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ، قِيلَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَبُو رِغَالٍ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ "

قوله: فتولى عنهم لما نزل بهم العذاب تولى صالح عنهم ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٩] قال ابن عباس: خوفتكم من الله ومن عقابه.

﴿وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩] لا تجيبونهم إلى ما يدعونكم إليه، وخطابه إياهم بعد كونهم جاثمين كخطاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتلى بدر، فقيل له: أتكلم هؤلاء الجيف؟ فقال: ما أنتم بأسمع منهم، لكنهم لا يقدرون على الجواب.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٠-٨٤] قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ [الأعراف: ٨٠] يعني: إتيان الذكران، في قول جميع المفسرين ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠] قالوا: ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ [الأعراف: ٨١]." [٢]

"حفص عنه بفتح الميم وكسر اللام، وهو اسم المكان على معنى: ما شهدنا موضع هلاكهم ومكانه.

قال الزجاج: وكان هؤلاء النفر تحالفوا أن يبيتوا صالحا وأهله، ثم ينكروا عند أوليائه أنهم فعلوا ذلك، أو رأوه وكان هذا مكر عزموا عليه.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ [النمل: ٥٠] جازيتهم جزاء مكرهم بتعجيل عقوبتهم، ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠] بمكر الله بهم.

فانظر كيف كان عاقبة مكرهم إنا دمرناهم وقرئ أنا بالفتح، قال الزجاج، والفراء: من كسر استأنف، فهو

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٩/٢٢٠

(٢) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢/٣٨٥

يفسر به ما كان قبله مثل قوله: فلينظر الإنسان إلى طعامه إنا صببنا ومن فتح رده على إعراب ما قبله جعله تابعا للعاقبة، كأنه قال: العاقبة أنا دمرناهم.

قال ابن عباس: أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم، فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة، فقتلتهم.

وقال مقاتل: نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم.

وقوله: ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥١] يعني بصيحة جبريل.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [النمل: ٥٢] قال الزجاج: نصب خاوية على الحال، والمعنى: فانظر إلى بيوتهم خاوية.

﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢] بظلمهم وشركهم بالله أهلكناهم حتى صارت منازلهم خاوية خالية ساقطة على عروشها، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [النمل: ٥٢] في هلاكهم، ﴿لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢] لعبرة لمن علم توحيد الله وقدرته.

﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [النمل: ٥٣] صدقوا صالحا من العذاب وكانوا يتقون الشرك.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [النمل: ٥٤-٥٨] ولوطا واذكر لوطا، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ [النمل: ٥٤] الذين أرسل إليهم أتأتون الفاحشة يعني: اللواط في قول الجميع، وأنتم تبصرون وأنتم تعلمون أنها فاحشة، وهو من البصر الذي هو العلم، وهذه الآيات التي في هذه القصة مفسرة في ﴿ [الأعراف.

وقوله:] بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [سورة النمل: ٥٥] قال ابن عباس: تجهلون القيامة وعاقبة العصيان.

وقوله: ﴿قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [النمل: ٥٧] جعلناها بتقديرنا وقضائنا عليها أنها من الباقين في العذاب، وما بعد هذا مفسر في ﴿ [الشعراء.

قوله:] قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىءَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [سورة النمل: ٥٩-٦٠] ﴾." [1]

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٣٨١

"فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦] صدق بإبراهيم لوط، وهو ابن أخيه، وقال إبراهيم: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ [العنكبوت: ٢٦] هاجر من كوثا، وهو سواد العراق، إلى الشام، وهجر قومه المشركين.

والمعنى: إلى حيث أمرني.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ [العنكبوت: ٢٧] من بعد إسماعيل، ويعقوب من إسحاق، ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧] وذلك أن الله لم يبعث نبيا من بعد إبراهيم إلا من صلبه، ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: ٢٧] يعني الثناء الحسن، فكل أهل الأديان يحبونه ويتولونه، وقال السدي: هو أنه أري مكانه في الجنة، ثم أعلم أن له مع ما أعطي في الدنيا الدرجات العلى بقوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧] قال ابن عباس: مثل آدم ونوح، أي أنه في درجتهما.

وقد قال الله: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [طه: ٧٥] .

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٨-٣٠] وما بعد هذا مفسر إلى قوله: وتقطعون السبيل وذلك أنهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين، فلما فعلوا ذلك ترك الناس الممر بهم.

قال الفراء: كانوا يعترضون الناس من الطرق لعملهم الخبيث.

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] النادي والندي والمنتدى: مجلس القوم ومتحدثهم، قال ابن عباس، ومجاهد: هو إتيانهم الرجال، واستمكنت تلك الفاحشة فيهم حتى فعل بعضهم ببعض في المجالس.

وقال القاسم بن محمد: هو أنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم.

٧١٠ - أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْشَاذَ الْعَدْلُ، أنا حَمْدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ مُحَمَّدٍ السُّلَمِيُّ، أنا جَدِّي، نا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، نا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، نا زُرَيْعٌ، نا حَاتِمُ بْنُ أَبِي صَغِيرَةَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ ، قُلْتُ: مَا الْمُنْكَرُ الَّذِي كَانُوا يَأْتُونَ؟ قَالَ: كَانُوا يَخْذِفُونَ أَهْلَ الطَّرِيقِ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ، رَوَاهُ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي (صَحِيحِهِ) ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُوسَى بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ أَبِي أُسَامَةَ، عَنْ حَاتِمٍ

قال الزجاج: وفي هذا إعلام أنه لا ينبغي أن يتعاشر الناس على المناكير، وأن لا يجتمعوا على الهزء والمناهي، ولما أنكر لوط على قومه ما كانوا يأتونه من القبائح قالوا له استهزاء: ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] أن العذاب نازل بنا.

وعند." (١)

"﴿إنكم لتأتون الرجال﴾ الآية." (٢)

"﴿أإنكم **لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أنتم قوم تجهلون﴾." (٣)

"كانت عقوبته كذا وكذا، فنودي بذلك، ثمّ عقد الملك مجلس القضاء واستحضر هذا الرّجل ليقتله واستشهد النّاس عليه فلم يشهد عليه أحد، فخلّى سبيله.

ومن خصالهم المذمومة الملاعبة والمراودة برمي البنادق، والتّضارط في الأندية، وإبداء السّوأة، والتفل بالبزاق في الوجوه، واللّواطة، وبسبب ذلك إنّهم كانوا أبخل النّاس على ثمارهم، وكانت ثمارهم كثيرة، وقحط ما حولهم من البلدان فكانت الغرباء يأتون ديارهم ويصيبون من ثمارهم، وذلك يشقّ عليهم فيستقبلونهم بالشّتم والضّرب، والمحتاجون لا ينزجرون، فتصوّر (رَحِمَهُ اللَّهُ١) إبليس لشقيّ منهم في صورة (رَحِمَهُ اللَّهُ٢) صبيّ وضيء مشتهى، وتسوّر حائط بستانه ليأخذ شيئا من ثماره، فقصده ليضربه، فعرض عليه (رَحِمَهُ اللَّهُ٣) إبليس نفسه ووسوس إليه حتى واقعه (رَحِمَهُ اللَّهُ٤)، ثمّ دلّ الملعون أصحابه عليه، واستفاض الفاحشة فيهم وتعوّدوا ذلك (رَحِمَهُ اللَّهُ٥).

﴿ما سَبَقَكُمْ:﴾ يدلّ أنّها لم تكن قبلهم (رَحِمَهُ اللَّهُ٦)، وقيل (رَحِمَهُ اللَّهُ٧): يدل على مبالغتهم فيها ولا يدلّ على ابتداعهم إيّاها. ولم يبيّن الله فيها حدّا (رَحِمَهُ اللَّهُ٨).

﴿مِنْ أَحَدٍ:﴾ (من) للتّفسير وتأكيد النّفي (رَحِمَهُ اللَّهُ٩).

و ﴿مِنَ الْعالَمِينَ:﴾ لتبيين الجنس (رَحِمَهُ اللَّهُ١٠). وإنّما لم يقل: من النّاس، لتعظيم الأمر باللّفظ الأعمّ.

٨١ - ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجالَ:﴾ يدلّ على تعليق الحكم بالجنس، فإنّه لا يفيد (رَحِمَهُ اللَّهُ١١) في هذا الموضع إباحة ولا رخصة ولا شبهة.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤١٨/٣

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٤٠١

(٣) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٨٠٧

و (الشّهوة): داعية النّفس، وأراد لما فيها من اللّذّة (رَحِمَهُ اللَّهُ١٢).

﴿مِنْ دُونِ النِّساءِ:﴾ أي (رَحِمَهُ اللَّهُ١٣): من دون أن تأتوا النّساء، أراد صرف الشّهوة عن وجهها رَحِمَهُ اللَّهُ___________

(رَحِمَهُ اللَّهُ١) في ك: فيصور.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) في ك: صفة.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٣) في ب: إليه، وبعدها (إبليس) ساقطة من ك.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٤) في ع وب: أوقعه.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٥) ينظر: تفسير البغوي ٢/ ١٧٩ - ١٨٠، ومجمع البيان ٤/ ٣٠١.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٦) ينظر: تفسير الطبري ٨/ ٣٠٤، ومعاني القرآن وإعرابه ٢/ ٣٥٢، ومعاني القرآن الكريم ٣/ ٥٠.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٧) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٤/ ٤٥٦.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٨) في ب: أحدا. وينظر: تفسير القرطبي ٧/ ٢٤٣ - ٢٤٥، والبحر المحيط ٤/ ٣٣٦، والجواهر الحسان ٣/ ٥٣.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٩) ينظر: الكشاف ٢/ ١٢٥، والتفسير الكبير ١٤/ ١٦٨.

(رَحِمَهُ اللَّهُ١٠) ينظر: تفسير القرطبي ٧/ ٢٤٥.

(رَحِمَهُ اللَّهُ١١) في ب: يقيد.

(رَحِمَهُ اللَّهُ١٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٤/ ٤٥٧، ومجمع البيان ٤/ ٢٩٨.

(رَحِمَهُ اللَّهُ١٣) ساقطة من ك.." (١)

"عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَ الْحِجْرَ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَشْرَبُوا مِنْ بِئْرٍ بِهَا وَلَا يَسْتَقُوا مِنْهَا، فَقَالُوا: قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا وَاسْتَقَيْنَا، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ الْعَجِينَ وَيُهَرِيقُوا ذَلِكَ الْمَاءَ" (١) . وَقَالَ نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا وَأَنْ يَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ (٢) .

وَرَوَى أَبُو الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: لَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِجْرِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: ل ِ يَدْخُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْقَرْيَةَ وَلَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهِمْ وَلَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَلَا تَسْأَلُوا رَسُولَكُمُ الْآيَاتِ، هَؤُلَاءِ قَوْمُ صَالِحٍ سَأَلُوا رَسُولَهُمْ،

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٦٧٦/١

فَبَعَثَ اللَّهُ النَّاقَةَ فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ وَتَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمَ وُرُودِهَا، وَأَرَاهُمْ مُرْتَقَى الْفَصِيلِ مِنَ الْقَارَةِ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَعَقَرُوهَا، فَأَهْلَكَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا يُقَالُ لَهُ أَبُو رِغَالٍ، وَهُوَ أَبُو ثَقِيفٍ كَانَ فِي حَرَمِ الله، فمنعه ١٣٣/ب حَرَمُ اللّٰهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، فَلَمَّا خَرَجَ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ فَدُفِنَ وَدُفِنَ مَعَهُ غُصْنٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَأَرَاهُمْ قَبْرَ أَبِي رِغَالٍ، فَنَزَلَ الْقَوْمُ فَابْتَدَرُوا بِأَسْيَافِهِمْ وَحَفَرُوا عَنْهُ وَاسْتَخْرَجُوا ذَلِكَ الْغُصْنَ (٣) .

وَكَانَتِ الْفِرْقَةُ الْمُؤْمِنَةُ مِنْ قَوْمِ صَالِحٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ خَرَجَ بِهِمْ صَالِحٌ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، فَلَمَّا دَخَلُوهَا مَاتَ صَالِحٌ فَسَمَّى حَضْرَمَوْتَ ثُمَّ بَنَى الْأَرْبَعَةُ آلَافٍ مَدِينَةً يُقَالُ لَهَا حَاصُورَاءُ، قَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ تُوفي بِمَكَّةَ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَأَقَامَ فِي قَوْمِهِ عِشْرِينَ سَنَةً.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلُوطًا﴾ أَيْ: وَأَرْسَلْنَا لُوطًا. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ وَاذْكُرْ لُوطًا. وَهُوَ لُوطُ بْنُ هَارَانَ بْنِ تَارِخَ ابْنُ أَخِي إِبْرَاهِيمَ، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ وَهُمْ أَهْلُ سَدُومٍ وَذَلِكَ أَنَّ لُوطًا شَخَصَ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ [سَافَرَ] (٤) مَعَ عَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُؤْمِنًا بِهِ مُهَاجِرًا مَعَهُ إِلَى الشَّامِ، فَنَزَلَ إِبْرَاهِيمُ فِلَسْطِينَ وَأَنْزَلَ

---

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله تعالى: "وإلى ثمود أخاهم صالحا": ٦ / ٣٧٨، ومسلم في الزهد، باب "لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم" برقم (٢٩٨١) : ٤ / ٢٢٨٦ بلفظ قريب.

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله تعالى: "وإلى ثمود أخاهم صالحا": ٦ / ٣٧٨,

(3) أخرجه الطبري في التفسير: ٨ / ٢٣٠ (طبع الحلبي) ، والإمام أحمد في المسند مختصرا: ٣ / ٢٩٦، وصححه الحاكم: ٢ / ٣٤٠-٣٤١، ووافقه الذهبي، وعزاه الهيثمي للطبراني في الأوسط والبزار وأحمد، وقال: رجال أحمد رجال الصحيح وعزاه أيضا ابن حجر لابن حبان. انظر: مجمع الزوائد: ٧ / ٣٧-٣٨، الكافي الشاف ص (٦٥) ، الدر المنثور: ٣ / ٤٩٢.

(٤) ساقط من "ب".." (١)

"لُوطًا الْأُرْدُنَ، فَأَرْسَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى أَهْلِ سَدُومٍ فَقَالَ لَهُمْ، ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ يَعْنِي: إِتْيَانَ الذُّكْرَانِ، ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ مَا يُرَى ذَكَرٌ عَلَى ذَكَرٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٥٤/٣

كَانَ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ.

﴿إِنَّكُمْ﴾ قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَحَفْصٌ (إِنَّكُمْ) بِكَسْرِ الْأَلِفِ عَلَى الْخَبَرِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ، ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ فِي أَدْبَارِهِمْ، ﴿شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ فَسَّرَ تِلْكَ الْفَاحِشَةَ يَعْنِي أَدْبَارَ الرِّجَالِ أَشْهَى عِنْدَكُمْ مِنْ فُرُوجِ النِّسَاءِ، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ مُجَاوَزُونَ الْحَلَالَ إِلَى الْحَرَامِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: كَانَتْ لَهُمْ ثِمَارٌ وَقُرًى لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ مِثْلُهَا فَقَصَدَهُمُ النَّاسُ فَآذَوْهُمْ، فَعَرَضَ لَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ، فَقَالَ: إِنْ فَعَلْتُمْ بِهِمْ كَذَا نَجَوْتُمْ، فَأَبَوْا فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهِمُ النَّاسُ قَصَدُوهُمْ فَأَصَابُوهُمْ غِلْمَانًا صِبَاحًا، فَأَخَذُوهُمْ وَقَهَرُوهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَأَخْبَثُوا وَاسْتَحْكَمَ ذَلِكَ فِيهِمْ. قَالَ الْحَسَنُ: كَانُوا لَا يَنْكِحُونَ إِلَّا الْغُرَبَاءَ.

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ إِبْلِيسُ، لِأَنَّ بِلَادَهُمْ أَخْصَبَتْ فَانْتَجَعَهَا أَهْلُ الْبُلْدَانِ، أَيْ: فَتَمَثَّلَ لَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ شَابٍّ، ثُمَّ دَعَا إِلَى دُبُرِهِ، فَنُكِحَ فِي دُبُرِهِ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى السَّمَاءَ أَنْ تَحْصِبَهُمْ وَأَمَرَ الْأَرْضَ أَنْ تَخْسِفَ بِهِمْ.." (١)

"﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ يَعْنِي: مَدِينَةَ ثَمُودَ، وَهِيَ الْحِجْرُ، ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ مِنْ أَبْنَاءِ أَشْرَافِهِمْ، ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ وَهُمُ الَّذِينَ اتَّفَقُوا عَلَى عَقْرِ النَّاقَةِ، وَهُمْ غُوَاةُ قَوْمِ صَالِحٍ، وَرَأْسُهُمْ قِدَارُ بْنُ سَالِفٍ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى عَقْرَهَا، كَانُوا يَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي. قَالُوا ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ تَحَالَفُوا، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيْ: احْلِفُوا بِاللَّهِ أَيُّهَا الْقَوْمُ. وَمَوْضِعُ "تَقَاسَمُوا" جُزِمَ عَلَى الْأَمْرِ، وَقَالَ قَوْمٌ: مَحَلُّهُ نَصْبٌ عَلَى الْفِعْلِ الْمَاضِي، يَعْنِي: أَنَّهُمْ تَحَالَفُوا وَتَوَاثَقُوا، تَقْدِيرُهُ: قَالُوا مُتَقَاسِمِينَ بِاللَّهِ، ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ أَيْ: لَنَقْتُلَنَّهُ بَيَاتًا أَيْ: لَيْلًا ﴿وَأَهْلَهُ﴾ أَيْ: وَقَوْمَهُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مَعَهُ، وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ "لَتُبَيِّتُنَّهُ" وَ"لَتَقُولُنَّ" بِالتَّاءِ فِيهِمَا وَضَمِّ لَامِ الْفِعْلِ عَلَى الْخِطَابِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالنُّونِ فِيهِمَا وَفَتْحِ لَامِ الْفِعْلِ، ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ أَيْ: لِوَلِيِّ دَمِهِ، ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ مَا حَضَرْنَا، ﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ أَيْ: إِهْلَاكَهُمْ، وَلَا نَدْرِي مَنْ قَتَلَهُ، وَمَنْ فَتَحَ الْمِيمَ فَمَعْنَاهُ هَلَاكُ أَهْلِهِ، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فِي قَوْلِنَا مَا شَهِدْنَا ذَلِكَ. ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾ غَدَرُوا غَدْرًا حِينَ قَصَدُوا تَبْيِيتَ صَالِحٍ وَالْفَتْكَ بِهِ، ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ جَزَيْنَاهُمْ عَلَى مَكْرِهِمْ بِتَعْجِيلِ عُقُوبَتِهِمْ، ﴿وَهُمْ لَا

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٥٥/٣

يَشْعُرُونَ﴾ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا﴾ قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ "أَنَّا" بِفَتْحِ الْأَلِفِ رَدًّا عَلَى الْعَاقِبَةِ، أَيْ: كَانَتِ الْعَاقِبَةُ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ، وقرأ الآخرون: ٥٨/ب "إِنَّا" بالكسر على الاسئناف، ﴿دَمَّرْنَاهُمْ﴾ أَيْ: أَهْلَكْنَاهُمُ التِّسْعَةَ. وَاخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّةِ هَلَاكِهِمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَرْسَلَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ إِلَى دَارِ صَالِحٍ يَحْرُسُونَهُ، فَأَتَى التِّسْعَةُ دَارَ صَالِحٍ شَاهِرِينَ سُيُوفَهُمْ، فَرَمَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالْحِجَارَةِ مِنْ حَيْثُ يَرَوْنَ الْحِجَارَةَ وَلَا يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ، فَقَتَلَهُمْ. قَالَ مُقَاتِلٌ: نَزَلُوا فِي سَفْحِ جَبَلٍ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِيَأْتُوا دَارَ صَالِحٍ، فَجَثَمَ عَلَيْهِمُ الْجَبَلُ فَأَهْلَكَهُمْ. ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِالصَّيْحَةِ.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) ﴾." (١)

"﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ لَعِبْرَةً، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قُدْرَتَنَا. ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ يُقَالُ: كَانَ النَّاجُونَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ آلَافٍ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ وَهِيَ الْفِعْلَةُ الْقَبِيحَةُ، ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أَيْ: تَعْلَمُونَ أَنَّهَا فَاحِشَةٌ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ يَرَى بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَكَانُوا لَا يَسْتَتِرُونَ عُتُوًّا مِنْهُمْ. **﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ مِنْ أَدْبَارِ الرِّجَالِ. ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا﴾ قَضَيْنَا عَلَيْهَا وَجَعَلْنَاهَا بِتَقْدِيرِنَا، ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أَيِ: الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ وَهُوَ الْحِجَارَةُ، ﴿فَسَاءَ﴾ فَبِئْسَ، ﴿مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هَذَا خِطَابٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرَ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى هَلَاكِ كُفَّارِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ. وَقِيلَ: عَلَى جَمِيعِ نِعَمِهِ. ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ قَالَ مُقَاتِلٌ: هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ (١) دَلِيلُهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: "وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ". وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ أَبِي مَالِكٍ هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: هُمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) . وَقِيلَ: هُمْ كُلُّ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ السَّابِقِينَ وَاللَّاحِقِينَ (٤) ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ﴾ قَرَأَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَعَاصِمٌ: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بِالْيَاءِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ، يُخَاطِبُ أَهْلَ مَكَّةَ، وَفِيهِ إِلْزَامُ الْحُجَّةِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ هَلَاكِ الْكُفَّارِ، يَقُولُ: آللَّهُ خَيْرٌ لِمَنْ عَبَدَهُ، أَمِ الْأَصْنَامُ لِمَنْ عَبَدَهَا؟ وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ نَجَّى مَنْ عَبَدَهُ مِنَ الْهَلَاكِ، وَالْأَصْنَامُ لَمْ تُغْنِ شَيْئًا عَنْ عَابِدِيهَا عِنْدَ نُزُولِ الْعَذَابِ.

﴿أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٧٠/٦

تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) ﴾

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مَعْنَاهُ آلِهَتُكُمْ خَيْرٌ أَمِ الذي خلق السموات وَالْأَرْضَ، ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يَعْنِي الْمَطَرَ، ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ﴾ ؟ بَسَاتِينَ جَمْعُ حَدِيقَةٍ، قَالَ الْفَرَّاءُ: الْحَدِيقَةُ الْبُسْتَانُ الْمُحَاطُ عَلَيْهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ حَائِطٌ فَلَيْسَ بِحَدِيقَةٍ، ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ أَيْ: مَنْظَرٍ حَسَنٍ، وَالْبَهْجَةُ: الْحُسْنُ يَبْتَهِجُ بِهِ مَنْ يَرَاهُ، ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ أَيْ: مَا يَنْبَغِي لَكُمْ، لِأَنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهَا. ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ اسْتِفْهَامٌ عَلَى طَرِيقِ الْإِنْكَارِ، أَيْ: هَلْ مَعَهُ مَعْبُودٌ سِوَاهُ أَعَانَهُ عَلَى صُنْعِهِ؟ بَلْ لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ﴾ يَعْنِي كُفَّارَ مَكَّةَ، ﴿يَعْدِلُونَ﴾ يُشْرِكُونَ. ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ لَا تَمِيدُ بِأَهْلِهَا، ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ وَسَطَهَا (٥) ﴿أَنْهَارًا﴾ تَطْرُدُ بِالْمِيَاهِ، ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ جِبَالًا ثَوَابِتَ، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾ الْعَذْبِ وَالْمَالِحِ، ﴿حَاجِزًا﴾

---

(١) وهو مروي عن عبد الرحمن بن زيد، ورواه أبو صالح عن ابن عباس. انظر: زاد المسير: ٦ / ١٨٤، ابن كثير: ٣ / ٣٧٠.

(٢) رواه الطبري عن ابن عباس وسفيان الثوري وهو رواية السدي. قال ابن كثير: ولا منافاة بينهما، فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى، فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى، والقصد أن الله تعالى أمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن اتبعه بعد ذكره لهم ما فعل بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد، وما أحل بأعدائه من الخزي والنكال والقهر، أن يحمدوه على جميع أفعاله، وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار. انظر: الطبري: ٢٠ / ٢، زاد المسير: ٦ / ١٨٥، الدر المنثور: ٦ / ٣٧٠ تفسير ابن كثير: ٣ / ٣٧٠، معاني القرآن للنحاس: ٥ / ١٤٣.

(٣) انظر: زاد المسير: ٦ / ١٨٥ فقد عزاه لابن السائب.

(٤) فيما روى عطاء عن ابن عباس: أنهم الذين وحدوا الله وآمنوا به. انظر: زاد المسير: ٦ / ١٨٥.

(٥) ساقط من "أ".." (١)

"﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨)

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ١٧١/٦

أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) ﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ يُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ نَسْلِهِ، ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ وَهُوَ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ فَكُلُّ أَهْلِ الْأَدْيَانِ يَتَوَلَّوْنَهُ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: هُوَ الْوَلَدُ الصَّالِحُ، وَقِيلَ: هُوَ أَنَّهُ رَأَى مَكَانَهُ فِي الْجَنَّةِ، ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أَيْ: فِي زُمْرَةِ الصَّالِحِينَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مِثْلَ آدَمَ وَنُوحٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ﴾ قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو، وَحَمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ: "أَئِنَّكُمْ" بِالِاسْتِفْهَامِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِلَا اسْتِفْهَامٍ، وَاتَّفَقُوا عَلَى اسْتِفْهَامِ الثَّانِيَةِ، ﴿لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ وَهِيَ إِتْيَانُ الرِّجَالِ، ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾

﴿**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ الْفَاحِشَةَ بِمَنْ يَمُرُّ بِهِمْ مِنَ الْمُسَافِرِينَ، فَتَرَكَ النَّاسُ الْمَمَرَّ بِهِمْ. وَقِيلَ: تَقْطَعُونَ سَبِيلَ النَّسْلِ بِإِيثَارِ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ، ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ النَّادِي، وَالنَّدَى، وَالْمُنْتَدَى: مَجْلِسُ الْقَوْمِ وَمُتَحَدَّثُهُمْ. أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ الشُّرَيْحِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الثَّعْلَبِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ سَهْلِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ، أَخْبَرَنَا جَدِّي لِأُمِّي أَبُو الْحَسَنِ الْمَحْمُودِيُّ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ، أَنَّ بِشْرَ بْنَ مُعَاذٍ حَدَّثَهُمْ: أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، أَخْبَرَنَا حَاتِمُ بْنُ أَبِي صَغِيرَةَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ مَوْلَى أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ [عَنْ أُمِّ هَانِئٍ] (١) قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ قُلْتُ: مَا الْمُنْكَرُ الَّذِي كَانُوا يَأْتُونَهُ؟ قَالَ: "كَانُوا يَحْذِفُونَ أَهْلَ الطُّرُقِ وَيَسْخَرُونَ بِهِمْ" (٢) .

---

(١) ساقط من "أ".

(٢) أخرجه الترمذي في تفسير سورة العنكبوت: ٩ / ٤٩-٥٠ وقال: "هذا حديث حسن، إنما نعرفه من حديث حاتم بن أبي صغيرة عن سماك" وصححه الحاكم على شرط الشيخين: ٢ / ٤٠٩، ووافقه الذهبي، وأخرجه الإمام أحمد: ٦ / ٣٤١ والطبري: ٢٠ / ١٤٥.

قال السيوطي في الدر (٦ / ٤٦٠) : "أخرجه الفريابي، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي وحسنه، وابن

أبي الدنيا في كتاب "الصمت"، وابن جرير، وابن المنذر، وابن ابي حاتم، والشاشي في مسنده، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في "الشعب"، وابن عساكر".." (١)

"[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٨٠ الى ٨٤]

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) وَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤)

وَلُوطاً وأرسلنا لوطا. وإِذْ ظرف لأرسلنا. أو واذكر لوطا، وإذ بدل منه، بمعنى: واذكر وقت قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ أتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سَبَقَكُمْ بِها ما عملها قبلكم، والباء للتعدية من قولك: سبقته بالكرة، إذا ضربتها قبله. ومنه قوله عليه السلام «سبقك بها عكاشة «١» » مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ «من» الأولى زائدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق، والثانية للتبعيض. فإن قلت: ما موقع هذه الجملة؟ قلت: هي جملة مستأنفة، أنكر عليهم أوّلا بقوله أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ثم وبخهم عليها فقال: أنتم أوّل من عملها. أو على أنه جواب لسؤال مقدّر، كأنهم قالوا: لم لا نأتيها؟ فقال: ما سبقكم بها أحد، فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ بيان لقوله: أتأتون الفاحشة. والهمزة مثلها في أَتَأْتُونَ للإنكار والتعظيم. وقرئ: إنكم، على الإخبار المستأنف لتأتون الرجال، من أتى المرأة إذا غشيها شَهْوَةً مفعول له، أى للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرّد الشهوة من غير داع آخر، ولا ذم أعظم منه، لأنه وصف لهم بالبهيمية، أنه لا داعى لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه أو حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين إلى السماجة بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعوا إلى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء، فمن ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة، حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد. ونحوه بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ. وَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا يعنى ما أجابوه بما يكون جواباً عما كلمهم به لوط عليه السلام، من إنكار الفاحشة، وتعظيم أمرها، ووسمهم بسمة الإسراف الذي هو أصل الشر كله، ولكنهم جاءوا

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٣٩/٦

(١) . متفق عليه من حديث ابن عباس في قصته. ولمسلم من حديث أبى هريرة نحوه. ومن حديث عمران بن حصين رضى الله عنه.." (١)

"ما شهدنا مهلك أهله، فذكروا أحدهما: كانوا صادقين، لأنهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم. ألا ترى أنهم قصدوا قتل نبى الله ولم يرضوا لأنفسهم بأن يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب «١» . مكرهم: ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح عليه السلام وأهله. ومكر الله: إهلاكهم من حيث لا يشعرون. شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة. روى أنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلى فيه، فقالوا: زعم صالح عليه السلام أنه يفرغ منا إلى ثلاث، فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث، فخرجوا إلى الشعب وقالوا: إذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم، فبعث الله صخرة من الهضب «٢» حيالهم، فبادروا، فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب. فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم، وعذب الله كلا منهم في مكانه، ونجى صالحا ومن معه. وقيل: جاءوا بالليل شاهري سيوفهم، وقد أرسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة: يرون الحجارة ولا يرون راميا أَنَّا دَمَّرْناهُمْ استئناف. ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة، أو خبر مبتدإ محذوف تقديره:

هي تدميرهم. أو نصبه على معنى: لأنا. أو على أنه خبر كان، أى: كان عاقبة مكرهم الدمار خاوِيَةً حال عمل فيها ما دل عليه تلك. وقرأ عيسى بن عمر: خاوية، بالرفع على خبر المبتدإ المحذوف.

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٥٤ الى ٥٥]

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥)

وَاذكر لُوطاً أو أرسلنا لوطا لدلالة وَلَقَدْ أَرْسَلْنا عليه. وإِذْ بدل على

---

(١) . قوله «حيلة يتفصون بها عن الكذب» في الصحاح «فصا الإنسان» : إذا تخلص من البلية والضيق، وتفصيت من الديون: إذا خرجت منها وتخلصت. (ع) [.....]

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٢٥/٢

(٢) . قوله «صخرة من الهضب حيالهم» أى من المطر المتتابع مطرة بعد مطرة، وقعد حياله: أى إزاءه. وأصله الواو، أفاده الصحاح. (ع)." [١]

"والتباغض والتعادي: يتلاعن العبدة، ويتلاعن العبدة والأصنام، كقوله تعالى وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا.

[سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٢٦]

فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقالَ إِنِّي مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦)

كان لوط ابن أخت إبراهيم عليهما السلام، وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه وَقالَ يعنى إبراهيم إِنِّي مُهاجِرٌ من «كوثى» وهي من سواد الكوفة إلى «حرّان» ثم منها إلى فلسطين، ومن ثمة قالوا: لكل نبى هجرة ولإبراهيم هجرتان، وكان معه في هجرته: لوط، وامرأته سارّة، وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة إِلى رَبِّي إلى حيث أمرنى بالهجرة إليه إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الذي يمنعني من أعدائى الْحَكِيمُ الذي لا يأمرنى إلا بما هو مصلحتي.

[سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٢٧]

وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ وَآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧)

أَجْرَهُ الثناء الحسن، والصلاة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوّة، وأن أهل الملل كلهم يتولونه. فإن قلت: ما بال إسماعيل عليه السلام لم يذكر، وذكر إسحاق وعقبه؟

قلت: قد دلّ عليه في قوله وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ وكفى الدليل لشهرة أمره وعلوّ قدره. فإن قلت: ما المراد بالكتاب؟ قلت: قصد به جنس الكتاب، حتى دخل تحته ما نزل على ذرّيته من الكتب الأربعة: التي هي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن؟

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٢٨ الى ٣٠]

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٢٨) **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٣٧٣

الصَّادِقِينَ (٢٩) قالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠)
وَلُوطاً معطوف على إبراهيم، أو على ما عطف عليه. والْفاحِشَةَ الفعلة البالغة في القبح. وما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة، كأن قائلا قال: لم كانت فاحشة؟ فقيل له: لأن أحدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لإفراط قبحها، حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم. قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط. وقرئ: إنكم، بغير استفهام في الأوّل دون الثاني: قال أبو عبيدة:." (١)

"ومنه «إرجاف» النفوس لكريه الأخبار أي تحريكها، وروي أن صيحة ثمود كان فيها من صوت كل شيء هائل الصوت، وكانت مفرطة شقت قلوبهم فجثوا على صدورهم والجاثم اللاطئ بالأرض على صدره مع قبض ساقيه كما يرقد الأرنب والطير، فإن جثومها على وجهها، ومنه قول جرير: [الوافر] .
عرفت المنتأى وعرفت منها ... مطايا القدر كالحدأ الجثوم
وقال بعض المفسرين معناه حمما محترقين كالرماد الجاثم.
قال القاضي أبو محمد: وحيث وجد الرماد الجاثم في شعر فإنما هو مستعار لهيئة الرماد قبل هموده وتفرقه، وذهب صاحب هذا القول إلى أن الصيحة اقترن بها صواعق محرقة.
وأخبر الله عز وجل بفعل «صالح» في توليه عنهم وقت «عقرهم» الناقة وقولهم ائْتِنا بِما تَعِدُنا وذلك قبل نزول العذاب وكذلك روي أنه عليه السلام خرج من بين أظهرهم قبل نزول العذاب وهو الذي تقتضيه مخاطبته لهم، وأما لفظ الآية فيحتمل أن خاطبهم وهم موتى على جهة التفجع عليهم وذكر حالهم أو غير ذلك كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل قليب بدر، قال الطبري: وقيل لم تهلك أمة ونبيها معها، وروي أنه ارتحل بمن معه حتى جاء مكة فأقام بها حتى مات، ولفظة التولي تقتضي اليأس من خيرهم واليقين في إهلاكهم. وقوله: لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ عبارة عن تغليبهم الشهوات على الرأي، إذ كلام الناصح صعب مضاد لشهوة نفس الذي ينصح، ولذلك تقول العرب أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك.
قوله عز وجل:

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٨٠ الى ٨٤]
وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٨٠) **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً**

---
(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٤٥١

مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) وَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤)

«لوط» عليه السلام بعثه الله إلى أمة تسمى سدوم وروي أنه ابن أخي إبراهيم عليه السلام، ونصبه إما أَرْسَلْنا المتقدم في الأنبياء وإما بفعل مضمر تقديره واذكر لُوطاً واستفهامه لهم هو على جهة التوقيف والتوبيخ والتشنيع، والْفاحِشَةَ هنا إتيان الرجال في الأدبار، وروي أنه لم تكن هذه المعصية في أمم قبلهم.

قال القاضي أبو محمد: وإن كان لفظ الآية يقتضي هذا فقد كانت الآية تحتمل أن يراد بها ما سبقكم أحد إلى لزومها وتشهيرها وروي أنهم إن كانوا يأتي بعضهم بعضا، وروي أنهم إنما كانوا «يأتون» الغرباء قاله الحسن البصري، قال عمرو بن دينار ما زنا ذكر على ذكر قبل قوم «لوط» ، وحكى النقاش: أن إبليس كان أصل عملهم بأن دعاهم إلى نفسه، وقال بعض العلماء عامل اللواط كالزاني، وقال مالك رحمه الله." (١)

"هذا التأويل وهذه الألفاظ الدالة على قسم أو حلف تجاوب باللام وإن لم يتقدم قسم ظاهر فاللام في لَنُبَيِّتَنَّهُ جواب ذلك، وقرأ جمهور القراء «لنبيتنه» بالنون، «ثم لنقولن» بنون وفتح اللام، وقرأ الأعمش وطلحة وابن وثاب «ليبيتنه» بالياء مضمومة فيهما «ثم ليقولن» بالياء وضم اللام، وفي قراءة عبد الله «ثم لتقسمن ما شهدنا» ، وقرأ حمزة والكسائي «لتبيتنه» بالتاء «ثم لتقولن» بالتاء وضم اللام وهي قراءة الحسن وحميد، فهذا ذكر الله فيه المعنى الذي أرادوه، لا بحسب لفظهم، وروي في قصص هذه الآية أن هؤلاء التسعة لما كان في صدر الثلاثة الأيام بعد عقر الناقة وقد أخبرهم صالح بمجيء العذاب اتفق هؤلاء التسعة فتحالفوا على أن يأتوا دار صالح ليلا فيقتلوه وأهله المختصين به، قالوا فإن كان كاذبا في وعيده أوقعنا به ما يستحق، وإن كان صادقا كنا قد عجلناه قبلنا وشفينا نفوسنا، قال الداودي. فجاؤوا واختفوا لذلك في غار قريب من داره، فروي أنه انحدرت عليهم صخرة شدختهم جميعا، وروي أنه طبقت عليهم الغار فهلكوا فيه حين هلك قومهم، وكل فريق لا يعلم بما جرى على الآخر، وكانوا قد بنوا على جحود الأمر من قرابة صالح الذين يمكن أن يغضبوا له فهذا كان أمرهم، و «المكر» نحو الخديعة، وسمى الله تعالى عقوبتهم باسم ذنبهم وهذا مهيع ومنه قوله تعالى: يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ [البقرة: ١٥] وغير ذلك، وقرأ الجمهور «مهلك» بضم الميم وفتح اللام، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتحهما، وروي عنه فتح الميم وكسر اللام، و «العاقبة» حال تقتضيها البدأة وتؤدي إليها بواجب، ويعني بالأهل، كل من آمن معه قاله الحسن، وقرأ جمهور القراء

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٤٢٤

«إنا دمرناهم» بكسر الألف، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي «أنا دمرناهم» بفتح الهمزة وهي قراءة الحسن وابن أبي إسحاق، ف كانَ على قراءة الكسر في الألف تامة، وإن قدرت ناقصة فخبرها محذوف أو يكون الخبر كَيْفَ مقدما لأن صدر الكلام لها ولا يعمل على هذا «انظر» ، في كَيْفَ لكن يعمل في موضع الجملة كلّها، وهي في قراءة الفتح ناقصة وخبرها «أنّا» ويجوز أن يكون الخبر كَيْفَ وتكون «أنّا» بدلا من العاقبة، ويجوز أن تكون كانَ تامة «وأنّا» بدلا من العاقبة، ووقع تقرير السؤال ب كَيْفَ عن جملة قوله كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ وليس بمحض سؤال ولكنه حقه أن يسأل عنه، و «التدمير» الهلاك.

ويحتمل أن تتقدر كانَ تامة على قراءة الفتح، وغيره أظهر، وقرأ أبي بن كعب «أن دمرناهم» فهذه تؤيد قراءة الفتح في «أنا» .

قوله عز وجل:

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٥٢ الى ٥٨]

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦)

فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨)." (١)

"قوله عز وجل:

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٢٦ الى ٢٨]

فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقالَ إِنِّي مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ وَآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٢٨)

فَآمَنَ معناه فصدق وهو فعل يتعدى بالباء وباللام والقائل إِنِّي مُهاجِرٌ هو إبراهيم عليه السلام قاله قتادة والنخعي.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٢٦٤

وقالت فرقة: هو لوط عليه السلام، ومما صح من القصص أن إبراهيم ولوطا هاجرا من قريتهما كوثا وهي في سواد الكوفة من أرض بابل إلى بلاد الشام فلسطين وغيرها، وقال ابن جريج: إلى حران، ثم أمرا بعد إلى الشام وفي هذه الهجرة كانت سارة في صحبة إبراهيم واعتراهما أمر الملك، والمهاجر، النازع عن الأمر وهو في عرف الشريعة من ترك وطنه رغبة في رضى الله تعالى، وقد ذهب بهذا الاسم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الفتح، وقوله الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ مع الهجرة إليه، صفتان بليغتان يقتضي استحقاق التوكل عليه، وفي قوله إِلى رَبِّي، حذف مضاف كأنه يقول إلى رضى ربي أو نحو هذا، وإِسْحاقَ بن إبراهيم هو الذي بشر به في شيخه، وبشر ب يَعْقُوبَ من ورائه فهو ولد إسحاق، وَالْكِتابَ اسم الجنس أي جعل الله تعالى في ذرية إبراهيم جميع الكتب المنزلة التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وعيسى عليه السلام من ذريته، وقوله أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا، يريد في حياته وبحيث أدرك ذلك وسر به، والأجر الذي آتاه الله هو العافية من النار ومن الملك الجائر والعمل الصالح والثناء الحسن قاله مجاهد، وأن كل أمة تتولاه، قاله ابن جريج، والولد الذي قرت به العين بحسب طاعة الله، قاله الحسن ثم أخبر عنه أنه في الآخرة في عداد الصالحين الذين نالوا رضى الله وفازوا برحمته وكرامته العليا، وقوله تعالى وَلُوطاً نصب بفعل مضمر تقديره واذكر لوطا، والْفاحِشَةَ إتيان الرجال في الأدبار وهي معصية ابتدعها قوم لوط.

قوله عز وجل:

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٢٩ الى ٣١]

أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ (٣١)

تقدم القول في القرآن في أَإِنَّكُمْ، واختلف الناس في قطع السبيل المشار إليه هاهنا، فقالت فرقة:." (١)

"قوله تعالى: فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ أي: في مدينتهم. فإن قيل: كيف وحّد الدّار ها هنا، وجمعها في موضع آخر، فقال: فِي دِيارِهِمْ «١» ؟ فعنه جوابان، ذكرهما ابن الأنباري:

أحدهما: أنه أراد بالدار: المعسكر، أي: فأصبحوا في معسكرهم. وأراد بقوله: في ديارهم: المنازل التي ينفرد كل واحد منها بمنزل.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣١٤/٤

والثاني: أنه أراد بالدار: الديار، فاكتفى بالواحد من الجميع، كقول الشاعر:

كُلُوا في نِصْفِ بِطْنِكُم تَعِيشُوا

وشواهد هذا كثيرة في هذا الكتاب.

قوله تعالى: جاثِمِينَ قال الفراء: أصبحوا رماداً جاثما. وقال أبو عبيدة: أي: بعضهم على بعض جثُوم. والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للإبل. وقال ابن قتيبة: الجثوم: البروك على الرُّكَب. وقال غيره: كأنهم أصبحوا موتى على هذه الحال. وقال الزجاج: أصبحوا أجساماً ملقاة في الأرض كالرماد الجاثم. قال المفسرون: معنى «جاثمين» : بعضهم على بعض، أي: إنهم سقط بعضهم على بعض عند نزول العذاب.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٧٩ الى ٨٢]

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٨٠) **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) وَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢)

قوله تعالى: فَتَوَلَّى عَنْهُمْ يقول: انصرف صالح عنهم بعد عقر الناقة، لأن الله تعالى أوحى إليه أن اخرُجْ من بين أظهرهم، فاني مهلكهم. وقال قتادة: ذكر لنا أن صالحاً أسمع قومَه كما أسمع نبيكم قومَه، يعني: بعد موتهم.

قوله تعالى: أَتَأْتونَ الْفاحِشَةَ يعني إتيان الرجال. ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ قال عمرو ابن دينار: ما نزا ذَكَر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط. وقال بعض اللغويين: لوط: مشتق من لطت الحوض: إذا ملسته بالطين. قال الزجاج وهذا غلط، لأنه اسم أعجمي كاسحاق، ولا يقال: إنه مشتق من السحق وهو البعد.

قوله تعالى: **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ هذا** استفهام إنكار. والمسرف: المجاوز ما أُمر به. وقوله تعالى: أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ يعني: لوطاً وأتباعه المؤمنين إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ قال ابن عباس: يتنزَّهون عن أدبار الرجال وأدبار النّساء.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٨٣ الى ٨٤]

فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤)

(١) سورة هود: ٦٧.." (١)

"السكونُ لِمَا بعدها. وقال الزجاج: الأصل: تطيَّرنا، فأُدغمت التاء في الطاء، واجتُلبت الألفُ لسكون الطاء فاذا ابتدأتَ قلتَ: اطَّيَّرنا، وإذا وصلتَ لم تذكر الألف وتسقط لأنها ألِف وصل، وإنما تطيَّروا به، لأنهم قحطوا وجاعوا، ف قالَ لهم طائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وقد شرحنا هذا المعنى في الأعراف.

وفي قوله تعالى: تُفْتَنُونَ ثلاثة أقوال: أحدها: تُختَبرون بالخير والشر، قاله ابن عباس. والثاني: تُصرَفون عن دينكم، قاله الحسن. والثالث: تُبتلَوْن بالطاعة والمعصية، قاله قتادة.

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٤٨ الى ٥٣]

وَكانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ (٤٨) قالُوا تَقاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصادِقُونَ (٤٩) وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢)

وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ (٥٣)

قوله تعالى: وَكانَ فِي الْمَدِينَةِ وهي الحِجْر التي نزلها صالح تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ يريد: في أرض الحِجْر، وفسادهم: كفرهم ومعاصيهم، وكانوا يسفكون الدِّماء ويَثِبون على الأموال والفروج، وهم الذين عملوا في قتل الناقة. وروي عن سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح قالا: كان فسادهم كسر الدراهم والدنانير، قالُوا فيما بينهم تَقاسَمُوا بِاللَّهِ أي: احلفوا بالله لَنُبَيِّتَنَّهُ أي:

لنقتُلنَّ صالحاً (وأهلَه) ليلاً (ثم لَنَقولَنَّ) وقرأ حمزة، والكسائي: «لتُبَيِّتُنَّهُ وأهلَه ثم لَتَقولُنَّ» بالتاء فيهما. وقرأ مجاهد، وأبو رجاء، وحميد بن قيس: «لَيُبَيِّتُنَّهُ» بياء وتاء مرفوعتين «ثم لَيَقُولُنَّ» بياء مفتوحة وقاف مرفوعة وواو ساكنة ولام مرفوعة لِوَلِيِّهِ أي: لوليّ دمه إنْ سألَنا عنه ما شَهِدْنا أي: ما حضرنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ قرأ الأكثرون بضم الميم وفتح اللام والمَهْلِك يجوز أن يكون مصدراً بمعنى الإهلاك، ويجوز أن يكون الموضع. وروى ابو بكر، وأبان عن عاصم: بفتح الميم واللام، يريد الهلاك يقال: هَلَكَ يَهْلِكُ مَهْلَكاً. وروى عنه حفص، والمفضل: بفتح الميم وكسر اللام، وهو اسم المكان، على معنى: ما شهدنا موضع هلاكهم فهذا

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٣٦/٢

كان مكرهم، فجازاهم الله عليه فأهلكهم. وفي صفة إهلاكهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم أتَوا دار صالح شاهرين سيوفهم، فرمتْهم الملائكة بالحجارة فقتلتهم، قاله ابن عباس. والثاني: رماهم الله بصخرة فقتلتهم، قاله قتادة. والثالث: أنهم دخلوا غاراً ينتظرون مجيء صالح، فبعث الله صخرة سدَّت باب الغار، قاله ابن زيد. والرابع: أنهم نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: أَنَّا دَمَّرْناهُمْ قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «أنَّا دمَّرناهم» بفتح الألف. وقرأ الباقون بكسرها. فمن كسر استأنف، ومن فتح، فقال أبو علي: فيه وجهان: أحدهما: أن يكون بدلاً من عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ. والثاني: أن يكون محمولاً على مبتدإٍ مضمر، كأنه قال: هو أنَّا دمَّرناهم.

قوله تعالى: فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً قال الزجاج: هي منصوبة على الحال المعنى: فانظر إلى بيوتهم خاوية.

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٥٤ الى ٥٨]

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨)." (١)

"والعامل فيه «المودَّة» . وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: «مَوَدَّةَ بَيْنِكُم» بنصب «مَوَدَّةَ» مع الإضافة، وهذا على الاتساع في جعل الظرف اسماً لِما أُضيف إليه. قال المفسرون: معنى الكلام: إِنَّما اتَّخذتموها لِتَتَّصِلَ المودَّة بينكم واللِّقاء والاجتماع عندها، وأنتم تعلمون أنها لا تضر ولا تنفع، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ أي: يتبرَّأ القادة من الأتباع وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً يلعن الأتباعُ القادةَ لأنَّهم زيَّنوا لهم الكفر.

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٢٦ الى ٣٠]

فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقالَ إِنِّي مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ وَآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٢٨) **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٣٦٦

فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠)

قوله تعالى: فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ أي: صدَّق بابراهيم وَقالَ يعني إبراهيم إِنِّي مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي فيه قولان: أحدهما: إلى رضى ربّي. والثاني: إلى حيث أمرني ربّي، فهاجر من سواد العراق إلى الشام وهجر قومه المشركين. وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ بعد إسماعيل وَيَعْقُوبَ من إسحاق وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ وذلك أن الله تعالى لم يبعث نبيّاً بعد إبراهيم إلاَّ مِنْ صُلبه وَآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا فيه أربعة أقوال: أحدها: الذِّكْر الحسن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: الثناء الحسن والولد الصالح، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: العافية والعمل الحسن والثناء، فلست تَلْقى أحداً من اهل المِلَل إلاَّ يتولاَّه، قاله قتادة. والرابع: أنه أُري مكانَه من الجنة، قاله السدي. قوله تعالى:

وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ قال ابن جرير: له هناك جزاء الصَّالحين غير منقوص من الآخرة بما أُعطي في الدنيا من الأجر. وما بعد هذا قد سبق بيانه «١» إلى قوله تعالى: وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يعترضون مَنْ مَرَّ بهم لعملهم الخبيث، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنهم كانوا إذا جلسوا في مجالسهم يرمون ابن السبيل بالحجارة، فيقطعون سبيل المسافر، قاله مقاتل. والثالث: أنه قطع النسل للعدول عن النساء إلى الرجال، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ قال ابن قتيبة: النادي: المجلس، والمُنْكَر يجمع الفواحش من القول والفعل. وللمفسرين في المراد بهذا المُنْكَر أربعة أقوال:

(١٠٩١) أحدها: أنهم كانوا يَحْذِفون أهل الطريق ويسخرون منهم، فذلك المنكر، روته أمّ هانئ

ضعيف جدا، والمتن منكر. أخرجه الترمذي ٣١٩٠ وأحمد ٦/ ٣٤١ و ٤٢٤ والطبري ٢٧٧٤٣ والحاكم ٢/ ٤٠٩ والطبراني ٢٤/ ١٠٠١ وابن أبي الدنيا في «الصمت» ٢٨٢ من طرق من حديث أم هانئ، وقال الترمذي:

هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث حاتم عن سماك. وإسناده ضعيف جدا، سماك بن حرب تغير حفظه بآخره لذا ضعفه غير واحد، وأبو صالح- واسمه باذام، ويقال باذان- ضعفه غير واحد، وتركه آخرون، وهو ضعيف جدا، روى عن ابن عباس تفسيرا موضوعا.

- وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤١٨ من طريق بشر بن معاد بهذا الإسناد. وأخرجه الطيالسي

١٦١٧ والطبراني ٢٤/ ١٠٠٢ من طريق قيس بن الربيع عن سماك به.
- وأخرجه الطبري ٢٧٧٤٥ والطبراني ٢٤/ ١٠٠٠ من طريق أبي يونس القشيري عن سماك به.
الخلاصة: الإسناد ضعيف جدا، والمتن منكر، فإن المنكر المراد في الآية أعظم من حذف المارة والسخرية منهم، بل يشمل اللواط وغيره.

---

(١) سبق بيانه في سورة الأعراف: ٨٠.." (١)
"قَالَ: فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَالْفَاءُ تَدُلُّ عَلَى التَّعْقِيبِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ حَصَلَ هَذَا التَّوَلِّي بَعْدَ جُثُومِهِمْ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَوَلَّى عَنْهُمْ قَبْلَ مَوْتِهِمْ بِدَلِيلِ: انه خاطب القوم وَقَالَ: يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِمْ أَحْيَاءً مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:
أحدهما: أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ وَالْأَمْوَاتُ لَا يُوصَفُونَ بِالْقَوْمِ لِأَنَّ اشْتِقَاقَ لَفْظِ الْقَوْمِ مِنَ الِاسْتِقْلَالِ بِالْقِيَامِ وَذَلِكَ فِي حَقِّ الْمَيِّتِ مَفْقُودٌ. وَالثَّانِي: أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ خِطَابٌ مَعَ أُولَئِكَ وَخِطَابُ الْمَيِّتِ لَا يَجُوزُ. وَالثَّالِثُ:
أَنَّهُ قَالَ: وَلكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونُوا بِحَيْثُ يَصِحُّ حُصُولُ الْمَحَبَّةِ فِيهِمْ وَيُمْكِنُ أَنْ يُجَابَ عَنْهُ فَنَقُولُ: قَدْ يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ مَيِّتٌ وَكَانَ قَدْ نَصَحَهُ فَلَمْ يَقْبَلْ تِلْكَ النَّصِيحَةَ حَتَّى أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْهَلَاكِ يَا أَخِي مُنْذُ كَمْ نَصَحْتُكَ فَلَمْ تَقْبَلْ وكم منعتك فلم تمتنع فكذا هاهنا وَالْفَائِدَةُ فِي ذِكْرِ هَذَا الْكَلَامِ إِمَّا لِأَنْ يَسْمَعَهُ بَعْضُ الْأَحْيَاءِ فَيَعْتَبِرَ بِهِ وَيَنْزَجِرَ عَنْ مِثْلِ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ وَإِمَّا لِأَجْلِ أَنَّهُ احْتَرَقَ قَلْبُهُ بِسَبَبِ تِلْكَ الْوَاقِعَةِ فَإِذَا ذَكَرَ ذَلِكَ الْكَلَامَ فَرَّجَتْ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ عَنْ قَلْبِهِ. وَقِيلَ: يَخِفُّ عَلَيْهِ أَثَرُ تِلْكَ الْمُصِيبَةِ وَذَكَرُوا جَوَابًا آخَرَ وَهُوَ: أَنَّ صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ خَاطَبَهُمْ بَعْدَ كَوْنِهِمْ جَاثِمِينَ كَمَا أَنَّ نَبِيَّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَاطَبَ قَتْلَى بَدْرٍ.
فَقِيلَ: تَتَكَلَّمُ مَعَ هَؤُلَاءِ الْجِيَفِ فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ منهم لكنهم لا يقدرون على الجواب» .

[سورة الأعراف (٧) : آية ٨٠]
وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٨٠)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤٠٥/٣

اعْلَمْ أَنَّ هَذَا هُوَ الْقِصَّةُ الرَّابِعَةُ قَالَ النَّحْوِيُّونَ: إِنَّمَا صُرِفَ لُوطٌ وَنُوحٌ لِخِفَّتِهِ فَإِنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ وَهُوَ سَاكِنُ الْوَسَطِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ أَتَفْعَلُونَ السَّيِّئَةَ الْمُتَمَادِيَةَ فِي الْقُبْحِ؟ وَفِي قَوْلِهِ: مَا سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ وَفِيهِ بَحْثَانِ:

الْبحْثُ الْأَوَّلُ: قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» : (مِنَ) الْأُولَى زَائِدَةٌ لِتَوْكِيدِ النَّفْيِ وَإِفَادَةُ مَعْنَى الِاسْتِغْرَاقِ وَالثَّانِيَةُ لِلتَّبْعِيضِ.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: مَا سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ مَعَ أَنَّ الشَّهْوَةَ دَاعِيَةٌ إِلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ أَبَدًا؟

وَالْجَوَابُ: أَنَّا نَرَى كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَسْتَقْذِرُ ذَلِكَ الْعَمَلَ، فَإِذَا جَازَ فِي الْكَثِيرِ مِنْهُمُ اسْتِقْذَارُهُ لَمْ يَبْعُدْ أَيْضًا انْقِضَاءُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَعْصَارِ بِحَيْثُ لَا يُقْدِمُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْأَعْصَارِ عَلَيْهِ وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: لَعَلَّهُمْ بِكُلِّيَّتِهِمْ أَقْبَلُوا عَلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ وَالْإِقْبَالُ بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ مِمَّا لَمْ يُوجَدْ فِي الْأَعْصَارِ السَّابِقَةِ. قَالَ الْحَسَنُ: كَانُوا يَنْكِحُونَ الرِّجَالَ فِي أَدْبَارِهِمْ وَكَانُوا لَا يَنْكِحُونَ إِلَّا الْغُرَبَاءَ وَقَالَ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: اسْتَحْكَمَ ذَلِكَ فِيهِمْ حَتَّى فَعَلَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ.

الْبَحْثُ الثَّانِي: قَوْلُهُ: مَا سَبَقَكُمْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَأْنَفًا فِي التَّوْبِيخِ لَهُمْ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةَ الْفَاحِشَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ [يس: ٣٧] وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَقَدْ أَمُرُّ على اللئيم يسبني

ثم قال:

[سورة الأعراف (٧) : آية ٨١]

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١)." (١)

"وَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَرَأَ نَافِعٌ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ إِنَّكُمْ بِكَسْرِ الْأَلْفِ وَمَذْهَبُ نَافِعٍ ان يكتفى بالاستفهام بالأولى مِنَ الثَّانِي فِي كُلِّ الْقُرْآنِ. وَقَرَأَ ابْنُ كثير إانكم بِهَمْزَةٍ غَيْرِ مَمْدُودَةٍ وَبَيْنَ الثَّانِيَةِ وَقَرَأَ أَبُو عمرو بهمزة ممدودة بالتخفيف وبين الثانية وَالْبَاقُونَ بِهَمْزَتَيْنِ عَلَى الْأَصْلِ. قَالَ الْوَاحِدِيُّ: مَنِ اسْتَفْهَمَ كَانَ هَذَا اسْتِفْهَامًا مَعْنَاهُ الْإِنْكَارُ لِقَوْلِهِ: أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ [الأعراف: ٨٠] وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الِاسْتِفْهَامَيْنِ جُمْلَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ لَا تَحْتَاجُ فِي

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٤/٣٠٩

تَمَامِهَا إِلَى شَيْءٍ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ: شَهْوَةً مَصْدَرٌ. قَالَ أَبُو زَيْدٍ شَهِيَ يَشْهَى شَهْوَةً وَانْتِصَابُهَا عَلَى الْمَصْدَرِ لِأَنَّ **قَوْلَهُ**: **لَتَأْتُونَ الرِّجالَ مَعْنَاهُ** أَتَشْتَهُونَ شَهْوَةً؟ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ إِنَّهَا مَصْدَرٌ وَقَعَ مَوْقِعَ الْحَالِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: فِي بَيَانِ الْوُجُوهِ الْمُوجِبَةِ لِقُبْحِ هَذَا الْعَمَلِ.

اعْلَمْ أَنَّ قُبْحَ هَذَا الْعَمَلِ كَالْأَمْرِ الْمُقَرَّرِ فِي الطِّبَاعِ فَلَا حَاجَةَ فِيهِ إِلَى تَعْدِيدِ الْوُجُوهِ عَلَى التَّفْصِيلِ ثُمَّ نَقُولُ مُوجِبَاتُ الْقُبْحِ فِيهِ كَثِيرَةٌ: أَوَّلُهَا: أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَحْتَرِزُونَ عَنْ حُصُولِ الْوَلَدِ لِأَنَّ حُصُولَهُ يَحْمِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى طَلَبِ الْمَالِ وَإِتْعَابِ النَّفْسِ فِي الْكَسْبِ إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ الْوِقَاعَ سَبَبًا لِحُصُولِ اللَّذَّةِ الْعَظِيمَةِ حَتَّى إِنَّ الْإِنْسَانَ بِطَلَبِ تِلْكَ اللَّذَّةِ يُقْدِمُ عَلَى الْوِقَاعِ وَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ الْوَلَدُ شَاءَ أَمْ أَبَى وَبِهَذَا الطَّرِيقِ يَبْقَى النَّسْلُ وَلَا يَنْقَطِعُ النَّوْعُ فَوَضَعَ اللَّذَّةَ فِي الْوِقَاعِ كَشِبْهِ الْإِنْسَانِ الَّذِي وَضَعَ الْفَخَّ لِبَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ وَأَنْ يَضَعَ فِي ذلك الفخ شيئا يشتبهه ذَلِكَ الْحَيَوَانُ حَتَّى يَصِيرَ سَبَبًا لِوُقُوعِهِ فِي ذَلِكَ الْفَخِّ فَوَضْعُ اللَّذَّةِ فِي الْوِقَاعِ يُشْبِهُ وَضْعَ الشَّيْءِ الَّذِي يَشْتَهِيهِ الْحَيَوَانُ فِي الْفَخِّ وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ إِبْقَاءُ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ الْأَنْوَاعِ.

إِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ: لَوْ تَمَكَّنَ الْإِنْسَانُ مِنْ تَحْصِيلِ تِلْكَ اللَّذَّةِ بِطَرِيقٍ لَا تُفْضِي إِلَى الْوَلَدِ لَمْ تَحْصُلِ الْحِكْمَةُ الْمَطْلُوبَةُ وَلَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى انْقِطَاعِ النَّسْلِ وَذَلِكَ عَلَى خِلَافِ حُكْمِ اللَّهِ فَوَجَبَ الْحُكْمُ بِتَحْرِيمِهِ قَطْعًا حَتَّى تَحْصُلَ تِلْكَ اللَّذَّةُ بِالطَّرِيقِ الْمُفْضِي إِلَى الْوَلَدِ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: وَهُوَ أَنَّ الذُّكُورَةَ مَظِنَّةُ الْفِعْلِ وَالْأُنُوثَةَ مَظِنَّةُ الِانْفِعَالِ فَإِذَا صَارَ الذَّكَرُ مُنْفَعِلًا وَالْأُنْثَى فَاعِلًا كَانَ ذَلِكَ عَلَى خِلَافِ مُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ وَعَلَى عَكْسِ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ.

وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ: الِاشْتِغَالُ بِمَحْضِ الشَّهْوَةِ تَشَبُّهٌ بِالْبَهِيمَةِ وَإِذَا كَانَ الِاشْتِغَالُ بِالشَّهْوَةِ يُفِيدُ فَائِدَةً أُخْرَى سِوَى قَضَاءِ الشَّهْوَةِ فَلْيَكُنْ قَضَاءُ الشَّهْوَةِ مِنَ الْمَرْأَةِ يُفِيدُ فَائِدَةً أُخْرَى سِوَى قَضَاءِ الشَّهْوَةِ وَهُوَ حُصُولُ الْوَلَدِ وَإِبْقَاءُ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ الْأَنْوَاعِ فَأَمَّا قَضَاءُ الشَّهْوَةِ مِنَ الذَّكَرِ فَإِنَّهُ لَا يُفِيدُ إِلَّا مُجَرَّدَ قَضَاءِ الشَّهْوَةِ فَكَانَ ذَلِكَ تَشَبُّهًا بِالْبَهَائِمِ وَخُرُوجًا عَنِ الْغَرِيزَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ فَكَانَ فِي غَايَةِ الْقُبْحِ.

وَالْوَجْهُ الرَّابِعُ: هَبْ أَنَّ الْفَاعِلَ يَلْتَذُّ بِذَلِكَ الْعَمَلِ إِلَّا أَنَّهُ يَبْقَى فِي إِيجَابِ الْعَارِ الْعَظِيمِ وَالْعَيْبِ الْكَامِلِ بِالْمَفْعُولِ عَلَى وَجْهٍ لَا يَزُولُ ذَلِكَ الْعَيْبُ عَنْهُ أَبَدَ الدَّهْرِ وَالْعَاقِلُ لَا يَرْضَى لِأَجْلِ لَذَّةٍ خَسِيسَةٍ مُنْقَضِيَةٍ فِي الْحَالِ إِيجَابَ الْعَيْبِ الدَّائِمِ الْبَاقِي بِالْغَيْرِ.

وَالْوَجْهُ الْخَامِسُ: أَنَّهُ عَمَلٌ يُوجِبُ اسْتِحْكَامَ الْعَدَاوَةِ بَيْنَ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ وَرُبَّمَا يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى إِقْدَامِ

الْمَفْعُولِ عَلَى قَتْلِ الْفَاعِلِ لِأَجْلِ أَنَّهُ يَنْفِرُ طَبْعُهُ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ أَوْ عَلَى إِيجَابِ إِنْكَائِهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ. أَمَّا." (١)

"الْعَدَدِ لِاخْتِلَافِ صِفَتِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ لَا لِاخْتِلَافِ السَّبَبِ، فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُمْ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَمْزِجُونَ ذَلِكَ الْفَسَادَ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّلَاحِ، فَلِهَذَا قَالَ: يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ مِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ مَا هَمُّوا بِهِ مِنْ أَمْرِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أَمَّا قَوْلُهُ: تَقاسَمُوا بِاللَّهِ فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَمْرًا أَوْ خَبَرًا فِي مَحَلِّ الْحَالِ بِإِضْمَارِ قَدْ، أَيْ قَالُوا مُتَقَاسِمِينَ، وَالْبَيَاتُ مُتَابَعَةُ الْعَدُوِّ لَيْلًا.

أَمَّا قَوْلُهُ: ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ يَعْنِي لَوِ اتَّهَمَنَا قَوْمُهُ حَلَفْنَا لَهُمْ أَنَّا لَمْ نَحْضُرْ. وَقُرِئَ (مَهْلَكَ) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَاللَّامِ وَكَسْرِهَا «١» مِنْ هَلَكَ وَمُهْلَكٌ بِضَمِّ الْمِيمِ مِنْ أَهْلَكَ، وَيُحْتَمَلُ الْمَصْدَرُ وَالْمَكَانُ وَالزَّمَانُ، ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ قَالَ: وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي مَكْرِ اللَّه تَعَالَى عَلَى وُجُوهٍ: أَحَدُهَا: إِنَّ مَكْرَ اللَّه إِهْلَاكُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ، شُبِّهَ بِمَكْرِ الْمَاكِرِ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ،

رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ لِصَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَسْجِدٌ فِي الْحِجْرِ فِي شِعْبٍ يُصَلِّي فِيهِ، فَقَالُوا زَعَمَ صَالِحٌ أَنَّهُ يَفْرَغُ مِنَّا إِلَى ثَلَاثٍ فَنَحْنُ نَفْرَغُ مِنْهُ، وَمِنْ أَهْلِهِ قَبْلَ الثَّلَاثِ فَخَرَجُوا إِلَى الشِّعْبِ وَقَالُوا إِذَا جَاءَ يُصَلِّي قَتَلْنَاهُ، ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى أَهْلِهِ فَقَتَلْنَاهُمْ، فَبَعَثَ اللَّه تَعَالَى صَخْرَةً فَطَبَقَتِ الصَّخْرَةُ عَلَيْهِمْ فَمَ الشِّعْبِ فَهَلَكُوا وَهَلَكَ الْبَاقُونَ بِالصَّيْحَةِ

وَثَانِيهَا: جَاءُوا بِاللَّيْلِ شَاهِرِينَ سُيُوفَهُمْ وَقَدْ أَرْسَلَ اللَّه تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ مِلْءَ دَارِ صَالِحٍ فَدَمَغُوهُمْ بِالْحِجَارَةِ، يَرَوْنَ الْأَحْجَارَ وَلَا يَرَوْنَ رَامِيًا وَثَالِثُهَا: أَنَّ اللَّه تعالى أخبر صالحا بمكرهم فتحرز عنهم فذلك مَكْرُ اللَّه تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ.

أَمَّا قَوْلُهُ: أَنَّا دَمَّرْناهُمْ اسْتِئْنَافٌ، وَمَنْ قَرَأَ بِالْفَتْحِ رَفَعَهُ بَدَلًا مِنَ الْعَاقِبَةِ أَوْ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ هِيَ تُدَمِّرُهُمْ أَوْ نَصَبَهُ عَلَى مَعْنَى لِأَنَّا أَوْ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ كَانَ أَيْ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمُ الدَّمَارَ.

أَمَّا قَوْلُهُ: خاوِيَةً فَهُوَ حَالٌ عَمِلَ فِيهَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ تِلْكَ، وَقَرَأَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ (خَاوِيَةٌ) بِالرَّفْعِ على خبر المبتدأ المحذوف واللَّه أعلم «٢» .

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٥٤ الى ٥٨]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٤/٣١٠

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨)

القصة الرابعة- قصة لوط عليه السلام

---

(١) يريد كسر اللام، وأما الميم فهو مفتوح في الحالين.

(٢) لا داعي لحذف المبتدأ وهو هنا فَتِلْكَ وبُيُوتُهُمْ بدل و (خاويةً) خبر.." [١]

"محمد صلى الله عليه وآله وَسَلَّمَ وَجَعَلَهُ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ، وَقَدْ دَامَ الْخَلْقُ عَلَى دِينِ أَوْلَادِ إِسْحَاقَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ سَنَةٍ فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَبْقَى الْخَلْقُ عَلَى دِينِ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ مِثْلَ ذَلِكَ الْمِقْدَارِ. ثم قال تعالى:

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٢٨ الى ٣٠]

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٢٨) **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠)

الْإِعْرَابُ فِي لُوطٍ، وَالتَّفْسِيرُ كَمَا ذَكَرْنَا فِي قوله: وَإِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ [العنكبوت: ١٦] وهاهنا مسائل:

الْأُولَى: قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَقَالَ عن لوط هاهنا أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ فَنَقُولُ لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ لُوطًا عِنْدَ ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ لُوطٌ فِي زَمَانِ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَذْكُرْ عَنْ لوط أنه أمر قدمه بِالتَّوْحِيدِ مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ فَنَقُولُ حِكَايَةُ لُوطٍ وَغَيْرُهَا/ هاهنا ذَكَرَهَا اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الِاخْتِصَارِ، فَاقْتَصَرَ عَلَى مَا اخْتَصَّ بِهِ لُوطٌ وَهُوَ الْمَنْعُ مِنَ الْفَاحِشَةِ، وَلَمْ يَذْكُرْ عَنْهُ الْأَمْرَ بِالتَّوْحِيدِ وَإِنْ كَانَ قَالَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ حَيْثُ قَالَ: اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ [الأعراف: ٥٩] لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَدْ أَتَى بِهِ إِبْرَاهِيمُ وَسَبَقَهُ فَصَارَ كَالْمُخْتَصِّ بِهِ وَلُوطٌ يُبَلِّغُ ذَلِكَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ. وَأَمَّا الْمَنْعُ مِنْ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ كَانَ مُخْتَصًّا بِلُوطٍ، فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَظْهَرْ ذَلِكَ [فِي زَمَنِهِ] وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ مِنْهُ فَذَكَرَ كُلَّ وَاحِدٍ بِمَا اخْتَصَّ بِهِ وَسَبَقَ بِهِ غَيْرَهُ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: لِمَ سَمَّى ذَلِكَ الْفِعْلَ فَاحِشَةً؟ فَنَقُولُ الْفَاحِشَةُ هُوَ الْقَبِيحُ الظَّاهِرُ قُبْحُهُ، ثُمَّ إِنَّ الشَّهْوَةَ

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٤/٥٦١

وَالْغَضَبَ صِفَتَا قُبْحٍ لَوْلَا مَصْلَحَةٌ مَا كَانَ يَخْلُقُهُمَا اللَّهُ فِي الْإِنْسَانِ، فَمَصْلَحَةُ الشَّهْوَةِ الْفَرْجِيَّةِ هِيَ بَقَاءُ النَّوْعِ بِتَوْلِيدِ الشَّخْصِ، وَهَذِهِ الْمَصْلَحَةُ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِوُجُودِ الْوَلَدِ وَبَقَائِهِ بَعْدَ الْأَبِ، فَإِنَّهُ لَوْ وُجِدَ وَمَاتَ قَبْلَ الْأَبِ كَانَ يَفْنَى النَّوْعُ بِفَنَاءِ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ، لَكِنَّ الزِّنَا قَضَاءُ شَهْوَةٍ وَلَا يُفْضِي إِلَى بَقَاءِ النَّوْعِ، لِأَنَّا بَيَّنَّا أَنَّ الْبِنَاءَ بِالْوُجُودِ وَبَقَاءِ الْوَلَدِ بَعْدَ الْأَبِ لَكِنَّ الزِّنَا وَإِنْ كَانَ يُفْضِي إِلَى وُجُودِ الْوَلَدِ وَلَكِنْ لَا يُفْضِي إِلَى بَقَائِهِ، لِأَنَّ الْمِيَاهَ إِذَا اشْتَبَهَتْ لَا يَعْرِفُ الْوَالِدُ وَلَدَهُ فَلَا يَقُومُ بِتَرْبِيَتِهِ وَالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِ فَيَضِيعُ وَيَهْلِكُ، فَلَا يَحْصُلُ مَصْلَحَةُ الْبَقَاءِ، فَإِذَنِ الزِّنَا شَهْوَةٌ قَبِيحَةٌ خَالِيَةٌ عَنِ الْمَصْلَحَةِ الَّتِي لِأَجْلِهَا خُلِقَتْ، فَهُوَ قَبِيحٌ ظَاهِرٌ قُبْحُهُ حَيْثُ لَا تَسْتُرُهُ الْمَصْلَحَةُ فَهُوَ فَاحِشَةٌ، وَإِذَا كَانَ الزِّنَا فَاحِشَةً مَعَ أَنَّهُ يُفْضِي إِلَى وُجُودِ الْوَلَدِ وَلَكِنْ لَا يُفْضِي إِلَى بَقَائِهِ، فَاللِّوَاطَةُ الَّتِي لَا تُفْضِي إِلَى وُجُودِهِ أَوْلَى بِأَنْ تَكُونَ فَاحِشَةً.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: الْآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى وُجُوبِ الْحَدِّ فِي اللِّوَاطَةِ، لِأَنَّهَا مَعَ الزِّنَا اشْتَرَكَتْ فِي كَوْنِهِمَا فَاحِشَةً حَيْثُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَلا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً [الْإِسْرَاءِ: ٣٢] وَاشْتِرَاكُهُمَا فِي الْفَاحِشَةِ يُنَاسِبُ الزَّجْرَ عَنْهُ، فَمَا شَرَعَ زَاجِرًا هُنَاكَ يشرع زاجرا هاهنا، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ قِيَاسًا إِلَّا أَنَّ جَامِعَهُ مُسْتَفَادٌ مِنَ الْآيَةِ، وَوَجْهٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ عَذَابَ مَنْ أَتَى بِهَا إِمْطَارَ الْحِجَارَةِ حَيْثُ أَمْطَرَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً عَاجِلًا، فَوَجَبَ أَنْ يُعَذَّبَ مَنْ أَتَى بِهِ بِأَمْطَارِ الْحِجَارَةِ بِهِ عَاجِلًا وَهُوَ الرَّجْمُ، وَقَوْلُهُ: مَا سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنَّ قبلهم لم." (١)

"يَأْتِ أَحَدٌ بِهَذَا الْقَبِيحِ وَهَذَا ظَاهِرٌ، وَالثَّانِي: أَنَّ قَبْلَهُمْ رُبَّمَا أَتَى بِهِ وَاحِدٌ فِي النُّدْرَةِ لَكِنَّهُمْ بَالَغُوا فِيهِ، فَقَالَ لَهُمْ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ، كَمَا يُقَالُ إِنَّ فُلَانًا سَبَقَ الْبُخَلَاءَ فِي الْبُخْلِ، وَسَبَقَ اللِّئَامَ فِي اللُّؤْمِ إِذَا زَادَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ تعالى: **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ بَيَانًا لِمَا ذَكَرْنَا، يَعْنِي تَقْضُونَ الشَّهْوَةَ بِالرِّجَالِ مَعَ قَطْعِ السَّبِيلِ الْمُعْتَادِ مَعَ النِّسَاءِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى الْمَصْلَحَةِ الَّتِي هِيَ بَقَاءُ النَّوْعِ، حَتَّى يُظْهِرَ أَنَّهُ قَبِيحٌ لَمْ يَسْتُرْ قُبْحَهُ مَصْلَحَةً، وَحِينَئِذٍ يَصِيرُ هَذَا كَقَوْلِهِ **تَعَالَى: لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّساءِ [الْأَعْرَافِ: ٨١] يَعْنِي إِتْيَانُ النِّسَاءِ شَهْوَةٌ قَبِيحَةٌ مُسْتَتِرَةٌ بِالْمَصْلَحَةِ فَلَكُمْ دَافِعٌ لِحَاجَتِكُمْ لَا فَاحِشَةَ فِيهِ وَتَتْرُكُونَهُ وَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مَعَ الْفَاحِشَةِ وَقَوْلُهُ:

وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ يَعْنِي مَا كَفَاكُمْ قُبْحُ فِعْلِكُمْ حَتَّى تَضُمُّونَ إِلَيْهِ قُبْحَ الْإِظْهَارِ، وَقَوْلُهُ: فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ فِي التَّفْسِيرِ، كَقَوْلِهِ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ وَفِي الْآيَةِ مسائل:

/ الْأُولَى: قَالَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ [العنكبوت: ٢٤] وَقَالَ قَوْمُ لُوطٍ ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ وَمَا هَدَّدُوهُ،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٥/٤٩

مَعَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَعْظَمَ مِنْ لُوطٍ، فَإِنَّ لُوطًا كَانَ مِنْ قَوْمِهِ، فَنَقُولُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَقْدَحُ فِي دِينِهِمْ وَيَشْتُمُ آلِهَتَهُمْ بِتَعْدِيدِ صِفَاتِ نَقْصِهِمْ بِقَوْلِهِ: لَا يَسْمَعُ، وَلَا يُبْصِرُ، وَلَا يُغْنِي وَالْقَدْحُ فِي الدِّينِ صَعْبٌ، فَجَعَلُوا جَزَاءَهُ الْقَتْلَ وَالتَّحْرِيقَ، وَلُوطٌ كَانَ يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ فِعْلَهُمْ وَيَنْسُبُهُمْ إِلَى ارْتِكَابِ الْمُحَرَّمِ وَهُمْ مَا كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ هَذَا وَاجِبٌ مِنَ الدِّينِ، فَلَمْ يَصْعُبْ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا صَعُبَ عَلَى قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالُوا إِنَّكَ تَقُولُ إِنَّ هَذَا حَرَامٌ وَاللَّهُ يُعَذِّبُ عَلَيْهِ وَنَحْنُ نَقُولُ لَا يُعَذِّبُ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأْتِنَا بِالْعَذَابِ، فَإِنْ قِيلَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي مَوْضِعٍ أَخَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ [النمل: ٥٦] وقال هاهنا فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتِنا فَكَيْفَ الْجَمْعُ؟ فَنَقُولُ لُوطٌ كَانَ ثَابِتًا عَلَى الْإِرْشَادِ مُكَرِّرًا عَلَيْهِمُ التَّغْيِيرَ وَالنَّهْيَ وَالْوَعِيدَ، فَقَالُوا أَوَّلًا ائْتِنَا، ثُمَّ لَمَّا كَثُرَ مِنْهُ ذَلِكَ وَلَمْ يَسْكُتْ عَنْهُمْ قَالُوا أَخْرِجُوا، ثُمَّ إِنَّ لُوطًا لَمَّا يَئِسَ مِنْهُمْ طَلَبَ النُّصْرَةَ مِنَ اللَّهِ وَذَكَّرَهُمْ بِمَا لَا يُحِبُّ اللَّهُ فقال رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ، حَتَّى يُنْجِزَ النَّصْرَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا طَلَبَ هَلَاكَ قَوْمٍ إِلَّا إِذَا عَلِمَ أَنَّ عَدَمَهُمْ خَيْرٌ مِنْ وُجُودِهِمْ، كَمَا قَالَ نُوحٌ: إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً [نُوحٍ: ٢٧] يَعْنِي الْمَصْلَحَةُ إِمَّا فِيهِمْ حَالًا أَوْ بِسَبَبِهِمْ مَآلًا وَلَا مَصْلَحَةَ فِيهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَضِلُّونَ فِي الْحَالِ وَفِي الْمَآلِ فَإِنَّهُمْ يُوصُونَ الْأَوْلَادَ مِنْ صِغَرِهِمْ بِالِامْتِنَاعِ مِنَ الِاتِّبَاعِ، فَكَذَلِكَ لُوطٌ لَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ يُفْسِدُونَ فِي الْحَالِ وَاشْتَغَلُوا بِمَا لَا يُرْجَى مَعَهُ مِنْهُمْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَعْبُدُ اللَّهَ، بَطَلَتِ الْمَصْلَحَةُ حَالًا وَمَآلًا، فعدمهم صار خيرا، فطلب العذاب. ثم قال تعالى:

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٣١ الى ٣٢]

وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ (٣١) قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٣٢)

لَمَّا دَعَا لُوطٌ عَلَى قَوْمِهِ بِقَوْلِهِ: رَبِّ انْصُرْنِي اسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ، وَأَمَرَ مَلَائِكَتَهُ بِإِهْلَاكِهِمْ وَأَرْسَلَهُمْ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، فَجَاءُوا إِبْرَاهِيمَ وبشروه بذرية طيبة وقالوا: إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ يَعْنِي أَهْلَ سَدُومَ." [١]

"فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ظاهره أن توليه عنهم كان بعد أن أبصرهم جاثمين، ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما

خاطب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أهل قليب بدر وقال: «إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٥/٥٠

وعد ربكم حقا» .

أو ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٨٠ الى ٨١]

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١)

وَلُوطاً أي وأرسلنا لوطاً. إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ وقت قوله لهم أو واذكر لوطاً وإذ بدل منه. أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح. مَا سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ ما فعلها قبلكم أحد قط. والباء للتعدية ومن الأولى لتأكيد النفي والاستغراق، والثانية للتبعيض. والجملة استئناف مقرر للإنكار كأنه وبخهم أولاً بإتيان الفاحشة ثم باختراعها فإنه أسوأ.

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بيان لقوله: أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وهو أبلغ في الإنكار والتوبيخ، وقرأ نافع وحفص «إنكم» على الإخبار المستأنف، وشهوة مفعول له أو مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة، وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع، لا قضاء الوطر. بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ إضراب عن الإنكار إلى الإخبار عن حالهم التي أدت بهم إلى ارتكاب أمثالها وهي اعتياد الإسراف في كل شيء، أو عن الإنكار عليها إلى الذم على جميع معايبهم، أو عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل أنتم قوم عادتكم الإسراف.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٨٢ الى ٨٤]

وَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤)

وَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ أي ما جاءوا بما يكون جواباً عن كلامه، ولكنهم قابلوا نصحه بالأمر بإخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا: إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ أي من الفواحش.

فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ أي من آمن به. إِلَّا امْرَأَتَهُ استثناء من أهله فإنها كانت تسر الكفر. كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور.

وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً أي نوعاً من المطر عجيباً وهو مبين بقوله: وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ. فَانْظُرْ

كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ

روي: أن لوط بن هاران بن تارح لما هاجر مع عمه إبراهيم عليه السلام إلى الشام نزل بالأردن، فأرسله الله إلى أهل سدوم ليدعوهم إلى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة، فلم ينتهوا عنها فأمطر الله عليهم الحجارة فهلكوا.

وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم.

[سورة الأعراف (٧) : آية ٨٥]

وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥)

وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً أي وأرسلنا إليهم، وهم أولاد مدين بن إبراهيم خليل الله شعيب بن ميكائيل." (١)

"قالُوا أي قال بعضهم لبعض. تَقاسَمُوا بِاللَّهِ أمر مقول أو خبر وقع بدلاً أو حالاً بإضمار قد. لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ لنباغتن صالحاً وأهله ليلاً. وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض، وقرئ بالياء على أن تقاسموا خبر. ثُمَّ لَنَقُولَنَّ فيه القراءات الثلاث. لِوَلِيِّهِ لولي دمه. ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ فضلاً أن تولينا إهلاكهم، وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مَهْلِكَ في قراءة حفص فإن مفعلاً قد جاء مصدراً كمرجع. وقرأ أبو بكر بالفتح فيكون مصدراً. وَإِنَّا لَصادِقُونَ ونحلف إنا لصادقون، أو والحال إِنَّا لَصادِقُونَ فيما ذكرنا لأن الشاهد للشيء غير المباشر له عرفاً، أو لأنا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثمة رجلاً بل رجلين.

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٥٠ الى ٥١]

وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١)

وَمَكَرُوا مَكْراً بهذه المواضعة. وَمَكَرْنا مَكْراً بأن جعلناها سبباً لإهلاكهم. وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ بذلك، روي أنه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا: زعم أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنفرغ منه

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢٢/٣

ومن أهله قبل الثلاث، فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه، فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في أماكنهم بالصيحة

كما أشار إليه قوله:

فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ وكانَ إن جعلت ناقصة فخبرها كَيْفَ وأَنَّا دَمَّرْناهُمْ استئناف أو خبر محذوف لا خبر كانَ لعدم العائد، وإن جعلتها تامة ف- كَيْفَ حال. وقرأ الكوفيون ويعقوب أَنَّا دَمَّرْناهُمْ بالفتح على أنه خبر محذوف أو بدل من اسم كانَ أو خبر له وكَيْفَ حال.

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٥٢ الى ٥٣]

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ (٥٣)

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً خالية من خوى البطن إذا خلا، أو ساقطة منهدمة من خوى النجم إذا سقط، وهي حال عمل فيها معنى الإشارة. وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف. بِما ظَلَمُوا بسبب ظلمهم.

إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ فيتعظون.

وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا صالحاً ومن معه. وَكانُوا يَتَّقُونَ الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة.

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٥٤ الى ٥٥]

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥)

وَلُوطاً واذكر لوطاً، أو وأرسلنا لوطاً لدلالة ولقد أرسلنا عليه. إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ بدل على الأول وظرف على الثاني. أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها أقبح، أو يبصرها بعضكم من بعض لأنهم كانوا يعلنون بها فتكون أفحش.

أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً بيان لإتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه، والتنبيه على أن الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر. مِنْ دُونِ النِّساءِ اللاتي خلقن لذلك. بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ تفعلون فعل من يجهل قبحها، أو يكون سفيهاً لا يميز بين الحسن والقبيح، أو تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب.." (١)

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٦٣/٤

"الذي لا يأمرني إلا بما فيه صلاحي.

روي أنه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه إلى حران، ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم.

وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ ولداً ونافلة حين أيس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر إسماعيل.

وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ فكثر منهم الأنبياء. وَالْكِتابَ يريد به الجنس ليتناول الكتب الأربعة.

وَآتَيْناهُ أَجْرَهُ على هجرته إلينا. فِي الدُّنْيا بإعطاء الولد في غير أوانه، والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملل إليه والثناء والصلاة عليه إلى آخر الدهر. وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ لفي عداد الكاملين في الصلاح.

[سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٢٨]

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٢٨)

وَلُوطاً عطف على إبراهيم أو على ما عطف عليه. إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ الفعلة البالغة في القبح، وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام وأجمعوا على الاستفهام في الثاني. مَا سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ استئناف مقرر لفاحشتها من حيث إنها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى أقدموا عليها لخبث طينتهم.

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٢٩ الى ٣٠]

أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠)

أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وتتعرضون للسابلة بالقتل وأخذ المال أو بالفاحشة حتى انقطعت الطرق، أو تقطعون سبيل النسل بالإعراض عن الحرث وإتيان ما ليس بحرث. وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ في مجالسكم الغاصة بأهلها ولا يقال للنادى إلا لما فيه أهله. الْمُنْكَرَ كالجماع والضراط وحل الإزار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها. وقيل الخذف ورمي البنادق. فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ في استقباح ذلك أو في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ.

قالَ رَبِّ انْصُرْنِي بإنزال العذاب. عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم، وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب وإشعاراً بأنهم أحقاء بأن يعجل لهم العذاب.

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٣١ الى ٣٢]

وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ (٣١) قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٣٢)

وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى بالبشارة بالولد والنافلة. قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ قرية سدوم والإضافة لفظية لأن المعنى على الاستقبال. إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ تعليل لإهلاكهم لهم بإصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وأنواع المعاصي.

قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً اعتراض عليهم بأن فيها من لم يظلم، أو معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين أظهرهم. قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وأنهم ما كانوا غافلين عنه، وجواب عنه بتخصيص الأهل بمن عداه وأهله أو تأقيت الإهلاك بإخراجهم منها، وفيه تأخير." [١]

"**إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١)

وقوله تعالى ﴿أئنكم لتأتون الرجال﴾ بيان لقوله أَتَأْتُونَ الفاحشة والهمزة مثلها في أَتَأْتُونَ للإنكار إِنَّكُمْ على الإخبار مدني وحفص يقال أتى المرأة إذا غشيها ﴿شهوة﴾ مفعول له أى للاشبهاه لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة وذم أعظم منه لأنه وصف لهم بالبهيمية ﴿مّن دون النساء﴾ أى لا من السناء ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وهو أنهم قوم عاداعهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثمّ أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتد." [٢]

"**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥)

﴿أَئِنَّكُمْ﴾ بهمزتين كوفي وشامي ﴿لَتَأْتُونَ الرجال شَهْوَةً﴾ للشهوة ﴿مّن دُونِ النساء﴾ أي إن الله تعالى إنما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للأنثى فهي

النمل (٦٠ - ٥٥)

مضادة لله في حكمته ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٤/١٩٣

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١/٥٨٣

أريد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها وقد اجتمع الخطاب والغيبة في قوله بل أنتم قوم تجهلون وبل وأنتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على الغيبة لأنه أقوى إذ الأصل أن يكون الكلام بين الحاضرين." (١)

"**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩)

﴿**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرجال وَتَقْطَعُونَ** السبيل﴾ بالقتل وأخذ المال كما هو عمل قطاع الطريق وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾ مجلسكم ولا يقال للمجلس ناد إلا مادام فيه أهله ﴿المنكر﴾ أي المضارطة والمجامعة والسباب والفحش في المزاح والحذف بالحصى." (٢)

"ويعلفوا الإبل العجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة «وللبخاري» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من آبارهم ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا منها واستقينا فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء. وفي بعض الأحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآيات فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم ورودها وأراهم مرتقى الفصيل من القارة فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فأهلك الله من تحت أديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلا واحدا يقال له أبو وغال وهو أبو ثقيف، كان في حرم الله فمنعه حرم الله تعالى من عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم رسول الله صلى اللہ عليه وسلم قبر أبي رغال فنزل القوم وابتدروه بأسيافهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن» وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت فلما دخلوها مات صالح فسمي حضرموت ثم بنوا أربعة آلاف مدينة وسموها حضوراء وقال قوم من أهل العلم: توفي صالح عليه الصلاة السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأقام في قومه عشرين سنة.

[سورة الأعراف (٧): الآيات ٨٠ الى ٨١]

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٨٠) **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١)

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٦١٣/٢

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٦٧٣/٢

قوله تعالى: وَلُوطاً يعني وأرسلنا لوطا وقيل: معناه واذكر يا محمد لوطا وهو لوط بن هاران بن تارخ وهو ابن أخي إبراهيم وإبراهيم عمه إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ يعني أهل سدوم وإليهم كان قد أرسل وذلك أن لوطا عليه الصلاة والسلام لما هاجر مع عمه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام إلى الشام فنزل إبراهيم عليه الصلاة والسلام أرض فلسطين ونزل لوط الأردن أرسله الله تعالى إلى أهل سدوم يدعوهم إلى الله تعالى وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله تعالى: أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ يعني أتفعلون الفعلة الخسيسة التي هي غاية في القبح وكانت فاحشتهم إتيان الذكران في أدبارهم ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ من الأولى زائدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض، والمعنى: ما سبقكم أيها القوم بهذه الفعلة الفاحشة أحد من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام توبيخ لهم وتقريع على فعلهم تلك الفاحشة. قال عمرو بن دينار: ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا إلا كان من قوم لوط **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ يعني** في أدبارهم شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ يعني في أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء بَلْ أَنْتُمْ يعني أيها القوم قَوْمٌ مُسْرِفُونَ أي مجاوزون الحلال إلى الحرام وإنما ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لأن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا للشهوة وموضع النسل فإذا تركهن الإنسان وعدل عنهن إلى غيرهن من الرجال فكأنما قد أسرف وجاوز واعتدى لأنه وضع الشيء في غير محله وموضعه الذي خلق له لأن أدبار الرجال ليست محلا للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الإنسان وكانت قصة قوم لوط، على ما ذكره محمد بن إسحاق وغيره من أهل الأخبار والسير أنه كانت قرى قوم لوط مخصبة ذات زروع وثمار لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم الناس فآذوهم وضيقوا عليهم فعرض لهم إبليس في صورة شيخ وقال لهم إذا فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فأبوا فلما أحل الناس عليهم قصدوهم فأصابوا غلمانا حسانا صباحا فأخبثوا واستحكم ذلك فيهم. قال الحسن: كانوا لا ينكحون إلا الغرباء، وقيل: استحكم ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا. وقال الكلبي: إن أول من عمل به عمل قوم لوط إبليس وذلك لأن بلادهم أخصبت فقصدها أهل البلدان فتمثل لهم إبليس في صورة شاب أمرد فدعا إلى نفسه فكان أول من نكح في دبره فأمر الله تعالى السماء أن تحصبهم والأرض أن تخسف بهم.." (١)

"فسأل الجن فقالوا لا ندري فسأل الشياطين. فقالوا: نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة، والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ. فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا، وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا، وهي سلحين

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/٢٢٥

وبيسنون وغمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة، ويقيم عندها ثلاثة أيام يبكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام وولدت له ولدا ذكرا. وقال وهب: زعموا أن بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك حتى أزوجك إياه، فقالت: ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي من قومي الملك والسلطان، قال: نعم إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله قالت: فإن كان ولا بد فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها إياه وذهب بها إلى اليمن، وملك زوجها ذا تبع على اليمن، ودعا زوبعة ملك الجن وقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما أراد إلى أن مات سليمان وحال الحول، وعلم الجن موت سليمان، فأقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال بأعلى صوته: يا معشر الجن إن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا وانقضى ملك سلمان وملك ذي تبع وملك بلقيس، وبقي الملك لله الواحد القهار قيل إن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. قوله عز وجل:

[سورة النمل (٢٧): الآيات ٤٥ الى ٤٩]

وَلَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) قالَ يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦) قالُوا اطَّيَّرْنا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قالَ طائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧) وَكانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ (٤٨) قالُوا تَقاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصادِقُونَ (٤٩)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ أي وحدوه لا تشركوا به شيئا فَإِذا هُمْ فَرِيقانِ أي مؤمن وكافر يَخْتَصِمُونَ أي في الدين كل فريق يقول الحق معنا قالَ يعني صالحا للفريق المكذب يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ أي بالبلاء والعقوبة قَبْلَ الْحَسَنَةِ أي العافية والرحمة لَوْلا أي هلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ أي بالتوبة إليه من الكفر لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أي لا تعذبون في الدنيا قالُوا اطَّيَّرْنا أي تشاءمنا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قيل: إنما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل: لإمساك القطر عنهم قالوا إنما أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك قالَ طائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أي ما يصيبكم من الخير والشر بأمر الله مكتوب عليكم، سمي طائرا لأنه لا شيء أسرع من نزول القضاء المحتوم وقال ابن عباس الشؤم الذي أتاكم من عند الله بكفركم وقيل طائركم أي عملكم، عند الله، سمي طائرا لسرعة صعوده إلى السماء بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه تعذبون. قوله تعالى وَكانَ فِي الْمَدِينَةِ يعني مدينة ثمود وهي الحجر تِسْعَةُ رَهْطٍ يعني من أبناء أشرافهم يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أي بالمعاصي وَلا يُصْلِحُونَ أي لا يطيعون وهم غواة قوم صالح

الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف قالُوا تَقاسَمُوا بِاللَّهِ يعني يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله أيها القوم لَنُبَيِّتَنَّهُ أي لنقتلنه ليلا وَأَهْلَهُ يعني قومه الذين آمنوا معه ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ أي لولي دمه ما شَهِدْنا يعني ما حضرنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ أي ما ندري من قتله ولا هلاك أهله وَإِنَّا لَصادِقُونَ يعني في قولنا ما شهدنا ذلك.

[سورة النمل (٢٧): الآيات ٥٠ الى ٦٣]

وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤)

أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩)

أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَجَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَجَعَلَ لَها رَواسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣)." [١]

"وَمَكَرُوا مَكْراً أي غدروا غدرا حين قصدوا تبيت صالح وأهله وَمَكَرْنا مَكْراً يعني جازيناهم على مكرهم بتعجيل العذاب وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ يعني أهلكناهم أي التسعة قال ابن عباس: أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه فأتت التسعة دار صالح شاهرين سلاحهم، فرمتهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وأهلك الله جميع القوم بالصيحة وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ، فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا أي بظلمهم وكفرهم إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً أي لعبرة لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ أي قدرتنا وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا، وَكانُوا يَتَّقُونَ يقال إن الناجين كانوا أربعة آلاف. قوله تعالى وَلُوطاً إِذْ قالَ

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٣٤٩

لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ أي الفعلة القبيحة وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أي تعلمون أنها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل: معناه يبصر بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ فإن قلت إذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال: بعده «قوم تجهلون» فيكون العلم جهلا. قلت: معناه تفعلون فعل الجاهلين وتعلمون أنه فاحشة. وقيل: تجهلون العاقبة وقيل أراد بالجهل السفاهة التي كانوا عليها فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ يعني من أدبار الرجال فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ أي قضينا عليها بأن جعلناها من الباقين في العذاب وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً أي الحجارة فَساءَ أي فبئس مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ قوله عز وجل قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى هذا خطاب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يحمد الله على هلاك كفار الأمم الخالية، وقيل: يحمده على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعني الأنبياء والمرسلين وقال ابن عباس: هم أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم وقيل:

هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ فيه تبكيت للمشركين وإلزام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار. والمعنى آلله خير لمن عبده أم الأصنام لمن عبدها فإن الله خير لمن عبده وآمن به لإغنائه عنه من الهلاك والأصنام، لم تغن شيئا عن عابديها عند نزول العذاب، ولهذا السبب ذكر أنواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته.

فالنوع الأول قوله تعالى: أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ ذكر أعظم الأشياء المشاهدة الدالة على عظيم." (١)

"أي في الآخرة وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ أي مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فأهلكهم الله وَما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ قوله تعالى:

[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ١٩ الى ٢٩]

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (٢٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ وَلِقائِهِ أُولئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (٢٣)

فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤)

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٥٠/٣

وَقالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْواكُمُ النَّارُ وَما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ (٢٥) فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقالَ إِنِّي مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ وَآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٢٨)

أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩)

أَوَلَمْ يَرَوْا قيل هذه الآيات إلى قوله فما كان جواب قومه يحتمل أن تكون من تمام قول إبراهيم لقومه وقيل إنها وقعت معترضة في قصة إبراهيم وهي في تذكير أهل مكة وتحذيرهم ومعنى أو لم يروا أو لم يعلموا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ أي يخلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثُمَّ يُعِيدُهُ أي في الآخرة عند البعث إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ أي الخلق الأول والخلق الثاني قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ أي انظروا إلى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ أي ثم إن الله الذي خلقهم ينشئهم نشأة ثانية بعد الموت والمعنى فكما لم يتعذر عليه إحداثهم مبدئا كذلك لا يتعذر عليه إنشاؤهم معيدا بعد الموت ثانيا إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أي من البداءة والإعادة يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ عدلا منه وَيَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ تفضلا وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ أي تردون وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ قيل معناه ولا من في السماء بمعجزين والمعنى أنه لا يعجزه أهل الأرض في الأرض ولا أهل السماء في السماء وقيل معنى قوله ولا في السماء لو كنتم فيها وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ أي يمنعكم مني وَلا نَصِيرٍ أي ينصركم من عذابي وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ يعني بالقرآن وَلِقائِهِ أي البعث أُولئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي يعني الجنة وَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فهذا آخر الآيات في تذكير أهل مكة ثم عاد إلى قصة إبراهيم عليه السلام فقال تعالى فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال الرؤساء للأتباع اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ أي بأن جعلها بردا وسلاما قيل إن ذلك اليوم لم ينتفع أحد بنار إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ يصدقون وَقالَ يعني إبراهيم لقومه إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا أي ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة وقيل معناه إنكم تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ." (١)

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٣٧٨

"وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً

تتبرأ الأوثان من عابديها وتتبرأ القادة من الأتباع ويلعن الأتباع القادة وَمَأْواكُمُ النَّارُ يعني العابدين والمعبودين جميعا وَما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ أي مانعين من عذابه فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ أي صدقه برسالته لما رأى معجزاته وهو أول من صدق إبراهيم وأما في أصل التوحيد فإنه كان مؤمنا لأن الأنبياء لا يتصور فيهم الكفر وَقالَ يعني إبراهيم إِنِّي مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي إلى حيث أمرني ربي فهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة إلى حران ثم هاجر إلى الشام ومعه لوط وامرأته سارة وهو أول من هاجر إلى الله تعالى وترك بلده وسار إلى حيث أمره الله بالمهاجرة إليه. قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ أي الذي لا يغلب والذي يمنعني من أعدائي الْحَكِيمُ الذي لا يأمرني إلا بما يصلحني.

قوله تعالى وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ يقال إن الله تعالى لم يبعث نبيا بعد إبراهيم إلا من نسله وَآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا هو الثناء الحسن فكل أهل الأديان يتولونه ويحبونه ويحبون الصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة من نسله هذا له في الدنيا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ أي في زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح. قوله عز وجل وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ أي الفعلة القبيحة ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ أي لم يفعلها أحد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ يعني** أنكم تقضون الشهوة من الرجال وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وذلك أنهم كانوا يأتون الفاحشة بمن مر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم لأجل ذلك وقيل معناه تقطعون سبيل النسل بإيثار الرجال على النساء وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ أي مجالسكم والنادي مجلس القوم ومتحدثهم عن أم هانئ بنت أبي طالب عن النبي صلّى الله عليه وسلّم في قوله وتأتون في دنياكم المنكر قال «كانوا يحذفون أهل الأرض ويسخرون منهم» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب الحذف هو رمي الحصى بين الأصابع قيل إنهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فإذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه قال: أنا أولى به وقيل: إنه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل إنهم كانوا يجامعون بعضهم بعضا في مجالسهم وقيل إنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يبزق بعضهم على بعض. وقيل كان أخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الأصابع بالحناء وحل الإزار والصفير والحذف والرمي بالجلاهق واللوطية فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ أي لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح إِلَّا أَنْ قالُوا أي استهزاء ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ أي إن العذاب نازل بنا فعند ذلك

[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٣٠ الى ٤٠]

قالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ (٣١) قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٣٢) وَلَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلى أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤)

وَلَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥) وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ (٣٧) وَعاداً وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَساكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَقارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهامانَ وَلَقَدْ جاءَهُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَما كانُوا سابِقِينَ (٣٩) فَكُلاًّ أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا وَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)." (١)

"تَعَالَى: وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً «١» . وَقَالَ الشَّاعِرُ:

لَهُ الْوَيْلُ إِنْ أَمْسَى وَلَا أُمُّ هَاشِمٍ ... قَرِيبٌ وَلَا الْبَسْبَاسَةُ ابْنَةُ يَشْكُرَا

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ قَرِيبٌ فِي الْآيَةِ لَيْسَ بِصِفَةٍ لِلرَّحْمَةِ وَإِنَّمَا هُوَ ظَرْفٌ لَهَا وَمَوْضِعٌ فَتَجِيءُ هَكَذَا فِي الْمُؤَنَّثِ وَالِاثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ وَكَذَلِكَ بِعِيدٌ فَإِنْ جَعَلُوهَا صِفَةً بِمَعْنَى مُقْتَرِبَةٍ قَالُوا قَرِيبَةٌ وَقَرِيبَتَانِ وَقَرِيبَاتٌ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ وَهَذَا خَطَأٌ وَلَوْ كَانَ كَمَا قَالَ لَكَانَ قَرِيبٌ مَنْصُوبًا كَمَا تَقُولُ إِنَّ زَيْدًا قَرِيبًا مِنْكَ انْتَهَى وَلَيْسَ بِخَطَأٍ لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدِ اتَّسَعَ فِي الظَّرْفِ فَاسْتَعْمَلَهُ غَيْرَ ظَرْفٍ كَمَا تَقُولُ هِنْدٌ خَلْفَكَ وَفَاطِمَةُ أَمَامُكَ بِالرَّفْعِ إِذَا اتَّسَعْتَ فِي الْخَلْفِ وَالْأَمَامِ وَإِنَّمَا يَلْزَمُ النَّصْبُ إِذَا بَقِيَتَا عَلَى الظَّرْفِيَّةِ وَلَمْ يَتَّسِعْ فِيهِمَا وَقَدْ أَجَازُوا أَنَّ قَرِيبًا مِنْكَ زَيْدٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا اسْمَ إنّ وزيد الْخَبَرَ فَاتُّسِعَ فِي قَرِيبٍ وَاسْتُعْمِلَ اسْمًا لَا مَنْصُوبًا عَلَى الظَّرْفِ وَالظَّاهِرُ عَدَمُ تَقْيِيدِ قُرْبِ الرَّحْمَةِ مِنَ الْمُحْسِنِ بِزَمَانٍ بَلْ هِيَ قَرِيبٌ مِنْهُ مُطْلَقًا وَذَكَرَ الطَّبَرِيُّ أَنَّهُ وَقْتَ مُفَارَقَةِ الْأَرْوَاحِ لِلْأَجْسَادِ تَنَالُهُمُ الرَّحْمَةُ.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٥٧ الى ٨٥]

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٧٩/٣

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧) وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (٥٨) لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٦٠) قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (٦١)

أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْناهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً عَمِينَ (٦٤) وَإِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٦٥) قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكاذِبِينَ (٦٦)

قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفاهَةٌ وَلكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) قالُوا أَجِئْتَنا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ ما كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) قالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجادِلُونَنِي فِي أَسْماءٍ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ ما نَزَّلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (٧١)

فَأَنْجَيْناهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنا دابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَما كانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢) وَإِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِها قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قالُوا إِنَّا بِما أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كافِرُونَ (٧٦)

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقالُوا يا صالِحُ ائْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٨٠) **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١)

وما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥)

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣/ ٦٣.." (١)

"عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ أُتِيَ بِسَبْعَةٍ مِنْهُمْ فَرَجَمَ ربعة أُحْصِنُوا وَجَلَدَ ثَلَاثَةً وَعِنْدَهُ ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَلَمْ يُنْكِرُوا وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ، وَقَالَ مَالِكٌ: يُرْجَمُ أُحْصِنَ أَوْ لَمْ يُحْصَنْ وَكَذَا الْمَفْعُولُ بِهِ إِنْ كَانَ مُحْتَلِمًا وَعِنْدَهُ يُرْجَمُ الْمُحْصَنُ وَيُؤَدَّبُ وَيُحْبَسُ غَيْرُ المحصن وهو مذهب عَطِيَّةَ وَابْنِ الْمُسَيَّبِ وَالنَّخَعِيِّ وَغَيْرِهِمْ وَعَنْ مَالِكٍ أَيْضًا يُعَزَّرُ أُحْصِنَ أَوْ لَمْ يُحْصَنْ وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَحَرَقَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ الْفُجَاءُ عَمِلَ ذَلِكَ الْعَمَلَ وَذَلِكَ بِرَأْيِ أَبِي بَكْرٍ وَعَلِيٍّ وَأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَيْهِ وَفِيهِمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَرُوِيَ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَحْرَقَهُمْ فِي زَمَانِهِ وخالد القشيري بالعراق وهشام.

وما سَبَقَكُمْ جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ مِنَ الْفَاعِلِ أَوْ مِنَ الْفاحِشَةَ لِأَنَّ فِي سَبَقَكُمْ بِها ضَمِيرُهُمْ وَضَمِيرُهَا، وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: هِيَ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ أَوَّلًا بِقَوْلِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ثُمَّ وَبَّخَهُمْ عَلَيْهَا فَقَالَ: أَنْتُمْ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَهَا أَوْ عَلَى أَنَّهُ جَوَابٌ لِسُؤَالٍ مُقَدَّرٍ كَأَنَّهُمْ قَالُوا لِمَ لَا نَأْتِيهَا فَقَالَ: مَا سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ فَلَا تَفْعَلُوا مَا لَمْ تُسْبَقُوا بِهِ، وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَالْبَاءُ لِلتَّعْدِيَةِ مِنْ قَوْلِكَ سَبَقْتُهُ بِالْكُرَةِ إِذَا ضَرَبْتُهَا قَبْلَهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»

انْتَهَى، وَمَعْنَى التَّعْدِيَةِ هُنَا قَلِقٌ جِدًّا لِأَنَّ الْبَاءَ الْمُعَدِّيَةَ فِي الْفِعْلِ الْمُتَعَدِّي إِلَى وَاحِدٍ هِيَ بِجَعْلِ الْمَفْعُولِ الْأَوَّلِ يَفْعَلُ ذَلِكَ الْفِعْلَ بِمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ الْبَاءُ فَهِيَ كَالْهَمْزَةِ وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ صَكَكْتُ الْحَجَرَ بِالْحَجَرِ فَمَعْنَاهُ أَصْكَكْتُ الْحَجَرَ الْحَجَرَ أَيْ جَعَلْتَ الْحَجَرَ يَصُكُّ الْحَجَرَ وَكَذَلِكَ دَفَعْتُ زَيْدًا بِعَمْرٍو عَنْ خَالِدٍ مَعْنَاهُ أَدْفَعْتُ زَيْدًا عَمْرًا عَنْ خَالِدٍ أَيْ جَعَلْتَ زَيْدًا يَدْفَعُ عَمْرًا عَنْ خَالِدٍ فَلِلْمَفْعُولِ الْأَوَّلِ تَأْثِيرٌ فِي الثَّانِي وَلَا يَتَأَتَّى هَذَا الْمَعْنَى هُنَا إِذْ لَا يَصِحُّ أَنْ يُقَدَّرَ أَسْبَقْتُ زَيْدًا الْكُرَةَ أَيْ جَعَلْتُ زَيْدًا يَسْبِقُ الْكُرَةَ إِلَّا بِمَجَازٍ مُتَكَلَّفٍ وَهُوَ أَنْ تَجْعَلَ ضَرْبَكَ لِلْكُرَةِ أَوَّلَ جَعْلِ ضَرْبَةٍ قَدْ سَبَقَهَا أَيْ تَقَدَّمَهَا فِي الزَّمَانِ فَلَمْ يَجْتَمِعَا.

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ هَذَا بَيَانٌ لِقَوْلِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَأَتَى هُنَا

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥/٧٢

مِنْ قَوْلِهِ أَتَى الْمَرْأَةَ غَشِيَهَا وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ عَلَى جِهَةِ التَّوْبِيخِ وَالْإِنْكَارِ، وَقَرَأَ نَافِعٌ وَحَفْصٌ إِنَّكُمْ عَلَى الخبر المستأنف وشَهْوَةً مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ قَالَهُ الْحَوْفِيُّ وَابْنُ عَطِيَّةَ، وَجَوَّزَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ وَأَبُو الْبَقَاءِ أَيْ مُشْتَهِينَ تَابِعِينَ لِلشَّهْوَةِ غَيْرَ مُلْتَفِتِينَ لِقُبْحِهَا أَوْ مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ قَالَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ، وَبَدَأَ بِهِ أَبُو الْبَقَاءِ أَيْ لِلِاشْتِهَاءِ لَا حَامِلَ لَكُمْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مُجَرَّدُ الشَّهْوَةِ وَلَا ذَمَّ أَعْظَمُ مِنْهُ لِأَنَّهُ وَصْفٌ لَهُمْ بِالْبَهِيمَةِ وَأَنَّهُمْ لَا دَاعِيَ لَهُمْ مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ كَطَلَبِ النَّسْلِ ونحوه ومِنْ دُونِ النِّساءِ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْ مُنْفَرِدِينَ." (١)

"ابْنُ عَطِيَّةَ: وَمَعَ، ظَرْفٌ بُنِيَ عَلَى الْفَتْحِ، وَأَمَّا إِذَا أُسْكِنَتِ الْعَيْنُ فَلَا خِلَافَ أَنَّهُ حَرْفٌ جَاءَ لِمَعْنًى. انْتَهَى، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا ظَرْفٌ، فُتِحَتِ الْعَيْنُ أَوْ سُكِّنَتْ، وَلَيْسَ التَّسْكِينُ مَخْصُوصًا بِالشِّعْرِ، كَمَا زَعَمَ بَعْضُهُمْ، بَلْ ذَلِكَ لُغَةٌ لِبَعْضِ الْعَرَبِ، وَالظَّرْفِيَّةُ فِيهَا مُجَازٌ، وَإِنَّمَا هُوَ اسْمٌ يَدُلُّ على معنى الصحبة.

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٤٥ الى ٩٣]

وَلَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) قالَ يا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦) قالُوا اطَّيَّرْنا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قالَ طائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧) وَكانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ (٤٨) قالُوا تَقاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصادِقُونَ (٤٩)

وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤)

أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩)

أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَجَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَجَعَلَ لَها رَواسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥/١٠٠

السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٦٤)

قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْها بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ (٦٦) وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذا كُنَّا تُراباً وَآباؤُنا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وُعِدْنا هَذَا نَحْنُ وَآباؤُنا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩)

وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠) وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٧١) قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَما يُعْلِنُونَ (٧٤)

وَما مِنْ غائِبَةٍ فِي السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ (٧٥) إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) وَإِنَّهُ لَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٧٨) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩)

إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠) وَما أَنْتَ بِهادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٨١) وَإِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ (٨٢) وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّى إِذا جاؤُ قالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآياتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِها عِلْماً أَمَّا ذا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤)

وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِما ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ (٨٥) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٦) وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ (٨٧) وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ (٨٨) مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩)

وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠) إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَها وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدى

فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (٩٢) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَها وَما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)." [١]

"فَتْحِ الْهَمْزَةِ أَنْ تَكُونَ بَدَلًا مِنْ كَيْفَ، قَالَ: وَقَالَ آخَرُونَ: لَا يَجُوزُ، لِأَنَّ الْبَدَلَ مِنَ الِاسْتِفْهَامِ يَلْزَمُ فِيهِ إِعَادَةُ حَرْفِهِ، كَقَوْلِهِ: كَيْفَ زِيدٌ، أَصَحِيحٌ أَمْ مَرِيضٌ؟

وَلَمَّا أَمَرَ تَعَالَى بِالنَّظَرِ فِيمَا جَرَى لَهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ فِي أَنْفُسِهِمْ، بَيَّنَ ذَلِكَ بِالْإِشَارَةِ إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَكَيْفَ خَلَتْ مِنْهُمْ، وَخَرَابُ الْبُيُوتِ وَخُلُوُّهَا مِنْ أَهْلِهَا، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ مِمَّا يُعَاقَبُ بِهِ الظَّلَمَةُ، إِذْ يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى اسْتِئْصَالِهِمْ. وَفِي التَّوْرَاةِ: ابْنُ آدَمَ لَا تَظْلِمْ يُخْرَبْ بَيْتُكَ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى هَلَاكِ الظَّالِمِ، إِذْ خَرَابُ بَيْتِهِ مُتَعَقِّبٌ هَلَاكَهُ، وَهَذِهِ الْبُيُوتُ هِيَ الَّتِي

قَالَ فِيهَا رسول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ، عَامَ تَبُوكَ: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ»

، الْحَدِيثَ. وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: خَاوِيَةً، بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: عَمِلَ فِيهَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ تِلْكَ. وَقَرَأَ عِيسَى بْنُ عُمَرَ: خَاوِيَةٌ، بِالرَّفْعِ. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: عَلَى خَبَرِ الْمُبْتَدَأِ الْمَحْذُوفِ، وَقَالَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ، أَيْ هِيَ خَاوِيَةٌ، قَالَ: أَوْ عَلَى الْخَبَرِ عَنْ تِلْكَ، وَبُيُوتُهُمْ بَدَلٌ، أَوْ على خبر ثان، وخاوية خَبَرِيَّةٌ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ، وَهُوَ الْكُفْرُ، وَهُوَ مِنْ خُلُوِّ الْبَطْنِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خَاوِيَةٌ، أَيْ سَاقِطٌ أَعْلَاهَا عَلَى أَسْفَلِهَا. إِنَّ فِي ذلِكَ: أَيَ فِي فِعْلِنَا بِثَمُودَ، وَهُوَ اسْتِئْصَالُنَا لَهُمْ بِالتَّدْمِيرِ، وَخَلَاءِ مَسَاكِنِهِمْ مِنْهُمْ، وَبُيُوتُهُمْ هِيَ بَوَادِي الْقُرَى بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ.

وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا، أَيْ بِصَالِحٍ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي حَلَّ بِالْكُفَّارِ، وَكَانَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، خَرَجَ بِهِمْ صَالِحٌ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، وَسُمِّيَتْ حَضْرَمَوْتَ لِأَنَّ صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا دَخَلَهَا مَاتَ بِهَا، وَبَنَى الْمُؤْمِنُونَ بِهَا مَدِينَةً يُقَالُ لَهَا: حَاضُورَا. وَأَمَّا الْهَالِكُونَ فَخَرَجَ بِأَبْدَانِهِمْ خُرَاجٌ مِثْلُ الْحِمَّصِ، احْمَرَّ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ اصْفَرَّ فِي الثَّانِي، ثُمَّ اسْوَدَّ فِي الثَّالِثِ، وَكَانَ عَقْرُ النَّاقَةِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، وَهَلَكُوا يَوْمَ الْأَحَدِ. قَالَ مُقَاتِلٌ: تَفَتَّقَتْ تِلْكَ الْخُرَاجَاتُ، وَصَاحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِمْ صَيْحَةً فَخَمَدُوا.

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ، **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ، فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ، فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ، وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢٤٥/٨

وَلُوطاً: عَطْفٌ عَلَى صالِحاً، أَيْ وَأَرْسَلْنَا لوطا، أو الَّذِينَ على آمَنُوا، أَيْ وَأَنْجَيْنَا لُوطًا، أو باذكر مُضْمَرَةٍ، وَإِذْ بَدَلٌ مِنْهُ، أقوال. وأَ تَأْتُونَ: اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ وَتَوْبِيخٍ،." (١)

"وَأُبْهِمَ أَوَّلًا فِي قَوْلِهِ: الْفاحِشَةَ، ثُمَّ عَيَّنَهَا فِي قوله: أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ، وَقَوْلُهُ:
وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ: أَيْ تَعْلَمُونَ قُبْحَ هَذَا الْفِعْلِ الْمُنْكَرِ الَّذِي أَحْدَثْتُمُوهُ، وَأَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْخَطَايَا، وَالْعِلْمُ بِقُبْحِ الشَّيْءِ مَعَ إِتْيَانِهِ أَعْظَمُ فِي الذَّنْبِ، أَوْ آثَارَ الْعُصَاةِ قَبْلَكُمْ، أَوْ يَنْظُرُ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ لَا يَسْتَتِرُ وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ إِظْهَارِ ذَلِكَ مَجَانَةً وَعَدَمَ اكْتِرَاثٍ بِالْمَعْصِيَةِ الشَّنْعَاءِ، أَقْوَالٌ ثَلَاثَةٌ. وَانْتَصَبَ شَهْوَةً عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مِنْ أجله، وتَجْهَلُونَ غَلَبَ فِيهِ الْخِطَابُ، كَمَا غَلَبَ فِي بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ. وَمَعْنَى: تَجْهَلُونَ، أَيْ عَاقِبَةَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، أَوْ تَفْعَلُونَ فِعْلَ السُّفَهَاءِ الْمُجَّانِ، أَوْ فِعْلَ مَنْ جَهِلَ أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ عَظِيمَةٌ مَعَ الْعِلْمِ أَقْوَالٌ. وَلَمَّا أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ وَنَسَبَ إِلَى الْجَهْلِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ حُجَّةٌ فِيمَا يَأْتُونَهُ مِنَ الْفَاحِشَةِ، عَدَلُوا إِلَى الْمُغَالَبَةِ وَالْإِيذَاءِ، وَتَقَدَّمَ مَعْنَى يَتَطَهَّرُونَ فِي الْأَعْرَافِ. وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ:
جَوابَ بِالنَّصْبِ وَالْحَسَنُ، وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ: بِالرَّفْعِ، وَالْجُمْهُورُ: قَدَّرْناها، بِتَشْدِيدِ الدَّالِ وَأَبُو بَكْرٍ بِتَخْفِيفِهَا، وَبَاقِي الْآيَةِ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ نَظِيرِهِ فِي الْأَعْرَافِ. وَسَاءَ:
بِمَعْنَى بِئْسَ، وَالْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ، أَيْ مَطَرُهُمْ.
قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ، أَمَّنْ خَلَقَ السماواتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ، أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَجَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَجَعَلَ لَها رَواسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ، أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ، أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ، قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ، بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْها بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ.
لَمَّا فَرَغَ مِنْ قَصَصِ هَذِهِ السُّورَةِ، أَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ بِحَمْدِهِ تَعَالَى وَالسَّلَامِ عَلَى الْمُصْطَفَيْنَ، وَأَخَذَ فِي مُبَايَنَةِ وَاجِبِ الْوُجُودِ، اللَّهِ تَعَالَى، وَمُبَايَنَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَدْيَانِ الَّتِي أَشْرَكُوهَا مَعَ اللَّهِ وَعَبَدُوهَا. وَابْتَدَأَ فِي هَذَا التَّقْرِيرِ لِقُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ بِالْحَمْدَلَةِ، وَكَأَنَّهَا صَدْرُ خُطْبَةٍ لِمَا يُلْقِي مِنَ الْبَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٨/٢٥٤

وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ. وَقَدِ اقْتَدَى بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ فِي تَصَانِيفَ كُتُبِهِمْ وَخُطَبِهِمْ وَوَعْظِهِمْ، فَافْتَتَحُوا بِتَحْمِيدِ اللَّهِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى." (١)

"سورة العنكبوت

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ١ الى ٦٩]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا ساءَ ما يَحْكُمُونَ (٤) مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ (٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ (٧) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً وَإِنْ جاهَداكَ لِتُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (٩)

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِما فِي صُدُورِ الْعالَمِينَ (١٠) وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ (١١) وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَلْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ وَما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَأَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ وَلَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَمَّا كانُوا يَفْتَرُونَ (١٣) وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَهُمْ ظالِمُونَ (١٤)

فَأَنْجَيْناهُ وَأَصْحابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْناها آيَةً لِلْعالَمِينَ (١٥) وَإِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَما عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩)

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢٥٥/٨

يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (٢٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ وَلِقائِهِ أُولئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (٢٣) فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤)

وَقالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْواكُمُ النَّارُ وَما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ (٢٥) فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقالَ إِنِّي مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ وَآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٢٨) **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩)

قالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ (٣١) قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٣٢) وَلَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلى أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤)

وَلَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥) وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ (٣٧) وَعاداً وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَساكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَقارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهامانَ وَلَقَدْ جاءَهُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَما كانُوا سابِقِينَ (٣٩) فَكُلاًّ أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا وَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ (٤٣) خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٤٤)

اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ

يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ (٤٥) وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلهُنا وَإِلهُكُمْ واحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦) وَكَذلِكَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ فَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلاَّ الْكافِرُونَ (٤٧) وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلاَّ الظَّالِمُونَ (٤٩)

وَقالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (٥٢) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجاءَهُمُ الْعَذابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٣) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ (٥٤)

يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥) يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩)

وَكَأَيِّنْ مِنْ دابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُها وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (٦٣) وَما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)

فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥) لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (٦٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ (٦٨) وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)." (١)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣٣٣/٨

"الْحُكْمِ لَوْ كُنْتُمْ فِيهَا، وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ، وَالْفَرَّاءُ: التَّقْدِيرُ: وَلَا مَنْ فِي السَّمَاءِ، أَيْ يَعْجِزُ إِنْ عَصَى. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: وَهَذَا مِنْ غَوَامِضِ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَنْشَدَ قَوْلَ حَسَّانَ:

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ

أَيْ: وَمَنْ يَنْصُرُهُ، وَهَذَا عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الشِّعْرِ، لِأَنَّ فِيهِ حَذْفَ الْمَوْصُولِ وَإِبْقَاءَ صِلَتِهِ. وَأَبْعَدُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ التَّقْدِيرَ: وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ مَنْ فِي الْأَرْضِ مَنْ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَلَا مَنْ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَكَيْفَ تُعْجِزُونَ اللَّهَ؟ وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: يَئِسُوا، بِالْهَمْزِ وَالذِّمَارِيُّ، وَأَبُو جَعْفَرٍ: بِغَيْرِ هَمْزٍ، بَلْ بِيَاءٍ بَدَلَ الْهَمْزَةِ، وَهُوَ وَعِيدٌ، أَيْ ييأسون يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَقِيلَ: مِنْ رَحْمَتِي. وَقِيلَ: مِنْ دِينِي، فَلَا أَهْدِيهِمْ.

وَقِيلَ: هُوَ وَصْفٌ بِحَالِهِمْ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَكُونُ دَائِمًا رَاجِيًا خَائِفًا، وَالْكَافِرَ لَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ ذَلِكَ. شَبَّهَ حَالَهُمْ فِي انْتِفَاءِ رَحْمَتِهِ عَنْهُمْ بِحَالِ مَنْ يَئِسَ مِنَ الرَّحْمَةِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَ:

وَإِنْ تُكَذِّبُوا، مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، حِكَايَةً عَنْ إِبْرَاهِيمَ، إِلَى قَوْلِهِ: عَذابٌ أَلِيمٌ. وَقِيلَ:

هَذِهِ الْآيَاتُ اعْتِرَاضٌ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ بَيْنَ كَلَامِ إِبْرَاهِيمَ وَالْإِخْبَارُ عَنْ جَوَابِ قَوْمِهِ، أَيْ وَإِنْ تُكَذِّبُوا مُحَمَّدًا، فَتَقْدِيرُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ اعْتِرَاضًا يَرُدُّ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ، حَيْثُ زَعَمَ أَنَّ الِاعْتِرَاضَ لَا يَكُونُ جُمْلَتَيْنِ فَأَكْثَرَ، وَفَائِدَةُ هَذَا الِاعْتِرَاضِ أَنَّهُ تَسْلِيَةٌ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ كَانَ قَدِ ابْتُلِيَ بِمِثْلِ مَا كَانَ أَبُوهُ إِبْرَاهِيمُ قَدِ ابْتُلِيَ، مِنْ شِرْكِ قَوْمِهِ وَعِبَادَتِهِمُ الْأَوْثَانَ وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ وَمُحَاوَلَتِهِمْ قَتْلَهُ. وَجَاءَتِ الْآيَاتُ بَعْدَ الْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ مُقَرِّرَةً لِمَا جاءَ به الرسول مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَدَلَائِلِهِ وَذِكْرِ آثَارِ قُدْرَتِهِ وَالْمَعَادِ.

فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، وَقالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْواكُمُ النَّارُ وَما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ، فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقالَ إِنِّي مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ وَآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ، وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ، **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، قالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ، وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا

إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ، قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ، وَلَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً." (١)

"وَقِيلَ: إِلَى حَيْثُ لَا أُمْنَعُ عِبَادَةَ رَبِّي. وَقِيلَ: مُهَاجِرًا مَنْ خَالَفَنِي مِنْ قَوْمِي، مُتَقَرِّبًا إِلَى رَبِّي. وَنَزَلَ إِبْرَاهِيمُ قَرْيَةً مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ، وَتَرَكَ لُوطًا فِي سَدُومَ، وَهِيَ الْمُؤْتَفِكَةُ، عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِنْ قَرْيَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُذَلُّ مَنْ عَبَدَهُ، الْحَكِيمُ الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا. وَالضَّمِيرُ فِي ذُرِّيَّتِهِ عَائِدٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ.

النُّبُوَّةَ: إِسْحَاقُ، وَيَعْقُوبُ، وَأَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِسْمَاعِيلُ، وَمُحَمَّدٌ خَاتَمُهُمْ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. وَالْكِتابَ: اسْمُ جِنْسٍ يَدْخُلُ فِيهِ التَّوْرَاةُ، وَالزَّبُورُ، وَالْإِنْجِيلُ، وَالْفُرْقَانُ.

وَآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا: أَيْ فِي حَيَاتِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ: نَجَاتُهُ مِنَ النَّارِ، وَمِنَ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ: وَالثَّنَاءُ الْحَسَنُ، بِحَيْثُ يَتَوَلَّاهُ كُلُّ أُمَّةٍ وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: وَالْوَلَدُ الَّذِي قَرَّتْ بِهِ عَيْنُهُ، قَالَهُ الْحَسَنُ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: إِنَّهُ رَأَى مَكَانَهُ مِنَ الْجَنَّةِ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي بُرْدَةَ: مَا وُفِّقَ لَهُ مِنْ عَمَلِ الْآخِرَةِ. وَقَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: بَقَاءُ ضِيَافَتِهِ عِنْدَ قَبْرِهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِنَبِيٍّ غَيْرِهِ. وَقِيلَ: النُّبُوَّةُ وَالْحِكْمَةُ. وَقِيلَ: الصَّلَاةُ عَلَيْهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ. وَانْتَصَبَ لُوطًا بِإِضْمَارِ اذْكُرْ، أَوْ بِالْعَطْفِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، أَوْ بِالْعَطْفِ عَلَى مَا عُطِفَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ. وَالْجُمْهُورُ: عَلَى الِاسْتِفْهَامِ فِي أَئِنَّكُمْ معا. وقرىء: أَنَّكُمْ عَلَى الْخَبَرِ، وَالثَّانِي عَلَى الِاسْتِفْهَامِ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَجَدْتُهُ فِي الْإِمَامِ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ بِغَيْرِ يَاءٍ، وَرَأَيْتُ الثَّانِيَ بِحَرْفَيْنِ، الْيَاءِ وَالنُّونِ. وَلَمْ يَأْتِ فِي قِصَّةِ لُوطٍ أَنَّهُ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، كَمَا جَاءَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَقِصَّةِ شُعَيْبٍ، لِأَنَّ لُوطًا كَانَ مِنْ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَفِي زَمَانِهِ، وَسَبَقَهُ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الدُّعَاءِ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَاشْتُهِرَ أَمْرُهُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْخَلْقِ، فَذَكَرَ لُوطٌ مَا اخْتَصَّ بِهِ مِنَ الْمَنْعِ مِنَ الْفَحْشَاءِ وَغَيْرِهَا. وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ وَشُعَيْبٌ فَجَاءَا بَعْدَ انْقِرَاضِ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَلِذَلِكَ دَعَوَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: مَا سَبَقَكُمْ بِها جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ مُقَرِّرَةٌ لِفَاحِشَةِ تِلْكَ الْفَعْلَةِ، كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ: لِمَ كَانَتْ فَاحِشَةً؟ فَقِيلَ: لِأَنَّ أَحَدًا قَبْلَهُمْ لَمْ يُقْدِمْ عَلَيْهَا اشْمِئْزَازًا مِنْهَا فِي طِبَاعِهِمْ لِإِفْرَاطِ قُبْحِهَا، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهَا قَوْمُ لُوطٍ لِخُبْثِ طِينَتِهِمْ، قَالُوا: لَمْ يَنْزُ ذَكَرٌ عَلَى ذَكَرٍ قَبْلَ قَوْمِ لُوطٍ. انْتَهَى. وَيَظْهَرُ أَنَّ مَا سَبَقَكُمْ بِها جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مُبْتَدِعِينَ لَهَا غَيْرَ مَسْبُوقِينَ بِهَا؟ وَاسْتَفْهَمَ أَوَّلًا وَثَانِيًا اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ وَتَوْبِيخٍ وَتَقْرِيعٍ، وَبَيَّنَ مَا تِلْكَ الْفَاحِشَةُ الْمُبْهَمَةُ فِي قَوْلِهِ: إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ، وَإِنْ كَانَتْ مُعَيَّنَةً أَنَّهَا إِتْيَانُ

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٨/ ٣٥٠

الذُّكُورِ فِي الْأَدْبَارِ بِقَوْلِهِ: مَا سَبَقَكُمْ بِها، فقال: أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ: يَعْنِي فِي الْأَدْبَارِ، وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ: الْوَلَدَ، بِتَعْطِيلِ الْفَرْجِ وَوَطْءِ أَدْبَارِ الرِّجَالِ، أَوْ بِإِمْسَاكِ الْغُرَبَاءِ." (١)

"جَدِيدٍ﴾ لأنَّ ما بعد «إذا» لا يعمل فيما قبلها، ولا يعمل فيها أيضاً «كُنَّا» لإضافتها إليها.

واختلف القرَّاءُ في هذا الاستفهامِ المكررِ اختلافاً منتشراً، وهو في أحدِ عشرَ موضعاً من القرآن، فلا بُدَّ مِنْ تَعيينِها وبيانِ مراتبِ القرَّاء فيها، فإنَّ في ضبطها عُسْراً يَسْهُل بعَوْنِ الله تعالى:

أمَّا المواضعُ المذكورةُ، فأوَّلُها ما في هذه السورة. الثاني والثالث كلاهما في «الإسراء» وهما: ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾ [الآيتان: ٤٩، ٩٨] موضعان الرابع: في «المؤمنون» ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الآية: ٨٢] . وفي «النمل» : ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَآؤُنَآ أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ [الآية: ٦٧] ، وفي «العنكبوت» : ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفاحشة مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ العالمين أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرجال﴾

[الآيتان: ٢٨، ٢٩] . وفي «ألم، السجدة» ﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأرض أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الآية: ١٠] . وفي «الصافات» موضعان، وفي الواقعة موضعٌ: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصافات: ١٦، ٥٣، الواقعة: ٤٧] . وفي «النازعات» : ﴿أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحافرة أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً﴾ [الآية: ١١] .." (٢)

"وَإِبَائِهِمْ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْهُدَى إِلَى العَمى -قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ ذَلِكَ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا وَهُمْ يَسْمَعُونَ ذَلِكَ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا ظَهَرَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، أَقَامَ هُنَاكَ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فشُدّت بَعْدَ ثَلَاثٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَرَكِبَهَا (١) ثُمَّ سَارَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى الْقَلِيبِ، قَلِيبِ بَدْرٍ، فَجَعَلَ يَقُولُ: "يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، يَا عُتْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ، يَا شَيْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ، وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ: هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا". فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُكَلِّم مِنْ أَقْوَامٍ قَدْ جُيِّفُوا؟ فَقَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ لَا يُجِيبُونَ". وَفِي السِّيرَةِ أَنَّهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢) قَالَ لَهُمْ: "بِئْسَ عَشِيرَةُ النَّبِيِّ كُنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ، كَذَّبْتُمُونِي وَصَدَقَنِي النَّاسُ، وَأَخْرَجْتُمُونِي وَآوَانِي النَّاسُ، وَقَاتَلْتُمُونِي وَنَصَرَنِي النَّاسُ، فَبِئْسَ عَشِيرَةُ النَّبِيِّ كُنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ". (٣)

وَهَكَذَا صَالِحٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ أَيْ: فَلَمْ تَنْتَفِعُوا بِذَلِكَ،

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣٥٣/٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٧/٧

لِأَنَّكُمْ لَا تُحِبُّونَ (٤) الْحَقَّ وَلَا تَتَّبِعُونَ نَاصِحًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ هَلَكَتْ أُمَّتُهُ، كَانَ يَذْهَبُ فَيُقِيمُ فِي الْحَرَمِ، حَرَمِ مَكَّةَ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا وَكِيع، حَدَّثَنَا زَمْعَة بْنُ صَالِحٍ، عَنِ سَلَمَةَ بْنِ وَهْرَامَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَادِي عُسْفان حِينَ حَجّ قال: "يا أبا بكر، أيّ وادي هَذَا؟ " قَالَ: هَذَا وَادِي عُسْفَان. قَالَ: "لَقَدْ مَرَّ بِهِ هُودٌ وَصَالِحٌ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، عَلَى بَكَرات حُمْر خُطُمها اللِّيفُ، أُزُرُهم العباء، وَأَرْدِيَتُهُمُ النِّمَارُ، يُلَبُّونَ يَحُجُّونَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ".

هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، لَمْ يُخْرِجْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ (٥)

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) ﴾

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَ﴾ قَدْ أَرْسَلْنَا ﴿لُوطًا﴾ أَوْ تَقْدِيرُهُ: ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾

وَلُوطٌ هُوَ ابْنُ هَارَانَ بْنِ آزَرَ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِمَا (٦) السَّلَامُ، وَكَانَ قَدْ آمَنَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَاجَرَ مَعَهُ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ، فَبَعَثَهُ اللَّهُ [تَعَالَى] (٧) إِلَى أهل "سَدُوم" وما

---

(١) في ك: "ثم ركبها".

(٢) في أ: "صلى الله عليه وسلم".

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٦٣٩/١) .

(٤) في أ: "تتبعون".

(٥) المسند (٢٣٢/١) وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٠/٣) : "فيه زمعة بن صالح وفيه كلام وقد وثق".

(٦) في ك، أ: "عليه".

(٧) زيادة من أ.." (١)

"حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا كَانُوا يَرْتَكِبُونَهُ مِنَ الْمَآثِمِ وَالْمَحَارِمِ وَالْفَوَاحِشِ الَّتِي اخْتَرَعُوهَا، لَمْ يَسْبِقْهُمْ بِهَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ وَلَا غَيْرِهِمْ، وَهُوَ إِتْيَانُ الذُّكُورِ. وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ بَنُو آدَمَ تَعْهَدُهُ وَلَا تَأْلَفُهُ، وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِمْ، حَتَّى صَنَعَ ذَلِكَ أَهْلُ "سَدُوم" عَلَيْهِمْ لِعَائِنُ

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٤٤/٣

اللَّهِ.

قَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: قَوْلُهُ: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ: مَا نَزَا ذَكَر عَلَى ذَكَر، حَتَّى كَانَ قَوْمُ لُوطٍ.

وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْخَلِيفَةُ الْأُمَوِيُّ، بَانِي جَامِعِ دِمَشْقَ: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، قَصَّ عَلَيْنَا خَبَرَ لُوطٍ، مَا ظَنَنْتُ أَنَّ ذَكَرًا يَعْلُو ذَكَرًا.

وَلِهَذَا قَالَ لَهُمْ لُوطٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ أَيْ: عَدَلْتُمْ (١) عَنِ النِّسَاءِ، وَمَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْهُنَّ إِلَى الرِّجَالِ، وَهَذَا إِسْرَافٌ مِنْكُمْ وَجَهْلٌ؛ لِأَنَّهُ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَحِلِّهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ لَهُمْ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿ [قَالَ] (٢) هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الْحِجْرِ:٧١] فَأَرْشَدَهُمْ إِلَى نِسَائِهِمْ، فَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ بِأَنَّهُمْ لَا يَشْتَهُونَهُنَّ، ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هُودٍ:٧٩] أَيْ: لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا أَرَبَ لَنَا فِي النِّسَاءِ، وَلَا إِرَادَةَ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مُرَادَنَا مِنْ أَضْيَافِكَ.

وَذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ الرِّجَالَ كَانُوا قَدِ اسْتَغْنَى (٣) بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَكَذَلِكَ نِسَاؤُهُمْ كُنَّ قَدِ اسْتَغْنَى (٤) بَعْضُهُنَّ بِبَعْضٍ أَيْضًا.

---

(١) في د، م: "أعدلتم".

(٢) زيادة من أ.

(٣) في ك، م: "اغتني".

(٤) في ك: "استغنين".." (١)

"وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ: لَمَّا عَقَرُوا النَّاقَةَ وَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هُودٍ: ٦٥] ، قَالُوا: زَعَمَ صَالِحٌ أَنَّهُ يُفْرُغُ مِنَّا إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَنَحْنُ نَفْرُغُ مِنْهُ وَأَهْلِهِ قَبْلَ ثَلَاثٍ. وَكَانَ لِصَالِحٍ مَسْجِدٌ فِي الحجر عِنْدَ شِعْبٍ هُنَاكَ يُصَلِّي فِيهِ، فَخَرَجُوا إِلَى كَهْفٍ، أَيْ: غَارٍ هُنَاكَ لَيْلًا فَقَالُوا: إِذَا جَاءَ يُصَلِّي قَتَلْنَاهُ (١) ، ثُمَّ رَجَعْنَا إِذَا فَرَغْنَا مِنْهُ إِلَى أَهْلِهِ، فَفَرَغْنَا مِنْهُمْ. فَبَعَثَ اللَّهُ صَخْرَةً مِنَ الهضب حِيَالَهُمْ، فَخَشُوا أَنْ تَشْدَخَهُمْ فَتَبَادَرُوا (٢) فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ وَهُمْ فِي ذَلِكَ الْغَارِ، فَلَا يَدْرِي قَوْمُهُمْ أَيْنَ هُمْ، وَلَا يَدْرُونَ مَا فُعِلَ بِقَوْمِهِمْ. فَعَذَّبَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ هَاهُنَا، وَهَؤُلَاءِ هَاهُنَا، وَأَنْجَى اللَّهُ

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣/٤٤٥

صَالِحًا وَمَنْ مَعَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ أَيْ: فَارِغَةً لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ ﴿بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ .

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) ﴾

---

(١) في ف، أ: "فقلناه".

(٢) في ف، أ: "فبادروا".." (١)

"﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨) ﴾ .

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَبْدِهِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ أَنْذَرَ قَوْمَهُ نِقْمَةَ اللَّهِ بِهِمْ، فِي فِعْلِهِمُ الْفَاحِشَةَ الَّتِي لَمْ يَسْبِقْهُمْ إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَهِيَ إِتْيَانُ الذُّكُورِ دُونَ الْإِنَاثِ، وَذَلِكَ فَاحِشَةٌ عَظِيمَةٌ، اسْتَغْنَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ -قَالَ (١) ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أَيْ: يَرَى بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ؟

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَ ﺃْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أَيْ: لَا تَعْرِفُونَ شَيْئًا لَا طَبْعًا وَلَا شَرْعًا، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ١٦٥، ١٦٦] .

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ أَيْ: يَتَحَرَّجُونَ (٢) مِنْ فِعْلِ مَا تَفْعَلُونَهُ، وَمِنْ إِقْرَارِكُمْ عَلَى صَنِيعِكُمْ، فَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَصْلُحُونَ لِمُجَاوَرَتِكُمْ فِي بِلَادِكُمْ. فَعَزَمُوا عَلَى ذَلِكَ، فَدَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أَيْ: مِنَ الْهَالِكِينَ مَعَ قَوْمِهَا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ رِدْءًا لَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَعَلَى طَرِيقَتِهِمْ فِي رِضَاهَا بِأَفْعَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ، فَكَانَتْ (٣) تَدُلُّ قَوْمَهَا عَلَى ضِيفَانِ لُوطٍ، لِيَأْتُوا إِلَيْهِمْ، لَا أَنَّهَا كَانَتْ تَفْعَلُ الْفَوَاحِشَ (٤) تَكْرِمَةً لِنَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) لَا كَرَامَةً لها (٦) .

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦/٢٠٠

(١) في ف: "فقال".

(٢) في أ: "يخرجون".

(٣) في ف: "وكانت".

(٤) في أ: "الفاحشة".

(٥) في ف: "صلوات الله عليه وسلامه".

(٦) في أ: "بها".." (١)

"﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠) ﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ نَبِيِّهِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِنَّهُ أَنْكَرَ عَلَى قَوْمِهِ سُوء صَنِيعِهِمْ، وَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ مِنْ قَبِيحِ الْأَعْمَالِ، فِي إِتْيَانِهِمُ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَلَمْ يَسْبِقْهُمْ إِلَى هَذِهِ الْفِعْلَةِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ قَبْلَهُمْ. وَكَانُوا مَعَ هَذَا يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ، وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَه ُ وَيُخَالِفُونَهُ وَيَقْطَعُونَ السَّبِيلَ، أَيْ: يَقِفُونَ فِي طَرِيقِ النَّاسِ يَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْخُذُونَ أَمْوَالَهُمْ، ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ أَيْ: يَفْعَلُونَ مَا لَا يَلِيقُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ فِي مَجَالِسِهِمُ الَّتِي يَجْتَمِعُونَ فِيهَا، لَا يُنْكِرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَمِنْ قَائِلٍ: كَانُوا يَأْتُونَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا فِي الْمَلَأِ قَالَهُ مُجَاهِدٌ. وَمِنْ قَائِلٍ: كَانُوا يَتَضَارَطُونَ وَيَتَضَاحَكُونَ؛ قَالَتْهُ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَالْقَاسِمُ. وَمِنْ قَائِلٍ: كَانُوا يُنَاطِحُونَ بَيْنَ الْكِبَاشِ، وَيُنَاقِرُونَ بَيْنَ الدُّيُوكِ، وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ يَصْدُرُ عَنْهُمْ، وَكَانُوا شَرًّا مِنْ ذَلِكَ. وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ، أَخْبَرَنِي حَاتِمُ بْنُ أَبِي صَغِيرَةَ، حَدَّثَنَا سِمَاك بْنُ حَرْبٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ -مَوْلَى أُمِّ هَانِئٍ -عَنْ أُمِّ هَانِئٍ (١) قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ ، قَالَ: "يَحْذِفُونَ أَهْلَ الطَّرِيقِ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ الْمُنْكَرُ الَّذِي كَانُوا يَأْتُونَهُ".

وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ حَمَّادِ بْنِ أُسَامَةَ عَنْ أَبِي يُونُسَ الْقُشَيري، حَاتِمِ بْنِ أَبِي صَغِيرة (٢) بِهِ (٣) . ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ حَاتِمِ بْنِ أَبِي صَغِيرَةَ (٤) عَنْ سِمَاك.

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦/٢٠٠

وَقَالَ (٥) ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ، عَنِ الْحَكَمِ (٦) ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ قَالَ: الصَّفِيرُ، وَلَعِبُ الْحَمَّامِ (٧) والجُلاهق، وَالسُّؤَالُ فِي الْمَجْلِسِ، وَحَلُّ أَزْرَارِ الْقِبَاءِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ، وَهَذَا مِنْ كُفْرِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ وَعِنَادِهِمْ؛ وَلِهَذَا اسْتَنْصَرَ عَلَيْهِمْ نَبِيُّ اللَّهِ فَقَالَ: ﴿رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨) .

---

(١) في ت: "وروى الإمام أحمد بإسناده عن أم هانئ".

(٢) في أ: "حيوة".

(٣) المسند (٦/٣٤١) وسنن الترمذي برقم (٣١٩٠) .

(٤) في أ: "حيوة".

(٥) في ت: "وروى".

(٦) في ت: "بإسناده".

(٧) في أ: "الحمار".

(٨) في أ: "الفاسقين" وهو خطأ.." [1]

"ورد عليه أبو حيَّان: بأنهم نصُّوا على أنَّ «فعلاً وفعَلة وفُعْلاً» ينوبُ عن «مَفْعُول» في المعنى، ولا يعمل عمله، فلا تقول: «مَرَرْتُ بِرجُل [ذبح] كَبْشَهُ ولا غَرَفَ مَاءهُ ولا قَبضَ مالهُ، وأيضاً فإنَّ الصفات لا تعمل إلاَّ إذا اعتمدت على أشياء مخصوصة وليس منها هنا شيء.

والعَجَبُ: تغير النَّشفس برؤية المستبعد في العادة.

وقال القرطبيُّ: العَجَبُ تغير النفس بما يخفى أسبابه.

قوله تعالى: ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يجوز في هذه الجملة الاستفهامية وجهان:

أظهرهما: أنَّها منصوبة المحل لحكايتها بالقول.

والثاني: أنَّها، وما في حيزها في محل رفع بدلاً من:» قَوْلِهِمْ «وبه بدأ الزمخشريُّ وعلى هذا فقولهم بمعنى مقولهم ويكونُ بدل كُلِّ؛ لأنَّ هذا هو نفس» قَوْلُهُم «، و» إذَا «هنا ظرفٌ محضٌ، وليس فيها معنى الشَّرط، والعاملُ فيها مقدر يفسره ﴿لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ تقديره: أئذا كُنَّا تراباً نبعث، أو نحشر، ولا يعمل فيها:

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦/٢٧٦

﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ؛ لا، ما بعد» إذَا «لا يعملُ فيما قبلها، ولا يعمل فيها» كُنَّا «لأضافتها إليها.
واختلف القراء في هذا الاستفهام المكرر اختلافاً منتشراً، وهو في أحد عشر موضعاً في تسع سور من القرآن ولا بد من تعيينها، [وبيان] مراتب القرَّاء فيها، فإن ضبطها عسر ليسهل ذلك بعون الله تعالى.
فأولها: ما في هذه السورة.
والثاني، والثالث: الإسراء وهما: ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾ [الإسراء: ٤٩] موضعان.
الرابع في المؤمنون: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢] .
الخامس في النمل: ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَآؤُنَآ أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ [النمل: ٦٧] .
السادس في العنكبوت: ﴿لَتَأْتُونَ الفاحشة مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ العالمين أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرجال﴾ [العنكبوت: ٢٨، ٢٩] .
السابع في «الم» السجدة: ﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأرض أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [السجدة: ١٠] .
الثامن، والتاسع في الصافات موضعان [الصافات: ١٦] .
العاشر: في الواقعة: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الواقعة: ٤٧] .
الحادي عشر في النازعات: ﴿أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحافرة أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً﴾ [النازعات: ١٠، ١١] .." (١)

"أن تكون استئنافية جواباً لمن سأل عن ذلك وأن تكون حالية أي مبتدعين لها.
فإن قيل: قال إبراهيم لقومه: «اعْبدُو اللَّهَ» ، وقال لوطٌ لقومه هاهنا: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفاحشة﴾ ولم يأمرهم بالتوحيد، فما الحكمة؟
فالجواب: انه لما ذكر الله لوطاً عند ذكر إبراهيم كان لوط في زمن إبراهيم فلم يذكر عن لوط أنه أمر قومه بالتوحيد مع الرسول لا بدّ أن يقول ذلك فحكاية لوط وغيرها هاهنا ذكرها الله على سبيل الاخْتِصَار فاقتصر على ما اختص به لوط وهو المنع من الفاحشة، ولم يذكر عنه الأمر بالتوحيد، وإن كان قاله في موضع آخر حيث قال: ﴿اعبدوا الله مَا لَكُمْ مِّنْ إله غَيْرُهُ﴾ [هود: ٦١] ؛ لأن ذلك قدأتى به إبراهيم، وسبقه فصار كالمختصِّ به، وأما المنعُ من علم قوم «لوط» فكان مختصاً «بلوط» فذكر كل واحد بما اختص به، وسبق به غَيْرَهُ.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١/٢٥٠

فصل

دلت الآية على وجوب الحد في اللّواطة، لأنه سماها فاحشةً، وقد ثبت أن إتيان الفاحشة يوجب الحدّ، وأيضاً أن الله تعالى جعل عذاب من أتاها إمطارَ الحجارة عليهم عاجلاً وهو الرَّجْمُ. وتقدم الككلام على قوله: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ﴾ .

قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرجال وَتَقْطَعُونَ السبيل﴾ ، قيل: كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمرّ بهم من المسافرين فترك الناس الممرّ بهم، وقيل: يقطعون سبيل النسل بإتيان الرجال، كقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرجال شَهْوَةً مِّن دُونِ النسآء﴾ [الأعراف: ٨١] [النمل: ٥٥] ، ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ المنكر﴾ قال أبو العباس المَقَّرِيّ. ورد لفظ النادي في القرآن بإزاء معنيين:

الأول: النادي مجلس القوم المحدد فيه لهذه الآية.

والثاني: بمعنى الناصر، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧] ، أي ناصره يعني أبا جهل.." [(١)]

"ممدودة وتليين الثَّانية، وقرأ أبُوا عمرو بهمزة ممدودة للتّخفيف وتليين الثانية، والباقون بهمزتين على الأصل.

قال الواحديُّ: «كان هذا استفهاماً معناه الإنكار لقوله تعالى:» أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ «، وكلُّ واحد من الاستفهامين جملة مستقلة غير محتاجة في تمامها إلى شيء آخر» .

قوله: ﴿لَتَأْتُونَ الرجال شَهْوَةً﴾ قيل: نصب «شَهْوَةٍ» على أنه مفعول من أجله، أي: لأجل الاشتِهَاءِ لا حامل لكم عليه إلاَّ مجرّد الشَّهوة لا غير.

وقيل: إنَّها مصدر واقعٌ موقع الحال، أي: مشتهين أو باق على مصدريَّته، ناصبة «أتَأتُونَ» ؛ لأنَّهُ بمعنى أتشتهون.

ويقال: شَهِيَ يَشْهَى شَهْوَةً، [وشَهَا يَشْهُو شَهْوَةٍ] قال الشَّاعر: [الطويل]

٢٥١٢ - وَأشْعَثَ يَشْهَى النَّوْمَ قُلْتُ لَهُ: ارْتَحِلْ ... إذَا مَا النُّجُومُ أعْرَضَتْ واسْبَكَرَّتِ

وقد تقدَّم ذلك في آل عمران.

قوله: ﴿مِّن دُونِ النسآء﴾ فيه ثلاثةُ أوْجُهٍ:

أحدها: أنَّهُ متعلق بمحذوف، لأنَّهُ حال من «الرِّجالِ» أي: أتأتونهم منفردين عن النِّساء.

والثاني: أنَّهُ متعلِّق ب «شَهْوَة» ، قاله الحوفيُّ. وليس بظاهر أن تقول: «اشتهيتُ من كذا» ، إلاَّ بمعنى غير

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥/٣٤٤

لائق هنا.

والثالث: أن يكُون صفة ل «شهوة» أي: شهوة كَائِنَة من دونهن.

قوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ «بل» للإضراب، والمشهور أنهُ إضراب انتقالٍ من قصّة إلى قصّة، فقيل: عن مذكور، وهو الإخبار بتجاوزهم عن الحدِّ في هذه الفاحشة، أو عن توبيخهم وتقريرهم، والإنكار عليهم.

وقيل: بل للإضراب عن شيء مَحْذُوفٍ. واختف فيه:

فقال أبُو البقاء: «تقديرُهُ: ما عَدَلْتُم بل أنتم» .

وقال الكَرْمَانيُّ: «بل» ردٌّ لجواب زعموا أن يكون لهم عذراً أي: «لا عذر لكم بل» .

وجاء هان بصفة القوم اسم الفاعل وهو «مُسْرِفُونَ» ؛ لأنَّهُ أدلُّ على الثُّبوت ولموافقة رءوس ا لآي؛ فإنَّهَأ أسماء.." (١)

"على صَدْره، ف جاثِمِينَ: معناه: باركين قَدْ صُعِقَ بهم، وهو تشبيه بجُثُوم الطير، وجُثُوم الرماد، وقال بعض المفسرين: معناه: حميماً محترقين كالرماد الجاثم، وذهب صاحبُ هذا القول إلى أن الصيحة اقترن بها صواعقُ مُحْرِقَةٌ، وروي أن الصيحةَ أصابَتْ كلَّ مَنْ كان منهم في شَرْق الأرض وغَرْبِهَا إلاَّ رَجُلاً كان في الحَرَم، فمنعه الحرمُ ثُمَّ هَلَكَ بَعْدَ خروجه من الحَرَم ففي «مُصَنَّف أبي داود» ، قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ قال: أبو رغال «١» ، وذكره الطبريّ أيضا عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهذا الخبر يردُّ ما في السير من أَنَّ أَبا رُغَالٍ هو دليلُ الفِيل، وقوله: فَتَوَلَّى عَنْهُمْ، أي: تولَّى عنهم وقت عَقْر الناقة، وذلك قبل نزول العذاب وكذلك رُوِيَ أنه عليه السلام خَرَجَ مِنْ بين أظهرهم قبل نزول العذاب، وهو الذي تقتضيه مخاطبته لهم، ويحتمِل أن يكون خطابُهُ لهم وهُمْ موتى على جهة التفجُّع عليهم، وذكر حالهم أو غير ذلك كما خاطب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أهْل قليب بَدْر. قال الطبريُّ وقيل: إنه لم تَهْلِكْ أُمَّة، ونبيُّها «٢» معها، ورُوِيَ أنه ارتحلَ بمَنْ معه حتَّى جاء مكَّة، فأقام بها حتى مات، ولفظ التولِّي يقتضي اليأس مِنْ خَيْرهم، واليقينَ في إهلاكهم، وقوله:

وَلكِنْ لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ: عبارةٌ عن تغليبهم الشهواتَ عَلَى الرأْي السديد إذ كلامُ الناصح صَعْبٌ مُضادٌّ لشهوة الذي يُنصحُ، ولذلك تقول العرب: أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٨٠ الى ٨٤]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٠٥/٩

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) وما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤)

وقوله سبحانه: وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ وَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ.

لوطٌ عليه عليه السلام بعثه اللَّه سبحانه إلى أُمَّة تسمّى «سدوم» وروي أنه ابن أخي

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ١٩٨) كتاب «الإمارة» باب: نبش القبور العادية يكون فيها المال، حديث (٣٠٨٨) ، والبيهقي (٤/ ١٥٦) ، وفي «الدلائل» (٧/ ٢٩٧) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٢) ذكره الطبري (٥/ ٥٣٩) ، وابن عطية (٢/ ٤٢٤) ، وابن كثير (٢/ ٢٣٠) ، والسيوطي بنحوه (٣/ ١٨٥) .." (١)

"قال ع «١» : وهذه الألفاظُ الدالةُ على قَسَمٍ تجاوب باللام، وإن لم يتقدمْ قَسَمٌ ظاهرٌ، فاللامُ في لَنُبَيِّتَنَّهُ: جوابُ القَسَمِ. ورُوِيَ في قصصِ هذهِ الآيةِ أن هؤلاءِ التسعة لمَّا كانَ فِي صَدْرِ الثلاثة الأيام بعد عَقْرِ النَّاقَةِ وقَدَ أخبرَهُمْ صالحٌ بمجيء العذابِ، اتفق هؤلاءِ التسعةُ فَتَحَالَفُوا على أن يأتوا دارَ صالحٍ ليلاً فيقتلوه وأهلَه المُخْتَصِّينَ به، قالوا: فإن كان كاذبا في وعيده أوقعنا به ما يستحقُّ، وإن كانَ صادقاً كنَّا قد عجّلناه قبلنا وشفينا به نفوسنا، فجاؤوا واخْتَفَوْا لذلك في غارٍ قريبٍ من داره، فروي أنّه انحدرت عليهم صخرة ٥٣ ب شَدَخَتْهُم جميعاً/، ورُوِيَ أنَّها طَبَّقَتْ عليهِمُ الغَارَ فَهَلَكوا فيه حينَ هَلَكَ قَوْمُهُمْ، وكلُّ فَريقٍ لا يَعلم بِما جَرَى على الآخِرَ، وقَدْ كانوا بنوا على جحودِ الأمر من قرابةِ صالحٍ، ويعني بال أهل كلَّ مَنْ آمنَ بِهِ قاله الحسن «٢» .

وقوله سبحانه: وَمَكَرْنا مَكْراً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ قال ابن العربيّ الحاتميّ: المكر إرداف النّعم مع المخالفةِ وإبقاءِ الحالِ معَ سُوءِ الأَدَب، انتهى من شرحه لألفاظ الصوفية.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥٢/٣

والتدميرُ: الهلاكُ وخاوِيَةً مَعْنَاهُ: قَفْرا، وهذه البيوتُ المشارُ إليهَا هِي التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلّم عَامَ تَبُوكَ: «لاَ تَدْخَلُوا بُيُوتَ المُعَذَّبِينَ إلاَّ أنْ تَكُونُوا بَاكِينَ» «٣» . الحديثُ في «صحيحِ مُسْلِمٍ» وغيره.

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٥٤ الى ٥٨]

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨)

وقوله تعالى: وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ تقدمَ قصصُ هؤلاءِ القومِ، وتُبْصِرُونَ معناه: بقلوبكم.

قال أبو حيان «٤» : وشَهْوَةً مفعولٌ مِنْ أجله، انتهى. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «لَعَنَ الله مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ» «٥» . رواه أبو داود والترمذيّ والنسائيّ

---

(١) ينظر «المحرر» (٤/ ٢٦٤) .

(٢) ذكره ابن عطية (٤/ ٢٦٤) .

(٣) تقدم تخريجه في سورة الحجر. [.....]

(٤) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٨٣) .

(٥) أخرجه ابن حبان (٥٣- موارد) من حديث ابن عباس مرفوعا: بلفظ: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن-." (١)

"زيد «١» : لا يعجزه أهلُ الأرض في الأرض، ولا أهلُ السَّمَاءِ في السماء إن عصوه. وقيل: معناه: ولا في السماء لو كنتم فيها. وقيل: المعنى: ليس للبشر حيلةٌ إلى صعودٍ أو نزول يفلتون بها. قال قتادة: ذَمَّ الله قوماً هانوا عليه فقال: أُولئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي ... الآية.

قال ع «٢» : وما تَقَدَّمَ من قوله: أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ ... إلى هذه الآيةِ المستأنفةِ يُحْتَمَلُ أن يكونَ خطاباً

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/٢٥٤

لمحمد صلى الله عليه وسلّم، ويكون اعتراضا في قصَّة إبراهيم عليه السلام، ويحتمل أن يكونَ خطاباً لإبراهيم عليه السلام ومحاورة لقومه وعند آخر ذلك ذكر جواب قومه.

وقوله تعالى: فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ أي بأن جعلها برداً وسلاماً.

قال كعب «٣» الأحبار- رضي الله عنه-: ولم تحرقِ النارُ إلا الحبل الذي أو ثقوه به وجعل سبحانه ذلك آية، وعبرةً، ودليلاً على توحيده لِمن شرح صدره ويسره للإيمان. ثم ذكر تعالى أن إبراهيم- عليه السلام- قررهم على أنَّ اتخاذَهم الأوثانَ إنما كان اتباعاً من بعضهم لبعضٍ وحفظاً لمودتهم الدنيوية وأنهم يوم القيامة يَجْحَدُ بعضُهم بعضاً، ويتَلاَعَنُون لأن توادَّهم كان على غير تقوى، الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ [الزخرف: ٦٧] .

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٢٦ الى ٣٥]

فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقالَ إِنِّي مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ وَآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٢٨) أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠)

وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ (٣١) قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٣٢) وَلَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلى أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)

---

(١) أخرجه الطبريّ (١٠/ ١٣١) رقم (٢٧٧٢٦) .

(٢) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣١٢) .

(٣) أخرجه الطبريّ (١٠/ ١٣٢) رقم (٢٧٧٢٧) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣١٢- ٣١٣) ، والسيوطي (٥/ ٢٧٤) بنحوه، وعزاه لكعب.." [1]

"وقوله تعالى: فَآمَنَ لَهُ/ لُوطٌ معناه: صدق، وآمن: يتعدى باللام والباء، والقائل ٦٢ أإِنِّي مُهاجِرٌ هو إبراهيم عليه السلام. قاله قتادةُ والنخعيُّ «١» وقالت فرقةٌ: هو لوط- عليه السلام-.

وقوله تعالى: وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ وَآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا ... الآية، الأجرُ الذي آتاهُ الله في الدنيا: العافيةُ من النار ومن المَلِكِ الجائرِ. والعملُ الصالحُ أو الثناءُ الحسنُ قاله مجاهد «٢» ويدخل في عموم اللفظ غيرُ ما ذُكِرَ.

قوله تعالى: وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ، أي: في عداد الصالحين الذين نالوا رضا الله عز وجل، وقول لوط عليه السلام: **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ، قالت فرقة: كان قطعُ الطريقِ بالسلب فاشياً فيهم، وقيل غيرُ هذا، والنادي، المجلس الذي يجتمع الناس فيه. واخْتُلِفَ في هذا المُنْكَرِ الذي يأتونه في ناديهم: فقالت فرقة: كانوا يحذفونَ الناسَ بالحصباءِ ويَسْتَخِفُّونَ بالغريب والخاطر عليهم وروته أم هانىءٍ عن النبي صلى الله عليه وسلّم»

: وَكَانَتْ خُلقهُمْ مُهْمَلَةً لاَ يَرْبِطُهُمْ دِينٌ وَلاَ مروءة، وقال

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ٣١٤) .

(٢) أخرجه الطبريّ (١٠/ ١٣٤) رقم (٢٧٧٣٥) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣١٤) ، وابن كثير (٣/ ٤١١) . [.....]

(٣) أخرجه الترمذيّ (٥/ ٣٤٢) كتاب التفسير: باب «ومن سورة العنكبوت» ، حديث (٣١٩٠) ، وأحمد (٦/ ٣٤١) ، والطبريّ في «تفسيره» (١٠/ ١٣٦) رقم (٢٧٧٤٥) ، والحاكم (٢/ ٤٠٩) ، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٤١١- ٤١٢) رقم (١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢) كلهم من طريق أبي صالح مولى أم هانىء عن أم هانىء به..

وقال الترمذيّ: حديث حسن.

وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٧٦) ، وزاد نسبته إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢٩٢/٤

في «الصمت» ، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والشاشي في «مسنده» ، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» ، وابن عساكر.." (١)

"أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤)

* * *

(وَإِلَى ثَمُودَ) أي: إلى قبيلته (أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا الله مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ) معجزة (مِنْ رَبِّكُمْ) على صدقي (هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيةً) استئناف يبين البينة وإضافة الناقة إلى الله؛ لأنها جاءت من عنده بلا سبب معهود، فإنها خرجت من الصخرة يوم عيدهم بمحضرهم حين سألوا تلك المعجزة وعهدوا أن يؤمنوا به بعد ما تظهر، ونصب آية على الحال والعامل معنى الإشارة (فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ) من الضرب والطرد والأذى (فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) جواب للنهي (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ) في مساكنهم (وَبَوَّأَكُمْ) سكنكم (فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا) تبنون القصور من سهولة الأرض مما تصنعون منها من اللبن والآجر (وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا) كانوا يثقبون في الجبال ويسكنون في الشتاء فيها لتنعمهم، ونصب بيوتًا على الحال المقدرة، لأن الجبل ما كان بيتًا في حال النحت، أو تقديره من الجبال." (٢)

"وعد ربُّكم حقًّا " قيل: ويجوز أن يتولى عنهم ويقول ذلك حين مقدمة نزول العذاب وهذا كما قال بعضهم في الآية تقديم وتأخير.

(ولوطًا) أي: أرسلنا، أو واذكر لوطًا (إذ قَالَ) ظرف على الأول وبدل من لوطًا على الثاني (لِقَوْمِهِ أَتَأتونَ الْفَاحِشَةَ) تلك الفعلة القبيحة (ما سَبَقَكُمْ) استئناف مقررة للإنكار (بِهَا) الباء للتعدية (مِنْ أَحَدٍ) من زائدة للاستغراق (مِنَ الْعَالَمِينَ) من للتبعيض أي: ما فعلها أحد قط قبلكم (إِنَّكُمْ) الهمزة للإنكار (لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ) من أتى المرأة إذا غشيها (شَهْوَةً) للاشتهاء أنكر أن يكون الحامل على هذه القباحة مجرد الشهوة، أو حال أبي: مشتهين غير ملتفتين إلى سماجتها (مِنْ دُون النسَاءِ) المخلوق لكم (بَلْ أَنتمْ قَوْمٌ مُسْرِفون) إضراب على الإنكار إلى الإخبار عن طريقتهم وعادتهم كأنه قال: بل أنتم قوم لكم الإسراف في الأمور كلها وهو

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢٩٣/٤

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٦٢٨/١

الب اعث لكم إلى تلك القبيحة (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ) أي: قال بعضهم لبعض: أخرجوهم في مقابلة النصح والإرشاد (إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) من دبر الرجال والنساء قيل قالوا سخرية (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ) فإنه ما من." [1]

"وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨) قُلِ الْحَمْدُ لله وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩)

* * *

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ) أي: بأن، (اعْبُدُوا اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ): فريق مؤمن وفريق كافر، (يَخْتَصِمُونَ)، واختصامهم ما مر في سورة الأعراف " قال الذين استكبروا " [الأعراف: ٧٥] الآية، (قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ): بالعقوبة فتقولون: ائتنا بما تعدنا، (قَبْلَ الْحَسَنَةِ): التوبة،." [2]

"بالصيحة، وقراءة " إنا " بكسر الهمزة بالاستئناف، وخبر كان "كيف "، وإن جعلتها تامة ف (كيف) حال، أو بدل، (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً): خالية أو ساقطة، حال عاملها معنى الإشارة، (بِمَا ظَلَمُوا): بسبب ظلمهم، (إن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) فإن الجهال لا يتأملون حتى يتعظوا، (وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ): صالحًا ومن معه، (ولوطًا) أي: اذكره، (إِذْ قَالَ) بدل، (لِقَوْمِه أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) كأنها لقبحها ليست الفاحشة إلا إياها، (وَأَنتمْ تُبْصِرُونَ): يبصر بعضكم بعضًا لا تستترون، وتأتون في ناديكم المنكر، أو تعلمون أنها فاحشة، (**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً**): تتركون المانع الشرعي والزاجر العقلي بمجرد شهوة، (مِنْ دُونِ النِّسَاءِ) التي لا مانع لها لا شرعيًا ولا طبعيًا، (بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُون): سفهاء، ولما كان القوم في معنى المخاطب ذكر الفعل بصيغة الخطاب، (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ): يتنزهون عن أفعالنا ويعدونها أقذارًا، وعن ابن عباس: هذا استهزاء، (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٦٣٠/١

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٢١/٣

امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ) أي: قدرنا كونها من الباقين في العذاب، (وَأَمْطَرنا عَلَيْهِم مَّطَرًا): هو الحجارة، (فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ) قد مر إعرابه في آخر سورة الشعراء فتذكر، (قُلِ) يا محمد: (الْحَمْدُ لله وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى) أمره أن يحمد على نصرة أوليائه وإهلاك أعدائه وأن السلام على عباد الله المصطفين الأخيار، وهم الأنبياء، وعن ابن عباس هم الصحابة." (١)

"(إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) تعلق قدرته على جميع الممكنات على السواء (يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ) تعذيبه (وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ) رحمته (وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ) تردون (وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ) ربكم إن هربتم (فِي الأَ رْضِ) بالتواري فيها (وَلاَ في السَّمَاءِ) بالتحصن فيه أو ولا في السماء لو كنتم فيها قيل تقديره ولا مَن في السماء (وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِن وَلِي وَلاَ نَصِير) لو أراد الله بكم ضرًّا.

* * *

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٥) فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠)

* * *

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ) بكتبه أو بدلائل وحدته (وَلِقَائِهِ) البعث (أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي) لإنكارهم البعث والجنة (وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) لكفرهم." (٢)

"منها إلى الشام ومعه لوط وامرأته سارة (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فيمنعني من الأعداء، ويوفقني بما هو صلاحي (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) وهو ولد إسحاق ولد في حياة إبراهيم (وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ) أي: جنسه وكل نبي بعده كان من ذريته (وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٢٣/٣

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٧٥/٣

جمع له بين السعادتين سعادة الدنيا أي: الرزق الواسع، والمنزل الرحب، والزوجة الحسنة، والثناء الجميل إلى يوم القيامة، وسعادة الآخرة وهي لا يعرفها إلا الله (ولوطًا) عطف على نوحًا (إذ قَالَ لِقَوْمِهِ) أرسل في حياة خليل الله إلى أهل سدوم (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) الفعلة القبيحة (مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ منَ العَالَمِينَ) استئناف مقرر لغاية قباحتها (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ) فإنهم كانوا يقتلون المارين وينهبون أموالهم، وقيل: يقطعون سبيل النسل (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ) مجلسكم الغاصة (الْمُنْكَرَ) وفي الحديث " هو خذف أهل الطريق بالحصى والاستهزاء بهم "، أو الصفير وَلَعِبُ الْحَمامِ [وَحَلُّ أَزْرَارِ الْقِبَاءِ] ومضغ العلك وتطريف الأصابع بالحنا، أو الضراط والضحك والفحش في المزاح (فَمَا كَانَ." (١)

"﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرجال﴾ خبرٌ مستأنفٌ لبيان تلك الفاحشةِ وقرىء بهمزتين صريحتين وبتليين الثانيةِ بغير مدَ وبمد أيضاً على أنه تأكيدٌ للإنكار السابقِ وتشديدٍ للتوبيخ وفي زيادة إنّ واللامِ مزيدُ توبيخ وتقريع كأن ذلك أمرٌ لا يتحقق صدورُه عن أحد فيؤكد تأكيداً قوياً وفي إيراد لفظِ الرجالِ دون الغِلمان والمرادان ونحوِهما مبالغةً في التوبيخ وقوله تعالى ﴿شَهْوَةً﴾ مفعولٌ له أو مصدرٌ في موقعِ الحالِ وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمة الصِّرْفة وتنبيهٌ عَلَى أنَّ العاقلَ ينبغي له أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلبُ الولد وبقاءُ النوعِ لإقضاء الشهوةِ ويجوز أن يكون المرادُ الإنكارَ عليهم وتقريعَهم على اشتهائهم تلك الفعلةَ الخبيثةَ المكروهة كما ينبيء عنه قوله تعالى ﴿مّن دُونِ النساء﴾ أي متجاوزينَ النساءَ اللاتي هُنَّ محلُّ الاشتهاء كما ينبيء عنه قوله تعالى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ إضرابٌ عن الإنكار المذكورِ إلى الإخبار بحالهم التي أفضَتْهم إلى ارتكاب أمثالِها وهي اعتيادُ الإسرافِ في كل شيءٍ أو عن الإنكار عليها إلى الذم على دميع معايبِهم أو عن محذوف أي لا عذرَ لكم فيه بل أنتم قومٌ عادتم الإسراف." (٢)

"﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرجال شَهْوَةً﴾ تثنية للغنكار وتكريرٌ للتوبيخِ وبيانٌ لما يأتونَهُ من الفاحشةِ بطريق التصريح وتحلية الجملة بحر في التأكيدِ للإيذانِ بأنَّ مضمونَها مما لا يُصدِّق وقوعَه أحدٌ لكمالِ بُعدِه من العقولِ وإيرادُ المفعولِ بعُنوانِ الرُّجوليةِ لتربيةِ التقبيحِ وتحقيقِ المباينةِ بينها وبين الشهوةِ التي عُلل بها الإتيانُ ﴿مّن دُونِ النساء﴾ متجاوزينَ النساءَ اللاتي هُنَّ محالُّ الشهوةِ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ تفعلونَ فعلَ

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٧٧/٣

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٤٥/٣

الجاهلينَ بقبحِه أو تجهلون العاقبةَ أو الجهلُ بمعنى السَّفاهة والمجُون أي بل أنتُم قوم سفهاء ما جنون والتَّاءُ فيه مع كونِه صفةً لقومٍ لكونِهم في حيِّزِ الخطابِ." (١)

"٢٩ - ٣٢ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرجال وَتَقْطَعُونَ السبيل﴾ وتتعرَّضُون للسَّابلةِ أي الفاحشة حيثُ رُوي أنَّهم كانُوا كثيراً ما يفعلونَها بالغُرباء وقيل تقطعون سبيلَ النِّساءِ بالإعراضِ عن الحَرثِ وإتيانِ ما ليس بحرثٍ وقيل تقطعونَ السَّبيلَ بالقتلِ وأخذِ المالِ ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾ أي تفعلون في مجلسِكم الجامعِ لأصحابكم ﴿المنكر﴾ كالجماعِ والضُّراطِ وحلِّ الإزارِ وغيرِها مما لا خير فيه من الأفاعيل المنكرةِ وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الحَذفُ بالحَصَى والرَّميُّ بالبنادق والفرقعةُ ومضغُ العلكِ والسِّواكِ بينَ النَّاس وحلُ الإزارِ والسِّبابُ والفُحشُ في المِزاحِ وقيل السُّخريةُ بمن مرَّ بهم وقيل المجاهرةُ في ناديهم بذلكَ العملِ ﴿فَمَا كان جواب قومه إلا أَن قَالُواْ ائتنا بِعَذَابِ الله إِن كُنتَ مِنَ الصادقين﴾ أي فما كان جواباً من جهتِهم شيءٌ من الأشياءِ إلاَّ هذه الكلمة الشَّنيعةُ أي لم يصدُرْ عنهم في هذه المرَّةِ من مرات مواعظ لوط عليه السلام وقد كان أوعدهم فيها بالعذابِ وأمَّا ما في سُورة الأعرافِ من قولِه تعالَى ﴿وَمَا كَانَ جواب قومه إلا أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مّن قَرْيَتِكُمْ﴾ الآيةَ وما في سورة النَّمل من قولِه تعالى فَمَا كَانَ جَوَابَ قومه إلا أن قالوا اخرجوا آل لُوطٍ مّن قَرْيَتِكُمْ الآيةَ فهو الذي صَدر عنهم بعده هذه المرةُ وهي المرة الأخيرة من مرات المُقاولاتِ الجاريةِ بينهم وبينه عليه الصلاةُ والسلامُ وقد مر تحقيقه في سورة الأعرافِ." (٢)

"ثم ذكر قصة لوط عليه السّلام، فقال:

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٨٠ الى ٨٤]

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) وَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤)

قلت: (شهوة) : مفعول له، أو مصدر في موضع الحال.

يقول الحق جلّ جلاله: وَأرسلنا لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ واعظًا لهم: أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ أي:

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٦/٢٩٢

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٧/٣٨

اللواط توبيخًا وتقريعًا على تلك الفعلة المتناهية في القبح، ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ أي: ما فعلها أحد قبلكم، وبخهم على أمرين: إتيان الفاحشة، واختراعها أولاً، ثم قال لهم: إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ، وصفهم بالشهوة البهيمية، وفيه تنبيه على أنَّ العاقل ينبغي أن يكون الداعي له إلى المباشرة:

طلب الولد وإبقاء النوع لا قضاء الوطر، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ أي: عادتكم السرف في كل شيء، حتى تجاوزتم ما أحل الله لكم من النساء إلى ما حرم عليكم من إتيان الذكور، وهو إضراب عن الإنكار إلى الإخبار بحالهم التي أدت بهم إلى ارتكاب أمثالها وهي اعتياد الإسراف في كل شيء، أو عن الإنكار عليها إلى الذم لهم على جميع معايبهم، أو عن محذوف، مثل: لا عذر لكم فيه، بل أنتم قوم عادتكم الإسراف. قاله البيضاوي.

وَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ له حين وعظهم، إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ أي: لوط ومن آمن به، مِنْ قَرْيَتِكُمْ أي: ما أجابوه بشيء يصلح للجواب، لكن قابلوا نصحه بالأمر بإخراجه من قريتهم، والاستهزاء بهم، حيث قالوا: إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ من الفواحش.

قال تعالى: فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ أي: من آمن معه، إِلَّا امْرَأَتَهُ فإنها كانت تسر الكفر كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ أي: الباقين في ديارهم فهلكوا وهلكت معهم.

وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً أي: نوعًا عجيبًا من المطر، بيَّنه بقوله: وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ «١» ، فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ.

---

(١) الآية ٧٤ من سورة الحجر.." [1]

"وقال القشيري على قوله: وَمَكَرُوا مَكْراً ... الآية: مَكْرُ اللهِ: جزاؤهم على مَكْرِهم، بإخفاء ما أراد منهم من العقوبة، ثم إحلالها بهم بغتةً. هـ. وقال الورتجبي: حقيقة المكر: امتناع سر الأزلية عن مطالعة الخليفة، فإذا كان كذلك من ينجو من مكره، والحدث لا يطلع على سوابق علمه في القِدم، فمَكْره وقهره صفتان من صفاته، لا تفارقان ذاته، وذاته أبدية، انظر تمامه. قلت: ومعنى كلامه: أن مكر الله في الجملة: هو إخفاء السر الأزلي- وهو القضاء والقدر- عن مطالعة الخلق، فلا يدري أحد ما سَبق له في العلم القديم، وإذا كان كذلك فلا ينجوا أحد من مكره إذ الحدث لا يطلع على سوابق العلم القديم، إلا من اطلع عليه

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٢٣٦

بوحي، كالأنبياء، أو بنص صريح منهم، كالمبشرين بالجنة، ومع ذلك: العارف لا يقف مع وعد ولا وعيد إذ قد يتوقف على شرط وأسباب خفية، ولذلك قيل: العارف لا يسكن إلى الله. قاله في لطائف المنن، أيّ: لا يسْكُن إلى وعد الله ولا وعيده، فلا يزول اضطراره، ولا يكون مع غير الله قراره.

وقال القشيري- على قوله: فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً..، في الخبر: «لو كان الظلم بيتاً في الجنة لسلط الله عليه الخراب» . هـ. قلت: فكل مَن اشتغل بظلم العباد، فعن قريب ترى دياره بلاقع «١» ، كما هو مجرب. والله تعالى أعلم.

ثم ذكر قصة لوط- عليه السّلام- فقال:

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٥٤ الى ٥٨]

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨)

قلت: (ولوطا) : عطف على (صالحا) داخل معه في القسم، أي: ولقد أرسلنا صالحاً ولوطاً. و (إذ قال) : ظرف للإرسال، أو: منصوب باذكر، و (إذ قال) : بدل من (لوط) .

---

(١) البلقع: الأرض القفر، التي لا شيء فيها، والخالي من البرية. انظر اللسان (١/ ٣٤٨، مادة: بلقع) .."
(١)

"يقول الحق جلّ جلاله: وَلقد أرسلنا لُوطاً، أو: واذكر لوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أي: وقت قوله لهم: أَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ أي: الفعلة المتناهية في الفُحش والسماجة، وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أي: والحالة أنكم تعلمون علماً يقينياً أنها فاحشة، لم تُسبَقوا إليها. والجملة الحالية تفيد تأكيد الإنكار، فإنَّ تعاطيَ القبيح من العالم بقُبحه أقبح وأشنع، ولذلك ورد في الخبر: «أشدُّ الناس عذاباً يومَ القِيَامَةِ عَالِمٌ لَم يَنفَعهُ الله بعلْمِه» «١» . وقال الفخر: لا تصدر المعصية من العالم قط وهو عالم، وحين صدورها منه هو جاهل لأنه رجح المرجوح، وترجيح المرجوح جهل، ولذلك قال: بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. هـ. وفي الحديث: «لا يَزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» «٢» . إذ لو صدّق بإطلاع الحق عليه ما قدر على الزنى، لكنه جهل ذلك. وتُبْصِرُونَ، من: بصر

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/ ٢٠٤

القلب. وقيل: يُبصر بعضُكم بعضاً لأنهم كانوا يرتكبونها في ناديهم، معلنين بها، لا يستتر بعضهم من بعض، مَجانةً وانهماكاً في المعصية، أو: تُبصرون آثار العصاة قبلكم، وما نزل بهم.

أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً أي: للشهوة مِنْ دُونِ النِّساءِ أي: أن الله تعالى إنما خلق الأنثى للذكر، ولم يخلق الذكر للذكر، ولا الأنثى للأنثى، فهي مضادة للهِ تعالى في حكمته، فلذلك كانت أشنع المعاصي، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ تفعلون فعل الجاهلين بقُبحها، أو: تجهلون العاقبة. أو: بمعنى السفاهة والمجون، أي: بل أنتم سُفهاء ماجنون. والتاء فيه- مع كونه صفة لقوم لكونهم في حيز الخطاب. وكذا قوله: بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ «٣» ، غلّب الخطاب على الغيبة. قال ابن عرفة: «بل» : للانتقال، والانتقال في باب الذم إنما يكون عن أمر خفيف إلى ما هو أشد منه، وتقرير الأشدّية هنا: أن المضروب عنه راجع للقوة الحسية العملية، وهي منقطعة تنقضي بانقضاء ذلك الفعل، والثاني راجع للقوة العلمية، وهي دائمة لأن العلم بالشيء دائم، والعمل به منقطع غير دائم. هـ.

فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ حين نهاهم عن تلك الفاحشة ودعاهم إلى الله، إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ أي: لوطاً ومتبعيه مِنْ قَرْيَتِكُمْ، إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ يتنزهون عن أفعالنا، أو: عن القاذورات، ويعدون فعلنا قذراً. وعن ابن عباس: أنه استهزاء، كقوله: إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ «٤» .

---

(١) رواه الطبراني فى المعجم الصغير (١/ ١٨٢- ١٨٣) والبيهقي فى الشعب (ح ٧٧٧٨) ، من حديث أبى هريرة- رضي الله عنه. والحديث ضعّفه السيوطي فى الجامع الصغير (ح ١٠٥٣) .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري فى (المظالم، باب النّهبى بغير إذن صاحبها، ح ٢٤٧٥) ومسلم فى (الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ١/ ٧٦ ح ١٠٠) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) من الآية ٤٧ من سورة النمل.

(٤) الآية ٨٧ من سورة هود.." (١)

"قال القشيري: لا تَصحُّ الهجرةُ إلى الله إلا بالتبرّى بالقلب عن غير الله، والهجرةُ بالنفس يسيرةٌ بالنسبة إلى الهجرة بالقلب، وهي هجرة الخواص، وهي الهجرة عن أوطان التفرقة إلى ساحة الجمعِ، والجمعُ بين التعريج في أوطان التفرقة والكونِ في مشاهدة الجمع متنافٍ. هـ. وقال في قوله تعالى: وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ أي:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٥٠٢

للدنوِّ والقربة والتخصيص بالزلفة. هـ.

ثم ذكر قصة لوط، فقال:

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٢٨ الى ٣٥]

وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (٢٨) **أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَلَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ (٣١) قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٣٢)

وَلَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلى أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)

يقول الحق جلّ جلاله: وَاذكر لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ أي: الفعلة البالغة في القُبح، وهي اللواطة، ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ: جملة مستأنفة مقررة لفحش تلك الفعلة، كأنّ قائلاً قال: لِمَ كانت فاحشة؟ فقال: لأن أحداً ممن قبلهم لم يقدم عليها، قالوا: لم يَنْزُ ذكر على ذكر قبل قوم لوط.

أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ اي: تتعرضون للسابلة بالقتل وأخذ المال، كما هو شأن قُطاع الطريق، وقيل: اعتراضهم السابلة لقصد الفاحشة، وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ في مجالسكم الغاصة بأهلها، ولا يقال." (١)

"عَقْرَهَا، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ [٢٩] .

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا الْآيَةَ.

لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا هَذَا الَّذِي يَعِدُهُمْ بِهِ، وَلَكِنَّهُ بَيَّنَ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ أَنَّهُ الْعَذَابُ كَقَوْلِهِ: وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ [١١ \ ٦٤] ، وَقَوْلِهِ هُنَا فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [٧ \ ٧٣] ، وَقَوْلِهِ: تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ [١١ \ ٦٥] ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٢٩٨

قَوْلُهُ تَعَالَى: فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ. لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا سَبَبَ رَجْفَةِ الْأَرْضِ بِهِمْ، وَلَكِنَّهُ بَيَّنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ صَيْحَةُ الْمَلَكِ بِهِمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ: وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ الْآيَةَ [١١ \ ٦٧] ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَلَكَ لَمَّا صَاحَ بِهِمْ رَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ مِنْ شِدَّةِ الصَّيْحَةِ، وَفَارَقَتْ أَرْوَاحُهُمْ أَبْدَانَهُمْ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي.
وَبَيَّنَ تَعَالَى هَذِهِ الرِّسَالَةَ الَّتِي أَبْلَغَهَا نَبِيُّهُ صَالِحٌ إِلَى قَوْمِهِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ كَقَوْلِهِ: وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ.
بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْفَاحِشَةِ اللِّوَاطُ بِقَوْلِهِ بَعْدَهُ: **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ الْآيَةَ [٧ \ ٨١] ، وَبَيَّنَ ذَلِكَ أَيْضًا بِقَوْلِهِ: أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ [٢٦ \ ١٦٥] ، وَقَوْلِهِ: وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ [٢٩ \ ٢٩] .

قَوْلُهُ تَعَالَى: فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ.
ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ لَمْ يَنْجُ مَعَ لُوطٍ إِلَّا خُصُوصُ أَهْلِهِ، وَقَدْ بَيَّنَ تَعَالَى ذَلِكَ فِي «الذَّارِيَاتِ» بِقَوْلِهِ: فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ [٥١ \ ٣٥، ٣٦] ، وَقَوْلِهِ هُنَا: إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ [٧ \ ٨٣] ، أَوْضَحَهُ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ: فَبَيَّنَ أَنَّهَا خَائِنَةٌ، وَأَنَّهَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَأَنَّهَا وَاقِعَةٌ فِيمَا أَصَابَ قَوْمَهَا مِنَ الْهَلَاكِ، قَالَ فِيهَا هِيَ وَامْرَأَةِ نُوحٍ: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ [٦٦ \ ١٠] ، وَقَالَ فِيهَا وَحْدَهَا: أَعْنِي امْرَأَةَ لُوطٍ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ الْآيَةَ [١١ \ ٨١]." (١)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣٥/٢

"كَمَا يَدُلُّ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ [٣٣ \ ٦] وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: «وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ» وَرُوِيَ نَحْوُهَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهَذَا الْقَوْلِ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

وَهَذَا الْقَوْلُ تُقَرِّبُهُ قَرِينَةٌ وَتُبْعِدُهُ أُخْرَى، أَمَّا الْقَرِينَةُ الَّتِي تُقَرِّبُهُ فَهِيَ: أَنَّ بَنَاتَ لُوطٍ لَا تَسَعُ جَمِيعَ رِجَالِ قَوْمِهِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ، فَإِذَا زَوَّجَهُنَّ لِرِجَالٍ بِقَدْرِ عَدَدِهِنَّ بَقِيَ عَامَّةُ رِجَالِ قَوْمِهِ لَا أَزْوَاجَ لَهُمْ، فَيَتَعَيَّنُ أَنَّ الْمُرَادَ عُمُومُ نِسَاءِ قَوْمِهِ، وَيَدُلُّ لِلْعُمُومِ قَوْلُهُ: أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ [٢٦ \ ١٦٥، ١٦٦] ، وَقَوْلُهُ: **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً** مِنْ دُونِ النِّسَاءِ [٢٧ \ ٥٥] ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَأَمَّا الْقَرِينَةُ الَّتِي تُبْعِدُهُ: فَهِيَ أَنَّ النَّبِيَّ لَيْسَ أَبًا لِلْكَافِرَاتِ، بَلْ أُبُوَّةُ الْأَنْبِيَاءِ الدِّينِيَّةُ لِلْمُؤْمِنِينَ دُونَ الْكَافِرِينَ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ الْآيَةَ [٣٣ \ ٦] .

وَقَدْ صَرَّحَ تَعَالَى فِي «الذَّارِيَاتِ» : بِأَنَّ قَوْمَ لُوطٍ لَيْسَ فِيهِمْ مُسْلِمٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتٍ وَاحِدٍ وَهُمْ أَهْلُ بَيْتِ لُوطٍ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ [٥١ \ ٣٦] .

قَوْلُهُ تَعَالَى: قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ.

ذَكَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ نَبِيَّهُ لُوطًا وَعَظَ قَوْمَهُ وَنَهَاهُمْ أَنْ يَفْضَحُوهُ فِي ضَيْفِهِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ النِّسَاءَ وَتَرْكَ الرِّجَالِ، فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى قَوْلِهِ، وَتَمَادَوْا فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنْ إِرَادَةِ الْفَاحِشَةِ، فَقَالَ لُوطٌ: لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً الْآيَةَ [١١ \ ٨٠] ، فَأَخْبَرَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَنَّهُمْ رُسُلُ رَبِّهِ، وَأَنَّ الْكُفَّارَ الْخُبَثَاءَ لَا يَصِلُونَ إِلَيْهِ بِسُوءٍ. وَبَيَّنَ فِي الْقَمَرِ أَنَّهُ تَعَالَى طَمَسَ أَعْيُنَهُمْ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ [٥٤ \ ٣٧] .

قَوْلُهُ تَعَالَى: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ذَكَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّهُ أَمَرَ نَبِيَّهُ لُوطًا أَنْ يَسْرِيَ بِأَهْلِهِ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ، وَلَمْ يُبَيِّنْ هُنَا هَلْ هُوَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، أَوْ وَسَطِهِ أَوْ أَوَّلِهِ، وَلَكِنَّهُ بَيَّنَ فِي «الْقَمَرِ» أَنَّ ذَلِكَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ وَقْتَ السَّحَرِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:

إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ [٥٤ \ ٣٤] ، وَلَمْ يُبَيِّنْ هُنَا أَنَّهُ أَمَرَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَهُمْ أَمَامَهُ، وَلَكِنَّهُ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي." (١)

"بَاقِيَةٌ وَهِيَ الْأَلِفُ الْبَاقِيَةُ، وَأَنَّ التَّاءَ عِوَضٌ عَنْ أَلْفِ الْإِفْعَالِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ.

قَوْلُهُ: وَلُوطًا [٢١] مَنْصُوبٌ بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ وُجُوبًا يُفَسِّرُهُ آتَيْنَاهُ كَمَا قَالَ فِي الْخُلَاصَةِ:

فَالسَّابِقُ انْصِبْهُ بِفِعْلٍ أُضْمِرَا حَتْمًا مُوَافِقٍ لِمَا قَدْ أَظْهَرَا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: الْحُكْمُ: النُّبُوَّةُ. وَالْعِلْمُ: الْمَعْرِفَةُ بِأَمْرِ الدِّينِ، وَمَا يَقَعُ بِهِ الْحُكْمُ بَيْنَ الْخُصُومِ. وَقِيلَ: عِلْمًا: فَهْمًا. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: حُكْمًا: حِكْمَةً، وَهُوَ مَا يَجِبُ فِعْلُهُ، أَوْ فَصْلًا بَيْنَ الْخُصُومِ، وَقِيلَ: هُوَ النُّبُوَّةُ.

قَالَ مُقَيِّدُهُ – عَفَا اللَّهُ عَنْهُ –: أَصْلُ الْحُكْمِ فِي اللُّغَةِ: الْمَنْعُ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ. فَمَعْنَى الْآيَاتِ أَنَّ اللَّهَ آتَاهُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْعِلْمِ مَا يَمْنَعُ أَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ مِنْ أَنْ يَعْتَرِيَهَا الْخَلَلُ. وَالْقَرْيَةُ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ هِيَ سَدُومُ وَأَعْمَالُهَا، وَالْخَبَائِثُ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُهَا جَاءَتْ مُوَضَّحَةً فِي آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ:

مِنْهَا: اللِّوَاطُ، وَأَنَّهُمْ هُمْ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَهُ مِنَ النَّاسِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ [٧ \ ٨٠] وَقَالَ: أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ [٢٦ \ ١٦٥ – ١٦٦] وَمِنَ الْخَبَائِثِ الْمَذْكُورَةِ إِتْيَانُهُمُ الْمُنْكَرَ فِي نَادِيهِمْ، وَقَطْعُهُمُ الطَّرِيقَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ الْآيَةَ [٢٩ \ ٢٩] .

وَمِنْ أَعْظَمِ خَبَائِثِهِمْ: تَكْذِيبُ نَبِيِّ اللَّهِ لُوطٍ، وَتَهْدِيدُهُمْ لَهُ بِالْإِخْرَاجِ مِنَ الْوَطَنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ [٢٦ \ ١٦٧] وَقَالَ تَعَالَى: فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ [٢٧ \ ٥٦] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ كِتَابِهِ أَنَّهُ أَهْلَكَهُمْ فَقَلَبَ بِهِمْ بَلَدَهُمْ، وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ [١٥] وَالْآيَاتُ بِنَحْوِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ. وَالْخَبَائِثُ: جَمْعُ خَبِيثَةٍ، وَهِيَ الْفِعْلَةُ السَّيِّئَةُ، كَالْكُفْرِ وَاللِّوَاطِ، وَمَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ.." (٢)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٩٠/٢

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٦٨/٤

"قَوْلِهِ تَعَالَى: وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا [٣٣ \ ٣٥] ، وَأَوْضَحَ تَأْكِيدَ حِفْظِ الْفَرْجِ عَنِ الزِّنَى فِي آيَاتٍ أُخَرَ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا [١٧ \ ٣٢] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ الْآيَةَ [٢٥ \ ٦٨ – ٧٠] ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَأَوْضَحَ لُزُومَ حِفْظِ الْفَرْجِ عَنِ اللِّوَاطِ، وَبَيَّنَ أَنَّهُ عُدْوَانٌ فِي آيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي قِصَّةِ قَوْمِ لُوطٍ ؛ كَقَوْلِهِ: أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ [٢٦ \ ١٦٥ – ١٦٦] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ** السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ [٢٩ \ ٢٨ – ٢٩] ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَقَدْ أَوْضَحْنَا كَلَامَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَدِلَّتَهُمْ فِي عُقُوبَةِ فَاعِلِ فَاحِشَةِ اللِّوَاطِ فِي سُورَةِ «هُودٍ» ، وَعُقُوبَةَ الزَّانِي فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ بِحِفْظِ الْفَرْجِ يَتَنَاوَلُ حِفْظَهُ مِنَ انْكِشَافِهِ لِلنَّاسِ، وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ – رَحِمَهُ اللَّهُ – فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: وَحِفْظُ الْفَرْجِ تَارَةً يَكُونُ بِمَنْعِهِ مِنَ الزِّنَى ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ الْآيَةَ [٢٣ \ ٥] ، وَتَارَةً يَكُونُ بِحِفْظِهِ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَالسُّنَنِ «: احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» ، اهـ مِنْهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَّافِ: مِنْ لِلتَّبْعِيضِ وَالْمُرَادُ غَضُّ الْبَصَرِ عَمَّا يَحْرُمُ، وَالِاقْتِصَارُ بِهِ عَلَى مَا يَحِلُّ، وَجَوَّزَ الْأَخْفَشُ أَنْ تَكُونَ مَزِيدَةً، وَأَبَاهُ سِيبَوَيْهِ، فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ دَخَلَتْ فِي غَضِّ الْبَصَرِ دُونَ حِفْظِ الْفَرْجِ؟ قُلْتُ: دَلَالَةً عَلَى أَنَّ أَمْرَ النَّظَرِ أَوْسَعُ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَحَارِمَ لَا بَأْسَ بِالنَّظَرِ إِلَى شُعُورِهِنَّ، وَصُدُورِهِنَّ، وَثُدِيِّهِنَّ، وَأَعْضَادِهِنَّ، وَأَسْوُقِهِنَّ، وَأَقْدَامِهِنَّ، وَكَذَلِكَ الْجَوَارِي الْمُسْتَعْرَضَاتُ، وَالْأَجْنَبِيَّةُ يُنْظَرُ إِلَى وَجْهِهَا وَكَفَّيْهَا وَقَدَمَيْهَا فِي إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ، وَأَمَّا أَمْرُ الْفَرْجِ فَمُضَيَّقٌ، وَكَفَاكَ فَرْقًا أَنْ أُبِيحَ النَّظَرَ إِلَّا مَا اسْتُثْنِيَ مِنْهُ، وَحُظِرَ الْجِمَاعُ إِلَّا مَا اسْتُثْنِيَ مِنْهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ مَعَ حِفْظِهَا مِنَ الْإِفْضَاءِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ حِفْظُهَا عَنِ الْإِبْدَاءِ.." (١)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥/٥٠٧